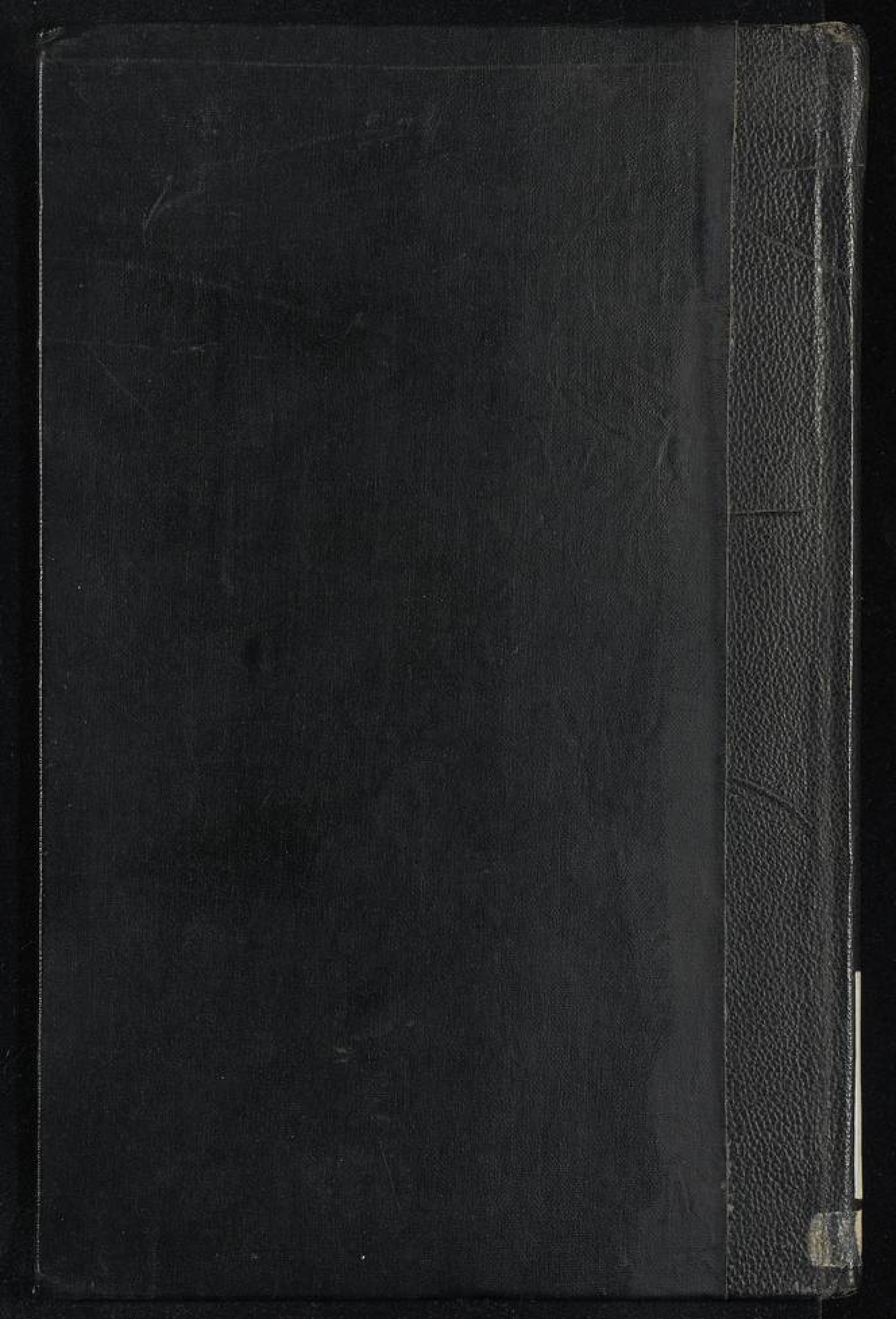
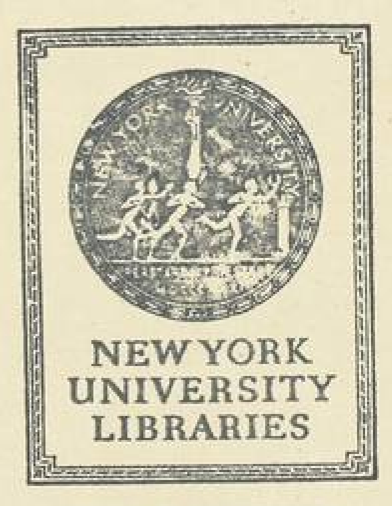
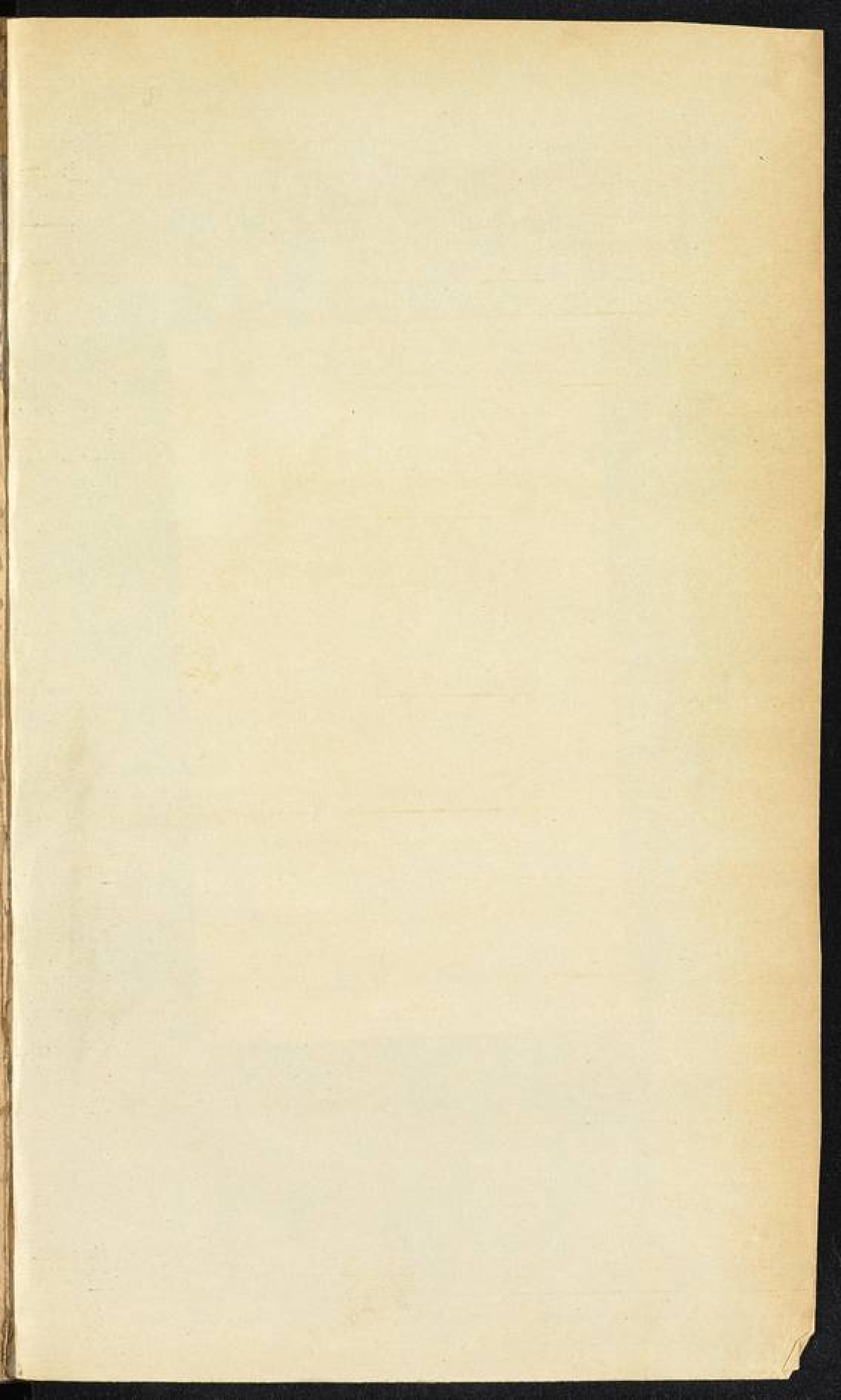



NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES





تم القسم الاول من الكتاب

القسم الثاني من الكتاب

(في خلاصة من عمل صاحب المنار في اصلاح الازهر)

(١)

تربيته البيتية والصوفية

(٢)

بدء تصديه للارشاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر

(٣)

﴿ آثاره العلمية من نظم ونثر وتصنيف ﴾

﴿ أهم الفوائد والعبر لطلاب العلم من هذه الترجمة ﴾

﴿ أثارة من تاريخ دعوة المنار الى اصلاح الازهر ﴾

علاوة الكتاب

(خاتمة الكتاب)



تصدير الكتاب

(إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ(٢٧:٣٥) يَرْفَعِ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١:٥٨) أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ، وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ، وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً — فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ (٢٣:٤٥) هٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالحَقِّ، إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ (٢٩ منها)

صدق الله العظيم

ما للازهر وما عليه من الحق

الحق أقول إنه لايوجد فى العالم الاسلامى بيئة (أو مايعبر عنه فى العرف المدنى بالشخصية المعنوية) أجدر من هذا الازهر بالكرامة فى نفسه، وبالتكريم من الامة وحكومتها، ولكنه ظلم وهضم حقه بل حقوقه، منذ تفرنجت حكومته، ولم تعد تشعر بالحاجة الى علم الدين وأهله، فازدرتهم وحرمتهم من مناصب الدولة، وقد قبل علماؤهم هذا وذاك بلا ادفاع أو بلا شعور، فصار من التقاليد المتبعة والعرف العام الذى يراعى فى القوانين ويشبه الشرع الالهى المنزل. وما ظلمهم الله ولكن ظلموا أنفسهم، فظلمتهم حكومتهم، وخذلتهم أمتهم؛ حتى قيض الله تعالى لهم عالما أفغانياً؛ سيداً حسينياً، فأيقظهم من سباتهم، ونبههم من غفلتهم عن أنفسهم؛ وذكرهم بحقوقهم فى الدولة وبحقوق الامة عليهم، وأهاب بهم ليأطروا الظالم على الحق أطراً؛ ويقسروه على العدل قسراً، كما هداهم نبيهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، وإلا أهلكهم الله تعالى بخضوعهم للظلم؛ وتنكيس رءوسهم للذل، وليستعدوا لذلك باحياء العلم الذي تحيا به الأمم، وتقوم به الدول

ثم خلفه من مريديه عالم من بنى جلدتهم؛ ونبتة باسقة من تربة أزهرهم؛ جهر

بدعوته هذه معه وبعده ، إذ قال في بيانه لها في سياق ما دعا اليه من الاصلاح العلمي والعملي:
«جهرنا بهذا والظلم في عنفوانه ؛ والاستبداد قابض على صولجانه ؛ ويد الظالم من حديد ؛ والناس كلهم عبيد له أي عبيد ،، فماذا جرى ؟

نفى الظلم الداعي الأول من القطر ، ونفى الثاني أولا من القاهرة الى بلده محلة نصر ، ثم الى خارج وطنه ؛ ثم كان ماذا ؟ أو ماذا كان؟ عاد الى مصر أعزيزاً كريماً ، وجدد الدعوة الى اصلاح الأزهر واصلاح مصر والأمة الاسلامية به ، فسالمه الظلم آناً ثم ناوأه آونة، واستعان على صده عن الأزهر ببعض أهل الازهر . وقد كان من أعوان الظلم عليه وعلى الاصلاح بعد أن كان معه الشيخ محمد الاحمدي الظواهري شيخ الازهر اليوم الذي عمل في افساد اصلاحه واذلال الازهر وظلم أهله مالم يعمله أحد منهم ولا من غيرهم

الاساس الاداري لاصلاح الامام للازهر الاستقلال

أتكلم في هذا التصدير عن اصلاح الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده قدس الله روحه من وجهة إعلائه لشأن الازهر واستقلال أهله به، وكف يد كل من الحكومة والأمير عن الاستبداد فيه ؛ وهي الوجهة التى عني الشيخ الظواهري بافسادها ، وظهر لكل أهل الازهر ولغيرهم سعيه وسعايته لهدم الأساس الذي وضعه الامام لها ، وقد تكلمت في صلب الكتاب عن كيده للاصلاح العلمي الديني بالافساد البدعي الخرافي

كان الأساس الذي وضعه الامام محمد عبده لادارة الازهر أن يكون علماؤه مستقلين فيه بنظام وقانون لا سلطان للحكومة ولا للامير على العبث به ، كما بينت ذلك بالتفصيل في المنار ثم في الجزء الأول من تاريخه (أى تاريخ الأستاذ الامام)

وذكرت من جملة الشواهد على ذلك من وقائعه أن سمو الامير أرسل الى شيخ الازهر رجلا من أكبر رجالات مصر المكرمين (هو الشيخ محمد توفيق البكري) يبلغه فيه أمر سموه بتوجيه كسوة تشريف من الدرجة الأولى لغير المستحق لها من العلماء . فلما عرض توجيه الكسوة المنحلة في مجلس ادارة الازهر لم يتسن لشيخ الازهر أن يوجهها الى غير مستحقها والشيخ محمد عبده في الجلسة بل وجهت الى مستحقها بمقتضى القانون

حتى اذا ما اجتمع كبار العلماء في حضرة الامير في أول مقابلة له فى قصر عابدين ، صب سموه سوط التثريب على شيخ الازهر قائلا له : ألم أكن أمرت بكذا ؟ فحصر

لسان فضيلة الشيخ عن الجواب وفرك إحدى كفيه بالأخرى ؛ فبادر الشيخ محمد عبده الى إنقاذه قائلا : ان الذي قرره مجلس الادارة فى الكسوة المذكورة هو التنفيذ لأمر أفندينا ، لأنه مقتضى القانون الموقع بامضاء سموه ؛ والمجلس لايعرف له أمراً غيره ، ولا يمكنه العمل بالاوامر الشفوية المخالفة له ، فاذا شاء أفندينا أن توجه كساوى التشريف ، الى من يشاء من العلماء فليلغ القانون بدكريتو (مرسوم) يقول فيه ان كساوى التشريف توجه بارادة سنية منا ! ! فلما سمع الامير هذا تبيغ دما ، وتفصد عرقا ، وانتصب واقفاً لينصرف العلماء فانصرفوا

هدم الظواهري لاستقلال الازهر بنفوذ مستخدمي البلاط

وأما الشيخ الظواهرى فهو يخالف قانون الازهر وما هو فوقه من هداية كتاب الله وسنة رسوله بكلمة من القصر غير صادرة له عن لسان جلالة الملك المطاع ؛ بل من تلفون الابراشى باشا أو من دونه من حاشية البلاط ، لالحفظ استقلال الازهر وكرامة أهله ، بل للتمتع بمنافع السلطان الاستبدادى فيه : فالشيخ لذته فى التمتع بلذة الرياسة ، فى ظل استبداد السياسة ، حتى روي أنه يبذل أكثر راتبه لشريكه فى تبادل المنفعة ، ولذة هذا الشريك فى جمع المال لنفسه ؛ وجل منافع الشيخ المادية مايناله ولده وأهل بيته وبعض أعوانه من الوظائف بجاهه ، هذا ما يقوله ويكتبه المنقبون فى سيرته ، ومثل هذا قد فعل غيره ولكن الذي لم يفعله أحد من مشايخ الازهر هو هذا الاسفاف والتدلى فى اهانة علم الدين وأهله بجعل رئيسهم يذل ويخزى بخنوعه لموظف إدارى أو كتابى ليس له عليه أدنى سيطرة ولا سلطان ، وكل مايخشاه ويرجوه من وجوده فى القصر الملكى أن يكتم عن جلالة الملك ظلمه واستذلاله للعلماء ، أو يتأوله بأن فيه خدمة دينية لجلالته ، أي أنه يرجو منهم أن يغشوا ولى الأمر به . وتسمية هذا خدمة للدين أو اتباعا لما أوجبه الله تعالى من طاعة أولى الأمر ، من تلبيس إبليس ، ولبس الدين مقلوبا كالفرو ، كما قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه

وقد بينت فى خاتمة هذا الكتاب أقوال أشهر المفسرين فى الظلم والركون الى الظالمين ، والى من تدنس بشيء من الظلم وان قل وكونه سببا لدخول النار معهم ، وما يجب من طاعة الامراء والسلاطين بالمعروف ، ومن نهيهم عن المنكر ، ومن كون السلطة العليا عليهم للامة ينفذها أهل الحل والعقد من زعمائها

وقد قال حجة الاسلام الغزالى في (كتاب الحلال والحرام) من الاحياء: (الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم، وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم)

«اعلم أن لك مع الأمراء والعمال الظلمة ثلاثة أحوال: الحالة الأولى وهى شرها أن تدخل عليهم، والثانية وهى دونها أن يدخلوا عليك، والثالثة وهى الأسلم أن تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك»

ثم شرح كل حالة من هذه الثلاثة وهو يخاطب بهذا كل مسلم، فما قولك بعلماء الدين المتصدرين للامامة والقدوة فيه؟ ثم ما قولك فيهم اذا كانت حالتهم معهم دون الحالة التى قال انها شر الاحوال بأن يكون العالم الكبير أمام أحدهم كالأجير الصغير، بل رئيس العلماء الأكبر كالمرءوس الحقير: ان الامام الغزالي لم يكن على سعة عقله واختباره لأهل زمانه يتصور ان يضع أحد من العلماء نفسه فى هذا الدرك الاسفل وهو الذي كتب ما كتب فى علماء السوء، وازدلافهم للسلاطين، وتذكيرهم بعزة علماء الدين، ووعظهم للخلفاء العباسيين: وهو الذي زاره الخليفة فى بيته واقترح عليه أن يؤلف كتابا فى ابطال شبهات الباطنية، وتفنيد دعوتهم المفسدة للدين والدولة، فمن كان هذا شأنه فى مقام العلم الكريم، لا يخطر فى باله ان يكون رئيس العلماء الاكبر فى مصر اسلامى كالذى فى مصرنا هذا

كان عندنا فى الازهر ذلك الامام الكامل الذي كان يهابه أميره، بله بطانته وأعوانه، وكانت مزاياه ترى من الهند فى الشرق، وتونس والجزائر فى الغرب، وأوربة فى الشمال، من حيث لا يراه الازهر الذي يجاهد فيه لرفع ذكره، وإعلاء قدره، فاضطره الاستبداد إلى الخروج منه والاستقالة من خدمته، ليوجه جهاده إلى ميدان آخر، فلم يشعر الازهر يومئذ بهذه الصدمة التى قرع بها؛ وقد شعر بقارعتها وشكا منها الشرق والغرب كما شرحنا ذلك فى المنار ثم فى (تاريخ الاستاذ الامام)

يومئذ خدعوا الازهر بأنهم يريدون إرجاعه إلى ما وجد لأجله بزعمهم، وهو «العبادة وعلوم الدين لا غير؛ ومنع كل ما سواها من علوم العصر، وقصر كل ما يسمونه الاصلاح على صحة الطلبة وغذائهم، وخدعوا الرجل الطيب علامة مصره الشيخ عبد الرحمن الشربينى (رحمه الله) بهذا فاتخذوه آلة لتنفيذه، وقبول مشيخة

الازهر لأجله ؛ بعد التمهيد له بخطاب مفتوح رفعه الشيخ محمد الاحمدي الظواهري الى سمو الخديو قال فيه: وأرجو ويرجو المسلمون من سموكم أن تشملوا هذه المدارس (يعنى الازهر والمعاهد الدينية) بعنايتكم وأن تقطعوا منها جراثيم الفساد والانحطاط.

ثم أرسلوا صاحب الجوانب المصرية الاديب السوري المعروف إلى الاستاذ الشيخ الشربيني لأخذ حديث منه ينشر فيها فتنقله جريدة المؤيد فيخفى على الناس أنه مكر مدبر كما ظنوا ، فكان أول ماسأل الشيخ عنه :

« ماذا يرى مولانا فيما قام يلتمسه اليوم الشيخ الظواهري من الجناب الخديو ؟ »

أجاب الأستاذ : الظواهري إنما ينطق بلسان كل محب لخير الازهر عالم بالغرض الذي أسس له والخدمة التي أداها للدين ، ثم بين في جواب سؤال آخر أن هذه الخدمة عبادة الله وطلب شرعه كما تركه لنا الأئمة الأربعة (رض) لاغير ، وما سوى ذلك من أمور الدنيا وعلوم الاعصر فلا علاقة للازهر به ولا يرجى له ، الخ ما فصلناه فى تاريخ الاستاذ الامام، فكيف قبل الظواهرى فى رياسته للازهر اليوم ماطالب الخديو بقطع جراثيمه بالامس، بل جعل لعلوم العصر ومدرسيها السلطان الاعلى على الازهر وعلماء الدين فيـــه ؟

ماذا فعل العلامة الشربيني الذي لم يدر ماأريد به كما أنه لم يكن يدري لماذا أنشيء الازهر ولا مافعله الازهر ؟ ثم ماذا فعل من بعده من مشايخ الازهر منذ تركه الاستاذ الامام سنة ١٣٢٣ هـ (و ١٩٠٥ م) إلى هذه السنة ١٣٥٣ ؟

لم يفعل أحد منهم شيئا وانما تركوا أمرهم للخديو، ثم تركه الخديو للحكومة فسنت له قانونا بعد قانون، ولم يكن لأحد منهم رأي فى عبث الحكومة بالازهر، ولا تأثير علمي ولا ديني فيما تقلب فيه الازهر من التنقل فى الاطوار، ولا فهمها أحد منهم إلى أن ولي رياسته الشيخ محمد مصطفى المراغي فكان هو الرجل الذي عرف ماتجدد فى الازهر من أطوار ، وما يضطرب فيه من موج ويصطخب من تيار ، فوضع له القانون الذي يمكن أن يجري فيه فلك الاصلاح آمناً من الاخطار ، فنوزع فى بعض مواده التى يتعذر بدونها حمل تبعة العمل واستقلال فيـه فاســـتقال منه ، فظهر من مزاياه وخلائقه العليا بهذه الاستقالة مالم يكن يعرف كنهه أعرف الناس بادارته وسيرته فى مدته القصيرة فى رياسة الازهر ، ولا فيما قبلها من رياسة المحكمة الشرعية العليا ولا فيما قبلهـا من رياسة القضاء الشرعي فى السودان

وأما أهل الازهر فكان يعرفه بعض أذكيائهم المستقلين فى العلم والرأى ، ولم يعرفه علماؤهم وطلابهم كلهم إلا بعد أن جربوا رياسة خافه المضاد له فى جميع مزاياه ، وبضدها تتميز الأشياء ، بل عرفه الآن جميع الناس حتى العوام فى القاهرة والاسكندرية وبقية الامصار التي هي مقر المعاهد الدينية والمدارس العليا إذ صخت أسماعهم أصوات الألوف المتظاهرة على الشيخ الظواهري من الازهريين وطلاب المدارس العليا صائحة فى الشوارع باسقاطه نابزة له بألقاب الخيانة ونعوت الاهانة، وهاتفة بالدعاء بحياة المراغي معترفة له بصفة الاصلاح ولقب الامامة ، وملحة فى مطالبة الوزارة التوفيقية الحرة باعادته إلى مشيخة الأزهر ورياسة المعاهد الدينية .

ثم عرف هذا كله سائر الأمصار والقرى فى هذا القطر وفى غيره بنشر الجرائد له فى العالم مؤيدا بمقالات كثير من علماء الازهر وغيرهم من حملة الأقلام، فكان أقوم شهادة لما يسمى فى هذا العصر بالرأى العام

طور الأزهر الجديد ومن يصلح لرياسته

إن الازهر قد دخل فى طور انقلاب عصري جديد فيه خطر كبير على الدين والدولة وفيه رجاء عظيم لهما ؛ فلا يصلح لادارته فيه إلا عالم كبير العقل عزيز النفس، عالي الهمة ؛ قوي الارادة ، حكيم الادارة ؛ صادق اللسان ، راسخ الخلق ؛ عزوف عن السفاسف والدنايا والمطامع ؛ يشرف الرياسة فيزداد بها شرفا ، ويضطر كل من يتصل به أن يجله ؛ سواء أوافقه فى الرأي أم خالفه ؟

مثل هذا الرجل يندر وجوده فى صنف العلماء وغيرهم من الطبقات الراقية كرجال المدارس العالية والقضاة والمحاماة والوزراء والامراء ، لافى مصرنا هذه التي تشكو من فقر الاخلاق المدقع فيها، بل فى أمصار الشرق والغرب أيضاً، ولكن يكثر فى طبقاتنا العراة المجردون من حللها كلها أو أكثرها ، وأكبر المصائب على الامة أن تقلد المناصب وتناط المصالح بهؤلاء العراة البادية سوآتهم ، أو ببعض المستورين بالاسمال والاخلاق البالية لأجل تجربتهم ؛ ولكن أهل الازهر أكلوا من شجرة أبيهم آدم عليهم السلام فبدت لهم سوآت بيئتهم ؛ ورأوا بعين بصيرتهم العريان من حلل تلك المزايا والفضائل والعاطل من حليها فهم يرغبون عنه، ويرون من زينة الله بأجمل

زينتهما فهم يرغبون فيه ، وإنهم لعلى هدى فى الامرين ، وأن ماتطلبه المصلحة بلسان الحال ، أقرب مما تطلبه الرغبة بلسان المقال (فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ، كذلك يضرب الله الامثال)

بيد ان الثورة قد تزين للشبان طلب مالا ترضاه الحكمة، من حيث لايدرون أن مثل هذا الطلب قد يكون مانعالا مقتضيا ، لأن الحكومات تأبى أن تكون منفذة لرغبات طلاب المعاهد والمدارس لذاتها ، بل يخشى ان يكون التظاهر سبب تأخير مااقتضته المصلحة العامة منها، إلا إذا كانت الحكومة كوزارة محمد توفيق باشا نسيم فى إيثار المصلحة على كل شيء ، وهذا الوزير المستقل فى رأيه وارادته اعلم من كل هؤلاء المتظاهرين ومن غيرهم : بمزايا الشيخ المراغى فى نفسه ، وبمكانته فى قلوب أمته : وأعلم بحالة الازهر ومشيخته الحاضرة ، وزادته هذه المظاهر الحرة التى لولا لم تكن علما ، ولا يخفى عليه أن ما قيل وما كتب وما فعل من قبل ومن بعد فى إهانة الظواهرى واظهار الازهر لاحتقاره كاف لابعاده عنه لو كان مبالغا فيه ، فكيف وقد ظهر عجزه عن ادارته ، وان فى بقائه فى المشيخة إهانة للاسلام والمسلمين فى اعتقادهم إن لم نقل فى الواقع . وإنى لأقول هذا عن عقيدة ورأي، ولا يخالف فيه ذو حجر ، والامور مرهونة بأوقاتها ونسأل الله التوفيق لأولياء أمورنا

نصيحة لطلاب الازهر والمعاهد الدينية

اخواني : إنكم ستنالون ما ترضون من تولي من تمقتون عنكم ، وتولية من تحبون عليكم ، لا بقوة مظاهرتكم لزيد وتظاهركم على عمرو ، بل لأنه الحق والخير والمصلحة ، ولأن الامة الاسلامية كلها معكم فيه ، ولأنكم فى عهد وزارة تقدر هذه القوى الاربع قدرها ، وجديرة بأن ترضى الله تعالى بارضائها ، وإن هذا لهو خير لكم من إجابتكم إلى ماطلبتم خضوعا لقوة اجتماعكم لذاتها ، نعم ان الاجتماع قوة ، ولكن قوة الحكومة أشد من قوة الطلبة، بيد أنها دون قوة الامة، التى تطلب الحق بوسائل العقل والحكمة، وقد قال حكيمنا السيد الحسينى الافغاني : العاقل لا يظلم فكيف إذا كان أمة

أخواني: انى قلت فى مقدمة هذا الكتاب التى كتبتها منذ سنة ونصف سنة : إنه

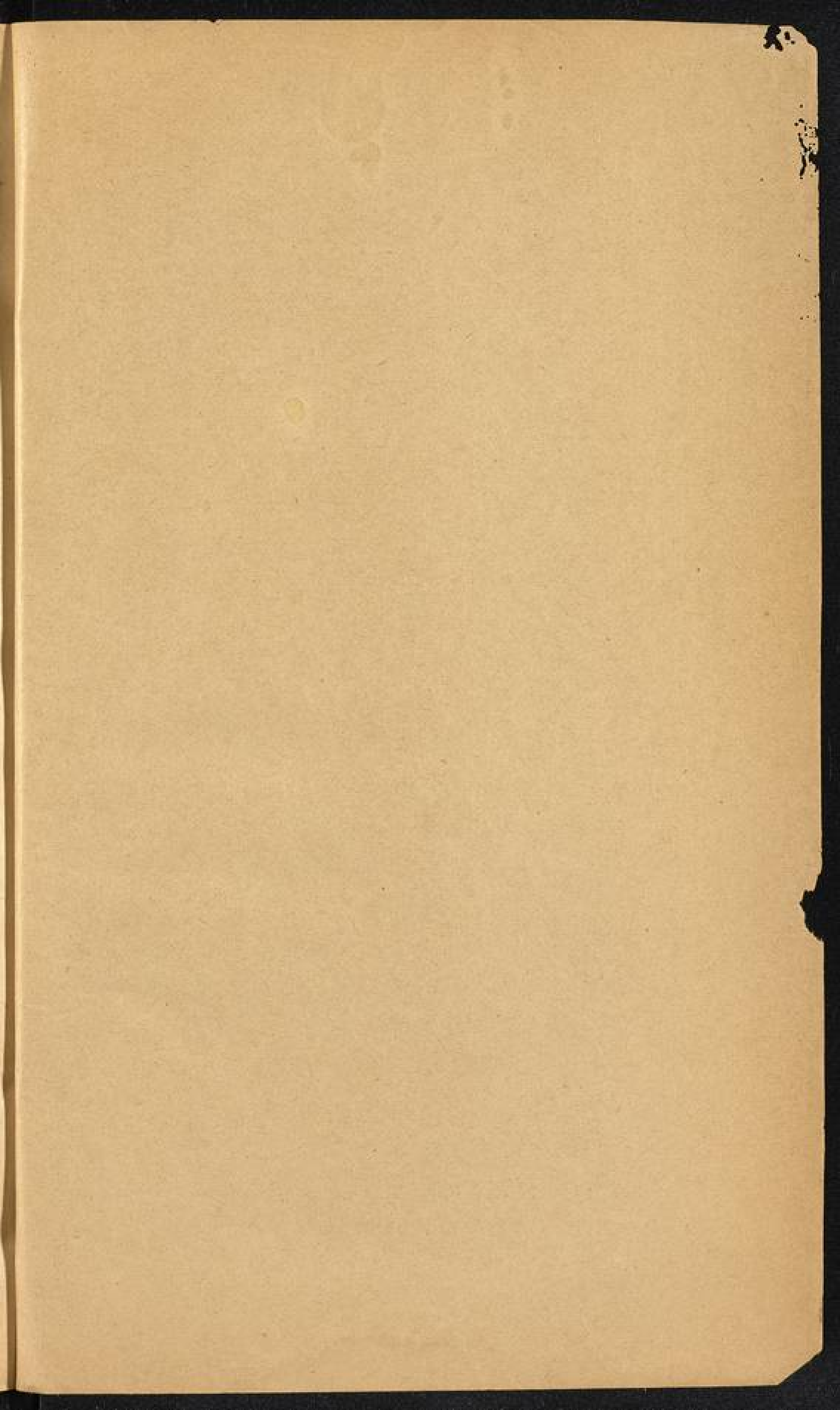
ليؤلمني ألذع الألم أن تضطر الأمة الاسلامية وصحفها الى هذا التشهير بسيرة الرئيس لأ كبر مصلحة إسلامية فى مصر الخ ثم بينت السبب الطبيعي لهذا فى القسم الاخير منه فى الكلام على العبرة بهذه العاقبة السوءى للمسيء بمقتضى سنة الله تعالى فى الاجتماع المدني

وأقول هنا : إن صراخكم فى الشوارع باسقاط شيخ الازهر مع نبزه بالالقاب والهجوم على مكتبه وتحطيم مافيه لجريمة ثورية ذات شعب من الضرر ثالثها إهانة المرءوسين لمنصب الرياسة ، بما يخشى أن يكون سنة سيئة لا يبقى معها للنظام ولا للمنصب حرمة ، فتعقب هذه السنة أن يجتنب هذه الرياسة أهلها الكرام، ويتكالب عليها الطامعون اللئام ، الذين يخنعون للاهانة فيكونوا حربا للامة وتكون حربا لهم، واعتبروا فى الفريقين حكمة النبوة فى الحديث الذي رواه مسلم فى صحيحه عن عوف ابن مالك مرفوعا : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » اه والصلاة فى الحديث الدعاء المتضمن للعطف ، فالخير داعية الخير ، والشر داعية الشر ، والمخرج من هذه العاقبة ماترونه فى الكلام على الامراء والسلاطين فى خاتمة هذا الكتاب

اخواني : إن التعليم الديني لن يكون وسيلة لسعة الرزق للالوف من المتخرجين فى هذه المعاهد، ولا ينبغي أن يكون كذلك ، وإنما يجب أن يقصد به إعادة مجد الاسلام من حيث هو دين هداية وسيادة وسياسة وتشريع عام لجميع البشر ، ولن يكون وسيلة إلى بلوغ رجاله هذه الغاية إلا إذا كان أهله مستقلين دون الحكام فى إدارته ونظمه ومناهجه ورزقه ودرجاته العلمية بقانون يكفل لهم ذلك ، فالى هذه الغاية يجب أن تتوجه قوة المعاهد الدينية ، فان لم تفعل كانت عاقبة الدين فى مصر ، كعاقبته فى حكومة الترك، فلا أزهر ولا مدارس دينية ، ولا محاكم شرعية ، ولا أوقاف اسلامية ، وإن فعلت رجي أن تعم هداية الاسلام الشرق والغرب ، ويتم بها وعد الله باستخلاف أهله فى الارض ، واظهاره على الدين كله ، فيكون علماؤه من الائمة الوارثين ، وهي فاعلة ان شاء الله تعالى وبه التوفيق

وكتبه منشىء المنار

محمد رشيد رضا



Muḥammad Rashīd Riḍā
al-Manār wa-al-Azhar

المنار والأزهر

كتاب يشتمل على مقدمة في ماضى الازهر وحاضره ومستقبله

و

مقالات في الرد على مجلة الازهر (نور الاسلام)
في طعنها على المنار وتأييدها البدع والخرافات

وخاتمة

في خلاصة سعي صاحب المنار لاصلاح الازهر
في مدة ٣٥ سنة

بقلم
السيد محمد رشيد رضا
منشئ مجلة المنار

الطبعة الاولى في سنة ١٣٥٢ هـ

مطبعة المنار بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما . فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا . وإن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا (سورة النساء ٤ : ١٢٥).

أحمد الله تعالى أن أنفقت ٣٥ عاما من عمري هي سن الشباب والكهولة في الاصلاح الاسلامي العام وإصلاح الازهر خاصة مع التزام الادب والتواضع مع اهله، واجتناب الدعوى ، وانني أوذيت في هذه السبيل بكل ما أوذي به طلاب الاصلاح من قبلي فصبرت ، وكان اغرب ما لقيته من الاذى بعد ان قامت الحجة على صحة كل ما طالبت به الازهر من الاصلاح فتقرر فيه رسميا (الا شيئا واحدا وهو العناية بعلوم السنة) أن كوفئت من جمود مشيخة الازهر الظواهرية ، وكنودها في مجلتها الخرافية ، بما اضطرني إلى مكاشفة الامة بفضيحة جهلها في المنار وفي الجرائد اليومية ، وأن أجمع مقالات ردي عليها في هذا الكتاب ، وأن أضع له مقدمة في خلاصة ماضي الازهر وحاضره ودلائل مستقبله ، وخاتمة في خلاصة جهادي في سبيل إصلاحه

المقدمة

دخل الجامع الازهر منذ سنتين في عهد جديد لا يعلم عاقبته الا الله تعالى ، فادارته تبث له دعاية سياسية في الجرائد التي تؤيد السياسة المصرية الحديثة يراد بها إقناع العالم الاسلامي بأن الازهر الحديث أحق من الازهر القديم في بث علوم الاسلام والزعامة الدينية للمسلمين كافة ، وان لم يصرحوا بتفضيل الجديد على القديم الا بالثناء على ما استحدث فيه ، وجعله مناط الآمال ، والجدارة بشد الرحال . ويعارض هذه الدعاية شكوى شديدة من سوء إدارة الازهر الجديد وذبذبة التعليم والتربية الخلقية والمادية فيه ، وإفساد السياسة له ، والخشية على مستقبل الدين بتفرنجه

اما تلك الدعاية فمصدرها سياسي محض ، لا يؤيدها أحد من اهل الرأي المعروفين

من المسلمين ، وأما هذه الشكوى التى تعارضها وتنقضها فأ كثرها باقلام جماعة من علماء الازهر الأحرار ومن غيرهم من الأدباء والشعراء ، وتؤيدها جميع صحف الاحزاب المصرية التي يثق بها السواد الاعظم من الشعب المصري ، فهي لا تخلو من السياسة أيضا ، وانما هي سياسة وطنية تعارض سياسة تأييد الحكومة الحاضرة باسم الازهر او من قبل شيخ الازهر . ولهؤلاء العلماء والكتاب وأصحاب الجرائد مطاعن بينة صريحة في فساد ادارة الازهر لم نر أحداً من قبل مشيخته فندها او كذب اخبارها ، بل بلغنا من ثقات الازهريين أن الرأي العام أو الغالب في الازهر مخالف لسياسة شيخه ، ولكنهم يخشون مغبة معارضته ، وقد سمعت رجلا من كبار المسلمين اولي المكانة الدينية والعامة من غير المصرية يقول ان الازهر لم يكن في عهد ولا في عصر من العصور ادنى مما هو الآن

مدار الدعاية السياسية الجديدة للازهر على جعله جامعة عصرية بمقتضى قانونه الجديد ونظامه الجديد ، وإنشاء الكليات فيه على نظام المدارس المدنية ، وتقرر إرسال بعثة من طلابه الى أوربة لدراسة بعض علومها ولغاتها ، وما حدث بذلك للذين سيتخرجون فيها من الآمال في الرقي المصري – والتفصي من عقال ذلك النظام القديم الذى انتهى بأهله الى احتقار الامة للازهريين ، وهضمها لحقوقهم الدينية والأدبية ، ونبو الانظار عن زيهم ، ونفور الطباع من ادبهم ، حتى صار بعضهم يفضلون الزي الافرنجي والطربوش على زيهم المعروف ، ويخشى ان يفعلوا كما فعل جميع طلاب دار العلوم ، بل ظهرت بوادر هذا من اناس منهم

ومن رأي المعارضين أن هذا الامل والرجاء الجديد ، هو أخوف ما نخافه على هذا المعهد الاسلامي القديم ، الذي نفتخر بقدمه ، وما كان له فيه من خدمة العلوم الدينية ، والفنون العربية ، منذ القرون الوسطى ، وأنهم يخشون على خريجي كلياته أن يضيعوا القديم ، ولا يتقنوا الجديد ، فيكونوا في تجديدهم كالنساء : أسرف دعاة التجديد بذم ما كان من تشددهن في الحجاب ، ووصف مساويه من ضعف الصحة والجهل بفن التربية والتدبير المنزلي والاقتصاد ، والحرمان من مجامع العلم ، والأدب ، والسياسة ، وفي دعوتهن إلى السفور والاختلاط بالرجال في المحافل العلمية والأدبية

فكانت عاقبة تحقير القديم وتزيين الجديد لهن ، ان زدن على السفور الذي هو كشف الوجه ما نراه من هتك الستور ، والخروج إلى الاسواق والمتنزهات ، كاسيات عاريات ، والرقص مع الرجال ، والسباحة معهم في البحار والانهار ، فأضعن جميع فضائل الحجاب القديم ، واستبدلن بها جميع رذائل التفرنج الجديد ، ولم يستفدن شيئاً من المنافع الاجتماعية والاقتصادية ، كان يتعذر عليهن استفادته مع المحافظة على الحياء والصيانة الاسلامية

هذا ما يخشاه أكثر المسلمين على الازهر من نظامه الحديث حتى دعاة التجديد العصري ، وقد نشر بعضهم هذا الرأي في الصحف ، وعبر عنه الشاعر الاديب محمد افندي الهراوي في قصيدة أنشدها في الحفلة السنوية لجمعية الشبان المسلمين بقوله فيها مخاطبا جلالة الملك :

والازهر المعمور أين مكانه ؟ سل عنه أين ؟ وأنت فوق مكانه
فرحوا وهم يبنون كلياته فليفرحوا بالطوب تحت دهانه
من يوم أن نقلوه من جدرانه قد طار سر الله عن جدرانه
فاسأل عن الأخيار من علمائه واسأل عن الاطهار من شبانه
المتقين الله حق تقاته ؟ الحافظين لدينهم وكيانه
العاملين بشرعه وكتابه العاملين بروحه وبيانه
والزيّ ! حتى الزي لم يبقوا له ظلا لجبته ولا قفطانه[1]
مولاي يا ملك البلاد وذخرها وملاذ هذا الدين عند هوانه
مصر بأزهرها القديم كما بدا بالطابع الموروث منذ زمانه
فأعد إليه عهده واستبقه تدفع به الالحاد في عدوانه

ليس هذا الشاعر ومن على رأيه مخطئين في خوفهم على الازهر في هذا الطور من الانقلاب السريع ، ولكنهم لم يحيطوا بحال الازهر علما ، إذ ظنوا أن في

١) يشير الشاعر الى ما اشتهر في مصر من لبس بعض المتخرجين في الازهر للزي الافرنجي ومن كون بعض طلابه يلبسون في الدروس الجبة والقفطان وفي الليل زي الافندية كما كان يفعل طلبة دار العلوم قبل اجماعهم على نزع الجبة والقباء والعمامة ، ولكنه عبر عنه بكلمة عامة مبالغة في التشاؤم

شيوخه وطلابه في هذا القرن من يشبهون علماء القرون الخالية في الانقطاع للعلم لوجه الله تعالى ، مع الزهد في حطام الدنيا ومناصبها ، وعزة النفس ، وعلو الاخلاق ، الذي كان به علماء الدين موضع ثقة الشعب واحترام الحكام ، بحيث يرجى أن يجد الامة منهم مثل الشيخ عز الدين بن عبد السلام الذي كان يصرح بأن أمراء مصر الترك هم من الرقيق الذين لا يجوز معاملتهم معاملة الاحرار في زواج ولا بيع ولا شراء فضلا عن عد أحكامهم شرعية تجب طاعتها ، فتعطلت بتصريحه مصالحهم ، فلما هدده السلطان وأنذره العقاب شرع في الهجرة إلى الشام بأسرته ، وهي وطنه الاصلي ، وشرع أهل مصر في اتباعه ، حتى اضطر السلطان إلى الركوب خلفه بنفسه واسترضائه ، ولم يرض ويرجع عن فتواه ببطلان إمارتهم إلا بعقد مجلس من التجار باعهم هو فيه بالمزاد ، وأعتقهم الذين اشتروهم في الحال ، كما حكاه السبكي في طبقات الشافعية

أو بحيث يوجد فيهم مثل الشيخ القويسني من المتأخرين الذي لم يفرح محمد علي باشا الكبير بموافقته له على عمل من أعماله إلا مرة واحدة فافتخر بذلك وصرح بأن هذه أول مرة قال له الشيخ القويسني شيخ الازهر أحسنت وأصبت ، وكيف لا يسر محمد علي بذلك وهو مدين بامارته للازهر وزعماء رجال الدين وهم الذين اختاروه لحكم البلاد ونصبوه واليا عليها ، وألزموا الدولة العثمانية صاحبة السيادة الرسمية إقراره عليها ، وفي عهد دولته بدأ ينحط نفوذهم وتزول زعامتهم ، حتى وصلت إلى ما يعلمه كل أحد في هذا العهد الذي يرشق فيها شيخ الازهر في الجرائد يوما في أثر يوم بأرجال من سهام النقد والتجريح ، والتثريب والتفنيد ، لا في سوء إدارة الازهر ، وكونه صار في عهده بيئة تجسس ومحاباة فقط ، بل في التقصير في المصالح الاسلامية العامة وفي مقاومة البدع الخرافية ، وفي الدفاع عن العقائد الدينية ، وعن شعوب المسلمين الذين تحاول بعض دول الاستعمار ردهم عن دينهم بالتنصير التعليمي والاجباري وإخراجهم من جنسيته وجامعة شريعته وإدخالهم في جنسيتهم وجامعة دولتهم ، بل تجرأ دعاة النصرانية (المبشرون) في هاتين السنتين على مالم يكونوا يتجرؤن عليه في مصر من إهانة الاسلام بالقول والفعل ، وفتنة تلاميذ مدارسهم ولا سيما البنات عن دينهم ، وادخالهم في النصرانية بضروب من الحيل

والاذى، حتى هاج ذلك عامة الامة وخاصتها ، ونقمت من مشيخة الازهر تقصيرها، وانه ليعز علينا ما وصلت إليه مشيخة الازهر في هذا العهد من احتقار الامة لها ، وكثر طعنهم في الصحف عليها، وإن ما يقوله الناس في مجالسهم الخاصة، وأنديتهم وسمارهم العامة ، لهو شر مما يكتبونه في الصحف ، لأن الحرية القانونية في الكلام أوسع وأسلم عاقبة من الكتاب، وعقاب القانون على النشر، ويلخص رأي الاكثرين بكلمة وجيزة هي آخر ماسمعته في هذا الموضوع من عالم أديب من أبناء كبار الشيوخ الذين كانوا يحضرون دروس الاستاذ الامام في الازهر ، قال : ان حال الازهر الآن شر مما كان في كل زمان ، وأن حاله غداً لشر مما هو الآن ، ولا يرجى صلاحه البتة . اه وهذا عين رأي المرحوم سعد باشا زغلول كما نقلته عنه في المنار عقب وفاته

وبلغ من مقت الامة لشيخ الازهر الظواهري ان تصدى بعضهم لاغتياله، حتى صار في وجل دائم على حياته، اذا خرج لزيارة بعض مشاهد الصالحين للتبرك والتوسل الذى نشأ عليه تربية ووراثة ، يعود من غير الطريق الذى ذهب منه

وأما رأيي الخاص في ماضي الازهر وحاضره ومستقبله فهو مخالف لكل الآراء التي يتحدث بها الناس من بعض الوجوه إن لم يكن من جميعها ،وهاك خلاصته

ماضي الازهر وأطواره فيه

الازهر لم يؤسس على التقوى من أول يوم كما يدعون . وإنما كان كمسجد الضرار، أسسه الباطنية سنة ٣٦٠ هـ لبث دعوتهم الالحادية التي بينها العلامة المقريزي في خططه ومنها يعلم صدق قول حجة الاسلام أبي حامد الغزالي فيهم: ظاهرهم الرفض، وباطنهم الكفر المحض . ومن أعلم بكنه حالهم من أبي حامد صاحب الحجج البالغة في مناظرة دعاتهم، والمصنفات القيمة في الرد على نحلتهم (كفضائح الباطنية، والمستظهري، والقسطاس المستقيم) ؟ ويليه تلميذه القاضي أبو بكر بن العربي الذي وقف على دخائلهم في أثناء رحلته إلى المشرق وناظرهم كما ترى في كتابه العواصم والقواصم ، ولا يزال يجهل هذه الحقائق أكثر المسلمين ، ويظن بعضهم أن الطعن في الفاطميين كان من دعاية العباسيين ، لا فرق بين الطعن في نسبهم والطعن في دينهم

وبعد أن ثل عرشهم وقضى على دعوتهم سلطان الاسلام المجاهد صلاح الدين يوسف الايوبي، سنة ٥٦٧ دخل الازهر كغيره من المساجد والمعاهد المصرية في حوزة أهل السنة ولكن ظل مدة مائة سنة لا تقام فيه الجمعة إذ حصرت إقامتها في مسجد الحاكم لسعته، واعيدت اليه سنة ٦٦٥ وقد خرب الازهر كغيره بزلزال سنة ٧٠٢ ثم جدده بعض أمراء دولة المماليك البحرية وأنشؤا بالقرب منه عدة مدارس، ووقف على طلاب العلم فيه كثير من الاوقاف. وقد تخرج فيه كثير من العلماء الذين كانوا يقومون بمناصب القضاء العام والحسبة والافتاء والتدريس، ولبعضهم مصنفات مفيدة في علوم اللغة والشرع والتاريخ.

وكان ازدهار العلم فيه وفي غيره من مدارس مصر من أوائل القرن الثامن إلى آخر القرن العاشر، وطفق بعده يرجع القهقرى بسرعة كان من أهم أسبابها تفضيل مصنفات المتأخرين على كتب الائمة الاولين، حتى صار أهل كل جيل يدرسون كتب شيوخهم من الحواشي التي وضعوها على كتب من قبلهم من المتأخرين، ثم صاروا يضعون لبعض هذه الحواشي تقارير يوضحون بها غوامضها، وابتدعوا في التعليم المناقشة في عبارات المؤلفين في درجاتها الاربع: المتن، الشرح، الحاشية، التقرير. فانحصر الغرض من التدريس والتأليف في عبارات هذه الكتب التي صنفت كلها بعد ذهاب دولة العلم، حتى صار عبارة عن التعبد بهذه المناقشة التي عبر عنها شيخنا الاستاذ الامام بقوله: انهم يتعلمون كتباً لا علماً، وبقوله في رسالة التوحيد في وصف هذه الكتب: اختارها العجز وفضلها القصور. ولكن الاوقاف على الازهر وأروقته ظلت تتوالى من الامراء والاغنياء، وهي التي حفظته وجعلته مثابة إلى الآن

أتى على الازهر ثلاثة قرون لم ينبغ فيها عالم مستقل في علم من العلوم كعلماء القرون الاولى أو الوسطى إلى القرن العاشر كابن عبد السلام وابن دقيق العيد من الجامعين، والحافظ العراقي والحافظ العسقلاني من المحدثين، وكذا السخاوي والسيوطي من بعدهما، وكابن هشام من علماء العربية، ومن الغريب الذي كان مجهولا في مصر أنه نشأ في القرون الثلاثة الاخيرة أفراد من علماء الشرع المستقلين والاخصائيين في سائر الاقطار الاسلامية كالمقبلي والشوكاني وابن الوزير والمرتضى الزبيدي في اليمن،

والشهاب الآلوسي في العراق ، وابن عابدين في الشام ، والسيد جمال الدين في الافغان ، والسيد حسن صديق خان في الهند ، وناهيك بنهضة علوم الحديث في الهند من عهد ولي الله الدهلوي إلى الآن ، وفي هذه القرون ضعفت علوم الحديث في الازهر حتى ذابت وزالت ، ولم يبق لها مدرس مفيد ، ولا طالب مستفيد

وما زال العلم في الازهر يهبط ويتدلى ، ويتقلص كالظل ويتولى ، والشعب لا يشعر بما يصيبه لغلبة الجهل عليه ، حتى جاءت الدولة العلوية بالنهضة المدنية العصرية وصارت تبعث البعوث الى أوربة لتلقي العلوم والفنون فيها ، فكان هذا العصر عصر القضاء المبرم الاخير على دولة الازهر وعزه ومكانته في الامة ، وخدمته للملة ، وإن كان الاقبال على المجاورة فيه قد زاد ولم ينقص ، فأبناء الفلاحين قد كثروا فيه بعد وضع نظام الجندية وإعفاء طلبة العلم من خدمتها بالشخص أو المال ، والمجاورون من الاقطار كثروا لقلة العلم في بلادهم ووجود جراية الوقف التي يستعينون بها ، كذلك ، ظل عدد طلاب العلم يكثر والعلم نفسه يقل ، وهاك بيان سبب ذلك مجملا

دخلت البلاد المصرية في طور جديد بتجدد الدولة ما كان يمكن أن يبقى علم الازهر فيه على ضعفه كافياً للامة في تقرير عقائدها والدفاع عنها ، ولا في طريقة تدريس الشريعة والتأليف فيها ، ولا في الادب النفسي واللغوي ، ولهذا آل الامر في هذه الدولة الى ترك أحكام الشريعة المدنية والجزائية (العقوبات) والسياسية والعسكرية والمالية ، ونسخها بالقوانين الاوربية ، وكثرت المدارس الافرنجية والاميرية المقلدة لها من عهد اسماعيل باشا ، ثم جاء الاحتلال الانكليزي فكانت السيطرة على مدارس الحكومة ، وكادت تلغى المحاكم الشرعية لشدة شكوى الامة منها ، لولا ما تصدى له الاستاذ الامام من إصلاحها ، وتولى جميع أعمال الدولة حتى التعليم في مدارسها من يتعلمون فيها أو في مدارس أوربة ، فصار المتخرجون في الازهر كالعالة على الامة يعتقد حكامها وزعماؤها أنهم لا يصلحون لعمل ما فيها ، واشتد التفرنج من عهد اسماعيل باشا وما فيه من حرية الالحاد والفسق والسرف والبذخ حتى كاد يقضى على الامة والدولة ، ولم يرتفع من الازهر صوت في إنكار شيء من ذلك ، ولم يتخرج فيه أو يخرج منه عالم يدعو إلى الاصلاح والتجديد ، ولا كتاب مؤلف

فيه علم جديد ، من دفاع عن الاسلام أو دعوة اليه — الى ان ظهر الموقظ المجدد الافغاني وتلاه المصلح المصري . فكان الثاني أول ازهري دعا الى الاصلاح العام في عهد ادارته للمطبوعات قبل الثورة العرابية ، والى إصلاح الازهر بعد عودته من النفي ، وكانت مجلتنا (المنار) لسان حاله ، وأقوى مظاهر له في إصلاحه .

تجديد الحكيم الافغاني والمصلح المصري للازهر وغيره

وفد السيد جمال الدين الافغاني على مصر في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة (سنة ١٢٨٦) في عهد الخديو اسماعيل باشا ، وحال البلاد وأزهرها على مانعلم، فكان أول من أيقظ الافكار إلى وجوب التجديد والاصلاح الديني والمدني ،فاستفاد منه بعض شبان الازهر دون شيوخهم ،وكان الذي تولى السعي لاصلاح الازهر مريده الاكبر وخليفته الوحيد الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده كما يعلمه جميع المتعلمين في هذه البلاد في الجملة، وإنما تفصيله الأتم الأوفى في مجلدات المنار وفي التاريخ المفصل الذي دوناه في سيرته وسيرة أستاذه السيد جمال الدين ، وقد علم منه ان الازهر كان كالمحتضر ،لان الحكومة سائرة بالامة إلى غاية لاتشعر فيها بأن لها أدنى مصلحة في الازهر، فكان لابد له من إصلاح يقنع الامة والحكومة بأنه لابد لها منه، وهذا بعض ما كان يقصده الاستاذ الامام

وأما غرضه الاسمى من إصلاحه فهو تخريج نشء جديد من جميع الشعوب الاسلامية جامع بين التقوى والاخلاق الفضلى وبين العلم الاستقلالي المثمر لترقية اللغة واحياء علوم الدين ، والتمكن من الدفاع عن الاسلام والدعوة اليه

قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى انني بذرت في الازهر بذراً إما أن ينبت ويثمر فيصلح به الازهر ويقوم بما يجب عليه للاسلام وإما يسقط الازهر ويزول

واننا نرى أن ذلك البذر قد نبت نباتا حسنا وطفق يثمر أطيب الثمرات ، ولو أتيح له بعده من يتعاهده بسقيه وتنقيته من الاعشاب والحشرات لأثمر وأينع وآتى أكله مضاعفا ، وهاك الاشارة الى فوائد ذلك الاصلاح سالباً وموجبا

(١) وضع النظام لادارة الازهر والمعاهد التابعة له ، وقضى عشر سنين في

تنفيذه قاسى فيها ماقاسى من المعارضة والمناهضة . حتى صار النظام مألوفا متفقا عليه ، وإنما يعوزه التنقيح والحرية في حسن التنفيذ ،

(٢) كان من تأثير قراءته لأسرار البلاغة ودلائل الاعجاز فيه ثمرة ظاهرة في اللغة وآدابها، فكثر الكتاب المجيدون، والخطباء المرتجلون

(٣) كان من تأثير قراءته للبصائر النصيرية في المنطق ومن أسلوبه في سائر دروسه ان ضعفت جهالة التقليد الاعمى لعبارات الكتب، وقويت مكانها فكرة الاستقلال في الفهم، والاستدلال الصحيح في العلم، ولكن هذا خاص ببعض الاذكياء من تلاميذه وتلاميذهم، ولاسيما أساتذة مدرسة دار العلوم منهم

(٤) كان من تأثير قراءته لرسالة التوحيد وتفسير القرآن الحكيم أن عرف الكثيرون عقائد الاسلام معرفة استقلالية برهانية لا كلامية تقليدية، واهتدوا الى مافي القرآن من الحكم والفضائل والآداب، ووجوب الاهتداء به في الوعظ والارشاد والاخلاق الدينية، وعرف القليلون ما فيه من الاصلاح السياسي والحكمة الاجتماعية.

(٥) تبع ماذكر من اصلاح اللغة والفكر والدين التصدي لمقاومة ما أفسد المسلمين من البدع والخرافات، والتقاليد والعادات ، فصار أنصارها يقلون بالتدريج البطيء وعاقبتهم الانقراض والزوال وإن راجت سوقهم في هذه الايام، فظهر في كل من جاوه والجزائر شيخ ازهري من إنصار البدع القبوريين ، كل منهما يخذل السنة وعلماءها ، وينصر البدع ودعاتها ، معتزا بالنسبة الى الازهر ، ووجد من وعاظ الازهر في الارياف من نهى المسلمين عن الصلاة خلف امام سلفي العقيدة يقول إن الله تعالى مستو على عرشه فوق السموات من غير تمثيل ولا تأويل. ولكن اكثر الوعاظ الظاهرين سلفيون أو غير خرافيين

(٦) تبع ذلك اقتناع كثير من النابتة الجديدة بضرر الاسلوب الازهري السابق في التعليم وهو قراءة الكتب التي يسمونها المخدومة أي المركبة من المتون والشروح والحواشي والتقارير ومناقشة كل منها لعبارات التي قبلها، حتى تقرر أخيراً تحضير بعض الدروس بعبارات جديدة

(٧) الاقتناع بالحاجة إلى العلوم الرياضية والاجتماعية والصحية والتاريخ

الطبيعي والسياسي وتقويم البلدان وغير ذلك — بعد أن قامت قيامة الشيوخ لمقاومة تعليم الحساب العملي وتقويم البلدان، وقد وقع الاتفاق أخيراً على الزيادة على هذه العلوم

(٨) الاقتناع بوجوب (التخصص) لاتقان بعض الطلاب لبعض العلوم والاكتفاء بقدر الحاجة من غيرها، وكان الاستاذ الامام قد وضع الاساس للتعليم القضائي والنظام لمدرسته فكان لمدرسة القضاء الشرعي بتولي أنجب تلاميذه للتدريس فيها أفضل أثر عملي ظاهر في أكثر ما ذكرنا من أنواع الاصلاح واحتاج الازهر إلى خريجيها وخريجي دار العلوم في تنفيذ نظامه الجديد

كل هذه الانواع من الاصلاح وجدت في الازهر وكان للمنار من النصيب فيه مع الاستاذ الامام وبعده ما نبينه في خاتمة هذا الكتاب. ولا يمكن نزعها منه، ولكن الترقي فيها وإتقانها يتوقف على حسن الادارة، ووجود الرجال أولي الكفاية والكفاءة العلمية والخلقية والاخلاص مع الاستقلال في العمل وأنى له بهم؟

حاضر الازهر ومستقبله، وما يمكن أن يصلح به

إن الازهر لم يستطع الرجوع إلى عهد القرن الماضي وما كان فيه من بقايا الصلاح والقناعة، ولم يستطع السير على النظام الجديد في أنواع ترقيه، واضطربت أحواله فتدخلت الحكومة في أمره، ووضعت له قانونا جديداً نقح فيه النظام الذي كان قبله، ولكنه وضع فيه تحت سيطرة الحكومة (خلافا لخطة الاستاذ الامام الذي كان واقياً له من ذلك كما بيناه في المنار وفي تاريخه) فوقع في مأزق جديد وهو التجاذب والتدافع بين البلاط والوزارة، واحتيج الى تنقيح آخر ووضع له قانون جديد أدخله في طور عصري مدني هو باعث الخوف عليه كما تقدم

والتحقيق أن الازهر لن يصلح ويصير أهلا لخدمة الاسلام، والدفاع عنه، والدعوة اليه بما تقتضيه علوم هذا العصر وحضارته، إلا بعد أن يصير مستقلا بنفسه في إدارة التعليم والتربية بدون سيطرة عليه فيها، وبعد ان تكون نفقته من الاوقاف وخزينة المالية رهن تصرفه بنص الدستور لا سيطرة عليه فيها، وبعد أن يكون رئيسه وأعضاء ادارته منتخبين من أهله انتخاباً حراً بنظام، وبعد ان تكون رتب العلم

فيه من نفسه لا من الحكومة ولا من ملك البلاد ، ولا يرجى أن يرتقي الازهر الى هذه الحرية بالتربية الحاضرة فيه ولا بمثل التربية القديمة ، وانما كان يرجى ان يبلغها ويرتقي اليها بادارة الاستاذ الامام لو تم له الامر فيها

في هذه الاثناء ولي أمر المشيخة ورياسة المعاهد الدينية الاستاذ الجليل الشيخ محمد مصطفى المراغي وكان رئيس المحكمة الشرعية العليا من بعد أن كان قاضي القضاة في السودان وهو ممتاز بعزة النفس والعزيمة واستقلال الفكر ومتانة الاخلاق ومعرفة حال الزمان ، ومتمرساً بدقة النظام ، فسرَّ به محبو الاصلاح والتجديد من علماء الازهر وطلابهم وسائر فضلاء الامة ، وابتأس الجامدون والخرافيون منهم ، خوفاً منه على جاههم ورزقهم ، ولكنه آمنهم من خوفهم ، وأقرهم على أعمالهم ورواتبهم ، وحاول تنفيذ التجديد بالقادرين عليه من غيرهم ، والبحث عنهم أينما كانوا من أرض الله تعالى

وضع القانون الجديد للازهر برأيه ، وعرضه على أهل الحل والعقد من رجل الوزارة ومندوبي البلاط الملكي وتولى الدفاع عنه بنفسه ، حتى إذا ماوقع الخلاف بينه وبينهم في بعض مواده الاساسية وتعذر عليه الاقناع بوجهة نظره ، استقال من منصب المشيخة ورياسة المعاهد غير آسف على جاهها ، ولا مبال بكبر راتبها ، فساءت استقالته جميع محبي الاصلاح من الازهريين وغيرهم ، وعدوه مليما في فعلته ، مع الاعجاب بعزة نفسه وعلو سجيته ، لانه كان خير ربان لهذه السفينة في هذا الطور الانتقالي الخطر ، يرجى أن يبلغها ساحل المستقبل الاستقلالي آمنة من الغرق في لجج الحياة المادية والتفرنج ، ولقد كان بعض المعجبين بالاستاذ من أهل الرأي يخشون أن يعجز عن تحقيق هذا الرجاء فيه لو كان القانون موافقا لرأيه ، فكيف وقد زال رجاؤه هو فيه فاستقال . وخلفه من علمنا ، ورأينا من سوء ادارته مارأينا

ولي المشيخة والرياسة بعده الاستاذ الشيخ محمد أحمد الظواهري ، ففرح به الجامدون والبدعيون ، ووجم المستقلون المجددون ، وخابت آمال المصلحين ، ولاسيما الخائفين من غوائل القانون الجديد على الدين ، بعد استقالة الشيخ المراغي القوي الارادة لاعتقاده استحالة الاصلاح به ، ثم كان من سيرة الظواهري ما اسخط الفريقين الا أفرادا منهم ، ولكنه قذف في قلوبهم الرعب من أول عهده ، اذ عزل

من مدرسي الازهر سبعين أو أكثر ممن يعتقد انهم مخالفون له في رأيه ، وقد اوتوا من الشجاعة ما يربأ بهم ان يتملقوا له ، فعلموا أنه مستبد في الازهر (دكتاتور) ومعاهده بقوة الحكومة ، وانه أفنعها بأنها لا تجد احدا غيره يرضيها بكل ما تريد فيحل محله ، وكان هذا سبب الشكوى العامة من سيرته ، والتشهير باعماله وادارته في الصحف ، وعدم وجود أحد من الازهريين ولا من غيرهم يدافع عن شيء من مساوي إدارته ، ولو جمعت المطاعن التي سددت سهامها اليه والى الازهر في عهده لبلغت سفراً كبيراً ، وهي لا تزال تزداد وتتكرر على الايام ، ومن أسبابها تحريه الجمع بين ارضاء الخرافيين والمتفرنجين ، وأكثرها يرجع الى السياسة الحزبية والاهواء الحكومية ، التي ما دخلت في عمل الا أفسدته وفاقاً للمثل المأثور عن الاستاذ الامام

وخلاصة القول في الازهر أن رياسة الظواهري له قد دهورته في أسفل المهاوي بوقفه بين الاسلاس لتقحم التفرنج المادي فيه ازدلافا للحكومة ، وتأييد الخرافات والبدع ارضاء للعامة ، ولكل من الطرفين المتقابلين فئة تنصره في الازهر ، وسيكون النصر لفئة التفرنج فيكون بيدها أمر مستقبله الاستقلالي وازالة سلطة الحكومة منه بعد اعتزازها بها الآن . ككل انقلاب سياسي واجتماعي حدث في الشرق ، وهو خطر على الدين إلا أن ينتصر حزب التجديد والاصلاح المعتدل الجامع بين مصالح الدنيا والدين ، والمشيخة الظواهرية خصم لهذا الحزب فهي تمهد سبيل الانقلاب المادي للازهر بضعفها أمام فئته ، وسوء ادارتها الاسلاميه

واننا نلخص انتقاد الامة عليها في الجرائد بما يلي :

(١) مقاومة مشيخة الازهر للمؤتمر الاسلامي العام واظهارها العداوة له والصد عنه ، وهو أفضل عمل اجتماعي عمل لمصلحة المسلمين في هذا العهد

(٢) البيان السخيف الضعيف الذي أصدرته المشيخة لتأييد الوزارة على الامة فيما تشكو منها وكان من الممكن ان يكون بياناً شرعيا عادلا لا يستطيع احد نقضه

(٣) عزل سبعين عالما من مدرسي الازهر باتهام خيارهم بالميل الى الوفد المصري وبعضهم بالميل الى الحزب الحر الدستوري ، وذنبهم الحقيقي ما قررناه آنفاً

(٤) محاباة بعض الاساتذة والموظفين والتحامل الجائر على بعض . ومن

ذلك ان أحد مفتشي الازهر المنتمين الى حزب الاتحاد ركب في الدرجة الثانية من السكة الحديدية وقد أخذ اجرة الدرجة الاولى فكان سارقا للفرق في أجرتي الدرجتين وقد أكثرت الجرائد من سؤال شيخ الازهر عن هذه المسألة وما فعله فيها فلم يرجع اليها جوابا

(٥) عناية مشيخة الازهر بالاحتفال بزيارة ملك إيطالية الرسمية لمصر مع العلم بما فعلته دولته في طرابلس وبرقه من التقتيل والتنكيل بمسلمي طرابلس وبرقة ولا سيما السادة السنوسية، وما نشرته الصحف من إهانتهم لمساجدهم وزواياهم وللمصاحف الشريفة أيضا، وناهيك بانشودة الجيش الطلياني هنالك التي كانت من أقبح أناشيد أجدادهم في الحرب الصليبية الكبرى اهانة للمسلمين ولخاتم النبيين وسيد ولد آدم أجمعين، عليه الصلاة والسلام، ولقد أهان المسلمون طلبة الازهر الذين أخرجتهم المشيخة للوقوف في طريق ملك إيطالية حفاوة به :

(٦) امتناع علماء الازهر وخطبائه في الازهر وغيره من المساجد من إجابة الدعوة التي وجهها المؤتمر الاسلامي العام إلى مسلمي الآفاق بصلاة الغائب على المرحوم السيد احمد الشريف السنوسي المجاهد في سبيل الله، المهاجر المخرج من وطنه كجده رسول الله ﷺ بعدوان إيطالية، بل كان منهم من صد الناس عن هذه الصلاة فصلوها بالرغم منهم ، وأنا أعلم ان بعض الخطباء لم يكتف بالامتناع عن هذه الصلاة وقد طولب بها حتى أرسل بعض خدم المسجد يطلب شرذمة من البوليس لمنع المسلمين منها، فما جاء البوليس إلا وقد قضيت الصلاة وانفض المصلون، ولكن هذا من سخفه لا باغراء أحد

(٧) موافقة شيخ الازهر في مجلس الشيوخ الرسمي للحكومة على جميع مشروعاتها حتى المخالفة للشرع

(٨) امتناع شيخ الازهر وهيئة كبار علمائه من الاحتجاج على الدولة الفرنسية فيما قررته وشرعت فيه من إخراج شعب البربر في المغرب الاسلامي من الدين الاسلامي وادخاله في النصرانية وقد اضطرب له العالم الاسلامي كله ، وطولب الشيخ الظواهري بذلك مرارا فلم يستجب، حتى اذا ما زار مصر عالم مغربي اشتهر بأنه من أنصار سياسة فرنسة في بلاده وطعنت فيه الجرائد الاسلامية أشد الطعن احتفى به الشيخ وكرمه تكريما

(٩) امتناع شيخ الازهر وهيئة كبار علمائه من الاحتجاج على مافعلته فرنسة من منع علماء المسلمين في الجزائر عن وعظ المسلمين وتعليمهم دينهم في المساجد، ثم من محاولتهم تجنيس مسلمي تونس بالجنسية الفرنسية واخراجهم من حظيرة الجنسية الاسلامية بجعل أنكحتهم ومواريثهم تجري بمقتضى القانون الفرنسي.

(١٠) امتناع شيخ الازهر وهيئة كبار علمائه أن يكونوا قادة الامة في مقاومة الحملة الاخيرة الفظيعة التي حملها دعاة النصرانية على الاسلام في مصر باهانته في مدارسهم والطعن فيه واخراج تلميذات مدارسهم منه بالتوريط وبالاكراه وتنصيرهن وتزويجهن من النصارى الخ ما هو شغل الجرائد الاسلامية الشاغل في هذه الايام

(١١) مطالبته الحكومة بمصادرة كتاب تاريخ بغداد الشهير لأحد حفاظ الامة الاعلام الامام أبي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ قبل اتمام طبعه لان فيه طعناً على الامام أبي حنيفة في ترجمته له منه على طريقة المحدثين في نقل الروايات التي يروونها في كل من يترجمونه من جرح وتعديل

(١٢) مجلة المشيخة المسماة نور الاسلام يمنعها الشيخ الظواهري من الدفاع عن الاسلام بالرد على الطاعنين فيه والمعتدين عليه وعلى أهله، وكنا قد اقترحناه عليها من أول ظهورها، فكان مبدأ سخطها علينا، ويغريها بالطعن على الوهابية لان الدولة المصرية ساخطة على دولتهم السعودية فيما هو مثار العداوة بين الشعوب الاسلامية. ثم إنها بسيطرته تدافع عن الخرافات والبدع الفاشية في البلاد، والمفسدة للعقائد والاخلاق والآداب، وتأولها للمفتونين بها بضروب السخف والاحتمالات التي يتأولون بها أغلاط المؤلفين فيما يدعون ان فائدته على بطلانه تشحيذ الاذهان، حتى اذا ما أنكرنا عليها بعض هذه الجهالات تجرأت على الطعن علينا بما كان سبباً لفضيحة جهلها في العالم الاسلامي كله في مقالاتنا التي نشرناها في المنار وفي أشهر الجرائد المصرية وجمعناها في هذا الكتاب

كان من خذلان المشيخة في الطعن في المنار داعية السنة، أن انتدبت له شيخاً من أنصار البدعة فكان سبباً لاظهار عدة فضائح لها ولمجلتها، وإظهار صاحب المنار عليهم بالعلم والعمل والاخلاق، وكان شر فضائحها في العلم الجهل الاعمى بعلوم السنة كلها، وشر

فضائحها في الاخلاق افتراء الكذب والبهتان الذي لاشبهة عليه من سوء فهم المفتري ولا من استنباط الاحتمالات السخيفة المألوفة، كما يرى القراء بيانه مفصلا في مقالاتنا، والكذب شر الرذائل كلها على الاطلاق ولا أستثني الكفر بالله فانه كله كذب، وقد غفل عن هذا جماعة الكتاب الذين يطعنون على هذه المشيخة بافساد أخلاق رجال الدين، وأي فساد شر من الكذب وقول الزور في العلم والدين؟

ومن خير مانحمد الله تعالى عليه من إظهارنا عليهم ولاسيما الشيخ الظواهري ومن اختصه للطعن علينا منهم، أن علم جماهير الناس ان الرد على المنار كان من أمانيهم التي يرتقبون سنوح الفرصة لها، ويستعدون لها بمراجعة مجلدات المنار السابقة، حتى إذا ماسنحت الفرصة وصار الاول رئيساً للازهر والثاني محرراً في مجلته، ونشرا مانشرا فيها من الطعن على المنار، ظهر انه كله جهل وكذب وسباب، وتأييد للبدع

ولو أن الشيخ الظواهري وفى لنا بما وعدنا به من نشر ردنا على مجلة الازهر فيها ببيان حججنا عليها في مسائل الطعن من غير تعرض منا للطاعن ولا لغيره لاكتفى أمر ظهور هذه الفضائح كلها أو جلها، وأمر تحديناله ولهيئة كبار العلماء في علوم الحديث، ولأدى واجباً شرعياً لقراء المجلة بايقافهم على الحقيقة في تلك المطاعن وحكم الشرع فيها، ولكنه وعد ولم يف فنال جزاءه

أفرأيتم من كانت هذه سيرته العلمية والدينية هل يمكن أن يكون وسطا بين حزب الجمود الخرافي القديم، وحزب التفرنج الجديد، فيوجه الازهر الى الجمع بين علوم الدنيا وهداية الدين؟ أم المنتظر منه أن يكون هو الهادم الاخير لخير القديم بنصره لشره، والممهد به لشر الجديد الذي بينا تشاؤم أذكياء الامة المخلصين منه؟

وانه ليؤلمني ألذع الالم أن تضطر الامة الاسلامية وصحفها الى هذا التشهير بسيرة الرئيس لاكبر مصلحة اسلامية في مصر، ونحن نرى اجلال جميع الطوائف لرؤسائها الدينيين، وسأبين رأيي في المخرج منه، وفيما يجب أن تكون عليه الرئاسة الاسلامية من النظام، وما يجب لها من الاحترام. وهو ما أوجه اليه الانظار، وأدعو للسعي له حزب التجديد والاصلاح، والعاقبة للمتقين،

﴿يلي هذا في أول الصفحة المقالة الأولى من الرد على مشيخة الازهر﴾

المنار ومجلة مشيخة الازهر

﴿ نشرنا في أشهر الصحف اليومية الاسلامية مقالات عنوانها (بيان للامة في جرائدها) فيما شجر بيننا وبين مجلة مشيخة الازهر من التنازع في نصرها للبدع الاعتقادية والعملية وتأويلها لما يخالف النصوص والسنن القطعية — وانكارنا عليها مما يؤيد النصوص والسنن التي كان عليها النبي (ص) وأصحابه وسلف الامة الصالح وطعنها فينا وافترائها علينا لعجزها عن الرد العلمي. وانا ننشر هذه المقالات (ولما تتم) في المنار لانها من أهم مسائل تاريخ الاصلاح الذي أنشيء له ونهض به ، ولنا ان نختصر وننقح هنا بعض العبارات اجتنابا للتكرار الذي لا يحسن في المجلات ﴾

المقال الاول

﴿ في موضوع التنازع بين المجلتين أو بين الاصلاح والجمود والبدعة والسنة ﴾

ونشر في الجرائد في ٢٠ جمادى الآخرة الموافق ٢٠ اكتوبر

(وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِن لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا * وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)

وقع تنازع بين مجلة المنار ومجلة الازهر والمعاهد الدينية الرسمية (نور الاسلام) تعدت هي فيه البحث العلمي إلى الطعن الشخصي فأحببت أن ينحصر ردي عليها فيها ليعلم قراؤها الحق فيما نشرته من العلم والدين، فارسلت اليها المقالة الاولى من الرد فلم تنشرها بل نشرت في الجزء الذي كان ينتظر نشر الرد فيه مقالا آخر في الطعن علي ؛ وانتقل البحث الى الصحف اليومية فنشر فيها مقالات لأفراد من العلماء يذكرون فيها مسائل مما اتهمني به « الشيخ يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء في الازهر وأحد محرري مجلته » ويردون عليه فيها، ثم رأيت له مقالات يرد

فيها على بعضهم ويطعن عليّ وعليهم ، ثم رأيت في بعضها خبر سعي صاحب الفضيلة العلامة المصلح الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية للصلح وتمامه في داره — ووصل إلي بعد عقد هذا الصلح رسالة مطبوعة باسم أخص تلاميذ الاستاذ الدجوي من علماء الأزهر، وهو قريبه وامين سره المساعد له على الطعن الذي يكتبه له، نشر فيها بعض ما كتبه الاستاذ الدجوي في الطعن في مجلة الازهر أخيراً وماكان نشره في بعض الجرائد من الطعن قديماً مع تعليقات وقصائد في اطراء أستاذه بل اطراء الاستاذ لنفسه بأنه إمام المسلمين وحامي حمى الدين . . . وهجوي وتكفيري بما يتعجب كل من رآه لصدوره عن أحد من رجال العلم والدين كقوله :

أترى انك البصير بشيء أنت فيه كالكلب والخنزير
وكفى ان عافاهما الله من رؤ ية وجه كوجهك المقذور

وهذا الطعن مما يعاقب عليه القضاء قطعاً ولكنه هو نفسه أشد عقابا لمجترحه في نظر أهل الدين والعلم والادب أو كما قال المتنبي * فذاك ذنب عقابه فيه *

ورأيت الناس يطالبونني قولا وكتابة بالرد على مطاعن مجلة الازهر ويتعجبون من سكوتي عنها حتى نشر هذا بعضهم في جريدة السياسة الغراء . وإنما كان سكوتي الى الآن أنني وعدت به فضيلة المفتي إلى أن يبلغ غاية شوطه من السعي للصلح ، وقد وفيت له بوعدي ، وظهر له صدقي وخداع الدجوي

وبقيت مجلة الازهر والمشيخة التي تصدرها ، فسنرى ويرى الناس ماسيكون من أمرهما بعد ظهور هذه الجرائم من اثنين من علماء المشيخة في مجلة المشيخة وفي رسالة تباع في الازهر نفسه، فالاستاذ الاكبر شيخ الازهر هو المسؤول عن شرفه وشرف مجلته وعلمائه ، ولم نعلم انه صدر عنهم في زمن من الازمان مثل هذا ولا مايقرب منه

وهانذا أبين للامة في جرائدها اليومية موضوع الخصام والصلح الذي يسألونني عنه لأنه يتعلق بأمر دينها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وما طرأ عليه من البدع والشبهات ، وموقفها بين الاصلاح والخرافات ، وما يجب عليها من معرفة الفصل فيه بين الحق والباطل ، إذ لم تعد المسألة نزاعا واختلافا

بين مجاتين يحسن ألا تعدو صحائفهما ، ولا بين شخصين مختصين ، بل تعدتهما إلى مسألة الاصلاح الاسلامي الذي يتوقف عليه حفظ الاسلام في هذا العصر . ومسألة الجمع بين الاسلام الصحيح وعلوم العصر التي تتوقف عليها عزة الامم واستقلالها، ومسألة جمود الازهر الماضي وتجديده الحاضر والمستقبل ، والتنازع بين النابتة التي نجحت فيه باصلاح الاستاذ الامام ، وبقايا أعشاب الجمود الضارة التي تعوق نماءها ، واستواءها على سوقها ، وإيتاءها أكلها باذن ربها

ضاق الازهر الحديث ذرعا بما كان من جموده في القرون الاخيرة فطفق ينسلخ منه ببطء ثم بسرعة واستعجال يخشى ان يكون معه الزلل ، فيتبع مدرسة دار العلوم في نزع آخر مشخصات رجال الدين عنه ، فان جذب الاستقلال العصري له صار أقوى من جذب الجمود السابق ، وهو في أشد الحاجة إلى موقف الاعتدال في الوسط الذي اختطه له الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وفيه بعض تلاميذه ومريديه ولكنهم يستترون لاخراج بعضهم منه اخراجا اداريا غريبا و يحتاجون الى قوة وزعامة تمكنهم من موقفهم في الوسط ، وحمل الميزان القسط ، ، وقد شعر أنصار الجمود بقرب زوال دولتهم وجاههم الازهري فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون ، ونهضوا بحملة جديدة على الاصلاح سأشرحها بعد بما يدهش عقلاء الامة ويشغل صحفها ، وأقتصر في هذه المقالة على مثار الخلاف بين المجاتين فأقول :

كانت طريقة الازهر في التعليم قبل مجيء السيد جمال الدين الافغاني الى مصر إلزام الطلبة قبول كل مافي كتب التدريس وما يقوله لهم المدرسون بالتسليم وعدم الاعتراض، عقلوه أم لم يعقلوه ، وطريقة الاستاذ الامام التي استفادها من الافغاني وجرى عليها بالدعوة وبالعمل في دروسه الدينية والفنية والعقلية أن لا يقبل أحد كلام أحد بالتسليم الاعمى بل يجب الفهم والاستدلال المؤدي إلى الاقناع والتفرقة بين كلام المعصوم وغير المعصوم

في كتب التعليم في الازهر وغيرها مايخالف اليقينيات القطعية حتى الحسية منها ، ويرى طلابه وغيرهم في كتب التفسير وشروح الاحاديث مشكلات اضطرب العلماء في حل عقدها ، ويرون في بعض أجوبتهم عنها مالا يقنع من يريد

أن يفهم ويعلم ، ويرون أن عالما واحداً من المحدثين الفقهاء قد ألف أربع مجلدات في الاحاديث المشكلة سماه (مشكل الآثار) وهو الامام الطحاوي ، ويرون مع هذا كله في علمائهم المدرسين من يفتي بكفر من يستشكل حديثاً صححه أحد المحدثين ولا سيما الشيخين رضي الله عنهما، ويلتمس لنفسه مخرجا من الاشكال ، وقلما كان أحد منهم يجتري، على سؤال شيوخه الجامدين عن ذلك لئلا يرموه بالكفر

مثال ذلك أنه يوجد في الصحيحين وغيرهما حديث مرفوع خلاصته أن الشمس تذهب حين تغرب في آخر النهار فتغيب عن الدنيا وتصعد فتسجد تحت العرش ثم تستأذن ربها بالطلوع في اليوم التالي فيأذن لها فتطلع وأنه سيأتي وقت تستأذن فيه فلا يؤذن لها ثم تؤمر بالطلوع من مغربها

استشكل هذا الحديث كبار علماء الاسلام المتقدمين والمتأخرين ولا سيما الذين عرفوا علم الفلك والمواقيت والجغرافية بأنه مخالف للحس وما تقرر في علم الهيئة الفلكية ، وصرح إمام الحرمين الشهير في القرن الخامس بما يصرح به علماء هذا العصر من ان الشمس فى كل وقت تغرب عن قوم وتطلع على قوم الخ ولكن لا يزال في علماء الازهر وغيرهم من يفتي بكفر من لا يؤمن بظاهر الحديث ويسمونه مكذبا لله ولرسوله ، صرح بذلك الشيخ يوسف الدجوي في مجلة الازهر الرسمية ، ولما تنكر ذلك عليه مشيخة الازهر المسئولة عن هذه المجلة . فكيف يستطيع الموقن بان الشمس لا تغرب عن الارض طرفة عين أن يكون مسلما على رأي هؤلاء العلماء ؟ وجميع طلبة الازهر الذين يدرسون فيه علم الجغرافية يوقنون بان الشمس لا تغيب عن الارض طرفة عين ، وجميع المتعلمين في المدارس النظامية موقنون بهذا ، ومنهم أمراؤنا وحكامنا ومحررو صحفنا أجمعون أ كتعون أبصعون

واني قد ذكرت في المنار وفي تفسيره علة علمية تنفي صحة سند الحديث على طريقة المحدثين ومخرجا من دلالة متنه على ما ينافي الحس لم أر أحداً وفق لها قبلي، وسأذكرها في الرد العلمي على مجلة المشيخة

كان الاستاذ الامام مرجعاً لكل من يعرض له اشكال أو شبهة في دينه، ومن خطة المنار التي جرى عليه من أول نشأته التصدي لدحض الشبهات وحل المشكلات

الدينية والعقلية والعلمية بالادلة الجامعة بين المعقول والمنقول

وقد علمنا أن بعض الجامدين كان يطعن علينا بما نكتبه لنحفظ على المشتبهين والمستشكلين إيمانهم بصحة كل ماجاء في كتاب الله وما صح عن رسوله ﷺ من أمر الدين، وحملني هذا على أن انشر في أول كل جزء من كل مجلد من مجلدات المنار (إعلانا) أدعو فيه العلماء وغيرهم الى الكتابة إلي بما يرونه منتقداً فيه من المسائل الدينية وغيرها، مع الوعد بان أنشر ما يرسلونه إلي بشرط أن يقتصر فيه على المسائل المنتقدة والدليل على ما يراه الكاتب من الخطأ فيها من غير زيادة ولا استطراد، وأبين رأيي فيه، وما زلت أفي بما وعدت

كبر على الجامدين والخرافيين اشتهار مجلة المنار في العالم الاسلامي ومايرونه فيها من استفتاء مسلمي الشرق والغرب إياها في كل ما يشكل عليهم من أمر دينهم ولاسيما شبهات الماديين والمبشرين وغيرهم، وكبر عليهم نشرنا لمناقب الاستاذ الامام واصلاحه وتجديده للاسلام فيها وفي تفسير المنار وفي التاريخ العظيم الذي دونا فيه مناقبه في ثلاث مجلدات بلغت صفحات الجزء الاول منها ١١٣٤ صفحة ماعدا المقدمة. وصاروا لايدرون كيف يقاومونها

تصدى الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي منذ بضع عشرة سنة (١٣٣٥) للطعن على الاستاذ الامام والتحرش بالمنار فبدأ بنشر مقالات في جريدة الافكار في الانكار على ما نشرناه في تفسير قوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) من أن النفس الواحدة ليست نصاً في أبينا آدم عليه السلام، وانه إن فرض ثبوت قول الذين يقولون إن للبشر عدة أصول أو نظرية دارون في اختلاف الانواع، فان القرآن يبقى على عصمته لاينقضه شيء. هذا مجمل ماقرره شيخنا الاستاذ الامام في الازهر وقرره قبله أستاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر في كتابه (الرسالة الحميدية) التي قرظها أكبر علماء سورية وعلماء الترك وغيرهم اذ ترجموها باللغة التركية وكانت سبب حظوة مؤلفها عند السلطان عبد الحميد ولم ينكر عليه أحد هذا القول في مذهب دارون

ولكن أحد علماء تونس الاذكياء انتقد عبارتنا في تفسير آية سورة النساء وموافقتنا للاستاذ الامام على ماقاله في المسألة بمقال نشرناه في المنار أجبنا عنه

من بضعة عشر وجهاً أقنعت هذا الاستاذ . وأما الشيخ يوسف الدجوي فلم أرد على ما نشره في جريدة الافكار لانه كان تحرشا وطعنا شخصيا بسوء نية غير مبني على دليل علمي فضلا عن كونه نشره في جريدة يومية ولو كان بحثا علميا لأرسله الى المنار كالاستاذ العلامة الشيخ محمد البشير النيفر التونسي

ثم ان الاستاذ الدجوي كتب في سنة ١٣٤٨ رسالة في الطعن على متبعي السلف من عهد شيخ الاسلام ابن تيمية الى الآن غمز فيها الاستاذ الامام بقوله بعد اعترافه بأنه غني عن الثناء والاطراء « ولكننا نعجب له وقد تربى تلك التربية العقلية الفلسفية كيف يسير وراء كل ناعق من الاوربيين فيردد صدى صوته بلا نقد ولا تمحيص، وقد يكون ذلك عندهم محل الظن والتخمين أو الفرض والتقدير ، وربما أول له الآيات الصريحة ، أو السنة الصحيحة ، قبل أن يقام عليه البرهان ، أو يبارح محل الاستحسان - إلى أن قال - ولا داعي لان نفيض في بيان تلك الآراء ففي المنار منها شيء كثير » اه

انني على اعتزامي لتفنيد كل من يطعن في الاستاذ الامام قدس الله روحه أعرضت عن الاستاذ الدجوي ولم أعرض له لانه ليس ممن يرد عليهم في نظري ، ولكنني أشرت في فاتحة المجلد الحادي والثلاثين من المنار إلى قوله اشارة ولم أسمه وقلت ان الاستاذ الامام لا يضيره مثل هذا القول فيه ...

هل يسمع قول مثل الدجوي في الاستاذ الامام انه يسير وراء كل ناعق من الاوربيين وهو هو الذي علم الازهر استقلال الفكر وعدم قبول قول لغير المعصوم بدون دليل ؟ وهو هو الذي شرف مصر والامة الاسلامية أمام أوربة باكبار شيخ فلاسفتها هربرت سبنسر لعلمه وعقله ، وبرده على موسيو هانوتو ذلك الرد الذي اهتزت له أوربة والشرق وألجأ ذلك الكاتب الكبير والوزير الشهير إلى الاعتذار للامام المصري بما هو مشهور . وهو الذي كتب في حقه العلامة المستشرق أدوارد براون من أساتذة جامعة كامبردج الانكليزية « انني ما رأيت في الشرق ولا في الغرب مثله » ؟

بيد انني أنكرت على مجلة نور الاسلام الازهرية الرسمية ما تنشره له من

المقالات والفتاوى في تأييد البدع الفاشية في عامة الامة ولاسيما بدع القبور ومنكراتها والطعن على السلفية عامة والوهابية خاصة في هذا العصر الذي أظهر فيه العالم الاسلامي كله في الشرق والغرب والوسط كمصر حرسها الله العطف على الدولة السعودية والدفاع عنها ، والانتقاد على الدولة المصرية لعدم اعترافها بها ، ولمنع حقوق الحرمين الشريفين وأهلها من الحقوق الثابتة لهم في أوقاف مصر - ولو كتب الاستاذ الدجوي ماذكر في غير مجلة الازهر الرسمية لما عنيت هذه العناية بالرد على بعض ما كتبه ولم أقرأه كله

وانما أعنى بما يكتب فيها لصفتها الرسمية ولانني أعد فضيلة شيخ الازهر مسئولا عن الطعن الذي وجهه إلي مع كاتبه ورئيس تحرير المجلة جميعاً

ظهرت مجلة (نور الاسلام) فأحسنت تقريظها في المنار وتمنيت لها أن تكون خيراً منه في خدمة الاسلام لما يرجى من دوامها بكونها لمصلحة اسلامية غنية لا لشخص قد يموت بموته ، ونصحت لهما أملاه على اختبار ثلث قرن في مثل الخدمة التي أنشئت لها ، وذكرت محرريها ومشيخة الازهر ورياسة المعاهد الدينية بأن تبعة ماينشر فيها ليس كتبعة ماينشر في المجلات والصحف الشخصية ليتحروا فيما يكتبون

كان المثير الظاهر لهذا الطعن فتويين مختلفتين في مسألة البدعة التي ابتدعها المؤذنون بمصر في القرن الثامن وهي زيادة السلام على النبي ﷺ في آخر الاذان ثم زيادة الصلاة مع السلام وزيادة نداء السيد البدوي أيضا بعد أذان الفجر . أفتيت في المنار بانها بدعة في شعار ديني تدخل في عموم قوله ﷺ من حديث كان يقوله ﷺ في خطبته «وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» رواه مسلم في صحيحه وأفتت مجلة نور الاسلام بانها بدعة حسنة

ثم نشرت للاستاذ الدجوي مقالا طويلا في الرد على ما كتبه المنار في هذه المسألة أكثر فيه من الطعن والتهكم والغميزة والزراية على صاحب المنار والتجهيل والتكفير له ، وقذفه بأنه كذب الله ورسوله ، وعزا اليه مسائل لايقول بها كلها ولا ببعضها أحد يؤمن بالله وبما جاء به محمد خاتم النبيين عنه عز وجل وهي :

(١) انكار الملائكة وتقرير أنهم عبارة عن القوى الطبيعية

(٢) إنكار الجن وتقرير ان الجن المذكورين في القرآن عبارة عن الميكروبات

(٣) جواز تطبيق القرآن على مذهب داروين المخالف لقوله تعالى (ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب) الآية

(٤) افتاء التلاميذ المسلمين بالصلاة مع النصارى في الكنائس « ليغرس في قلوبهم النقية تلك الطقوس النصرانية وينقش في نفوسهم الساذجة مايسمعونه من القسوس والمبشرين هناك » — بهذا علل الفتوى المفتراة أي انني أفتيتهم بهذا لاجل أن يكونوا نصارى، فجعل العالم المسلم داعية الاسلام ومدرهه داعياً الى النصرانية وهو الذي قال القس زويمر أجرأ المبشرين على الطعن في الاسلام حتى إنه طعن عليه في الجامع الازهر :انه لايوجد في علماء المسلمين من يدافع عن الاسلام بحجة وعقل إلا صاحب المنار

(٥) قوله [كبرت كلمة تخرج من فيه] وعليه إثمها وعلى المجلة التي نشرتها والمشيخة المتولية إصدارها مانصه « بل وصل الامر من مجتهدنا (الذي يبحث في جميع شؤون الاصلاح الديني والمدني والسياسي) كما يقول في مناره — أن اجترأ على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم من ان الشمس تسجد تحت العرش » وأطال في هذه التهمة بما خرج به عن موضوعها كعادته حتى قال « فالشيخ إذاً مخطيء لله ولرسوله مكذب للقرآن والسنة وإن شئت فقل مجهل لهما » !!

فالشيخ يوسف الدجوي لا يستغرب منه مثل هذا الافتراء والبهتان وإنما يستغرب نشر مجلة الازهر له وهي لسان حال مشيخته .

(٦) قوله « رد الاحاديث التي في البخاري وغيره الناطقة بان آية (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) كانت قرآنا يتلى » وقدرده كبار الفقهاء من قبل

(٧) « رد الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في سحر النبي صلى الله عليه وسلم رد ذلك بتمويهات وخيالات لا نطيل بها » والذي طعن في صحة هذا الحديث هو

الاستاذ الامام وسبقه إلى رده الامام الجصاص . والتمويهات والخيالات التي زعمها هي تنزيه النبي ﷺ أن تؤثر في نفسه القدسية التي تتصل بروح الله الامين أن تسلط عليها نفس ساحر يهودي مدة سنة في بعض الروايات وستة أشهر في رواية أخرى حتى يتوهم ﷺ انه يقول الشيء، ولم يكن قاله ويخيل اليه انه فعل الشيء الذي يترتب عليه حكم شرعي كالغسل ولم يكن فعله !! هذا مبلغ تعظيمهم للنبي ﷺ يجوزون عليه هذا ويجعلونه من قبيل الامراض البدنية حتى لا يجوزوا على البخاري انه أخطأ في تعديل أحد من الرواة الذين روى عنهم هو وغيره هذا

هذه هي التهم التي أوردها في مقالة بدعة الزيادة على الاذان وحدها في سياق طويل فلما رأيتها شرعت في الرد عليها وأرسلت النبذة الاولى إلى فضيلة رئيس تحرير المجلة مع كتاب خاص قلت له فيه انه أهان نفسه وعلمه بقبوله لرياسة تحريرها والقيت التبعة عليه وعلى فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر في نشرها ، وان المخرج لهما من التبعة السماح لي بما يوجبه عليهما الشرع وكذا القانون من نشر ما أكتبه من الرد عليها ، وبأني أرضى بتحكيم فضيلة مفتي الديار المصرية العلامة التقي الشيخ عبد المجيد سليم في ردي وما عسى أن يردوا عليه لا لمنصبه بل لعلمه وإنصافه وتنزهه عن المحاباة

وقد كبر على فضيلة المفتي مانشرته المجلة وأخبرني ان فضيلة شيخ الجامع استاء منه وانهما اتفقا على السعي للصلح . وسأبين للامة ما كان من أمر الصلح وخداع الخصم فيه في المقال التالي

المقال الثاني

﴿ في السعي للصلح والمرحلة الاولى له في دار المفتي ﴾

نشر في الجرائد في ٢٨ و ٢٩ جمادى الآخرة

بينت في المقال الاول ما كان من التنازع بين المنار ومجلة مشيخة الازهر (نور الاسلام) وأبين في هذا كيف كان الصلح بدءاً وختاما

قد راع صاحب الفضيلة الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية ، وشق عليه أن يرى في مجلة مشيخة الازهر مثل تلك المقالة التي نشرتها في الجزء الخامس بعنوان (صاحب المنار . والصلاة والسلام على النبي ﷺ بعد الاذان) وإمضاء (يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء بالازهر) وهو هو الغيور على شرف علماء الدين وعلى مجلة الازهر ، واستغرب ما فيها من التهم التي رشقت بها مجلة المنار وصاحبها وهو من أعلم العلماء بقيمة المنار وما خدم به الاسلام مدة ٣٥ سنة ، ويقتني جميع مجلداته ، ويعرف شخص صاحبه معرفة علم وأخلاق ، وقد عرف منار الشبهات لبعض التهم ، وما فيها من تحريف الكلم ، لعلمه بما كان قرره الاستاذ الامام أو كتبه فيها كمسألة الملائكة ومسألة سحر اليهودي للمصطفى أعزه الله عز وجل وأجله وصلى عليه وسلم ، وبما نشره المنار في بعضها أو فيها كلها

وكان أروع ما راع فضيلته وأغربه وأبعده عن الشبهات ان يرمى صاحب المنار بإفتاء طلاب العلم في المدارس الاجنبية بأن يصلوا مع طلبة النصارى صلاتهم في كنائسهم لاجل أن يكونوا نصارى ! ! فلم يملك نفسه ان سألني بالمسرة (التلفون) [1] عنها وهل يوجد في شيء من مجلدات المنار عبارة يمكن أن تتخذ شبهة عليها ؟ فقلت بل يوجد حجج كثيرة على ضدها آخرها فتوى طويلة في الجزء الثالث من منار هذه السنة

ثم ان الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر أخبر الاستاذ المفتي بأنني أرسلت

(١) كنت في أيام طلب العلم أطلقت على التلفون اسم المسرة من قول القاموس المسرة بكسر الميم الآلة التي يسار بها كالطومار اه ثم سماها الكتاب السوريون الهاتف

إلى مجلة (نور الاسلام) مقالة في استنكار جريمتها والرد عليها ، وان مقدمة الرد شديدة اللهجة ، خلافا لما قاله كل من رآها في دار المنار إذ وصفوها بانها في منتهى اللين واللطف ، في مقابلة طعن هو في منتهى الهجو والعنف ، واتفق الشيخان على وجوب الصلح ، ونيط السعي له بالمفتي للاجماع على إخلاصه وإنصافه ، فأرسل إلي رسولا يكاشفني به ويعلم ما عندي تجاه هذا البهتان المبين ، فسمع الرسول مني مالم يكن يحتسب من آيات الحلم وسعة الصدر وهو انني لا أشترط للصلح إلا أن تنشر لي المجلة كل ما أرد به على التهم التي قذفتني بها رداً علمياً لا طعن فيه ولا سباب ، ولا نبز بالالقاب ، وان الغرض منه أن يعلم الذين قرؤا تلك التهم الباطلة ماعندي من الادلة العلمية على افتراء بعضها وبطلان بعض وتحقيق الحق في مسائلها ، وهي مسائل اعتقادية وعملية شرعية يجب لهم على المجلة وعلي تمحيص الحق فيها ، وانه ليس لي حظ نفسي في تحقير كاتبها بمثل ماقاله في — فبلغ المفتي شيخ الازهر هذا الجواب ، فاتفقا على ان هذا حق

ثم دار الحديث بيني وبين المفتي في الموضوع بالمسرة ثم بالمشافهة في دار المنار إذ تلطف بزيارتي فيها في أول هذا الشهر (جمادي الآخرة - أكتوبر) وكان مما قاله إنه متفق مع الاستاذ الاكبر على ان لي الحق في الدفاع عن نفسي وفي كتابة كل ما أعتقد أنه حق وخدمة للاسلام والمسلمين ، فان هذا مما ليس لأحد أن يطالبني بتركه ، وان على مجلة نور الاسلام أن تنشر لي ما أكتبه من الرد العلمي الذي طلبته ، وإنما المراد من الصلح عدم العود إلى طعن أحد في شخص الآخر بتجهيل ولا غيره ، وانهما يرغبان إلي ترك الرد الى أن نجتمع به ونبرم الصلح . فوعدته بذلك

ثم جاءني في ضحوة اليوم الرابع من الشهر الاستاذ الشيخ محمد حامد الفقي رسول المفتي الاول وقال ان فضيلة الاستاذ المفتي يقرئك السلام ويخبرك بأنه كلم الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي فيما اتفقنا عليه من أمر الصلح وشرطه فرضي به ووعد بان يكتب هو في مجلة نور الاسلام عبارة يعترف فيها بخدمة المنار للاسلام ومواقفك المحمودة فيها . . . وان الاجتماع لعقد الصلح سيكون بدار فضيلته بعد عيد الجلوس الملكي لانهم سيسافرون كلهم إلى الاسكندرية لاجله

ثم بلغني المفتي في يوم الثلاثاء الحادي عشر من الشهر دعوته إيانا إلى الغداء في داره، لأجل الصلح في يوم الخميس الثالث عشر منه فأجبت، ثم أرسل إلي سيارته بعد الظهر من ذلك اليوم فوجدت عنده أصحاب الفضيلة الاساتذة الشيخ فتح الله سليمان نائب المحكمة الشرعية العليا والشيخ احمد حسين مفتي وزارة الاوقاف والشيخ محمد الخضر رئيس تحرير مجلة نور الاسلام والشيخ طه حبيب المدرس بالازهر والمحرر في مجلة نور الاسلام والشيخ محمد حامد الفقي من علماء الازهر وخطباء المساجد وكان معي ابن عمي السيد عبد الرحمن عاصم . وبعد وصولنا بقليل جاء الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي فقمت له مع القائمين وصافحته ، واعتذر الاستاذ الاكبر عن الحضور بالتياث صحته، ولم نلبث أن قمنا الى المائدة النفيسة الدالة على سخاء صاحبها وحسن ذوقه

وبعد الطعام خرجنا الى حجرة القهوة والحديث . فافتتح فضيلة المفتي الكلام بالشكر لنا على قبول دعوته إلى طعامه والى ماهو خير منه وهو الصلح بين المجلتين الاسلاميتين والمحررين لهما ، وقال ان مجلة المنار تخدم الاسلام خدمة جليلة منذ خمس وثلاثين سنة ولصاحبها فلان من البلاء والجهاد في هذه السبيل ما عرف له فضله فيه جميع العالم الاسلامي وأصبح لمجلته مركز عظيم في نفوس المسلمين في مشارق الارض ومغاربها . ومجلة نور الاسلام قد أنشئت أيضا لأجل هذه الخدمة للاسلام بعينها وتتولى إصدارها ونشرها أكبر هيئة دينية اسلامية فالموضوع واحد والقصد واحد ، والحاجة الى التعاون بينهما شديدة ، وخصوم الاسلام من الملاحدة ودعاة النصرانية (المبشرين) والفاتنين للعامة باباحة الفسوق والشهوات كثيرون. فالمصلحة الاسلامية قاضية بتوحيد عملهما . وفضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي يخدم الاسلام بعلمه وبالتحرير في مجلة نور الاسلام ، فأجدر بالشيخين وبالمجلتين أن يتحدا ويكونا إلباً واحداً على العدو المشترك ، وقد شجر بينهما من الخلاف ما أسف له الجميع ، وغرضنا من هذا الاجتماع ان يتصالحا ويتصافيا ويتناسيا الماضي المؤسف ، فهذا ما يهمنا ويهم كل مخلص للدين وأهله

هذه خلاصة ما فاه به الاستاذ المفتي ، وتلاه الاستاذ الدجوي فقال انه لابد

من ذكر سبب الخلاف والشقاق وما يبنى عليه الصلح وهو ان يكف الشيخ رشيد اخوانه او جماعته الوهابيين عن تكفير المسلمين وحملهم على عقائدهم او مذهبهم بالقوة واستباحة دمائهم ، ويكف أتباعه — أو قال أذنابه — عن الكتابة في الصحف وغيرها... وطفق يفيض في هذا الموضوع. فعارضه المفتي قائلا نحن لا نريد نبش الماضي وبعثه من قبره بل نريد دفنه وتناسيه، ولا شأن لنا الآن بالوهابية ولا بغيرهم ، لأننا لانحاول الصلح والاتفاق لمصلحة جماعة دون جماعة ولا هيئة دون هيئة ،بل نريد مصلحة المسلمين جميعا ، على أن يخدم كل منكما الاسلام بما يعتقده من غير أن يمس كرامة الآخر

حينئذ قلت : أما وقد قال الاستاذ الدجوي ماسمعتم فلا مندوحة لي عن جوابه لان الاتفاق والتعاون يتعذر مع سوء ظن كل منا بالآخر

قد سمعتم مايقول في الوهابية وما يرميهم به وانه يعدني منهم مع سوء اعتقاده أو ظنه بهم . وقد كتب كثيراً في الطعن عليهم وكان يذكرني في أثناء مطاعنه بدون أدنى مناسبة ويلقبني بمفتيهم وبزعيمهم ، فلهم في خياله أقبح صورة تتمثل في شخصي

القول الحق في الوهابية وسبب الطعن عليهم

انني أعلم حق العلم انه ليس في الدنيا مذهب يصح أن يسمى مذهب الوهابية وان أهل نجد الذين يلقبهم غيرهم بالوهابية لايلقبون أنفسهم بهذا اللقب، وهم حنابلة ليس لهم مذهب غير مذهب الامام احمد بن حنبل أحد الأئمة الذي يعترف له جميع أهل السنة بالامامة، بل انتهت اليه إمامة السنة في عصره بغير منازع ، وانما ينسبون أنفسهم الى السلف في العقائد وما كان أحمد الا إمام السلف في عصره وما زال أهل الحديث كلهم ينتمون اليه . وقد صرح الامام أبو الحسن الاشعري باتباعه له

أما سبب اتهامهم بابتداع مذهب جديد في الاسلام فهو ان الدولة العثمانية قد رأتهم قاموا بنهضة دينية في جزيرة العرب أيدتها إمارة آل سعود، فخافت أن يؤسسوا دولة عربية تنزع منها سيادتها على الامة العربية فحاربتهم بالسلاح، وبنبزهم

بالابتداع في الاسلام، وجعلت قتالهم لها ـ وهي المعتدية ـ دليلا على تكفيرهم المسلمين واستباحة دماء من لا يتبعهم في مذهبهم ، وأغرت بعض العلماء الذين يخضعون للسلاطين والحكام ويخدمونهم بكل مايهوون أن يردوا عليهم، فألفوا الرسائل في الطعن عليهم في دينهم، لتنفير عرب الجزيرة وغيرهم وصدهم عنهم ، كما أغرت الامارة المصرية العلوية بقتالهم بعد أن استولوا على الحجاز وعجزت عن إخراجهم منه

وأما صاحب المنار فيعلم السادة الحاضرون وكل من يقرأ المنار أنه لايقلد في عقيدته أحداً من الأئمة فكيف يعقل أن يقلد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ على فرض أن له مذهبا خاصا غير مذهب الامام أحمد وسلف الأمة ؟ فمن لا يقلد الامام الاشعري وقد نشأ على مذهب الاشعرية فأجدر به أن لا يقلد الشيخ محمد بن عبد الوهاب

الاستاذ الدجوي وجه عنايته في مجلة مشيخة الازهر وغيرها الى الطعن في الوهابية وجعلهم شر خلق الله ، وإلى تأويل البدع والخرافات الفاشية عند غيرهم ونرى رزاياها ومفاسدها في بلادنا من توجه الالوف بل الملايين من الجاهلين في قضاء حاجتهم وشفاء مرضاهم والانتقام من أعدائهم إلى أضرحة الميتين حتى من لا يعرف لهم في الاسلام ذكر ولا قدم صدق، وربما كانت أضرحتهم مزورة، فيشدون اليها الرحال ويحملون اليها النذور ويقربون لها القرابين، ويفتيهم بجواز ما يفعلون من استغاثة الموتى ودعائهم ويتأول لهم ذلك بالمجاز العقلي والمجاز اللغوي بقرينة كونهم مسلمين موحدين، وكلنا نعلم أن السواد الاعظم منهم لم يتلق عقيدة الاسلام من عالم ولا من كتاب من كتب الاسلام الصحيحة، وإنما يتلقونه عن أمهاتهم وجداتهم وأقرانهم ولداتهم

ثم انه يعلم بما عليه الالوف من أهل البلاد من ترك الصلاة ومنع الزكاة، وكذا الصيام ، ومن استباحة السكر والزنا والقمار وغيرها من الموبقات ، وأعني بهذا عدم الاذعان النفسي العملي للأمر والنهي وهو حقيقة الاسلام ، ثم انه لا يكتب شيئا في مجلة مشيخة الازهر في النصح لهؤلاء ، ولا لاولئك ، وإنما يوجهه إلى الوهابية فيطعن عليهم ليردهم عما يتهمهم به من تكفير المسلمين واستباحة دمائهم ، وهو يعلم أنه ينـدر فيهم من يقرأ كلامه ، وان من عسى أن يقرأه منهم لا يعتد بعلمه ولا باخلاصه، وهم يعلمون من أنفسهم ـ كما يعلم كل من اختبرهم ـ أنه لا يكاد يوجد

في بلادهم كلها من يترك صلاة الجماعة ، ولا من يجهر بفاحشة مبينة ، والسرائر علمها عند الله . وعلماء الوهابية لا يكفرون أحداً من أهل القبلة إلا بما أجمع فقهاء أهل السنة على أنه كفر وردة عن الاسلام ، فهم يخالفون مذهب الامام احمد في هذه المسألة وفي مسألة أخرى لا أعلم لهم غيرهما ، وأعني بالمسألة الاخرى أنهم يقدمون العمل بالحديث الصحيح المخالف لرواية المذهب عليها ، ولكن اتفاق الائمة الاربعة على ترك العمل بحديث آحادي يعدونه دليلا على وجود مانع من العمل به ، كعلة في سنده أو معارض لمتنه من نسخ أو غيره ، وما يذكرونه في كتبهم من أحكام الردة فيقال فيه ما يقال في سائر أحكام الردة عند غيرهم من علماء سائر المذاهب: إنها بيان للحكم منوط بالدليل قوة وضعفا ، ونحن نرى فقهاء المذاهب كلها يختلفون في المسائل الاجتهادية من هذه الاحكام حتى ان ما يعد كفرا وردة عند الحنفية (مثلا) قد يكون حراما أو مكروها عند الشافعية . فمثل هذا البيان لا يسمى تكفيراً للمسلمين بالفعل لكثرة من تنطبق عليهم هذه الاحكام ، ولا يترتب عليه سفك الحاكم المسلم لدمائهم وإجراء أحكام الردة عليهم . فان تكفير الشخص المعين لا يصح إلا بحكم يبنى على ثبوت الردة مع مراعاة درء الحدود بالشبهات ، كالتأول والجهل فيما يعذر به الجاهل ونحو ذلك ، ولهذا يحتاط جميع العلماء فيه ويشددون في النهي عن تكفير الشخص المعين . مثال ذلك ان الامام أحمد يقول بكفر تارك الصلاة ، فعلى قاعدة الاستاذ الدجوي يصح ان يقال ان هذا الامام الجليل يستبيح دماء هؤلاء الالوف الذين نراهم في وقت صلاة الجمعة تغص بهم أسواق القاهرة وشوارعها ، وتكتظ بهم ملاهيها وحاناتها ، دع سائر الصلوات التي يمكن التماس العذر لمن يترك جماعتها بانه قد يصليها في بيته ، فان صح هذا القول عند الاستاذ في إمام الائمة أحمد بن حنبل فكيف يعاب به أتباعه الملقبون بالوهابية ؟

ان النجديين يخالفون امامهم في مسألة التكفير بترك الصلاة لأنها ليست اجماعية في غير المستحل للترك ، الذي لا يذعن للأمر والنهي ، كما قلت آنفا .

ها نحن أولاء نرى حكومتهم في مكة المكرمة تقيم حدود الشرع كلها ، فتقطع يد السارق ، وتقتل القاتل ، وتقيم الحد على السكران ، إذا ثبت عليهم ذلك شرعا ،

ولم نرها ولاسمعناعنها أنها أقامت حد الكفر على أحد ممن على غير مذهبها الحقيقي وهو مذهب أحمد بن حنبل، ولا مذهبها المزعوم الذي يقول الاستاذ الدجوي انها تجبر الناس عليه بالقوة ، مع علم الملايين من الناس أن أهل الحجاز لا يزالون على مذاهبهم

ولا أنكر مع هذا البيان أنه يوجد في النجديين غلاة في الدين، ولاسيما قريبي العهد بالبداوة وجفوتها وجهالتها ، وهؤلاء الغلاة الجاهلون يجتهد ملكهم بتحضيرهم وتعليمهم ، وقد قاتل في العامين الماضيين طائفة منهم كما هو مشهور ، ولا تجد مثل هذا الغلو في الحضر منهم، وأكثرهم أو كلهم يعرفون أمور دينهم، وأنا أرى وكيل حكومتهم في مصر الشيخ فوزان السابق يصلي الجمعة في المساجد المتعددة فلو كان يعتقد ان أئمتها والمصلين فيها كفار لما كان يصلي معهم

واذا كان حال بدو زماننا على ما نعلم فماذا نقول فيهم قبل بث النجديين للدين فيهم ؟ كانوا يجهلون جل عقائد الاسلام ويتركون أركانه ، ويستحلون قتل الحجاج وغيرهم ، لنوهم ريال واحد يوجد عند أحدهم ، وقد بطل هذا من نجد ثم من الحجاز بارشاد هؤلاء الوهابيين وتنفيذ حكومتهم للشرع

هذا ماقلته في مجلس الصلح رداً على الاستاذ الدجوي بايضاح مافي العبارة المكتوبة دون زيادة في أصل الموضوع

وقلت أيضا انني أنصح لهم بل لملكهم نفسه في كل المسائل التي تشرع فيها النصيحة بمكتوبات خاصة لا بالتشهير في المنار أو الصحف،فان هذا هو الذي يرجى نفعه ويعد امتثالا للامر بالتواصي بالحق والصبر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقد أبلغ في النصيحة والموعظة ما يستكبره ويستنكره بطانة الملك السعودي لانني أسلك فيه طريقة السلف الصالح في موعظة الخلفاء والامراء وهو يحب هذه الطريقة وقد ألفها من علماء قومه

ثم ان الاستاذ الدجوي ادعى انني أنا المعتدي عليه بالرد والتحقير وانه ليس الا مدافعاً عن نفسه فاخرجت من جيبي كتابا كان أرسله الي منذ ١٣ شهراً هو نموذج من رسالته التي أشرت اليها في الهجو والتكفير . . . فامتقع وقبع ، وثنى صدره ليستخفي منه ، وشخصت اليه أبصار القوم حتى تمنى السيد عاصم لو كان بصيراً

خيرا هم، ولكنه قال انني اعترضت عليه قبل هذا فقلت عند دخول مجلة نور الاسلام في سنتها الثانية انها كانت جديرة بالتهنئة لو لا ما ينشر فيها للشيخ الدجوي ...

فقلت له وهل تعد هذا كله عملا بقوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله) ؟

ثم قال الاستاذ المفتي : حسبنا ما ذكر عن الماضي ويجب أن ننظر الآن في أمر الحاضر والمستقبل ، ونعقد الصلح على عدم اثارة شيء مما تقدم ، قال الدجوي : لابد أن يكف الشيخ رشيد اذنابه عما يكتبون في الجرائد انتصاراً له . فقلت أنا انه ليس لي اذناب ولا أتباع ، وهؤلاء الذين يردون على الاستاذ الدجوي وعلى مجلة الازهر في الجرائد ليسوا من أتباعي ولا من تلاميذي وإنما هم من علماء الازهر . والمعروف منهم من أصدقائي وإخواني مستقلون في آرائهم وعلمهم ، وأنا من اشد الناس احتراما لاستقلال الرأي وحرية العلم والمناظرة لاهلها حتى تلاميذي منهم

ووافقني بعض الاشياخ الحاضرين على قولي وقال أحدهم ان هؤلاء الذين يكتبون في جريدتي السياسة والجهاد في الرد على مجلة المشيخة هم من علماء الازهر الذين فصلتهم المشيخة منه في العام الماضي والسيد رشيد غير مسئول عنهم لان لهم مرمى آخر ووجهة أخرى ، وما أظن انهم يرجعون عن الكتابة مهما يكن من امر الصلح والنهي ، فلا يصح أن نجعل كفهم شرطا للصلح ، وهذا لا يمنع ان يرجوهم فضيلة السيد رشيد او غيره أن يخففوا من حدة اقلامهم ويقصروا كلامهم على المناقشة العلمية الهادئة

ثم دار البحث في الطريقة التي يمحى بها ما كان لما كتبه الاستاذ الدجوى في مجلة نور الاسلام من أثر فاتفق الجميع على أن يجاب السيد رشيد إلى ماطلبه من الرد على المسائل التي اتهم بها كتابة علمية لا يعرض فيها لفضيلة الشيخ الدجوي ولا لغيره بما يسوء من طعن شخصي ، بان يذكر التهم واحدة واحدة ويرد عليها بما عنده من الادلة والشواهد من مجلته وتفسيره ، ويرسلها إلى رئيس تحرير المجلة فينشرها فيها ، ولأصحاب الفضيلة المفتي ونائب المحكمة الشرعية العليا ومفتي الاوقاف الحاضرين الحكم الفاصل في موافقة مايكتبه السيد لهذا الشرط أو عدم موافقته ، فرضي الفريقان بهذا

وسأل الاستاذ الشيخ فتح الله سليمان من المسئول بالتزام النشر في مجلة نور الاسلام؟ فقال الاستاذ رئيس التحرير الشيخ محمد الخضر والاستاذ الشيخ طه حبيب المحرر فيها بموافقة الشيخ الدجوي إننا ننشر

ثم ذكر الاستاذ المفتي ما كان سبق اقتراحه في مقدمات الصلح من كتابة الاستاذ الدجوي في المجلة ثناء على الاستاذ صاحب المنار لاجل تحديده، فابى الدجوي البحث في تحديد ذلك وقال انه هو سيكتب مايرجى أن يمحو أثر المقالتين وينشره

واتفق الجميع على انه يحسن في اتقاء تجدد النزاع أن يتشاور الفريقان فيما يعرض للكتابة من المسائل الخلافية ويتفقا على الطريقة التي يكتبان فيها ، كما يحسن أن يتزاور الشيخ الدجوي والسيد رشيد لتأكيد الودة وتوطيدها ، وتمنوا لو يكون هذا الاتفاق تمهيداً لعقد مؤتمر علمي لتمحيص المسائل وحل عقد المشاكل بين العلماء و اصلاح حال المسلمين

ثم نهضوا إلى صلاة العصر مسرورين مغتبطين شاكرين لفضيلة صاحب الدار ومفتي الديار سعيه، وقدم هو السيد رشيدا للصلاة بهم إماما ، فسروا باقتداء الشيخ الدجوي به في الصلاة إذ ظهر به أن ما كتبه في تكفيره نصاً أو اقتضاء فهو عقوبة لا عقيدة. وبعد أداء الصلاة بالجماعة قاموا لشرب الشاي والتحاور الاخوي في شجون الكلام ثم انصرف الجمع مسرورين

ولم نكد نصل نحن الى دار المنار حتى علمنا منها ان مطبعة الاستاذ الدجوي التي يتولى إدارتها ابنه فهمي افندي بدأت توزع في القاهرة أثناء عقد الصلح رسالة اسمها (صواعق من نار في الرد على صاحب المنار) فعلمنا انه حضر مجلس الصلح من جهة ونقضه في وقت عقده من جهة أخرى

فهذه خلاصة خبر المرحلة الاولى لعقد الصلح . وسأبين في المقال التالي ما كان من دعوة فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الازهر الى استئناف الصلح واجتماعنا له في إدارة المعاهد الدينية وفشل هذه المرحلة الثانية أيضاً ، ويتلو ذلك الرد على البهتان الذي ذكرت أمهات مسائله في المقال الاول من غير ذكر اسم الشيخ الدجوي لاني لا أرضى أن أكون مناظراً له ولا خصما ، واعلم ان العاقبة للمتقين

المقال الثالث

(المرحلة الثانية من مراحل الصلح في إدارة المشيخة والمعاهد الدينية)

في مساء يوم الاحد السادس عشر من جمادى الآخرة (وا كتوبر) التقيت في احتفال وزير دولة الافغان المفوض بعيد جلوس ملكهم (صاحب الجلالة محمد نادر خان) بأصحاب الفضيلة شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية ونقيب السادة الاشراف وشربت الشاي معهم على مائدة واحدة وجرى في حديثنا ذكر الصلح، فقلت ان الشيخ الدجوي قد نقض الصلح في أثناء عقده بتوزيعه لرسالته البذيئة. قال المفتي ولكنك أنت لاتنقضه، قلت وهل يكون الصلح من طرف واحد؟ وسألت شيخ الجامع هل اطلعت على الرسالة؟ قال لا. فأخرجتها من جيبي وقرأت له بعض الابيات التى تخاطبني بالكلب والخنزير والوجه المقذور! وقلت أهكذا تكون آداب علماء الدين؟ فامتعض وامتقع ووجم، وقال المفتي ان مثل هذه الرسالة لا تؤثر في مقامك من العلم والدين وسعة الصدر - أو كلاما بمعنى هذا. قلت ولكنها تحط من قدر علماء الدين وشرفهم الذي يجب على الاستاذ الاكبر أن يحافظ عليه. وأما أنا فأتمثل فيها بقول المتنبي * فذاك ذنب عقابه فيه * فلا أجازي على هذه السيئات بمثلها ولا يستطيع عدو أن يبلغ من مجترحها مابلغته منه. ولكن لايسعني بعد اليوم السكوت عن رد المطاعن والتهم التى افتريت علي، وقد أكثر الناس من مطالبتي بذلك مشافهة ومكاتبة ونشراً في الجرائد

قال المفتي اني أرسلت الى الشيخ الدجوي صديقا له يكلمه في وجوب الامساك عن نشر الرسالة ووعدته بان أدفع ثمن نفقة طبعها للطابع ونعود الى إتمام الصلح. قلت ان الطابع لها هو ابن الشيخ الدجوي في المطبعة التي أنشأها له والده وان هؤلاء لا يصدقون، وأنا لايهمني نشرها ولا جمعها، ولا يهمني نقض الدجوي للصلح ولا وفاؤه به، وانما يهمني شيء واحد وهو ان تنشر لي مجلة مشيخة الازهر ما أفند به التهم التي نشرتها له، وأنا على شرطي من اجتناب الطعن والهجو الشخصي وفي اليوم التالي كتبت مقالي الاول وأرسلته الى الجرائد فنشرته في ٢٠ و ٢١ من الشهر،

فلما قرأه شيخ الازهر اهتم بالامر، فكلم المفتي في وجوب تداركه في ابانه، وأخذه بربانه، قبل أن أبسط المسألة في الجرائد، فيتسع الخرق على الراقع، فكلمني المفتي بالمسرة وهو معه مبتدئا بعتابي على النشر في الجرائد، فكان هذا أول تجانف منه وتزاور عن موقف القسط الذي كان يقيم ميزانه، فطفقت أحتج فقاطعني قائلا ان الاستاذ الاكبر معي يدعوك الى الاجتماع في إدارة المعاهد الدينية يوم الاربعاء للنظر في المسألة فاذا قبلت فلك هنالك أن تدلي بكل ماعندك وننظر فيه بالانصاف. قلت لا بأس واني لمجيب، قال واني أرسل اليك السيارة عند انتهاء الساعة العاشرة، ونرجوك ان تمسك عن النشر حتى نجتمع وننظر في الامر

اجتمعنا في الساعة العاشرة و ٣٠ دقيقة وكان في المجلس أصحاب الفضيلة شيخ الجامع والمفتي ووكيل الازهر والمعاهد الاستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام والاستاذ السيد الشنواني وهو نائب عن الاستاذ الدجوي الذي سافر الى بلده في الريف لحضور مأتم فيها

بدأ الاشياخ الكلام بعتابي على النشر في الجرائد فقلت هل من العدل والانصاف أن يطلب مني السكوت عن الدفاع عن نفسي وبيان حقي فى مسألة تداولتها الصحف اليومية، وتناولتها أيدي جميع طبقات الامة، وكثر تساؤل الناس كيف يسكت صاحب المنار عن الرد على التجني عليه وبهته بأفحش البهائت في دينه وعلمه وأدبه؟ والقاعدة الاصولية انه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، وهو قد تجاوز الحاجة معي الى الضرورة، فالى متى ينتظر مني أن أسكت وقد سكت أكثر من شهر ونصف شهر؟ قال المفتي لا تقول إنه لا حق لك في البيان، ولكني لم أفهم منك في دار سفارة الافغان أنك عزمت على الرد في الجرائد، وقد تعرضت في مقالك للكلام في الازهر ولا يصح ان نجعل الازهر مضغة في الافواه بخوض الجرائد فيه وأنت تحرص على كرامته مثلنا

قلت نعم ولكن اللوم كله على مشيخة الازهر فالطعن علي قد ظهر في مجلتها في أول الشهر الماضي، ثم تكرر في أول هذا الشهر بعد السعي من قبلها في الصلح وكان من أمر نقض الصلح ماعلمتم، فأنا أصارحكم هنا بأنني لا أبالي بطعن الشيخ الدجوي ولا بتكفيره لي، ولا بنقضه للصلح، ولا برسالته البذيئة التي ذكرت لكم

بدار سفارة الافغان رأيي فيها، وفيما يجب على مشيخة الازهر تجاه صدور مثلها عن رجل من كبار علمائها الرسميين، وخاطبت شيخ الازهر مصرحا له بما كنت أفعله لحفظ شرف الازهر لو كنت في منصبه (ولكنني لا أنشر هذا ولا ما أقمت عليه الدليل من حرصي على كرامة فضيلته واجتنابي مشايعة الجرائد على خوضها فيه)

وقلت ان السيد عاصما قال للذي يبيع الرسالة البذيئة في الازهر انني اطلب مائتي نسخة لارسالها الى الخارج فأين أجدها ؟ قال عند فضيلة الاستاذ الدجوي، فخطر في بالي انه ربما كان يريد نشرها في الخارج لاجل فضيحة الازهر بها ولكن فاعل هذا الانتقام يدخل في عموم (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا) فلهذا نهيته عنه

ثم قلت ولكن الذي أباليه وأهتم به محصور في مجلة المشيخة . هذه المجلة التي أقمت الدليل في تقريظي لها على أنني أتمنى لو يكون توفيقها لخدمة الاسلام والمسلمين أكبر وأتم مما وفقت له في المنار، لان خدمة المنار لا يرجى أن تتجاوز عمري وقد دخلت في سن الشيخوخة ولم يبق من العمر إلا قليل ، ومجلة نور الاسلام تابعة لهيئة اسلامية غنية يرجى بقاؤها وأقسمت على صدقي في شعوري هذا (وكادت تغلبني الدموع على الكلام ، فدعا لي الشيخ الاكبر ومن معه بطول العمر ودوام التوفيق)

ثم قلت وانه ليحزنني أن يخيب أملي وأمل كل من أعرف من فضلاء الازهريين وغيرهم في المجلة بل زارني من لم أكن اعرف من الخطباء الذين يطوفون في البلاد لبث الوعظ والارشاد من قبل المشيخة، فسمعتهم يقولون ان هذه المجلة أوقعتنا في مشكلة فنحن ننهي الناس عن البدع ولا سيما بدع المقابر والموالد ثم تجيء مجلة المشيخة والمعاهد تدافع عن هذه البدع وتتأول لفاعليها بما يعد أعمالهم هذه مشروعة (وذكرت من اقوال ارقى علماء الازهر فيها ما لا حاجة الى اذاعته في الصحف الآن) حتى انتهى امرها الى نشر المقالتين الاخيرتين في الطعن علي ، ولا شك في انه طعن بسوء النية لما فيه من الافتراء والبهتان وتحريف الكلم في النقل، ولم يترك كاتبه شبهة ولا خاطر أيرى انه يثبت للناس فيه جهل صاحب المنار إلا وكتبه ونشره حتى انه يذكر أصغر الامور التافهة مع التكفير وكبائر الموبقات كتجهيله لصاحب المنار بالنحو لاستعماله كلمة

القبوريين واظهاره لحجته بإيراد قول ابن مالك * والواحد اذكر ناسبا للجمع *
ولا يجهل مثله ان شرط امتناع النسبة إلى الجمع ألا يكون علما أوجرى مجرى العلم كالجزائري والمقابري والانصاري والكرابيسي والمصاحفي، وذكرت أمثلة أخرى من أنساب العلماء والمحدثين. وقلت إن كلمة القبوريين قدجعلت علما على المفتونين ببدع القبور وقد استعمل العلماء هذا في كثير من الكتب المطبوعة ومن أشهرها كتاب (صيانة الانسان) الذي رد به أحد علماء السند على الشيخ احمد دحلان في طعنه على الوهابية ويعاد طبعه الآن

ومن الغريب انه اتهمني بأني أحل الربا بافتائي بجواز الانتفاع بالرهن وانما كانت فتواي بهذا نقلا لعبارة كتاب المغني في المسألة، وهو أجل كتب الفقه او من أجلها ولم أزد عليها إلا قولي: ومنها يعلم الحكم في المسألة — وأرى جميع علماء الازهر يأكلون الربا والله تعالى قد توعد آكلي الربا بأشد الوعيد لا من ينقل قول أئمة الفقه في الرهن وغيره

قال المفتي: وهل مال الحكومة كله أو أكثره من الربا؟ قلت اني لا اعني مال الحكومة المختلط وانما اعني ان المخصص لميزانية الازهر والمعاهد الدينية من ميزانية الحكومة العامة يوضع في البنك الاهلي ويضاف عليه من الربا مثل ما يضاف على سائر ميزانية الحكومة، ومشيخة الازهر تسحبه من البنك كسائر مصالح الحكومة فهل كنت أنا الذي أفتيت مشيخة الازهر بهذا؟ وجرى كلام آخر في حكم المال المختلط من حرام وحلال لا محل لبسطه هنا وعلمت منه أن المفتي لا يأخذ من الازهر راتبا.

ثم قال الاستاذ الاكبر اننا اجتمعنا هنا لنضع حداً لهذا النزاع والمطاعن بصلح ثابت نمنع به نشر هذه الردود فى الجرائد لانها تزري بالعلماء

قلت انى أكرر ما قلته مراراً وهو أن لي الحق ان انشر فى مجلة نور الاسلام وفى الجرائد رداً على التهم التي افتريت علي ملتزما فيه ما وعدت به من تلقاء نفسي قبل الاجتماع لعقد الصلح وبعده من اجتناب الطعن الشخصي فى الشيخ الدجوي. واذا رضيت المشيخة بعزو تلك التهم الى المجلة من دون ذكره فاني ارضى بهذا. وقد غيرت مقدمة المقال الذي كنت ارسلته إلى رئيس تحريرها بهذه الصفة وأخرجته من جيبي وقرأت لهم اكثرها — فوافقوني على النشر فى مجلة نور

الاسلام بعد اطلاعهم على ما اكتبه ورؤيته موافقا لما اشترطته على نفسي فيه وعدم نشر شيء في الجرائد ولا كتابة ما يعد طعنا على الازهر

قلت انه ليس من دأبي الطعن على الازهر ولا على أحد ولكن الكتابة في إصلاح التعليم والتربية في الازهر وغيره من أهم مقاصدي التي أنشأت المنار لاجلها وهذا معروف فيه منذ ٣٥ سنة

قال المفتي هذا صحيح ولا يطالبك أحد بترك الكتابة في الاصلاح ولكن إذا عرض لك أن تكتب في إصلاح التعليم في الازهر فنقترح عليك أن تعرض رأيك أولا على الاستاذ الاكبر للتشاور فيه ثم تكتب ما تتفقان عليه - أو قال ما يقرب من هذا - وكانت هذه الكرة الثانية التي تحيز فيها فضيلة المفتي إلى جانب المشيخة بما فيه هضم لحقي في حرية الكتابة ، وهي لا تقل عندي عن حرية الرقبة

وقد تذكرت بمناسبتها ما رواه لي المرحوم الاستاذ الشيخ احمد ادريس عضو المحكمة الشرعية العليا عن الاستاذ الامام أنه قيل له في الاسكندرية : نرجوك أن تمنع صاحب المنار من الطعن في السلطان والدولة العلية فان هذا من السياسة وهي ليست من موضوع مجلته الدينية . فقال لهم الاستاذ الامام : انني والله لا أعرف أحداً من الناس أشد استقلالا في الرأي من صاحب المنار ، وكيف أقول له هذا وهو يعلم كما أعلم أن دين الاسلام دين سياسة لا دين عبادة فقط ، وكل ما يمكن أن أقوله له في هذا الموضوع إني رأيت كثيراً من محبي المنار يسوءهم الانتقاد فيه على الدولة وانني أنا أظن انه غير مفيد لما يرجوه منه - أو ما هذا معناه

بيد أنني أعتقد أن المفتي حسن النية فيما قال ، وانه يريد به الاتصال بيني وبين شيخ الازهر للتعاون على خدمة الاسلام - فأجبته بما يفهم منه رد اقتراحه بالفحوى وهو أن رأيي قد يخالف رأي الاستاذ الاكبر في هذا الاصلاح وأنني ذكرت لفضيلته منذ أشهر رأيي فيما أنتقده على تعليم الازهر للعقائد وما يجب من الاصلاح له بدار الدكتور عبد الحميد سعيد بحضور كثير من أهل العلم والرأي فلم يرده ولم يقبله ، ولعلك تذكر اذ التقينا في هذا المكان في العام الماضي وعاتبني الاستاذ الاكبر على عدم زيارتي له قائلا اننا اخوان ومقصدنا في خدمة الاسلام واحد وان كنا نختلف في بعض المسائل ، وذكرت أنت - الخطاب للمفتي - ان من الضروري أن نجتمع ونتعاون على خدمة الاسلام . ولعلك تذكر أيضا انني اعتذرت يومئذ

للاستاذ الاكبر عن عتابه اللطيف المتواضع بانني رجل صاحب شغل كثير فلا أجد فراغا للزيارات . ولكن فضيلته اذا دعاني في اي وقت لاجل عمل او تشاور في خدمة الاسلام وهو شيخ العلماء ورئيسهم فانني أمتثل أمره

ففهم الشيخان بل الاشياخ الثلاثة من هذا الجواب ان هذا الاقتراح لا يعقل ان يقبل ، وظللنا متفقين على ان أرد على التهم وحدها وان ينشر ردي في مجلة نور الاسلام بشرطه ، ولكن الاستاذ الوكيل قال ان الرد على تلك المسائل كلها بالتفصيل يطول واقترح الاكتفاء بمقالة واحدة . قلت لا يمكن دحض التهم بمقالة ولا ثنتين ولا ثلاث

ثم اقترح الاستاذ الاكبر ان يكتب الاستاذ الدجوي اعترافا منه بخدمة السيد رشيد رضا للاسلام يمضيه وينشر في المنار ، ويكتب السيد رشيد اعترافا مثله بخدمة الاستاذ الدجوي للاسلام يمضيه وينشر في مجلة نور الاسلام !!! وكانت هفوة من الاستاذ الاكبر

قلت ياسبحان الله أأكون انا صاحب الحق المعتدى علي وأكلف ان أزكي الجاني الطاعن تزكية تنشر في المجلة التي نشر فيها بهتي بالتكفير والتجهيل ، كأنني اقول لقرائها انه مصيب فيما كتب !! وتذكرت مالم أكن أذكر من قول الشاعر :

ولم أر هضما مثل ظلم ينالنا يساء الينا ثم نؤمر بالشكر

وقول الآخر * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر *

ولكن الاستاذ فطن لهفوته فقال بل ينشر كل من الاعترافين في المجلتين وفي الجرائد وبهذا ينتهي كل القيل والقال — او ماهذا معناه

قلت قد عرفتم رأيي في الاستاذ الدجوي واني لا أرى خصما لي فيما نحن فيه الا مجلة المشيخة ، وان حقي الشرعي عليها وحق قرائها ان تنشر لي ما أرد به على ما نشر بشرطي المقبول عندكم ، وحسبي ألا أطعن فيه على شخص الدجوي فهل أكلف أيضا ان أزكيه ؟ فان كانت المشيخة ترى من الحق والعدل أن يكتب شيئا يكفر به عن مطاعنه فذلك شأنها او حق عليها ، وان كتب ما أراه مبرئا لي فقد أكتب خيرا مما كتب

ودارت أحاديث أخرى في بعض مسائل الطعن ومسألة البدعة في الاذان

وأمر الاستاذ الاكبر السيد الشنواني ان يجمع نسخ رسالة الطعن من الازهر والمطبعة والمكاتب ويأتي بها كلها الى إدارة المعاهد لتحفظه فيها . فقلت الى متى؟ قال الاستاذ المفتي هذه النسخ يجب اتلافها او احراقها . ثم انصرفنا، وقد علمت أن أمر الاستاذ الاكبر بجمع الكتاب ووضعه في إدارة المعاهد لم ينفذ وهو لا يزال يباع في مطبعة الدجوي وفي بعض المكاتب ولكن أعطيت المشيخة ٢٧٠ نسخة منه (فاعتبروا يا اولي الابصار) (*

ولم يكتف الاستاذ الدجوي بهذا بل عاد الي الطعن علي برسالة نشرها في جريدة الجهاد (٢٣ من الشهر) فأرادت المشيخة ان تستأنف معي قطع مرحلة ثالثة للصلح ، لمنعي من النشر في الجرائد وان تكون حكما بين الخصمين وتكررت مخاطبتها لي بذلك مراراً بالمسرة (التلفون) لاجل الاجتماع في إدارة المعاهد فأبيت، ثم بعرض صحيفة لامضائها فاستنكفت ، وكان جوابي في كل مرة عين ما قررته في المرحلة الثانية وصرحت لفضيلة الاستاذ الوكيل من قبله بان التنازع انما هو بيني و بين المشيخة ، فلا يصح أن تكون هي الخصم والحكم ، وان الصلح بيننا انما يكون بان تنشر لي في مجلتها ما أرد به على تهمها بالشرط الذي تكرر ذكره . وأما الشيخ الدجوي فهو من رجالها الموظفين فلها حكمها في عمله وفي كفه عن عدوانه ، او اطلاق عنانه ، وهي المسئولة عنه عند الله وفي عرف عباده ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)

---

*) اني رأيت كل من كلمني في هذا السعي للصلح وما وقع فيه يعتقدون أن شيخ الازهر هو المغري للدجوي بما كتب أولا وآخراً وأنه لم يكن له غرض في الصلح إلا منعي -من فضيحتهم- في الجرائد إذ لا يعقل أن يكون عاجزاً عن منعه من نشر الكتاب وصرح لي أبهم أشد حرية معي بأني خدعت ، وأما أنا فكل غرضي من مواتاتهم السماح لي بالرد في مجلة الازهر ليعلم قراؤها الحق من الباطل ، والعلم من الجهل . وهو حق شرعي وقانوني

المقال الرابع

(مقدمة تاريخية للرد على مجلة مشيخة الازهر في تصدي المنار للاصلاح ومقاومة الشيوخ له)

ان هذا التنازع والتخاصم بين مجلة المنار ومجلة مشيخة الازهر تنازع في مسائل من كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) وطريق فهمهما ودفع ما يرد عليهما من الشبهات العصرية وما عارضهما من شوائب البدع، فمن حق الامة أن تعرفه وأن يكون لها حق الحكم فيه، وأرى من المفيد لها في أسباب صحة الحكم أن أقدم على الرد العلمي على مسائل التهم البهتانية مقدمة تاريخية وجيزة في تصدي المنار لاصلاح التعليم والتربية في الازهر ومقاومة البدع والخرافات في المسلمين وعداوة بعض الاشياخ له ـ حملني عليها استعداء الشيخ يوسف الدجوي مشيخة الازهر علي في مقالته التي نشرها في جريدة الجهاد يوم الاحد ٢٣ جمادى الآخرة واغرائه اياها بما يرجوه من سعيها لاسقاط المنار، وهو شيء سعى له هو وغيره من قبل فخاب سعيهم، وقد دونت هذا بالتفصيل في مجلدات المنار وفي الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام (رح)

وأذكر هنا حكاية فكاهية في الموضوع لم تدون من قبل كان قصها علي أحد علماء الجامع الاحمدي خلاصتها ان أحد وجهاء طنطا الموافقين لمذهب المنار في محاربة البدع زار شيخ الجامع الاحمدي فى أيام مولد البدوي منذ سنين خلت وكلمه فى المنكرات التى تقع فى المسجد الجامع وعند ضريح السيد وما يجب عليه من العمل لابطالها وانقاذ المسلمين من فضائحها التي يعيرنا بها الاجانب، فوافقه الاستاذ على ذلك ووعده بالسعي لابطالها بالتدريج . وبعد أن انصرف زار الشيخ رجل آخر من القبوريين فقال له: يامولانا الشيخ ان مجلة المنار قد فضحتنا بما تكتبه فى منكرات الموالد والتوسل بالاولياء وآل البيت فالى متى أنتم ساكتون عنها؟ فقال له الشيخ انا نفكر فى تأليف لجنة من العلماء لبيان أغلاط المنار المخالفة للشرع والرد عليها

ثم بلغنا فى سنة ١٣٣٥ انه قد ألف بعض علماء الازهر جمعية لمثل هذا الغرض الذي كان وعد به شيخ الجامع الاحمدي الذي يسمى الآن (معهد طنطا) بعد أن أعلن الحرب على المنار اثنان منهم أحدهما الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي والآخر المرحوم

الشيخ عبد الباقي سرور . فشرعا في نشر مقالات لهما في جريدة اسمها الافكار ، وكانت معركتهما الاولى مسألة من المسائل التي أثارها الشيخ الدجوي في معركته الحاضرة وأشرت اليها في المقالة الاولى وهي ابوة آدم عليه السلام للبشر وما يعارضها من مذهب دارون وقول الاستاذ الامام انه إن فرض ثبوت نظريته في تعليل الانواع فانها لا تنقض شيئا من نصوص القرآن القطعية فيظل القرآن فوق كل شيء

فلما رأيت ان مطاعنهما تدل على انهما يكتبان مالا يعتقدان وما لا يفهمان بمحض البغي والعدوان ، دعوت البادىء منهما وهو الشيخ عبد الباقي إلى المذاكرة والمناظرة في المسألة بالمشافهة ومعاهدة الله على الاخذ بما يظهر من الحق و إلا رفعت عليه قضية الى محكمة الجنايات ، فأبى المناظرة فرفعت القضية وفي يوم الجلسة حضر المحكمة كثير من علماء الازهر . وانتهت القضية بالصلح الذي ساء أولئك الشيوخ فقالوا له : والله ان الحكم عليك بأشد العقوبات كان يكون خيراً لك من هذا الصلح المخزي

ولقد كان عفا الله عنه ذكيا قريبا من مذهب المنار الاصلاحي بمقدار بعد زميله عنه ، وانما دفعه الى الطعن حب الشهرة ، وقد عاد بعد أمة من الزمن لما كان سبق له من مودتي ، ولما كتبت مقدمة المغني في أسباب خلاف الامة في الفقه و بيان المخرج من مضاره وما يجب على جميع المسلمين من أحكام الاسلام ، وما لا يجب إلا على من ثبت عنده — قال لي انه لم يكتب مثلها في الاسلام وهي جديرة بأن يطبع منها مئات الالوف من النسخ و يطلع عليها جميع طلاب العلم الاسلامي

وخاف الاستاذ الدجوي أن أرفع عليه قضية تنتهي بحكم مهين، أو صلح خزي مبين ، فتوسل إلى بعض أهل الفضل بالسعي لصلح شريف بالجمع بيننا فاجتمعنا واعتذر الاستاذ عما كان يكتبه بأنه كان عن سوء فهم لا عن سوء قصد، وأن سببه ان الذي قرأ له عبارات المنار عرف بعضها وأعرض عن بعض الخ فقلنا عفا الله عما سلف

ثم ان الاستاذ الدجوي نقض الصلح الاول كما نقض الصلح الاخير في هذه الايام، وألف جمعية للبحث عن هفوات المنار لاجل الطعن والتشهير ، وما هو شر منها من استعداء مشيخة الازهر والحكومة على صاحب المنار للانتقام منه، وهذا ما يحاوله اليوم بما له من المكانة في هيئة كبار العلماء ، والقلم الطعان في مجلة المشيخة الرسمية ، وبما للمشيخة من النفوذ في الحكومة

ولكن المشيخة كانت أعقل منه وأعلم بسوء تأثير كلامه وما فيه من العار عليها

وعلى الازهر اذا أقرته، فقد سعت لانتياشه مما تهوك (١) فيه فعجزت عنه فلم تستطع منعه من استمرار الطعن علي في أثناء المفاوضة في الصلح ولا بعد عقده، لضعفها عن تنفيذ سلطتها الرسمية عليه، حتي ان رئيسها الاستاذ الاكبر أمر بجمع الرسالة البذيئة ووضعها في إدارة المعاهد وصرح بتألمه منها فلم ينفذ أمره (كما تقدم) وهو مرءوس له وموظف عنده، وأجدر بعجز الرئيس عن المرءوس فيما هو صريح حقه عليه في قانون الازهر أن يكون مثار العجب، فهل سببه قوة الارادة وضعفها، أم هنالك قوة خفية يعتز المرءوس بها. ومن مظاهر هذا العجز أن يكون الغرض من الصلح إقناعه بالكف عن هذه الكتابة التي لا تسلم المشيخة من عارها، بل لا يعرف في تاريخ الازهر وسيرة شيوخه مثلها – وأن يكون هذا الصلح بأخذ وثيقة مني بدفن الماضي قبل أن تظهر براءتي من مطاعنه، وأن ترضى المشيخة بجعل الرد عليها وعلى مجلتها دونه. وأن يظل هو مع هذا كله يستعديها علي، ويوجب عليها الانتقام مني، ويصفها بقوله «وهي المشرفة على جميع المسائل الدينية وصاحبة السلطان على ذويها بنص القانون» كأن قانون الازهر وضع لتسيطرة على غير أهله، والانتقام لشيوخه من غيرهم بالباطل (٢) فكانت المشيخة بسعيها هذا كمن يحاول انقاذ الغريق فغرق معه، فهي انما رغبت إلي بأن أنقذها

---

١) الانتياش من النوش وأصل معناه التناول واستعمل الانتياش في الانقاذ من الهلكة وما في معناها. قال ابن دريد:

ان ابن مكيال الامير انتاشني　　من بعد ما كنت كالشيء اللقا

واللقا الذي يلقى ويهمل لانه لا قيمة له. والتهوك التهور والتحير. وتهوك في الشيء وقع فيه بلا مبالاة ولا روية، واضطرب في القول وجاء به على غير استقامة

(٢) ألف طالب علم نجدي مجاور في الازهر كتابا في الرد على الشيخ الدجوي عجز عن الرد عليه سماها (البروق النجدية، في اكتساح الظلمات الدجوية) فانتقمت له المشيخة منه بقطع رزقه من الازهر وفصله من الانتساب الى الازهر. وروي لنا أن الاستاذ الاكبر سعي لدى الوزارة لمصادرة الكتاب فامتنعت. ولكن مجلة المشيخة كذبت هذا الخبر وخبر محاولتها شراء كتاب الطالب النجدي. وقد يكون المخبر أصدق من المجلة بدليل افترائها علينا في ديننا وهو لا يستحل هذا

وأنقذه ، وقد علمت الامة انني وانيت ، ثم عجزت بعجزها عنه فانثنيت . وأمسكت عن بيان الحق شهراً ونصف شهر

وأما هو فرأيي في عدوانه الاخير كرأيي في عدوانه الاول (سنة ١٣٣٥) ولولا ان كان عدوانه هذا في مجلة مشيخة الازهر الرسمية، وأن كان الساعي للصلح معه الاستاذان الاكبران: شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية، لاجتنبت ذكر اسمه اليوم كما اجتنبته من قبل حفظا لكرامة الازهر وكرامتي كما علات ذلك في وقته ، ورأيي في جمعيته واستعدائه اليوم هو رأيي في مثلهما بالامس . ومنه ان مثلي لا يرد على مثله، لانني لا أستطيع ان أناظره بمثل هجوه الذي أتنزه عن وصفه ، لئلا يقال انني شاركته في شيء منه ولو بتسميته باسمه ، ولانه يفتري التهم ، ويحرف الكلم ، ويقول ما لا يعلم وما يعلم خلافه، وذلك لا يمكن أن يكون خدمة للعلم ولا لبيان الحق . وسيرى القراء الشواهد على هذا فيما ننشره من الرد . ولو أنني أعرف كلمة في اللغة أخف من الافتراء والتحريف تؤدي معناهما لما كتبتهما . وأحمد الله أن رضيت المشيخة بجعل الرد على مجلتها لا عليه ، لانه يغنيني عن عزو كلامه اليه

وانني انقل للامة في جرائدها ما كتبته بشأن عدوانه الاول في فاتحة المجلد العشرين من المنار الذي صدر في شوال سنة ١٣٣٥ بعد بيان مذهب المنار في الاصلاح وهذا نصه

﴿ كلمة المنار في المجلد العشرين سنة ١٣٣٥ ﴾

« تلك دعوة المنار ، التي رددت صداها الاقطار ، فكانت كالبرق المبشر بما يتلوه من المطر ، في نظر سليمي العقول صحيحي الفطر ، وكالصواعق المحرقة على أهل البدع ، ومتعصبي الاحزاب والشيع ، وقد آذانا لاجلها الظالمون فصبرنا لله بالله، ولم نكن كمن أوذي في الله فجعل فتنة الناس كعذاب الله ، وجهل علينا بعض أحداث السياسة المغرورين ، وبعض أدعياء العلم الجامدين ، فقلنا « سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين » وكاد لنا أعداء الدعوة كيداً خفيا ، أضر بنا ضررا جليا ، إذ حجب المنار عن كثير من قرائه الاخيار ، وحرمنا بذلك وبغيره كثيراً من المال، وحسبنا أن حمد الدعوة كل من عرفها من طلاب الاصلاح ، وأهل الروية والاستقلال ،

« وأما الازهريون خاصة، فقد كانوا أزواجا ثلاثة، فقليل من الشيوخ وكثير من الشبان ، يرون أن المنار من ضروريات الاسلام في هذا الزمان ، وكثير من الشيوخ

والشبان يكرهون منه حمد الاستقلال وذم التقليد ، ورمي جماهير علماء العصر بالجمود والتقصير ، والسواد الاعظم منهم مشغولون بأمور معيشتهم ، وبمطالعة دروسهم ومناقشات طلبتهم ، عن النظر في مثل المنار لتقريظ أو انتقاد ، وعن كل مايتجدد في الدنيا من إصلاح و إفساد

« وقد دخل المنار في السنة العشرين ، ولم ينتقده أحد من الازهريين ، إلا أنه قام في هذا العام شاب متخرج في الازهر فنشر في بعض الجرائد الساقطة مقالات سب فيها صاحب المنار وكفره ، بانيا ذلك على زعمه أنه أنكر كون آدم أبا لجميع البشر ، على أن المنار قد صرح باثبات هذه الابوة تصريحات آخرها ما في الجزء الاول من المجلد التاسع عشر ، وزعمه أنه فضل شبلي شميل على الخلفاء الراشدين ، و يعلم كذب هذا الزعم مما نشرناه في شميل من ترجمة وتأبين ، ومن لايزعه هدي القرآن ، عن السب والكذب والبهتان ، قد يزعه عقاب السلطان ، لهذا رفع أحد كبار المحامين عنا أمر هذا الطعن إلى محكمة الجنايات ، بعد أن أنذرنا بذلك كاتب المقالات ، ونصحنا له بلسان بعض ذوي رحمه وصحبه ، بأن يستحلنا تائبا من ذنبه ، فلم يزده ذلك إلا اصراراً على الذنب ، وتماديا في الطعن والسب ، ولكنه جنح في المحكمة للسلم ، وطلب هو وصاحب الجريدة من رئيسها الصلح ، على أن يعتذرا عما اتهما به من المطاعن الشخصية ، و يعترفا باحترام عقيدة صاحب المنار وآرائه الدينية ، وأمضيا عبارة في ذلك أثبتت في محضر القضية . وقد قبلنا ذلك منهما ، وكان خيراً لهما لو فعلاه من تلقاء أنفسهما ، على أنهما عادا إلى هذيانهما ، ولا قيمة عندي لمثل هذا الكلام ، فانه مما يقال لصاحبه سلام ، وانما ذكرناه في فاتحة المنار ، التي نشير فيها عادة إلى ماتجدد في تاريخ الاصلاح ، تمهيداً لذكر ماقيل انه ترتب على تلك القضية ، من تأليف جمعية أزهرية ، لأجل البحث عن أغلاط المنار الدينية والعلمية ، وبيانها للناس وللحكومة المصرية ، ذكرت ذلك الجريدة التي وقفت نفسها على الطعن في صاحب المنار ، متوهمة انه سيترتب عليه ابطال المجلة او اخراج صاحبها من هذه الديار ، لان عند أعضاء هذه الجمعية من حقائق العلوم الازهرية ، ما ليس عند صاحب المنار الذي تلقى العلم في البلاد السورية ،... فنقول للواهمين ، ولمن يمدونهم في غيهم من المغرورين : انا نعلم من كنه علم الازهر مالا تعلمون ، فاعملوا على مكانتكم انا عاملون ، وانتظروا

انا منتظرون (٩ : ١٠٦ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)

«اننا ندعو الى الله على بصيرة، ونكتب ما نكتب عن علم و بينة، ولكننا كغيرنا عرضة للخطأ والغلط، كما هو شأن غير المعصومين من البشر، فلهذا ندعو قراء المنار في كل عام، الى أن يكتبوا الينا بما يرونه فيه من الاغلاط والاوهام، لننشره فيه، فيطلع عليه جماهير قارئيه، وانا لنتمنى ان تؤلف لجنة من علماء الازهر، تقرأ مجلدات المنار التسعة عشر، وتحصي ما تراه من الاغلاط المتفق عليها، بقدر ما يصل اليه علمها وفهمها، وان تتحرى في ذلك ما يليق بكرامة اهل العلم، من صحة النقل والتروي في الحكم، واجتناب الطعن والبذاء، والسخرية والاستهزاء، وانا نعد ذلك اذا سمت اليه همة بعض الازهريين، أعظم خدمة للمنار يخدم بها العلم والدين، ونعد بأن ننشر لهم ما يكتبونه فرحين مغبوطين، مقرين إياهم على ما نراه فيه من الصواب، مبينين ما نراه من الخطأ مع التزام الآداب، وترديد عبارات الحمد والشكر، التي تبقى بقاء الدهر، ولثواب الله خير للذين يصلحون في الارض ولا يفسدون، والذين هم على البر والتقوى يتعاونون (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

«وانا على ضعف أملنا بتحقق تلك الامنية، واحتقارنا لكل ما يكتب بجهالة وسوء نية، ليحزننا ان يقوم في الازهر بعض علمائه، ورئيس جمعية من جمعياته، ينتقم ممن يقاضي بعض أصحابه، بافتراء الكذب عليه (١) ونسبة ما ينقله عن غيره اليه (٢) وتحريف آيات القرآن، استدلالا بها على مارماه به من الكفر

---

(١) ادعى ان صاحب المنار قال ان آدم عليه السلام من سلالة القرود وانه ليس أبا لجميع البشر — وهذا كذب وافتراء — وادعى انه عضو في لجنة ألفت لنشر كتب شميل وهذا كذا كذب مفترى أيضا (٢) عزا الى صاحب المنار أقوالا في خلق الانسان وفي تكفير من يحكم على السارق بغير الحد الشرعي وتلك الاقوال من منقول المنار لا من أقوال صاحبه بل مخالفة لها اه من الاصل

والفسوق والعصيان (١) بذلك الكذب والبهتان ، الذي زاد فيه على ماسبقه اليه ذلك الطعان ، واننا لنكرم كلا من المنار والازهر بعدم ذكر اسمه ، وعسى ان يثوب الى رشده ويتوب من إثمه (٤٩ : ٦ ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين — ١١ ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون)

انتهى ما نقلناه من مقدمة المجلد العشرين من المنار ، وكأنه كتب في هذه الحادثة ، وما أشبه الليلة بالبارحة !

هذا وإني أختم هذه المقدمة بالتنويه بأولئك الشيوخ الكبار الذي كنا ننتقدهم فيما نكتبه في إصلاح الازهر ، فانهم لم ينقموا من المنار صده عن البدع والخرافات ، ولا ما كتبه في افتتان الناس بالكرامات ، ولا إنكار عبادة الاموات ، ولا طعن أحد منهم في ديننا ، ولا بهتنا ولا افترى علينا ، فرحم الله من مات منهم وأطال عمر من بقي ، كالاستاذ العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي ، الذي لم نصرح في المنار بمناظرة أحد منهم غيره ، وانما كانت مناظرة علماء لاعداء فيها ولا إثم ، وقد أثنى أخيراً على مقدمتنا للمغني آكد الثناء ، وهي خلاصة رأينا في الاصلاح (٢)

وقد حاول الخديو أن يحمل بعض الكبار من أولئك العلماء على طعن في المنار يتوسل به الى نفي صاحبه من مصر ، فأبوا ذلك عليه على مايعلم الناس من ضعفهم أمامه . فلم يصل الضعف بهم الى مثل هذا العدوان على عالم يخدم الدين بعقيدة واخلاص ، احتمل في سبيلهما عداوة الخديو والسلطان . وسترى الامة في المقالات الآتية مبلغ المعتدي عليه من العلم والدين الآن ؟

---

(١) استدل بآيات سورة الممتحنة في النهي عن موالاة أعداء الله على ضد ما تدل عليه وأهمل ماقيدته به السورة من كونه فيمن قاتلونا في الدين الخ اه من الاصل

(٢) قد نشرنا هذه المقدمة في كتابنا (الوحدة الاسلامية)

المقال الخامس

البهيتة الاولى انكار الملائكة

زعمت مجلة مشيخة الازهر أن صاحب المنار « قرر أن الملائكة عبارة عن القوى الطبيعية » واحتجت عليه « بالحوار بينها وبين الله تعالى » وبقوله تعالى (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً)

فهل يريد محرر هذه المقالة بما بهتنا به أن يعتقد قراؤها الذين أنشئت لارشادهم بلسان هذا المعهد الاسلامي العظيم أن صاحب المنار لا يؤمن بالملائكة وهو الذي أنشأ مجلته منذ خمس وثلاثين سنة لدعاية الاسلام والدفاع عنه وتبرئته من البدع والخرافات التي تصد عقلاء البشر عنه وتفتح لهم أبواب الطعن فيه وهو المفسر للقرآن بالجمع بين المعقول والمنقول وتنزيهه عن الخرافات الاسرائيلية وغيرها ـ وهو المتصدي للافتاء العام في أصول الدين وفروعه حتى لقبه العلامة الشهير الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي « بمفتي الآفاق ، على رغم أنف كل ذى حسد ونفاق » هل يريد أن يقول في هذا الرجل إنه ينكر أن لله ملائكة منهم الروح الامين مبلغ وحي الله لرسله ، ومنهم حملة العرش ، ومنهم ملك الموت وأعوانه ، ومنهم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب والمدبرات لامور الخلق باذن الله

من كان لا يؤمن بالملائكة فهو لا يؤمن بوحي الله إلى رسله ولا يكون مسلما ولا يهوديا ولا نصرانيا ولا مليا وثنيا . فان كان صاحب المنار من هذا الصنف فلماذا سكت له على كفره هذا علماء الازهر الاعلام وغيرهم من علماء الاسلام مدة ٣٥ سنة وهو يطالبهم في كل مجلد من مجلته كما يطالب جميع من يطلع عليها بأن يكتبوا اليه بما يرونه باطلا أو منتقداً فيها مع بيان دليله لينشره لهم فيطلع عليه سائر قرائه كيلا يضلوا بما ضل هو به ؟ حتى اذا سخط عليه أحد محرري مجلة المشيخة بانتقاده لبعض ما نشره فيها من تأييد البدع والخرافات ، بتحريف الآيات وتصحيح

الموضوعات ، أظهر للناس هذا الطعن انتقاما لنفسه ولها ، لا خدمة للدين ، ولا نصيحة للمسلمين ، فهل كانوا عاجزين أو جاهلين ، أم لا يهمهم أمر الدين ؟

هذا ماتقوله من ناحية الالزام العقلي ، ونقفي عليه ببعض الشواهد الناطقة بعقيدة الايمان بالملائكة واتباعنا عقيدة السلف الصالح فيها ، ويجب أن تكون هذه الشواهد بعضها من كلامنا في التفسير وفي مجلة المنار ، و بعضها من كلام الاستاذ الامام في تفسير المنار نفسه وفي تفسيره هو لجزء عم .

ذلك بأن شبهة المفتري في هذه المسألة هي عبارة للاستاذ الامام قالها في درس التفسير بالازهر ونقلناها عنه في المجلد الخامس من المنار (سنة ١٣٢٠) فاستشكلها بعض من سمعها منه و بلغوه ذلك فوضح مراده في درس آخر ، لا يزال في علماء الازهر الذين حضروه من يذكره. وقد صرح به في مجلس الصلاح أحد محرري مجلة المشيخة ، ثم كتب بيده ايضاحا آخر له نشرته في تفسير الجزء الاول معزواً اليه رحمه الله مطبوعا بحرف أكبر من الحرف الذي نطبع به التفسير ،

فهذه مسألة فرغ منها منذ ٣١ سنة ومن مقاصد إثارتها الطعن في دين الاستاذ الامام وعلمه من وراء حجاب الطعن في صاحب المنار ، مع العلم بأن صاحب المنار اذا كتب فيها فلابد له أن يعزوها إلى الاستاذ الامام ، فيرميه الطاعن بأنه هو الذي أظهر كفر أستاذه للناس ، وكان من حق الوفاء له عليه أن يقبل الطعن على نفسه وحده ولكنه قليل الوفاء. وقد كتب الطاعن مثل هذا في مسألة الطعن علينا بانكار وقوع السحر على النبي (ص) والمنكر له هو الاستاذ الامام في تفسيره لجزء عم لا في المنار وله سلف فيه من أئمة العلماء ، وسيأتي بيان ذلك في محله ، وهاك الشواهد

(الشاهد الاول)

ان اول موضع ذكرت فيه الملائكة من تفسير المنار لسورة البقرة هو قولي في الايمان بالغيب من تفسير الآية الثالثة ما نصه

«الناس قسمان: مادي لا يؤمن إلا بالحسيات ، وغير مادي يؤمن بما لا يدركه الحس أي بما غاب عن المشاعر متى أرشد اليه الدليل او الوجدان السليم ، ولاشك أن الايمان

بالله وملائكته - وهي جنود غائبة لها مزايا وخواص يعلمها الله سبحانه وتعالى - وباليوم الآخر - إيمان بالغيب. اه [من صفحة ١٢٧ من جزء التفسير الاول]

فهل هذا النص على أن الملائكة جنود لله تعالى من عالم الغيب لها مزايا خاصة بها - يتفق هو والقول بأنهم عبارة عن القوى الطبعية ؟

(الشاهد الثاني)

ذكرت في الكلام على الوحي من سياق اعجاز القرآن من تفسير سورة البقرة ايضا ان ملك الوحي يتمثل للانبياء عليهم السلام واستشهدت عليه بآيات ثم قلت « وأما تمثل الملك فكانوا يكتفون في إثباته بقولهم انه ممكن في نفسه وقد أخبر به الصادق فوجب تصديقه . ونقول اليوم ان العلوم الكونية لم تبق شيئا من أخبار الغيب غريبا ، إلا وقربته الى العقل بل الى الحس تقريبا ، بل ظهر من الاختراعات المادية المشاهدة في هذا العصر ، ما كان يعد عند الجماهير محالا في نظر العقل — لا غريبا فقط ، فاذا كان الانسان الكيميائي يحلل الاجسام الكثيفة حتى تصير غازات لا ترى من شدة لطفها ، ويكثف العناصر اللطيفة فتكون كالجامدة بطبعها ، فكيف يستغرب تكثيف الملك لنفسه - وهو من الارواح ذات المرة والقوة العظيمة - بأخذه من مواد العالم المنبثة فيه هيكلا على صورة الانسان مثلا ؟ دع مخترعات الكهرباء العجيبة التي لا يوجد شيء مما اخبر به الرسل من عالم الغيب إلا وفيها نظير له يقربه من الحس لا من العقل وحده . وهل الكهرباء إلا قوة مسخرة للملائكة - اه ويليه كلام في ارواح البشر وقول الامام مالك فيها [راجع ص ٢٢٠ من جزء التفسير الاول أيضا] فهل معنى هذا ان الملائكة من القوى الطبيعية ؟

(الشاهد الثالث)

قلت في الكلام على الملائكة من تفسير آية البر مانصه : إن الايمان بالملائكة أصل الايمان بالوحي لأن ملك الوحي روح عاقل عالم يفيض العلم باذن الله على روح النبي ﷺ بما هو موضوع الدين ، ولذلك قدم ذكر الملائكة على ذكر الكتاب

والنبيين ، فهم الذين يؤتون النبيين الكتاب (٩٧: ٤ تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر ـ ٢٦ : ١٩٣ نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ١٩٤ بلسان عربي مبين) فيلزم من انكار الملائكة انكار الوحي والنبوة ـ إلى أن قلت ـ والملائكة خلق روحاني عاقل قائم بنفسه ، وهم من عالم الغيب فلا نبحث عن حقيقتهم كما تقدم غير مرة (اه صفحة ١٢٣ و ١٢٤ من جزء التفسير الثاني) فهل معنى هذا أن الملائكة قوى طبيعية ؟؟

(الشاهد الرابع)

قلت في تفسير آية سورة النساء (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله) الآية التي اوردها علي مانصه « فالايمان بالله هو الركن الاول ، والايمان بجنس الملائكة الذين يحملون الوحي الى الرسل هو الركن الثاني ، والايمان بجنس الكتب التي نزل بها الملائكة على الرسل هو الركن الثالث . والايمان بجنس الرسل الذين بلغتهم الملائكة تلك الكتب فبلغوها للناس هو الركن الرابع . الخ (راجع ص ٤٥٩ ج ٥ تفسير) فهل يمكن أن يكون المراد بالملائكة الذين يحملون الوحي إلى الرسل (ع. م) من القوى الطبيعية

(الشاهد الخامس)

كتبت فى الصفحة ٣١٦ وما بعدها من جزء التفسير السابع في الكلام على اقتراح المشركين انزال ملك على النبي (ص) والرد عليهم في تفسير الآيتين الثامنة والتاسعة من سورة الانعام بحثا طويلا في عدم استعداد البشر لرؤية الملائكة في صورهم الاصلية لقوله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) أذكر من هذا البحث مانصه :

« والمختار عندنا أن البشر في حالتهم العادية غير مستعدين لرؤية الملائكة والجن في حالتهم التي خلقوا عليها كما قال تعالى في الشيطان (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) لا لانهم لا يطيقونها لهولها بل لأن أبصار البشر لا تدرك كل الموجودات بل تدرك في عالمها هذا بعض الاجسام كالماء وما هو أكثف منه من الاجرام الملونة دون ما هو ألطف منه كالهواء وما هو ألطف منه كالعناصر البسيطة التي يتألف منها الماء والهواء ، والملائكة والجن من عالم آخر غيبي ألطف مما ذكر . وهذا العالم

مما يعده المتكلمون في الفلسفة وراء عالم المادة ، وليس عند المتكلمين عالم غير مادي ولذلك يعدون الملائكة والجن من الاجسام اللطيفة ، ويقولون انهم قادرون على التشكل في صور الاجسام الكثيفة ، فمثل تشكلهم كمثل تشكل الماء في صورة البخار اللطيف والبخار الكثيف (كالسحاب) وصورة المائع السيال وصورة الثلج والجليد ولكن الماء يتشكل بما يطرأ عليه من حر وبرد بغير اختيار منه ، وذانك يتشكلان باختيارهما اذ جعل الله لهما سلطانا على العناصر التى تتركب منها مادة العالم أقوى من سلطان البشر الذين يتصرفون فيها بأيديهم لا بأنفسهم وماهياتهم ، فهم لا يقدرون على تحليل أبدانهم وتركيبها مع غيرها من الموادفاذا تمثل الملك أو الجان في صورة كثيفة كصورة البشر أو غيرهم أمكن للبشر أن يروه ولكنهم لا يرونه على صورته وخلقته الاصلية بحسب العادة وسنة الله في خلق عالمه وعالمها ، فاذا وقع ذلك كرؤية النبي (ص) لجبريل مرتين كان من خوارق العادات ، والخوارق لا تثبت إلا بنص ، لانها خلاف الاصل ، على أن رؤيته بصورته لا ينافي التشكل ، إذ يجوز أن تكون مادة صورته اللطيفة التي لا ترى قد ظهرت بمادة كثيفة فيكون التشكل في هذه الحالة بمادة جديدة مع حفظ الصورة الاصلية ، والتشكل في غيرها بالمادة والصورة معا ، وعلى أن لأرواح الانبياء من التناسب مع أرواح الملائكة ما ليس لغيرها ، ففي الحال التى تغلب بها روحانيتهم على جثمانيتهم يكونون كالملائكة فيجوز أن يروهم بأي صورة وشكل تجلوا لهم فيه » اه

(الشاهد السادس)

كتبت في ص ١٦٢ وما بعدها من جزء التفسير السابع بحثا آخر في تشكل الملائكة والجن في الصور ورؤيتهم في هذه الحالة وفيه إثبات رؤية النبي (ص) لغير جبريل من الملائكة ورؤية بعض الشياطين

(الشاهد السابع)

قلت في تفسير (ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) وهي آخر آية من سورة الاعراف ما نصه: أي ان ملائكة الله المقربين الذين هم عنده كحملة عرشه والحافين من حوله ومن شاء تقدس وتعالى بهذه العندية الشريفة التي لا يعلمها سواه وهم أعلا مقاما من الملائكة الموكلين بالمخلوقات وتدبير نظامها لا يستكبرون عن عبادته الخ فراجعه في (ص ٥٥٨ من جزء التفسير التاسع)

ولو شئت ان اذكر جميع الشواهد من تفسير المنار على ان الملائكة خلق روحاني مستقل قائم بنفسه، وانهم أنواع أولو عبادات مختلفة واعمال كثيرة لايحيط بها إلا خالقها، وان الايمان بها واجب، وإنكارها كفر لازبـلمل القارئ لها

وهذه الشواهد نصوص قاطعة في ذلك بدحض المفتري لهذه البهيتة التي أراد بهتنا بها من إيهام المطلع على كلامه أننا ننكر حقيقة الملائكة ونجعلهم أعراضا لغيرهم . ونقفي عليها بدحض شبهات علينا من كلام الاستاذ الامام يشتمل على شواهد أخرى من كلامه وكلامنا أخرناها لمناسبتها لها ؟

المقال السادس

شبهة الطاعن المحرف فى مسألة الملائكة

ان تفسيرنا للآيات الواردة في قصة آدم عليه السلام من سورة البقرة قد بلغت ٣٣ صفحة من الجزء الاول من تفسير المنار (صفحة ٢٣١ الى ٢٨٤) وأكثره لشيخنا الاستاذ الامام قدس الله روحه ـ فانتزع طعان مجلة الازهر منها عبارة واحدة فرعية محكية جعلها أصل الموضوع وعقيدة لصاحب المنار في الملائكة بقول الزور، وانما هي حكاية حكاها الاستاذ الامام عن بعض الناس ونقلها مؤلف التفسير عنه ،فلو كانت كفراً لكانت من باب حاكي الكفر ليس بكافر فكيف بالحاكي عن الحاكي، واننا نلخص الموضوع في خمس مسائل بعبارة مختصرة يفهمها كل قارىء

(المسألة الاولى)

ان آيات محاورات الملائكة للرب عز وجل في خلق آدم عليه السلام من المتشابهات الواردة في شأن عالم الغيب وان لعلماء المسلمين في مثلها طريقتين (إحداهما) طريقة السلف وهي التنزيه الذي أيد العقل فيه النقل... وتفويض الامر إلى الله تعالى في فهم حقيقة ذلك مع العلم بان الله يعلمنا بمضمون كلامه ماتستفيد به في أخلاقنا وأعمالنا وأحوالنا ويأتينا في ذلك بما يقرب هذه المعاني من عقولنا ومخيلاتنا

(والثانية) طريقة الخلف وهي التأويل . يقولون ان قواعد الدين الاسلامي وضعت على أساس العقل فلا يخرج شيء منها عن المعقول . فاذا جزم العقل بشيء وورد في النقل خلافه يكون الحكم العقلي القاطع قرينة على ان النقل لا يراد به ظاهره ولا بد له من معنى موافق يحمل عليه فينبغي طلبه بالتأويل

(قال الاستاذ) وأنا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله وصفاته وعالم الغيب. واننا نسير في فهم الآيات على كلتا الطريقتين لانه لابد للكلام من فائدة يحمل عليها لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد له معنى

هذه عبارة الاستاذ الامام التي أوردتها في ص ٤٢ من مجلد المنار الخامس ثم في ص ٢٥٢ من جزء التفسير الاول ثم زدت عليها قولي :

(وأقول) أنا مؤلف هذا التفسير انني ولله الحمد على طريقة السلف وهديهم عليها أحيا وعليها أموت ان شاء الله تعالى، وانما أذكر من كلام شيخنا ومن كلام غيره ومن تلقاء نفسي بعض التأويلات لما ثبت عندي باختباري للناس ان ما انتشر في الامة من نظريات الفلاسفة ومذاهب المبتدعة المتقدمين والمتأخرين جعل قبول مذهب السلف واعتقاده يتوقف في الغالب على تلقيه من الصغر بالبيان الصحيح وتخطئة ما يخالفه ، او طول ممارسة الرد عليهم »

ثم وضحت هذه المسألة في صفحة ٢٥٣ برمتها فبينت فيها للقاريء المؤمن ان الخير له ان يطمئن بمذهب السلف ولا يحفل بغيره فان لم يطمئن قلبه إلا بتأويل يرضاه أسلوب اللغة العربية فلا حرج عليه باتفاق أهل السنة سلفهم وخلفهم

(المسألة الثانية مذهب السلف في الملائكة)

قال الاستاذ الامام : أما الملائكة فيقول السلف فيهم انهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم وببعض عملهم ، فيجب علينا الايمان بهم ، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم ، فنفوض علمها إلى الله تعالى ، فاذا ورد أن لهم أجنحة نؤمن بذلك ، ولكننا نقول انها ليست أجنحة من الريش ونحوه كأجنحة الطير ، إذ

لو كانت كذلك لرأيناها، وإذا ورد أنهم موكلون بالعوالم الجسمانية كالنبات والبحار فاننا نستدل بذلك على أن في الكون عالماً آخر ألطف من هذا العالم المحسوس وأن له علاقة بنظامه وأحكامه، والعقل لا يحكم باستحالة هذا بل يحكم بامكانه لذاته ويحكم بصدق الوحي الذي أخبر به. اه من الصفحة ٢٥٤ ج أول تفسير. فهل يتفق هذا مع زعم مجلة الازهر اننا نقول ان الملائكة عبارة عن القوى الطبعية ؟

ثم تكلم فيمن بحثوا في جوهر الملائكة وقفى عليه ببيان فوائد الخطاب بينهم وبين الله تعالى وهي أربع تراجع في ص ٢٥٤ و ٢٥٥ منه. وقفى على هذا بطريقة الخلف ومن تكلم منهم في حقيقة الملائكة وكون قصة آدم على طريقتهم « وردت مورد التمثيل لتقرب من أفهام الخلق ما تفيدهم معرفته من حال النشأة الآدمية، وما لها من المكانة والخصوصية »

(المسألة الثالثة أنواع الملائكة)

قال رحمه الله: نطق الوحي ودل العيان والاختبار على أن الله تعالى خلق العالم أنواعا مختلفة، وخص كل نوع غير نوع الانسان بشيء محدود معين لا يتعداه، فأما ما لا نعرفه إلا من طريق الوحي كالملائكة فقد ورد في الآيات والاحاديث ما يدل على أن وظائفه محدودة. قال تعالى (يسبحون الليل والنهار لا يفترون * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون — والصافات صفا، فالزاجرات زجراً * الخ والنازعات غرقا، والناشطات نشطا، والسابحات سبحا فالسابقات سبقا، فالمدبرات أمراً) على قول من قال ان المراد بها الملائكة - إلى غير ذلك مما يدل على أنهم طوائف لكل طائفة وظيفة محدودة، وورد في الاحاديث أن منهم الساجد دائما والراكع دائما الى يوم القيامة. اهـ (من ص ٢٥٩ منه) — أفلا يعد هذا نصا صريحا في افتراء مجلة الازهر علينا باننا نقول ان الملائكة عبارة عن القوى الطبيعية

(المسألة الرابعة في الملائكة والشياطين والخواطر)

قال الاستاذ الامام في الملائكة والشياطين ما نقلته عنه في الصفحة ٢٦٦ وما بعدها من جزء التفسير الاول ملخصاً (والعبارة لي) تقدم ان الملائكة خلق غيبي لانعرف حقيقته ، وإنما نؤمن به باخبار الله تعالى الذي نقف عنده ولا نزيد عليه، وتقدم أن القرآن ناطق بان الملائكة أصناف لكل صنف وظيفة وعمل ، ونقول الآن ان إلهام الخير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي ﷺ وقد أسندا الى هذه العوالم الغيبية ، وخواطر الخير التي تسمى إلهاما ، وخواطر الشر التي تسمى وسوسة كل منهما محله الروح . فالملائكة والشياطين اذاً أرواح تتصل بارواح الناس فلا يصح أن تمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية المعروفة لنا (لان هذه[1] لو اتصلت بأرواحنا ، فانما تتصل بها من طرق أجسامنا ، ونحن لا نحس بشيء يتصل بأبداننا لا عند الوسوسة ولا عند الشعور بداعي الخير من النفس ، فاذاً هي من عالم غير عالم الابدان قطعاً) والواجب على المسلم في مثل هذه الآية الايمان بمضمونها مع التفويض أو الحمل على انها حكاية تمثيل ثم الاعتبار بها بالنظر في الحكم التي سيقت لها القصة

(وأقول) ان اسناد الوسوسة الى الشياطين معروف في الكتاب والسنة ، وأما اسناد إلهام الحق والخير الى الملائكة فيؤخذ من خطاب الملائكة لمريم عليها السلام ومن حديث الشيخين في المحدثين وكون عمر منهم — والمحدثون بفتح الدال وتشديدها الملهمون — ومن حديث الترمذي والنسائي وابن حبان وهو « ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة : فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق . وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق . فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله على ذلك ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) قال الترمذي حسن غريب لا نعلمه مرفوعا إلا من حديث أبي الاحوص . والرواية إيعاد في الموضعين كما أن الآية من الثلاثي في الموضعين ، فما قالوه في التفرقة بين الوعد والايعاد أغلبي فيما يظهر وإلا فهو غير صحيح . واللمة بالفتح الالمام بالشيء والاصابة

(١) هذا التعليل كتبه شيخنا بقلمه بعد نشر هذا التفسير في المنار وقبل طبعه على حدته

(المسألة الخامسة وهي مثار شبهة مجلة الازهر)

جاء في صفحة ٢٦٧ ومابعدها منه مانصه :

(قال الاستاذ) وذهب بعض المفسرين مذهباً آخر في فهم معنى الملائكة وهو أن مجموع ماورد في الملائكة من كونهم موكلين بالاعمال من إنماء نبات وخلقة حيوان وحفظ انسان وغير ذلك فيه ايماء الى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة، وهو أن هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفخه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال في الحيوان والانسان، فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الالهية في ايجاده فانما قوامه بروح إلهي سمي في لسان الشرع ملكا ، ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه المعاني القوى الطبيعية إذ كان لا يعرف من عالم الامكان إلا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة . والامر الثابت الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمراً هو مناطها ، وبه قوامها ونظامها ، لا يمكن لعاقل أن ينكره ، وان أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكا وزعم انه لا دليل على وجود الملائكة ، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموساً طبيعياً ، لان هذه الاسماء لم ترد في الشرع - فالحقيقة واحدة والعاقل من لا تحجبه الاسماء عن المسميات [وإن كان المؤمن بالغيب يرى للارواح وجوداً لا يدرك كنهه ، والذي لا يؤمن بالغيب يقول لا أعرف الروح ولكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها . ولا يعلم إلا الله على م يختلف الناس وكل يقر بوجود شيء غير مايرى ويحس ويعترف بأنه لا يفهمه حق الفهم ، ولا يصل بعقله الى إدراك كنهه . وماذا على هذا الذي يزعم أنه لا يؤمن بالغيب وقد اعترف بما غيب عنه لو قال أصدق بغيب أعرف أثره وإن كنت لا أقدر قدره ، فيتفق مع المؤمنين بالغيب ، ويفهم بذلك مايرد على لسان صاحب الوحي، ويحظى بما يحظى به المؤمنون ؟] إه ماقاله الاستاذ الامام في المسألة وهو محل التهمة، وهذه العبارة التي بين العلامتين هكذا [ ] قد كتبها بقلمه كالتي قبلها

﴿ خلاصة ماتقدم من الرد على هذه البهيتة ﴾

(١) ان عقيدتنا وعقيدة شيخنا الاستاذ الامام في الملائكة هي عقيدة سلف الامة الصالح وهي انهم من عالم الغيب الذي نؤمن بكل ماجاء في كتاب الله وثبت عن رسوله ﷺ من أخباره من غير تأويل ولا زيادة ولا نقصان ولا رأي ولا قياس . وقد أكثرنا من الشواهد على هذه العقيدة ، وخلاصتها ان الملائكة من عالم الارواح العاقلة المستقلة وانهم أنواع لكل منها وظائف وأعمال خاصة به لانبحث عن حقيقتها بآرائنا

(٢) ان علماء الكلام ومن تبعهم من المفسرين والفقهاء يتأولون أكثر أخبار الغيب من صفات الله وأسمائه ومنها بعض ماورد في الملائكة

(٣) اتفاق علماء السلف والخلف في الامة على من تأول شيئا منها تأولا مبتدعا لاينقض شيئاً من أمور الدين القطعية المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة وهو مذعن الأمر والنهي يكون معذوراً في تأوله فلا يحكم بكفره .

(٤) اننا نقلنا عن أستاذنا في تفسير قصة آدم ان بعض المفسرين من علماء الخلف المتأولين ذهب الى ان مجموع ماورد في نوع الملائكة الموكلين بالاعمال « من إنماء نبات وخلقة حيوان وحفظ انسان وغير ذلك لافي كل أنواع الملائكة فيه إيماء الى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة »وخلاصة هذا الايماء ان الروح الالهي الذي قام به نظام هذه الاعمال هو أمر وجودي خفي لاندرك حقيقته ، وان المعنى الايمائي - لا المطابقي لمعنى النصوص - يتفق مع قول الذين يثبتون هذا الروح الخفي من المنكرين للوحي وعالم الغيب ويعبرون عنه بالقوى الطبيعية في الاشياء لانهم اذا سئلوا عن حقيقة هذه القوى يعترفون بانهم لايعرفونها ، وبهذا يكون الخلاف في التسمية فالمؤمنون بالوحي يسمون مابه نظام هذه المخلوقات بالملائكة ومن لايؤمنون بالوحي يسمونها القوى الطبيعية . والجامع بين التسميتين ان ذلك أمر يعرف بأثره ولا تعرف حقيقته

فالاستاذ يحكي هذا عن بعض المفسرين وأنهم قالوه من باب الايماء والاشارة

لامن باب التفسير للنص أو الظاهر من العبارة . وصرح بان غرضه منه ان من يميل اليها ويطمئن بها قلبه لا يكون كافراً خارجا من هذه الملة السمحة ، فهو لم يكن موافقا لهم على هذا الايماء بل لم يكن موافقا لهم على ماقالوه من ان هذا النوع من الملائكة هم المراد بمثل قوله تعالى (والنازعات غرقا — الى قوله — والمدبرات أمراً) فانه فسر هذه الاشياء في سورتها بالكواكب لا بالملائكة

(٥) ان محرر مجلة مشيخة الازهر والعضو في هيئة كبار علمائه يرى هذا كله ثم ينشر في هذه المجلة ان الشيخ رشيد رضا قد قرر في مجلته وتفسيره ان الملائكة في جملتهم عبارة عن القوى الطبيعية واحتج عليه بحوار الملائكة لربهم في خلق آدم (ع.م) وبآيات أخرى ليفهم قراء هذه المجلة التي رزىء بها الاسلام ان صاحب المنار ينكر أن يكون لله ملائكة غير هذه القوى الطبيعية .

فان كان هذا العلامة لم يفهم مما ذكر كله على جلائه ووضوحه وتكراره - والتكرار يعلم... ما نستهجن ذكره ولا يجوز تغيير الامثال، ويؤثر في الاحجار، كما قال الشاعر :

أما ترى الحبل بتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا

أقول : اذا كان لم يفهم من هذا كله ان صاحب المنار ناقل عن ناقل عن بعض المفسرين المتأولين المخالفين لاعتقادهما الثابت بما تقدم من الشواهد الصريحة وغيرها، فصرح لعدم فهمه وتمييزه بين المنقول للتقريب، والمقول المعتقد مع التأكيد، بان صاحب المنار هو الذي يعتقد ما نقله عمن نقله عن غيره، دون ماصرح بأنه اعتقاده الذي يدين الله به - فكيف يوثق بعلمه وفهمه ويجعل مدرسا في الازهر ومحرراً في مجلته؟

وإن كان قد فهم هذا كله وتعمد تحريف الكلم عن مواضعه ، وافتراء الكذب على صاحب المنار بالطعن في عقيدته ، انتقاما لنفسه ، بعد أن بين صاحب المنار في مجلته خطأه وجهله بتصحيح بعض الاحاديث التي صرح أوسع الحفاظ علما بالجرح والتعديل بوضعها ، وعدم تمييزه بين دعاء العبادة الخاص بالله العباد وربهم والاستغاثة به فيما لا يقدر عليه خلقه ، وبين دعاء العادة واستغاثة الناس بعضهم ببعض في الامور الكسبية ، وعدم تمييزه بين السنة والبدعة . أقول : إن كان قد فهم هذا كله واستباح معه هذا الانتقام بالتحريف والافتراء والبهتان فكيف

يوثق بدينه وبنقله ، وبأمانته على العلم ، ورحم الله الشاعر الذي قال:

اذا كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

يجب على الامة أن تسأل شيخ الازهر عن هذا فان لم يجبها كما امتنع إلى الآن عن الاذن لادارة المجلة بنشر ما أرسلناه اليها من الرد على هذا البهتان، فليرجعوا إلى بسط شكواهم إلى السلطة العليا المسيطرة على مشيخة الازهر لعلها تنصفهم منه

واختم هذا بأنني قد رددت في المنار على من قال بمثل ما نقله الاستاذ الامام عن بعض المفسرين أو قريب منه وهو تسمية بعض القوى الطبيعية بالملائكة تأكيداً لفضيحة المفتري ومجلة الازهر

« رد المنار على من زعم أن بعض العوالم الطبيعية وقواها من الملائكة »

ان المنار كان ولا يزال بالمرصاد لمتأولي نصوص الكتاب والسنة بما يخرجها عما فهمه الصدر الاول وقد قال الدكتور محمد توفيق صدقي في كتابه (دروس سنن الكائنات) إن كلمة ملك أصلها مألك ومعناها الرسالة فهي تطلق على كل رسول مما يرسله الله الى هذا العالم من المادة اوقواها فما يرسله منها يصح ان يسمى ملكا بلا نزاع فالريح تسمى ملكا اورسولا من الله ولذلك قال تعالى في الرياح (والمرسلات عرفا) الخ وان انواع المكروبات الخفية المؤثرة في تغيير بعض الاشياء ونحوها وفي الامراض — كلها من قبيل الملائكة والجن

وقد نشرت له هذا في ص ٦٠٣ من مجلد المنار الثامن عشر وعلقت عليه في الحاشية بالرد الآتي

« المنار : ما قاله الكاتب في هذا البحث ضعيف لغة وشرعا ، إلا انه مذهب له واصطلاح خالف فيه الناس كما قال ، ولكن له فائدة لاجلها أجزنا نشره، وهي أن المغرورين بما أصابوا من علم البشر القليل بشئون الكون يتوهمون أنهم بذلك القليل من القليل قد أحاطوا علما بهذا العالم العظيم وبخالقه أيضا ، وان ما لا ينطبق على علمهم لا يكون صحيحا وان كان ممكنا في نفسه . فمثل هذه التأويلات تقطع ألسنة هؤلاء الواهمين المغرورين دون الاعتراض على النصوص، أو تزيل شبهاتهم فلا يصعب عليهم الجمع بين علمهم وبين الدين ، ولأن يكون أحدهم متدينا مؤولا، خير من ان يكون زنديقا أو معطلا

أما بيان ضعف ما ذكر لغة فلان الالفاظ التي صارت حقيقة شرعية أوعرفية لا يجوز ان يدخل في مفهومها كل ما يناسب الاصل الذي اشتقت منه ، وأما ضعفه شرعا فهو أظهر ، والملائكة من عالم الغيب الذي يجب على كل مؤمن الايمان به كما

ورد في خبر الوحي من غير تأويل ولا تحريف ، ويكفي في ذلك كونه ممكنا عقلا والايمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الايمان والاول هو الايمان بالله تعالى، فهل يدخل في مفهومه هذه الميكروبات التي يصفها هؤلاء الكتاب بالدنيئة الحقيرة؟ كلا ، وأما ادخالها في مفهوم كلمة الجن فليس ببعيد لغة ولا ممنوع شرعا فقد ورد ان الجن أنواع ومنه ماهو خشاش الارض . ولا مانع في العقل ولا العلم من كون بعض عوالم الغيب من الملائكة موكلا ببعض شؤون الكون وسببا له . وتفصيل هذا البحث لا تتسع له هذه الحاشية اه

﴿ شبة لفظية ، يظنها الجاهل علمية ﴾

نشرنا في صفحة ٢٥٥ من مجلد المنار الخامس سنة ١٣٢٠ تحت عنوان (الملائكة والنواميس الطبيعية) ما نصه :

سأل سائل : اذا كانت الملائكة هي عبارة عن القوى المعنوية ، والنواميس التى بها نظام العوالم الحية . فما معنى « يوم يقوم الروح والملائكة صفا » وأمثاله والجواب : ان الذي تقدم في التفسير هو أن الملائكة عالم مستقل مستتر عنا وانما كان ذكر القوى والنواميس الطبيعية جذبا لمنكري الملائكة الى التصديق لان بعض ماورد يوافق ما يعتقدون فكيف يكفرون لاختلاف الالفاظ ؟ لا أن الكلام كان ارجاعا لنصوص الدين الى أقوالهم اه

وأقول الآن ان هذه الشبهة التي عرضت لبعض الناس منذ ٣١ سنة وكشفنا له خطأه فيها فعقله ورضيه — هي التي يقولها الشيخ يوسف الدجوي حتى اليوم : يقول ان التأويل الذي ذكر في تفسير المنار هو صريح في ارجاع نصوص الدين إلى أقوال علماء الطبيعة ، لا إرجاعهم إلى نصوص الدين ، فهل يقول هذا بعد كل ما تقدم رجل يعقل أو يفهم ما يسمع وما يقرأ له ؟

بلغني أنه بنى على هذه الجملة في هذه الشبهة مقالا طويلا استدل فيه بها على تأييد بهيتته الاولى بالرغم من كل ما تقدم وهي آننا نعتقد أن جميع الملائكة قوى طبعية وأننا نريد بذلك رد نصوص الدين إلى عقائد الطبعيين ، وأراد نشرها في مجلة المشيخة فمنع شيخ الازهر المجلة من نشرها لما فيها من تسجيل فضيحة المجلة وفضيحة الدجوي . وقد تعلق الدجوي من هذه الجملة بالابهام والاجمال بكلمة (لان بعض ما ورد يوافق ما يعتقدون) أي ما يعتقد المنكرون لوجود الملائكة . فأراد أن يهدم بها جميع تلك النصوص الصريحة المفصلة المبينة التي كتب أكثرها بعدها ! ! لان مبلغ الدجوي وأمثاله من العلم محصور في التشكيك والمناقشات اللفظية في العبارات الجزئية ، دون تحقيق أصل الموضوع في المسائل العلمية كما تقدم.

المقال السابع

البهيتة الثانية انكار الجن

هذه أخت التي قبلها ، والكلام فيها متمم لما قبله ومشترك معه في بعض شواهده كما تقدم في خاتمة المقالة السابقة ، ولهذا قدمناها على مسألة الشمس

قال في مجلة الازهر بعد مسألة الملائكة « ومثل ذلك ماقرره في المكروبات عند ذكر الجن في القرآن . وليت شعري هل هذه المكروبات الجنية هي التي كانت تعمل لسليمان مايشاء من محاريب وتماثيل وقدور راسيات ؟ وهل هي التي قال عفريت منها لسليمان (عم) أنا آتيك به « بعرش بلقيس » قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين ؟ وهل هي التي قالت لقومها (إنا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم) الخ؟ اه بنصه ـ وقد أعاد هذه المسألة في غير المجلة

يوهم محرر مجلة مشيخة الازهر من ابتلاهم الله بقراءتها أن صاحب المنار يقول ان الجن الذين أخبر الله بهم في كتابه عبارة عن هذه المكروبات التي كشف الاطباء أمرها في القرن الماضي ، وانه مانم شيء يطلق عليه هذا الاسم واسم العفاريت والشياطين غيرهم . وهذا افتراء وبهتان كالذي قبله سواء

الجن خلق خفي مستتر من عالم الغيب أثبتهم جميع الاديان وطريقتنا فيهم هي وجوب الايمان بكل ما أخبر الله تعالى من أمرهم في كتابه وبكل ماصح عن رسوله ﷺ لمن علم به وليس منه شيء قطعي يدخل في العقيدة ، ولا نزيد على ماثبت عندنا من خبر المعصوم شيئا

وقد ورد ذكر الجن والشياطين وإبليس في مواضع كثيرة من أجزاء تفسيرنا العشرة وفي مواضع كثيرة من مجلة المنار فأثبتنا في كل موضع من التفسير ما أثبته الكتاب العزيز بما يقرب به إلى العقل ورددنا على المنكرين والمتأولين لما هو المتبادر

من النصوص . ولو أردنا إيراد الشواهد منها كالشواهد في الملائكة لطال الكلام فيما لا فائدة من نشره في الجرائد اليومية وانما نشير الى بعض مواضعها لمن يريد مراجعتها، ونكتفي منها بما تثبت به ان محرر مجلة مشيخة الازهر وعضو هيئة كبار العلماء فيه بين أمرين لا ثالث لهما : إما انه لا يفهم ما يقرأ له ولا يعقله مهما تكن درجة وضوحه وتكراره ـ وإما أنه يتعمد الكذب والبهتان والخيانة في النقل والعزو انتقاما لنفسه لا خدمة للعلم والدين — لتعلم الامة أن العلم الصحيح لا يكون بالالقاب الرسمية، ولا بمجرد الشهادات المدرسية . وقد بينا في المنار وفي تاريخ الاستاذ الامام ما كان من قيمة شهادات العالمية في الازهر وما كان من المحاباة والرشوة فيها قبل الاصلاح الذي وضع قواعده ذلك المصلح المظيم. على أن الاصلاح لم يشف العلل كلها كما يعلم أهل الازهر أكثر من غيرهم . ومن شاء الوقوف على هذه الحقائق فليقرأ المقصد الثاني من الفصل السادس من (تاريخ الاستاذ الامام) من صفحة ٤٢٥ — ٤٨٤ باكياً على العلم والدين

(بعض الشواهد في مسألة الجن والشياطين)

(١) جاء في تفسير (٢: ٢٤ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس)من جزء التفسير الاول (ص٢٦٥) مانصه ملخصاً من درس الاستاذ الامام: « أي سجدوا كلهم أجمعون الا ابليس وهو فرد من أفراد الملائكة كما يفهم من هذه السورة وأمثالها في القصة الا آية الكهف فانها ناطقة بانه كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) وليس عندنا دليل على أن بين الملائكة والجن فصلا جوهريا يميز أحدهما عن الآخر، وانما هو اختلاف أصناف عندما تختلف أوصاف، كما ترشد اليه الآيات فالظاهر أن الجن صنف من الملائكة ، وقد أطلق في القرآن لفظ الجنة على الملائكة على رأي جمهور المفسرين في قوله تعالى (٣٧ :١٥٨ وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) وعلى الشياطين في آخر سورة الناس

زاد الاستاذ الامام هنا بعد نشر تفسير هذه الآيات في المنار سنة ١٣٢٠ مانصه بخطه « وعلى كل حال فجميع هؤلاء المسميات بهذه الاسماء من عالم الغيب

لا نعلم حقائقها ولا نبحث عنها ، ولا نقول بنسبة شيء اليها مالم يرد فيه نص قطعي عن المعصوم ﷺ اه

فكان رحمه الله يرى ان تعريف الملائكة والجن بالحد المنطقي متعذر لانهم من عالم الغيب وقد اشتركوا في اسم الجن المفيد لمعنى الخفاء والستر والمعقول ان يكون تعريفهم بالرسم وهو الصفات كالطاعة والعصمة للملائكة دون الجن فهم في الجنس الروحي الخفي كالأنبياء في البشر ، والشياطين كأشرار البشر الظالمين المجرمين الفاسقين، وسائر الجن كسائر البشر يتفاوتون في الصلاح والفساد مثلهم. وللراغب الاصفهاني كلام كهذا في مفردات القرآن ذكرته في تفسير سورة الاعراف

(٢) ماتقدم نقله عن الاستاذ الامام في المسألة من بحث الملائكة وتعليقنا عليه وهو مسألة اسناد الوسوسة الى الشياطين والالهام الى الملائكة وما هو ببعيد

(٣) ذكرت في صفحة ٩٦ من الجزء الثاني من التفسير ان قوله تعالى (٢: ١٦٧ ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) لايقتضي معرفة ذات الشيطان وانما يعرف بأثره وهو وحي الشر وخواطر الباطل والسوء في النفس التي يفسرها قوله تعالى (انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وفصلنا ذلك تفصيلا ، وكذا تفسير هذه الجملة بعينها من آية (٢٠٧) من سورة البقرة أيضاً وهو في ص ٢٥٧ من هذا الجزء وفيه تفصيل آخر

(٤) ذكرت في بحث إعاذة مريم وذريتها من الشيطان الرجيم من (ص ٢٩٠ ج ٣) حديث « كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها » وتفسير البيضاوي المس بالطمع في الاغواء ، وقول الاستاذ الامام ان الحديث من قبيل التمثيل ، — وحديث اسلام شيطان النبي ﷺ وما يرد على الموضوع من قوله تعالى (١٥: ٤٢ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) ومشاغبة دعاة النصرانية للمسلمين في تفضيل المسيح على نبينا وما يرد عليهم من انجيل مرقس في تجربة إبليس ليسوع المسيح أربعين يوما لم يأكل فيها طعاما مع تحقيق المسألة . وهذا كله ينافي الافتراء علينا باننا نقول ان الجن والشياطين عبارة عن الميكروبات فقط

(٥) في الصفحات ٤٢٥ — ٤٣٠ من جزء التفسير الخامس تفسير لقوله تعالى

(٤ : ١١٧ ان يدعون من دونه إلا إناثا وان يدعون إلا شيطان مريداً — الى الآية ١١٩) بينت فيه نصيب الشيطان من الناس وإضلاله لهم واشغالهم بالاماني وما يأمرهم به في وسوسته وحال من يتخذه وليا من دون الله ، وهو في جملته وتفصيله يدحض شبهة مجلة الازهر وبهتانها

(٦) في (ص ٦٥ ج ٦) تفسير لقوله تعالى (٦ : ١٢٧ يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس) الآية وفي أوله « وانما يسمى كل من الجن والانس معشراً لانهم جماعة من عقلاء الخلق » وفي هذا البحث شبهنا تأثير الشياطين في النفس بتأثير الميكروبات في الجسم بعد ذكر المنكرين لوجود الجن وهذا نص عبارتنا :

فان كل انسي يوسوس له شياطين الجن بما يزين له الباطل والشر ويغريه بالفسق والفجور كما تقدم مفصلا [١] فان هذا الخلق الخفي الذي هو من جنس الارواح البشرية يلابسها بقدر استعدادها للباطل والشر ويقوي فيها داعيتهما ، كما تلابس جنة الحيوان الخفية الاجساد الحيوانية فتفسد عليها مزاجها وتوقعها في الامراض والادواء ، وقد مرَّ على البشر ألوف من السنين وهم يجهلون طرق دخول هذه النسم الحية في أجسادهم وتقوية الاستعداد للامراض والادواء فيها ، بل إحداث الامراض الوبائية وغيرها بالفعل ، حتى اكتشفها الاطباء في هذا العصر وعرفوا هذه الطرق والمداخل الخفية بما استحدثوا من المناظير التي تكبر الصغير حتى يرى أكبر مما هو عليه بألوف من الاضعاف ولو قيل لاكبر أطباء قدماء المصريين أو الهنود أو اليونان أو العرب ، ان في الارض أنواعا من النسم الخفية تدخل الاجساد من خرطوم البعوضة أو البرغوث أو القملة ومع الهواء والماء والطعام وتنمي فيها بسرعة عجيبة فتكون ألوف الالوف وبكثرتها تتولد الامراض والاوبئة القاتلة — لقالوا ان هذا القول من تخيلات المجانين . ولكن العجب لمن ينكر مثل هذا في الارواح بعد اكتشاف ذلك في الاجساد ، وأمر الارواح أخفى ، فعدم وقوفهم على مايلابسها ألوفا من السنين أولى . وقد روي في الآثار مايدل على جنة الاجسام ولو صرح به قبل اختراع هذه المناظير التي

---

١) سبق ذلك في مواضع أشبهها بما هنا ما في ص ٥٠٨ – ٥١٥ ج ٧ تفسير

ترى بها لكان فتنة لكثير من الناس بما يزيدهم استبعاداً لما جاء به الرسل من خبر الجن ، ففي الحديث « تنكبوا الغبار فان منـه تكون النسمة » والنسمة في اللغـة كل ما فيه روح وفسره ابن الاثير في الحديث بالنفس (بالتحريك) أي تواتره الذي يسمى الربو والنهيج وتبعه شارح القاموس وغـيره ، وهو تجوز لايؤيد الطب مايدل عليه من الحصر . وروي عن عمرو بن العاص : اتقوا غبار مصر فانه يتحول في الصدر إلى نسمة . وهو بعيد عن تأويلهم وظاهر فيما يقوله الاطباء اليوم وهو مأخوذ من الحديث الذي تأولوه ، وعمرو من فصحاء قريش جهابذة هذا اللسان اه

وذكرت في مواضع أخرى من المنار ماورد من الآثار في أنواع الجن ومنها حديث « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب والعقاب » أخرجه ابن أبي الدنيا والحكيم الترمذي وأبو الشيخ وابن مردويه . وفي معناه غيره

(٧) في (ص٣٢٨ — ٣٧٢ جز٨) بسط قصة آدم مع إبليس . وقد فصلت في هـذا البحث ما تقدم في سورة البقرة من كون الجن الروحاني جنسا يشمل الملائكة . وقلت ان لفظ الجنة اللغوي يشمل الجن الروحاني والجن المادي التي تسمى المكروبات (ص٣٤٢) ثم فصلت هذا في تفسير قوله تعالى من هذا السياق (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) تفصيلا موضحاً لهذا البحث راجع في ص ٣٦٤ — ٣٧١ ومنه يعلم مأخذ شبهة المفتري المحرف للكلم عن مواضعه

ولا نطيل القول في هذا لانه لا طائل تحته ، وحسبنا ما ذكرنا دليلا على قلة اطلاع المفترى علينا وسوء فهمه وفساد نيته ، وما سيأتي في المقال الآتي أقوى دليلاً وأقوم قيلا .

المقال الثامن

(البهيتة الثالثة ما سماه تكذيب سجود الشمس)

هذه هي البهيتة الكبرى التي افترتها علينا مجلة مشيخة الازهر وسمتها «عظيمة العظائم» لتذكرنا من حيث لا يدري محررها بقوله تعالى فيما دونها من الخوض في حديث الافك (إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم) وكل جريمة تصغر وتتضاءل دون ما سماه «تكذيب الله ورسوله وتجهيلها» وقد أكثر من إعادتها وتكرارها في الجرائد حتى كدنا نظن انه صدق نفسه في اختلافها أو خدع الناس فصدقوها، والكلام فيها من وجوه (١) صيغة الفرية ومفهومها (٢) مأخذها من تحريف مقال لنا في نصر السنة ودحض الشبهات عليها قلبه إلى ضده، (٣) عبارتنا التي حرفها وزعم انه نقلها بنصها وفصها (٤) عبارة المفتري المحرف بنصها (٥) رأي الاستاذ الامام في أمثال هذا العالم (٦) جوابنا عن حديث الشمس (٧) أقوال العلماء المتقدمين في استشكاله والجواب عنه

(١) صيغة الفرية ومفهومها

قال المحرر بعد افترائه علينا الافتاء بحل صلاة التلاميذ المسلمين مع النصارى بالكنيسة ـ وقد أخرنا الكلام عليه ـ ما نصه باختصار لكن بدون تصرف :

« بل وصل الامر من اجتهاد مجتهدنا ... ان اجترأ على تكذيب رسول الله ﷺ فيما اتفق عليه البخاري ومسلم عن أبي ذر من أن الشمس تسجد تحت العرش وقال ان الانبياء لا تعرف هذه العلوم، ولو كان رشيداً لم يضق صدره بذلك ولوسعه إيمانه بالغيب، فان لم يسعه ايمانه بالغيب فكان ينبغي ان يسعه علمه بسعة لغة العرب وكثرة مذاهب البيان فيها، فان ضاق علمه كما ضاق ايمانه فما كان ينبغي أن تضيق سياسته وهي التي وسعت الشرق والغرب. وبيان ذلك انه كان يستطيع أن يقرر في الحديث ما قرره العلماء في قوله تعالى حكاية عن الارض والسماء (قالتا أتينا طائعين)

ثم قال ما أذكره عملا بقول العلماء « حاكي الكفر ليس بكافر » وانه لتقشعر منه جلود المؤمنين :

« وكان ينبغي إذ لم يتسع صدره ولا ايمانه ولا علمه لشيء من ذلك أن تتسع سياسته لحسن المخرج منه بأية وسيلة غير تجهيل النبي ﷺ ولو أن يرمي البخاري أو غيره من رواة الحديث بالخطأ والكذب ولا يتعرض لرسول الله ، فقد كان تكذيبهم أهون من تكذيبه ﷺ فما أضيق دينه وعلمه وسياسته » اه بحروفه وما فيها من أدبه مع الرسول الاعظم الذي يدعي تعظيمه و...!!

وقد شعر - خلافا لطبعه - بان الذين ابتلاهم الله بقراءة مجلة الازهر لا يصدقون هذه الفرية فزعم انه ينقل لهم عبارة صاحب المنار بنصها وفصها ولكنه نقل لهم عبارة قصيرة مقتضبة منها كمن ينقل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة) دون ما بعده من الآية . وستعلمون أيها المسلمون من بياني لما نقله ولأصله ولما قررته في هذه المسألة أي الفريقين « أضيق ديناً وعلماً... » أصاحب المنار أم هذا العضو في هيئة كبار علماء الازهر ؟ وتعلمون درجة صدق المشيخة في مجلتها ومقدار أمانتها على العلم والدين ، وصدقها في إرشاد المسلمين ، في جرأتها على ماتقدم وعلى قولها في آخر هذه المقالة نعوذ بالله منها ومنه ثم من الشيطان الرجيم[1]

« فالشيخ إذاً مخطئ لله ورسوله ، مكذب للقرآن والسنة ، وإن شئت فقل مجهل لهما » !!

نعم شعر بان الناس يكذبونه ولكن لم يشعر بما يستلزمه هذا الطعن في كلام كتب سنة ١٣٢٧ في مجلة المنار - أي منذ ٢٣ عاما - من الطعن في علماء الازهر في سكوتهم عن الانكار عليها وهي تخاطب علماء الاسلام وغيرهم في كل سنة بما يجب عليهم من بيان ما يجدون فيها من خطأ ، أفلا يلزم من سكوتهم هذا وقوع الطعن عليهم في دينهم وعلمهم ؟ بلى لو كانت المجلة صادقة ، أما وهي مفترية فانما يقع ذلك على من أنكر الحق المعروف ونطق بالباطل والزور ومن أقره وهو قادر على منعه

---

(١) وضع الخطوط فوق الكلام الذى يراد التنبيه عليه طريقة علمائنا واما وضعها تحته فهي طريقة أجنبية وأنا أخصها بالعناوين الفرعية

يفهم كل من قرأ عبارة هذه المجلة ان صاحب المنار رأى في الصحيحين حديثا فيه ان النبي ﷺ أخبر ان الشمس تسجد تحت العرش فاعتقد صحة سنده أي عدالة رواته وصدقهم وسلامته من كل شذوذ وعلة، وإنما كذب خبر هذا السجود فيه لانه لم يكن عنده من العلم باللغة ولا من الايمان بالغيب ولا.. ولا .. ما يحمله على تصديق رسول الله ﷺ فيه حقيقة ولا مجازاً — وقد رأيتم أدب هذه المجلة في التعبير عن هذا المعنى المفترى والبهتان الجري.

(٢) مأخذ التهمة من مقال في تأييد السنة والدفاع عنها

انني ذكرت حديث أبي ذر في مسألة الشمس في المجلد الثاني عشر من المنار في سياق الاحاديث المشكلة وطرق الحل لمشكلاتها من مقال طويل في تأييد السنة كان حكما فاصلا في مناظرة تلو مناظرة في أصل الاسلام أو أصوله وفي النسخ وأحاديث الآحاد هل هي من الدين أم لا؟ — دارت هذه المناظرات في أثناء أربع سنين فجعل البهات المفتري نصرنا للسنة ودفاعنا عنها تكذيباً وكفراً لصاحبها ﷺ ولكتاب الله الذي نطق بسجود كل شيء لله عز وجل — والعياذ بالله من بهتان من لا يخاف الله

ذلك ان البحاثة الشهير المرحوم الدكتور محمد توفيق صدقي كان كتب مقالا عنوانه (الاسلام هو القرآن وحده) وقد نشر في المجلد التاسع من المنار تحدياً للعلماء ولا سيما علماء الازهر أن يردوا عليه فكبر ذلك عليهم، وقال بعضهم لبعض ان صاحب المنار هو الذي يريد أن يجذبنا إلى المناظرة معه، وأمسكوا عن الرد عليه، حتى جاءني من قال لي ان فلاناً من العلماء يريد الرد على الدكتور إذا كنت أنت لا ترد عليه، فقلت واني لا أرد عليه ولكنني قد أحكم في المناظرة أخيراً إذا احتيج الى حكمي

فرد العالم الذي أخبرني عنه على الدكتور بمقالين رد عليهما الدكتور أيضاً ثم حكمت في المسألة حكماً نشر في الجزء الاخير من المجلد التاسع، فكتب الدكتور اعترافا برجوعه عما أقنعته بأنه كان مخطئا فيه . ونشرت خطابه هذا في صفحة ١٤٠ من مجلد المنار العاشر

ثم كتب مقالا آخر عنوانه (النسخ في الشرائع الالهية) أنكر فيه وجود النسخ في القرآن مطلقا وزعم ان السنة القولية (الاحاديث) قد نسخ بعضها بالقرآن وبعضها بالسنة ولم يبق منها شيء يجب العمل به غير موجود في القرآن

ونشرنا هذا المقال في الجزء التاسع من مجلد المنار العاشر وطالبنا العلماء بالرد عليه بشرط التزام مايليق بالعلماء من الادب والنزاهة واحترام المناظر. فلم يتصد أحد من علماء الازهر للرد عليه ولـكن رد عليه العلامة الشيخ صالح اليافعي من علماء الحضارمة المقيمين في حيدر آباد الدكن (الهند) بست مقالات نشرت في ستة أجزاء من المجلد الثاني عشر من المنار وقد حكمني المتناظران فحكمت بينهما بمقال أيدت به السنة وشرعية العمل بالاحاديث القولية بشرطه

(٣) عبارتنا التي حرفها البهات المفتري

بينت في تلك المقالة مسألة (أحاديث الآحاد والدين) ثم مسألة (أحاديث الآحاد تفيد العلم أو الظن) بما لم أعلم ان أحداً سبقني إلى مثله في نصر السنة في التفرقة بين اليقين اللغوي الشرعي، واليقين المنطقي الاصولي. وانتقلت من هذا الى بحث مايوثق به وما لايوثق به من الروايات، وما انتقده المحدثون من أحاديث الشيخين (البخاري ومسلم) بجرح كثير من رواتها وغلط بعض متونهما وذكرت بعض المتون التي حكموا بالغلط فيها، ومنها حديث شريك عند البخاري في المعراج إذ صرح بأنه رؤيا منامية وخالف غيره من رواة البخاري في مسائل أخرى فيه — وحديث مسلم « خلق الله التربة يوم السبت » الخ ـ وحديث صلاة الكسوف بثلاث ركوعات وثلاث سجودات في كل ركعة وغير ذلك ثم قلت مانصه :

« وجملة القول في الصحيحين ان أكثر رواياتهما متفق عليها عند علماء الحديث لا مجال للنزاع في متونها ولا في أسانيدها، والقليل منها مختلف فيه وما من إمام من أئمة الفقه إلا وهو مخالف لكثير منها. فاذا جاز رد الرواية التي صح سندها في صلاة الكسوف لمخالفتها لما جرى عليه العمل، وجاز رد رواية خلق الله التربة يوم السبت الخ لمخالفتها للآيات الناطقة بخلق السموات والارض في ستة أيام وللروايات الموافقة لذلك، فأولى وأظهر أن يجوز رد الروايات التي تتخذ شبهة على القرآن من

حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه (كالروايات في نسخ التلاوة) ولا سيما لمن لم يجد لها تخريجاً يدفع الشبهة كالدكتور محمد توفيق صدقي وأمثاله كثيرون. ومثلها الرواية في سحر بعض اليهود للنبي ﷺ ردها الاستاذ الامام ولم يعجبه شيء مما قالوه في تأويلها لان نفس النبي ﷺ أعلى وأقوى من أن يكون لمن دونه تأثير فيها، ولانها مؤيدة لقول الكفار (٢٥: ٨ وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً) وهو ما كذبهم الله فيه بقوله بعده (٩ انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا)

«ومثل هذا وذاك ما خالف الواقع المشاهد كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب بعد الغروب؟ والجواب عنه بأنها تذهب فتسجد تحت العرش وتستأذن الله تعالى بالطلوع الخ وقد سألنا عنه بعض أهل العلم من تونس ولما نجب عنه لأننا لم نجد جوابا مقنعا للمستقل في الفهم. فالشمس طالعة في كل وقت لا تغيب عن الارض طرفة عين كما هو معلوم بالمشاهدة علما قطعياً لا شبهة فيه، فاذا قلنا إنها يصدق عليها مع ذلك أنها ساجدة تحت العرش لأنها خاضعة لمشيئة الله تعالى ولأن كل مخلوق هو تحت عرش الرحمن — إن لم تكن التحتية فيه حسية لان الجهات أمور نسبية لا حقيقية فهي معنوية — إذا قلنا هذا أو انه تمثيل لخضوعها في طلوعها وغروبها وهو أقرب، فهل ينطبق على السؤال والجواب انطباقا ظاهراً لا مراء فيه؟ اللهم لا.

«ولكن هذا النوع من الحديث على ندرته في الصحيح قد يخرج بعضه على أنه من باب الرأي في أمور العالم والانبياء لا تتوقف صحة دعوتهم ونبوتهم على العلم بأمور المخلوقات على حقيقتها ولم يقل أئمة الدين إنهم معصومون فيها كما يدل عليه الحديث الصحيح في تأبير النخل ولكن يستثنى الاخبار عن عالم الغيب فهم معصومون فيه» اه

هذه هي عبارتنا بنصها وفصها التي استند اليها البهات المحرف في اتهامه إيانا برد حديث عمر في رجم الشيخ والشيخة وانه كان آية من القرآن - ورد حديث سحر اليهودي للنبي ﷺ - وحديث سجود الشمس وتكبيره للامر بأنها وردت في الصحيحين - ونحن إنما ذكرنا هذه الاحاديث وغيرها كحديث المعراج وحديث

صلاة الكسوف وحديث خلق السموات والارض في سبعة أيام ـ من باب التمثيل للاحاديث المشكلة التي تتعلق بموضوع المناظرة التي حكمنا فيها عا بينا به مزية الصحيحين وان ما انتقده المحدثون والمتكلمون والفقهاء وردوه من أحاديثهما قليل لا ينافي تفضيلهما على غيرهما ، وقد ذكرناها بموضوعها لا بنصوصها بل لم نذكر حديث عمر في الرجم مطلقا لان المقام مقام التمثيل لما انتقده بعض المتناظرين بالاجمال، ولم نذكرها لاستئناف انتقاد عليها أو استشكال لها من عند أنفسنا ، ولا لاجل الاجوبة عنها فان هذا قد بيناه في مواضع أخرى من المنار وتفسيره ،ولكل مقام مقال،من تفصيل وإجمال ، وهذا معهود في جميع الكتب،فكيف ينكر مثله الصحف؟

ولكن باغي العنت، بطرق المغالطة في الجدل ،يجعل حكاية خصمه لقول مذهباً له، وسكوته عن بيان شيء في غير موضع البيان حجة عليه فيما بينه في موضعه مع تجاهله ذلك البيان ،ويا ليت محرر مجلة الازهر يكتفي بمثل هذه المغالطة ولا يفتري عليه الكذب البواح ويرميه بالبهتان

وقد صرحنا في ذكر حديث الشمس بأن وجه الاشكال فيه هو مخالفة الواقع المشاهد له وهو كون الشمس طالعة دائما لا تغيب عن الارض طرفة عين، لا السجود الذي زعمه وافترى علينا تكذيبه،على أن شراح الصحيحين وغيرهم استشكلوا الامرين وأجابوا عنهما بما سنذكره بعد ، ونحن صرحنا بأن الشمس يصدق عليها انها ساجدة تحت العرش دائما بالمعنى الذي أثبت القرآن فيه سجود كل شيء لله عز وجل من الكواكب والشجر والنباب وغير ذلك ، وذكرنا توجيهاً آخر لسجودها وهو انه « تمثيل لخضوعها في طلوعها وغروبها لمشيئته تعالى » وهو عين المراد من قوله تعالى عن السموات والارض (قالتا أتينا طائعين) الذي قال المفتري انه كان في استطاعتنا ولم نفعله لان اللغة ضاقت علينا،فلم تضق علينا سعة اللغة بل ضاقت عليه سعة الصدق فافترى علينا ـ ولكننا قلنا ان سجود الشمس بهذا المعنى أو ذاك لا يرفع الاشكال بمخالفة مضمون الرواية للمعلوم بالقطع من مشاهدة وأدلة علمية على كونها لا تغيب عن الارض كلها طرفة عين . وقال العلماء قبلنا مثل قولنا ـ كما سنبينه في المبحث السابع من هذا الرد

وأما قولنا « ولكن هذا النوع من الحديث على ندرته في الصحيح قد يخرّج بعضه على انه من باب الرأي في أمور العالم » الخ فالمراد به النوع المخالف للواقع المشاهد ، ولا تدل العبارة على أن حديث الشمس المذكور من هذا البعض ، بل تدل على أنه ليس منه ، من وجهين (أحدهما) انني قلت قبلها انني سئلت من قبل بعض علماء تونس عنه وانني الى الآن لم اجب عن هذا السؤال لانني لم أجد جواباً مقنعاً للمستقل في الفهم – وسأشرح هذا المعنى بعد – ولو كان حديث الشمس عندي من هذا البعض لكان جوابي للسائل انه كحديث تأبير النخل الذي قال فيه النبي ﷺ « أنتم أعلم بأمور دنياكم » وما في معناه، ولم أرجئ الجواب

(الوجه الثاني) انني استثنيت من هذا النوع من الاحاديث الواردة في أمور الدنيا التي لا تنافي عصمة الانبياء ما إذا كان الاخبار عن عالم الغيب والطاعن يقول ان حديث الشمس منه ، وهو مع رؤيته بل علمه بهذا الاستثناء يفتري علي انني قست حديث سجود الشمس على حديث تأبير النخل ، وانني قلت انه من العلوم التي لا يعلمها الانبياء ، ولم أقل هذا ، فهو لم ينقل شيئاً من تفسيري للسجود – ولا من حصري للاشكال في ذهاب الشمس وغيبتها عن الارض – ولا من سكوتي عن جواب السائل عنه – ولا من استثناء جعله من قبيل الاخبار عن أمور الدنيا دون أمور الدين والاخبار عن عالم الغيب . مع انه زعم انه نقل عبارتي بنصها وفصها ليؤيد بهذه الفرية تلك المفتريات كلها، ثم قال انه ينقل محصلها وهو ينقض وعده بنقلها بنصها وفصها ، ولعل غرضه منه ان أكثر قراء مجلتهم لا يفرق بينهما فيتوهم انه صادق أمين في نقله لها وهذا نص عبارته

(٤) عبارة المفتري المحرف بنصها

« وإني أحس منك بامتعاض شديد غيرة على المقام النبوي ، ولعلك تستبعد صدور ذلك من الشيخ أو لا تصدقه ، فلننقل لك عبارته بنصها وفصها وما طعن به على أحاديث كثيرة في البخاري غير هذا الحديث ، ثم ترقى من تكذيب الرواة في تلك الاحاديث إلى تكذيب النبي ﷺ في هذا الحديث

« قال في مناره الصادر في آخر رمضان سنة ١٣٢٧ صفحة ٦٩٧ من مجلد السنة المذكورة مانعرض عليك محصله لتحكم فيه ، وليتضح به الموضوع الذى نحن فيه ، فانه كالمقدمة له: رد الاحاديث التي في البخارى وغيره الناطقة بأن آية (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) كانت قرآنا يتلى [١] وأن عمر قال ذلك بجمع من الصحابة ولم ينكر عليه أحد ، وهو معروف لا مراء فيه ، ويستند حضرته في ذلك الرد إلى ماتعرف منه مقدار علم الشيخ وتفكيره . يقول : ان ذلك لو تم لكان يتخذ شبهة على القرآن من حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه ! ولم يفرق الشيخ بين النسخ الذي يكون من قبل الشارع ولا يعرف إلا من جهته ولا يكون إلا في زمنه بارشاده وتبيينه، وبين التفريط في القرآن وضياع شيء منه . ثم رد الحديث الصحيح الذى رواه البخارى في سحر النبي ﷺ رد ذلك بتمويهات وخيالات لانطيل بها

« ومثل هذا وذاك ماخالف الواقع المشاهد كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب بعد الغروب والجواب عنه بانها تذهب فتسجد تحت العرش وتستأذن الله تعالى بالطلوع الخ – إلى أن قال – فالشمس طالعة في كل وقت لا تغيب عن الارض طرفة عين كما هو معلوم بالمشاهدة علماً قطعياً لا شبهة فيه – أى فكلام النبي كذب لا شبهة فيه » اه

هذا ما عزاه إلى ذلك المقال بعد زعمه انه ينقل العبارة بنصها وفصها ثم محصلها وكلاهما كذب ظاهر من نقلنا لها بحروفها . فهو لم يذكر إلا عبارة مقتضبة ناقصة منها لم تبلغ أربعة أسطر وما ذكره من محصل ونص كله كذب وباطل كما علمت وزاد ما لا ذكر له فيها كحديث الرجم ، فهكذا يكون صدق العلماء وأمانة النقل عند أحد هيئة كبار علماء الازهر ومحرري مجلته الرسمية، أم هكذا يكون فهم الكلام بطريقة المناقشات الازهرية

---

١) عبارتي ليس فيها كلمة واحدة من هذا الحديث. على أن البخاري لم يرو المسألة هكذا. وهذا المحرر وأمثاله من العلماء الرسميين لايدرون ما في البخاري إلا إذا راجعوا المسألة فيه ثم لايدرون لماذا لم يرو هو ولا مسلم في خطبة عمر هذا اللفظ ولايدرون ما يعارضه لان كتب السنة ليست من علومهم ولا مما يحتاجون اليه

رحم الله الاستاذ الامام الذى كان يقول في أمثال هؤلاء العلماء انهم يتعلمون كتباً لا علما ، وقد بين مراده من هذا في رسالة التوحيد بعد بيان خلاصة تاريخ علم الـكلام الذى لايزال أمثال هذا الرجل يتناقشون في بعض كتبه التي لايفهمون من مواقفها ومقاصدها إلا ماقرره الامام في قوله :

(٥) رأي الاستاذ الامام في أمثال هذا العالم

« ثم جاءت فتن طلاب الملك من الاجيال المختلفة وتغلب الجهال على الامر ، وفتكوا بما بقي من أثر العلم النظرى النابع من عيون الدين الاسلامي — فانحرفت الطريق بسالكيها ، ولم يعد بين الناظرين في كتب السابقين إلا تحاور في الالفاظ أو تناظر في الاساليب ، على أن ذلك في قليل من الكتب اختارها الضعف ، وفضلها القصور

« ثم انتشرت الفوضى العقلية بين المسلمين تحت حماية الجهلة من ساستهم ، فجاء قوم ظنوا في أنفسهم ما لم يعترف به العلم لهم ، فوضعوا ما لم يعد للاسلام قبل باحتماله . غير انهم وجدوا من نقص المعارف أنصاراً ، ومن البعد عن ينابيع الدين أعوانا ، فشردوا بالعقول عن مواطنها ، وتحكموا في التضليل والتكفير ، وغلوا في ذلك حتى قلدوا بعض من سبق من الامم في دعوى العداوة بين العلم والدين ، وقالوا لما تصف ألسنتهم الكذب : هذا حلال وهذا حرام ، وهذا كفر وهذا إسلام . والدين من وراء ما يتوهمون ، والله جل شأنه فوق مايظنون ومايصفون ، ولكن ماذا أصاب العامة في عقائدهم ومصادر أعمالهم من أنفسهم بعد طول الخبط وكثرة الخلط ؟ شر عظيم ، وخطب عميم » اه

(٦) جوابنا عن الاشكال في الحديث

علم مما تقدم أننا ذكرنا مضمون حديث الشمس في ذلك المقال مع أحاديث أخرى من أحاديث الشيخين المشكلة من باب التمثيل لاثبات قلة أمثالها في الصحيحين ولم يكن من موضوع المقال إيراد ألفاظها ولا الحكم في هذه المشكلات ثم اننا بينا في موضعين من المنار رأينا في الاشكال ، بما يبرىء الرسول ﷺ

من كل ماعصمه الله منه ، كما أشرنا إلى ذلك في المقال الاول من بياننا هذا للأمة

إجمال ذلك أنني وجدت ان أصح رواياته التي اتفق عليها الشيخان هي ما أخرجاه من طريق الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر — هكذا بالمنعنة — وابراهيم التيمي قال الحافظ في التقريب : ثقة ولكنه يرسل ويدلس ، فهذه علة في سند أصح روايات الحديث تبطل الثقة بها ، ولمسلم رواية من طريق أخرى ذكر فيها الراوي سماع ابراهيم من أبيه مع عنعنته ولم يعتد بها البخاري ، وثم روايات أخرى لا يصح شيء منها سنذكر بعضها ولذلك عدت فاعتمدت إعلاله من ناحية متنه

وبيان ذلك أنه في أمر غيبي يكثر خطأ الرواة في أمثاله ويختلفون في فهمها فيروونها بالمعنى الذي فهموه وكثيراً مايكون فهمهم خطأ ، وأكثر الاحاديث المروية بالمعنى لا بلفظ الرسول ﷺ يكثر الاختلاف في ألفاظها ومعانيها حتى الامور الحسية التي يفهمها كل أحد كالطهارة وصفة الصلاة فاذا لم يجد شراحها وجهاً وجيهاً للجمع بينها حملوها على تعدد ماوردت فيه حتى قال بعضهم بتعدد المعراج لكثرة الاختلاف والتعارض في رواياته

وقد بينت وجوه الدفاع عن الاحاديث المشكلة بالتعارض وغيره في مواضع من المنار وتفسيره أهمها الكلام في أشراط الساعة ولا سيما أحاديث المهدي والدجال فان التعارض والتناقض فيها كثير جداً

وإنني أنقل للأمة هذين الجوابين بحروفهما مع عزوهما إلى مواضعهما من المنار والتفسير لتأكيد تكذيب مجلة الازهر في زعمها الذى تقدم

﴿ الجواب الاول في علة السند ﴾

جاء في الصفحة ٧٢٥ من مجلد المنار الثاني والعشرين وفي حاشية ص ٢١١ من جزء التفسير الثامن مانصه :

«ومن هذه الاحاديث في الباب حديث أبي ذر جندب بن جنادة الذى يعد متنه من أعظم المتون اشكالا فهو يقول ان النبي ﷺ سأله أتدري أين تذهب

الشمس اذا غربت ؟ قال قلت لا أدري ، قال « انها تنتهي دون العرش فتخر ساجدة ثم تقوم حتي يقال لها ارجعي فيوشك ياأبا ذر أن يقال ارجعي من حيث دخلت وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » وهذا الحديث رواه الشيخان من طرق عن الشعبي عن ابراهيم بن يزيد بن شريك التيمي عن أبيه عن أبي ذر وهو - أي ابراهيم - على توثيق الجماعة له مدلس، قال الامام أحمد لم يلق أبا ذر، كما قال الدارقطني لم يسمع من حفصة ولا من عائشة ولا أدرك زمانهما، وكما قال ابن المديني لم يسمع من علي ولا ابن عباس . ذكر ذلك في تهذيب التهذيب وقد روى عن هؤلاء بالعنعنة فيحتمل أن يكون من حدثه عنهم غير ثقة اه

وأعني بهذا أن روايته عنهم مرسلة ولم يذكر من حدثه بها فثبت أنه يرسل ويدلس كما قال الحافظ في التقريب ، ومن كان هكذا لا تقبل روايته بالعنعنة - فهذه علة في أصح أسانيد الحديث تبطل الثقة به مع عدم الطعن في البخاري ولا في الاعمش ولا في ابراهيم التيمي أيضاً

﴿ الجواب الثاني في علة متن الحديث ﴾

جاء في باب فتاوى المنار في ص ٦٧١ مجلد ٢٤ مانصه :

(س٣٦) من صاحب الامضاء المدرس في مدينة تطوان -. في المغرب الاقصى

الحمد لله وحده -- من تطوان في ٢٧ شوال سنة ١٣٤١

فضيلة أستاذي الوحيد ، وملاذي الفريد ، أستاذ العالم ومفتيه ومرشده السيد محمد رشيد رضا

سلام على تلك الذات وتلك الروح الطاهرة من قلب يتأجج بنار الاشواق ويضطرم في سعير البعاد ، غير أن ثلج ماء عين (مناركم) قد يطفىء شيئاً من ذاك اللهيب ، ويخمد سعيرها عندما يهيم الفكر في استحسان تلك الدرر اليتيمة ، والتمتع بتلك المعاني الوحيدة الفريدة .

سيدي وسندي، أرجو من فضيلتكم الجواب على صفحات «المنار» الاغر عما يأتي :

من المقرر عند علماء الجغرافية أن الارض لها دورتان يومية وسنوية وأن

الليل والنهار والفصول ينشآن عن هاتين الدورتين للارض ويقتضي هذا أن الشمس ثابتة والله تعالى يقول (والشمس تجري لمستقر لها) فأرجو من فضيلتكم جوابا كافياً شافيا كما هو شأن فضيلتكم بحيث لا يبقى في النفس ولو كانت جاحدة أدنى مخالفة . حفظكم الله وأطال حياتكم ، وبارك في عمركم وعمر أنجالكم الكرام، مدى الليالي والايام ، من الداعي لفضيلتكم بذلك تلميذكم وصديقكم

محمد العربي بن أحمد الخطيب

(ج) اذا كان ماذكره السائل من المقرر عند علماء الجغرافية فان من المقرر عندهم وعند علماء الفلك (أيضاً) أن الشمس تدور على محورها كغيرها من الاجرام السماوية، وأنها تدور هي والكواكب السيارة التي حولها حول نجم آخر مجهول يعدونه المركز لها ، وبلغنا عن أحد المعاصرين من هؤلاء العلماء أنه حقق حديثا أن مجاميع الشموس كلها — أو العالم كله يجري في الفضاء الى غاية مجهولة . وتجدون هذا البحث ماعدا القول الاخير في مقالة طويلة للدكتور محمد توفيق صدقي (رح) في المجلد الرابع عشر من المنار ، وتجدون فيها رأيا عزاه الينا إذ تلقاه عنا وهو أن لجميع العالم المؤلف من هذه الشموس والكواكب مركزاً واحداً هو مصدر التدبير والنظام لها وهو عرش الرحمن تبارك وتعالى (راجع ص ٥٩٠ و ٥٩١ ج ٨ منه) ونحن قد استنبطناه من عرض مذهب الفلكيين على قوله تعالى (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر) فجريان الشمس ثابت بالاتفاق فان دورانها على محورها يسمى جريانا ، ودورانها مع مجموعها المعلوم حول نجم مجهول على قولهم — كدوران المجاميع الشمالية حول نجم القطب الشمالي — يسمى جريانا أيضا . وأولى منه وأظهر سيرها مع بقية العالم الذي قال به بعض المتأخرين كما ذكر في تقويم لفلامريون المشهور .

على أن الجريان يستعمل استعمالا مجازيا في السير المعنوي كما يقال جرى القضاء بكذا ، ولك أن تقول الآن ان أوربة تجري في تنازع دولها لحرب أخرى شر من الحرب الاخيرة

وأما المستقر الذي تجري الشمس اليه أوله ففيه وجهان (أحدهما) أنه ما

ينتهي اليه أمرها بخراب عالمنا هذا التي هي ركن نظامه فيكون جريانها كجريان غيرها بمعني قوله تعالى في أول سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى . يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) وهو بمعنى ماروي عن قتادة قال تجري لمستقر لها : لوقتها ولاجل لاتعدوه (ثانيها) أنه مستقر نظامها لا أجلها وهو النجم المجهول عند علماء الفلك والعرش على رأينا — ويؤيده حديث أبي ذر في كون مستقرها تحت العرش ، والحديث قد روي بألفاظ مختلفة أظهرها أخصرها وهو مارواه الجماعة إلا ابن ماجه وغيرهم عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله (والشمس تجري لمستقر لها) قال « مستقرها تحت العرش » وبعض ألفاظه

مشكل في ظاهره جداً ورواته أقل، وهو ما ذكر فيه سجودها لله تحت العرش

واستئذانها وإن فسر بمعنى خضوعها لارادته كقوله (والنجم والشجر يسجدان)

والراجح عندنا أنه روى بالمعنى فأخطأ بعض الرواة في فهمه فعبر عنه بما فهمه والله أعلم. وسنعود إلى هذا البحث في وقت أوسع ومجال أوسع إن شاء الله تعالى اه

وحاصل هذا الجواب المختصر الذى وعدت بالرجوع اليه لاجل تفصيله عند ما تسنح الفرصة ويتسع المجال هو كما تقدم آنفا أن الحديث مروي بالمعنى وهو في أمر غيبي أخطأ بعض الرواة في فهمه كما أخطؤا في أمثاله ولاسيما أحاديث الدجال المتعارضة المتناقضة فليراجع تفصيلي لها ولامثالها من شاء في تفسير قوله تعالى (٧ : ١٨٧ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل انما علمها عند ربي) الآية (من ص ٤٨٩-٥٠٧ ج ٩ تفسير)

وأما العبرة للامة الاسلامية في هذا الجواب فهو ان من كبار علمائها الرسميين في هذا العصر من فقد الصدق في القول، والامانة في النقل ، والفهم لمسائل العلم ، مع استباحة التكفير للخصم ، وان قصارى علمهم مشاغبات ومغالطات في الالفاظ وتحريف لها وإيراد للاحتمالات فيها كما تقدم آنفاً عن الاستاذ الامام .

المقال التاسع

(٧) استشكال العلماء لحديث الشمس وأجوبتهم عنه

هذا الحديث رواه الشيخان وبعض أصحاب السنن والمسانيد والتفسير المأثور والبيهقي في الاسماء والصفات بالفاظ متقاربة ولكنها غير متفقة، ورواه غيرهم بزيادات مختلفة بل مختلفة، ولفظ البخاري في باب بدء الخلق بسنده: عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر (رض) عنه قال: قال رسول الله ﷺ لابي ذر (١) حين غربت الشمس «أتدري أين تذهب؟» قلت الله ورسوله أعلم، قال «فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) ورواه أيضاً في تفسير سورة يس وفي كتاب التوحيد هكذا بالعنعنة وقد استشكله العلماء من الجهتين اللتين تقدم ذكرهما وكان استشكالهم مخالفته لما تقرر في علم الهيئة أقوى وأجوبتهم عنها أضعف.

وقد كان جماهير علماء المسلمين حتى غير الناظرين في علم الهيئة الفلكية يعلمون أن نور القمر مستمد من نور الشمس وعلماء المنطق منهم يمثلون بهذا للحدس المنطقي الذي هو أحد اليقينيات الستة، وكانوا يعلمون أيضاً ان سبب خسوفه حيلولة الارض بينه وبين الشمس ويمثلون بذلك للقضية الوقتية في المنطق أيضاً. وقال الغزالي إن من أدلة كروية الارض ظهور ظلها في القمر عند خسوفه مستديراً، وان هذا من القطعيات. فرؤية القمر بعد غروب الشمس دليل حسي على وجود الشمس وراء الافق التي تتوارى عنه مقابلة للقمر تلقي نورها عليه. ولم يكن علم الهيئة وصل في عهدهم إلى ماوصل اليه الآن ولاعلم الجغرافية أيضاً. ولا كان الناس في عصرهم يطوفون حول الارض بطياراتهم وغيرها فيرون باعينهم مصداق أدلة ثبات الشمس في فلكها، أفأيس من الجناية على الاسلام ان يحكم مجلة الازهر على من يقول ان مضمون الحديث مخالف للحس بأنه مكذب لله ولرسوله ﷺ؟

(١) يشعر هذا اللفظ بان قائله غير ابي ذر وهو يدل على روايته بالمعنى كما قلنا

﴿ مانقله الحافظ ابن حجر في استشكال العلماء للحديث وأجوبتهم عنه ﴾

قال الحافظ ابن حجر في شرحه له من فتح الباري : والغرض منه هنا بيان سير الشمس في كل يوم وليلة . وظاهره مغاير لقول أهل الهيئة أن الشمس مرصعة في الفلك . فانه يقتضي أن الفلك هو الذي يسير ، وظاهر الحديث أنها هي التي تسير وتجري ، ومثله قوله تعالى في الآية الاخرى (وكل في فلك يسبحون) أي يدورون

« قال ابن العربي أنكر قوم سجودها وهو صحيح ممكن . وتأوله قوم على ماهي عليه من التسخير الدائم ، ولا مانع أن تخرج عن مجراها فتسجد ثم ترجع

(قال الحافظ بعد نقله لهذا) قلت : إن أراد بالخروج الوقوف فواضح وإلا فلا دليل على الخروج . ويحتمل أن يكون المراد بالسجود سجود من هو موكل بها من الملائكة أو تسجد بصورة الحال فيكون عبارة عن الزيادة في الانقياد والخضوع في ذلك الحين اه

فعلم من هذا أن العلماء استشكلوا الحديث وقالوا كما قلنا بأنه مغاير لقول علماء الهيئة القطعي وأنهم استشكلوا أيضاً سجودها وأنكره بعضهم ولم يكفرهم متأولوه ، وأجابوا عنها بما رأيت وما سترى مما ننقله اليك ، ووازن بعد ذلك بين أجوبتهم وجوابنا

وقال الحافظ في شرحه للحديث من تفسير سورة يس من صحيح البخاري مانصه : « وروى عبد الرزاق من طريق وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو في هذه الآية قال : مستقرها أن تطلع فيردها ذنوب بني آدم ، فاذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت فلا يؤذن لها فتقول ان السير بعيد ، واني أن لا يؤذن لا أبلغ ، فتحبس ما شاء الله ثم يقال : اطلعي من حيث غربت . قال فمن يومئذ إلى يوم القيامة لاينفع نفساً إيمانها ، وأما قوله « تحت العرش » فقيل هو حين محاذاتها . ولا يخالف هذا قوله (وجدها تغرب في عين حمئة) فان المراد بها نهاية مدرك البصر حال الغروب ، وسجودها تحت العرش انما هو بعد الغروب

« وفي الحديث رد على من زعم أن المراد بمستقرها غاية ما تنتهي اليه في

الارتفاع وذلك أطول يوم في السنة . وقيل إلى منتهى أمرها عند انتهاء الدنيا

« وقال الخطابي يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العرش أنها تستقر تحته استقراراً لانحيط به نحن . ويحتمل أن يكون المعنى : أو علم ما سألت عنه من مستقرها تحت العرش في كتاب كتب فيه ابتداء أمور العالم ونهايتها، فينقطع دوران الشمس وتستقر عند ذلك ويبطل فعلها . وليس في سجودها كل ليلة ما يعيق عن دورانها في سيرها » اه

ثم قال الحافظ بعد نقل هذه الاحتمالات في تأويل الحديث والآية

(قلت) وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها . ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري والله أعلم اه

أقول يعني ان هذه التأويلات خلاف المتبادر من لفظ الحديث . وأما حديث عبد الرزاق من طريق وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو بن العاص الذى نقله وسكت عليه فهو أعصى على تأويل المتأولين وأبعد عنهما بعد الشمس عن العرش وفي معناه روايات أخرى أغرب منه . ووهب هذا وثقه ابن معين والعجلي وقال علي بن المديني وابن حبان: وهب بن جابر مجهول سمع من عبد الله بن عمرو بن العاص قصة يأجوج ومأجوج و « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت » ولم يرو غير ذين ، وقال النسائي مجهول ، وكفى بقول علي بن المديني انه لم يرو غير هذين حجة على أن رواية حديث الشمس عنه مردودة سواء كان ثقة أم لا ؟

(جواب الحافظ ابن كثير في تفسيره)

وأجاب العماد بن كثير عن سجود الشمس تحت العرش بما حاصله أن العرش قبة ذات قوائم تحمله الملائكة وهو فوق العالم مما يلي رءوس الناس فالشمس اذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ماتكون إلى العرش ، فاذا استدارت في فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت أبعد ماتكون من العرش فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع كما جاءت بذلك الاحاديث اه وهذا جواب من يصدق الفلكيين في ثبات الشمس في فلكها

ودوران الفلك بها حول الارض ، وقد نقض ارتقاء علم الهيئة بالمناظير المقربة للابعاد هذا المذهب اليوناني ، وأجمع علماء الفلك في هذا العصر على كروية الارض ودورانها تحت الشمس الثابتة في مركزها . على ان قوله منقوض على ذلك المذهب أيضاً إذ لا خلاف عند أهله في كروية الارض وسكنى الناس على سطحها من كل جانب فلا يتجه القول بان العرش فوق رءوس المقيمين في جانب منها دون آخر

(مانقله الفقيه ابن حجر الهيتمي في حديث سجود الشمس)

جاء في الفتاوى الحديثية للشيخ أحمد بن حجر الهيتمي مانصه :

(وسئل) نفع الله به : اذا غابت الشمس أين تذهب ؟

(فاجاب) بقوله : في حديث البخاري أنها تذهب حتى تسجد تحت العرش . زاد النسائي « ثم تستاذن فيؤذن لها ويوشك أن تستأذن فلا يؤذن لها وتؤمر بالطلوع فلا يؤذن لها ، وتؤمر بالطلوع من محل غروبها » ولا يخالف هذا قوله تعالى (تغرب في عين حمئة) لان المراد به نهاية إدراك البصر لها حال الغروب وسجودها تحت العرش انما هو بعد الغروب . وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس أنها بمنزلة الساقية تجري بالنهار في السماء بفلكها واذا غربت جرت بالليل في فلكها تحت الارض حتى تطلع من مشرقها وكذلك القمر ، وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة أنها اذا غربت دخلت نهراً تحت العرش فتسبح ربها حتى اذا أصبحت استعفت ربها عن الخروج ، قال : ولم ؟ قالت إني إذا خرجت عبدت من دونك . وقيل يبتلعها حوت ، وقيل تغيب في عين حمئة كما في الآية والحمأة بالهمز ذات الطين الاسود وقرىء حامية بالياء أى حارة ساخنة ، وقيل تطلع من سماء إلى سماء حتى تسجد تحت العرش وتقول يارب ان قوما يعصونك ، فيقول لها ارجعي من حيث جئت فتنزل من سماء إلى سماء حتى تطلع من المشرق وبنزولها الى سماء الدنيا يطلع الفجر . قال امام الحرمين وغيره لا خلاف أنها تغرب عند قوم وتطلع عند قوم آخرين ، والليل يطول عند قوم ويقصر عند آخرين إلا عند خط الاستواء فيستويان أبداً ، وفي بلاد بلغار بوحدة مضمومة

ثم معجمة لا تغيب الشمس عندهم إلا مقدار مابين المغرب والعشاء ثم تطلع » اه

أقول الشيخ احمد بن حجر هذا هو الفقيه الشافعي المتوفي سنة ٩٧٣ وهو قليل البضاعة في الحديث وفي علوم المعقول ينقل من الكتب عند الحاجة، وماعزاه الى النسائي من لفظ الحديث ثابت في البخارى، وسائر الروايات التي ذكرها لا تصح . وقد أورد كلام علامة المعقول الأكبر إمام الحرمين ولم يرده لانه امام الاشعرية والشافعية الذين يقلدهم ولا استطاع أن يوفق بينه وبين الحديث.

(فائدة لها علاقة بحديث الشمس)

يقول الفقيه ابن حجر الهيتمي هـذا اذا اختلف العلماء فالذى يجب اعتماده كلام الفقهاء . ولكن بضاعة أكثر الفقهاء مزجاة في مشكلات الاحاديث ولاسيما غير الفقهية وقد قرأنا في بعض كتبهم تعليلا لبرودة مياه الآبار في الصيف وحرارتها في الشتاء كما يتوهم من لا يعرف الحقيقة وهو ان الشمس يطول مكثها تحت الارض في ليالي الشتاء لطولها فيكون دفء مياه الآبار من ذلك، ويقصر مكثها تحت الارض في ليالي الشتاء لقصرها فتظل مياه الآبار باردة !! فكيف يوفق محرر مجلة نور الاسلام بين هذا التعليل الخرافي وبين مايفهم من ظاهر الحديث من ان الشمس في الليل تكون تحت العرش فوق السموات السبع ؟؟ كعادته في تصحيح أمثال هذه الجهالات والخرافات ؟

﴿ كلام الآلوسي وجوابه عن الحديث في تفسيره ﴾

قال الشهاب السيد محمود الآلوسي في تفسير آية سورة يس من تفسيره روح المعاني ما نصه :

« وفي غير واحد من الصحاح عن ابي ذر قال : كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال « يا أبا ذر أتدرى أين تذهب هذه الشمس ؟ قلت الله تعالى ورسوله أعلم ، قال تذهب لتسجد فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها ، فذلك قوله عز وجل (والشمس تجري لمستقر لها) وفي

رواية « أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟ قالوا الله تعالى ورسوله أعلم ، قال إن هذه تجرى حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة » الحديث ، وفي ذلك عدة روايات وقد روى مختصراً جداً . وأخرج أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائي وابن ابي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه والبيهقي عن ابي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (والشمس تجرى لمستقرلها) قال « مستقرها تحت العرش » فالمستقر اسم مكان والظاهر أن للشمس فيه قراراً حقيقة

« قال النووى : قال جماعة بظاهر الحديث ، قال الواحدى وعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع ، ثم قال النووى : وسجودها بتميز وإدراك يخلقه الله تعالى فيها ، وذكر ابن حجر الهيتمي في فتاويه الحديثية ان سجودها تحت العرش إنما هو عند غروبها . وأورد (ملخص ما تقدم آنفا ثم قال)

« والسجود تحت العرش قد جاء أيضاً من روايات الامامية ، ولهم في ذلك أخبار عجيبة ، منها ان الشمس عليها سبعون ألف كلاّب ، وكل كلاب يجره سبعون ألف ملك من مشرقها إلى مغربهـا ، ثم ينزعون منها النور فتخر ساجدة تحت العرش ، ثم يسألون ربهم هل نلبسها لباس النور أم لا ؟ فيجابون بما يريده سبحانه ثم يسألونه عز وجل هل نطلعها من مشرقها او مغربها ؟ فيأتيهم النداء بما يريده جل شأنه ، ثم يسألون عن مقدار الضوء فيأتيهم النداء بما يحتاج اليه الخلق من قصر النهار وطوله .

« وفي الهيئة السنية للجلال السيوطي أخبار من هذا القبيل ، والصحيح من الاخبار قليل ، وليس لي على صحة أخبار الامامية وأكثر ما في الهيئة السنية تعويل ،

« نعم ما تقدم عن ابي ذر مما لا كلام في صحته ، وماذا يقال في ابي ذر وصدق لهجته ؟ والامر في ذلك مشكل اذا كان السجود والاستقرار كل ليلة تحت العرش سواء قيل انها تطلع من سماء إلى سماء حتى تصل اليه فتسجد ، ام قيل انها تستقر وتسجد تحته من غير طلوع ، فقد صرح امام الحرمين وغيره بأنه لا خلاف في أنها تغرب عند قوم وتطلع على آخرين ، والليل يطول عند قوم ويقصر عند آخرين ، وبين الليل والنهار اختلاف ما في الطول والقصر عند خط الاستواء ، وفي بلاد بلغار قد يطلع الفجر قبل ان يغيب شفق الغروب ، وفي عرض تسعين لا تزال طالعة

مادامت في البروج الشمالية وغاربة مادامت في البروج الجنوبية ، فالسنة نصفها ليل ونصفها نهار ، على مافصل في موضعه. والادلة قائمة على انها لا تسكن عند غروبها ، وإلا لكانت ساكنة عند طلوعها ، بناء على ان غروبها في أفق طلوع في غيره ، وأيضاً هي قائمة على انها لا تفارق فلكها فكيف تطلع من سماء إلى سماء حتى تصل إلى العرش ؟ بل كون الامر ليس كذلك أظهر من الشمس لا يحتاج إلى بيان أصلا . وكذا كونها تحت العرش دائما بمعنى احتوائه عليها وكونها في جوفه كسائر الافلاك التي فوق فلكها والتي تحته

«وقد سألت كثيراً من أجلة المعاصرين عن التوفيق بين ماسمعت من الاخبار الصحيحة وبين مايقتضي خلافها من العيان والبرهان، فلم أوفق لان أفوز منهم بما يروى الغليل ، ويشفي العليل » اه ما قرره الالوسي من استشكال الحديث من الوجهين وكونه مخالفاً للقطعي وعجز أجل معاصريه من العلماء عما يزيل الاشكال» اه

ثم انه رحمه الله استنبط له حلا غريبا بعد مقدمات مؤلفة من خرافات كثيرة أغرب منه خلاصته أن الشمس لها نفس عاقلة مدركة كروح الانسان وان هذه النفس هي التي تصعد فتسجد تحت العرش ، ويبقى جسم الشمس المضيء على مايراه الناس. ولم أره تجرد من عقله واستقلاله العلمي وأثبت عدة خرافات خلط فيها بين تخيلات الفلاسفة والصوفية والمبتدعة كما فعل في هذه المسألة عفا الله عنه ، ومن شاء فليرجع الى عبارته فيه

﴿ حاصل أقوال العلماء والعبرة به ﴾

وحاصل ما أوردناه من كلام المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين انهم اتفقوا على ان الحديث مشكل كما قلنا ، وأنهم أنكروا منه السجود تحت العرش واحتجاب الشمس عن الدنيا ، وكانت أجوبتهم عن السجود أقوى من أجوبتهم عن الاحتجاب ، وان أحداً منهم لم يكفر أحداً ممن استشكله ، ولا رماه بتكذيب الله ورسوله وان لم يسلم له تأويله ، وأن جوابنا في حل الاشكال أظهر من جميع أجوبتهم ، واننا على توفيقنا هذا لخدمة السنة قد رمانا محرر مجلة الازهر زوراً وبهتانا بما علم القارئون ، ولنا ان نتمثل بقول الشاعر :

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

خاتمة البحث في تحدينا لمشيخة الازهر فيه

قد علمتم أيها المسلمون مما شرحته لكم في هذه المسألة ان أحد كبار هيئة علماء المشيخة الرسميين ومحرري مجلتها الرسمية قد افترى علينا في هذه المسألة بغير أمانة ولا علم - وترك الذين قد يصدقون كلامه في هذا الحديث وربما كانوا مئات الالوف في حيرة أو شك من دينهم إذ علموا منه ان الحديث يدل على ان الشمس تغيب عن الارض كلها بعد غروبها عنهم، وجميع الذين تعلموا الجغرافية منهم و كثير من غيرهم يعلمون علما يقيناً ان الشمس لا تغيب عن الارض طرفة عين، وانما تغرب عن قوم وتطلع على آخرين، كما قال بعض كبار علماء الاسلام المتقدمين

فكان الواجب على هذا العالم أن يرشد المسلمين أولا إلى الجمع بين معنى الحديث الذى أخبرهم انه متفق عليه وبين اعتقادهم القطعي لما يخالف مضمونه قبل أن يقول لهم ان الذى لا يعتقد صحته يكون مكذبا لله ولرسوله، وهم لا يستطيعون هذا الاعتقاد

وانني بعد أن بينت لهم ماعندي من حل الاشكال وما قاله العلماء الذين استشكلوا الحديث من قبل، وان ماقلته هو الذى يطمئن به القلب، أتحدى الاستاذ الأكبر شيخ الازهر ومن شاء من هيئة كبار العلماء (غير الدجوي الذي ليس في علم الحديث جمل ولا ناقة، ولا يذكر منه في مقدمة ولا ساقة، بل هو يعد أعظم حفاظه كالذهبي في عده أعداء لرسول الله ﷺ ويطعن في صدقهم) أن يبينوا للأمة طرق هذا الحديث وما يصح منها بحسب اصطلاح المحدثين وما لا يصح، وما يجب على المسلمين أن يصدقوه مما يخالف منه المشاهدة وما تقرر في علم المنطق وعلم الجغرافية الذى يدرس في الازهر وفي جميع مدارس هذا العصر، إما بالجمع بين الامرين جمعا معقولا، وإما بتكذيب ما أثبته العلم إن كان مستطاعا، إذا كانوا لا يوافقوننا على ما ذكرنا من إعلال متنه وأصح أسانيده، فهذه سبيل العلماء حماة الدين لا الافتراء على العلماء الذين هداهم الله الى هذه الحماية قبلهم، والتعالي والتنفج بسلطان الالقاب الرسمية التي لا قيمة لها عندهم، وإيقاع الناس في شك من دينهم، واذا لم يكف شيخ الازهر مرءوسيه عن مثل هذا العدوان والبهتان فسأتحداه بمناظرات أخرى في علم التوحيد وفي التفسير والحديث، وإن خالفت مقتضى الحلم والتواضع الذى اعتصمت به إلى الان

المقال التاسع

(٧) استشكال العلماء لحديث الشمس وأجوبتهم عنه

هذا الحديث رواه الشيخان وبعض أصحاب السنن والمسانيد والتفسير المأثور والبيهقي في الاسماء والصفات بالفاظ متقاربة ولكنها غير متفقة، ورواه غيرهم بزيادات مختلفة بل مختلقة، ولفظ البخارى في باب بدء الخلق بسنده: عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر (رض) عنه قال: قال رسول الله ﷺ لابي ذر (١) حين غربت الشمس «أتدري أين تذهب؟» قلت الله ورسوله أعلم، قال «فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى (والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) ورواه أيضاً في تفسير سورة يس وفي كتاب التوحيد هكذا بالعنعنة وقد استشكله العلماء من الجهتين اللتين تقدم ذكرهما وكان استشكالهم مخالفته لما تقرر في علم الهيئة أقوى وأجوبتهم عنها أضعف.

وقد كان جماهير علماء المسلمين حتى غير الناظرين في علم الهيئة الفلكية يعلمون أن نور القمر مستمد من نور الشمس وعلماء المنطق منهم يمثلون بهذا للحدس المنطقي الذي هو أحد اليقينيات الستة، وكانوا يعلمون أيضاً ان سبب خسوفه حيلولة الارض بينه وبين الشمس ويمثلون بذلك للقضية الوقتية في المنطق أيضاً. وقال الغزالي إن من أدلة كروية الارض ظهور ظلها في القمر عند خسوفه مستديراً، وان هذا من القطعيات. فرؤية القمر بعد غروب الشمس دليل حسي على وجود الشمس وراء الافق التي تتوارى عنه مقابلة للقمر تلقي نورها عليه. ولم يكن علم الهيئة وصل في عهدهم إلى ما وصل اليه الآن ولا علم الجغرافية أيضاً. ولا كان الناس في عصرهم يطوفون حول الارض بطياراتهم وغيرها فيرون باعينهم مصداق أدلة ثبات الشمس في فلكها، أفليس من الجناية على الاسلام ان تحكم مجلة الازهر على من يقول ان مضمون الحديث مخالف للحس بأنه مكذب لله ولرسوله ﷺ؟

(١) يشعر هذا اللفظ بان قائله غير ابي ذر وهو يدل على روايته بالمعنى كما قلنا

﴿ ما نقله الحافظ ابن حجر في استشكال العلماء للحديث وأجوبتهم عنه ﴾

قال الحافظ ابن حجر في شرحه له من فتح الباري : والغرض منه هنا بيان سير الشمس في كل يوم وليلة . وظاهره مغاير لقول أهل الهيئة أن الشمس مرصعة في الفلك . فانه يقتضي أن الفلك هو الذى يسير ، وظاهر الحديث أنها هي التي تسير وتجري ، ومثله قوله تعالى في الآية الاخرى (وكل في فلك يسبحون) أي يدورون

« قال ابن العربي أنكر قوم سجودها وهو صحيح ممكن . وتأوله قوم على ماهي عليه من التسخير الدائم ، ولا مانع أن تخرج عن مجراها فتسجد ثم ترجع

(قال الحافظ بعد نقله لهذا) قلت : إن أراد بالخروج الوقوف فواضح وإلا فلا دليل على الخروج . ويحتمل أن يكون المراد بالسجود سجود من هو موكل بها من الملائكة أو تسجد بصورة الحال فيكون عبارة عن الزيادة في الانقياد والخضوع في ذلك الحين اه

فعلم من هذا أن العلماء استشكلوا الحديث وقالوا كما قلنا بأنه مغاير لقول علماء الهيئة القطعي وأنهم استشكلوا أيضاً سجودها وأنكره بعضهم ولم يكفرهم متأوله ، وأجابوا عنها بما رأيت وماسترى مما ننقله اليك ، ووازن بعد ذلك بين أجوبتهم وجوابنا

وقال الحافظ في شرحه للحديث من تفسير سورة يس من صحيح البخاري مانصه : « وروى عبد الرزاق من طريق وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو في هذه الآية قال : مستقرها أن تطلع فيردها ذنوب بني آدم ، فاذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت فلا يؤذن لها فتقول ان السير بعيد ، واني أن لا يؤذن لا أبلغ ، فتحبس ما شاء الله ثم يقال : اطلعي من حيث غربت . قال فمن يومئذ إلى يوم القيامة لا ينفع نفساً إيمانها ، وأما قوله « تحت العرش » فقيل هو حين محاذاتها . ولا يخالف هذا قوله (وجدها تغرب في عين حمئة) فان المراد بها نهاية مدرك البصر حال الغروب ، وسجودها تحت العرش انما هو بعد الغروب

« وفي الحديث رد على من زعم أن المراد بمستقرها غاية ما تنتهي اليه في

الارتفاع وذلك أطول يوم في السنة . وقيل إلى منتهى أمرها عند انتهاء الدنيا

« وقال الخطابي يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العرش أنها تستقر تحته استقراراً لانحيط به نحن . ويحتمل أن يكون المعنى : أو علم ما سألت عنه من مستقرها تحت العرش في كتاب كتب فيه ابتداء أمور العالم ونهايتها ، فينقطع دوران الشمس وتستقر عند ذلك ويبطل فعلها . وليس في سجودها كل ليلة ما يعيق عن دورانها في سيرها » اه

ثم قال الحافظ بعد نقل هذه الاحتمالات في تأويل الحديث والآية

(قلت) وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها . ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري والله أعلم اه

أقول يعني ان هذه التأويلات خلاف المتبادر من لفظ الحديث . وأما حديث عبد الرزاق من طريق وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو بن العاص الذى نقله وسكت عليه فهو أعصى على تأويلنا وتأويلهم وأبعدعنهما بعدالشمس عن العرش وفي معناه روايات أخرى أغرب منه . ووهب هذا وثقه ابن معين والعجلي وقال علي بن المديني وابن حبان : وهب بن جابر مجهول سمع من عبد الله بن عمرو بن العاص قصة يأجوج ومأجوج و « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت » ولم يرو غير ذين ، وقال النسائي مجهول ، وكفى بقول علي بن المديني انه لم يرو غير هذين حجة على أن رواية حديث الشمس عنه مردودة سواء كان ثقة أم لا ؟

(جواب الحافظ ابن كثير في تفسيره)

وأجاب العماد بن كثير عن سجود الشمس تحت العرش بما حاصله أن العرش قبة ذات قوائم تحمله الملائكة وهو فوق العالم مما يلي رءوس الناس فالشمس اذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ماتكون إلى العرش ، فاذا استدارت في فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت أبعد ماتكون من العرش فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع كما جاءت بذلك الاحاديث اه وهذا جواب من يصدق الفلكيين في ثبات الشمس في فلكها

ودوران الفلك بها حول الارض ، وقد نقض ارتقاء علم الهيئة بالمناظير المقربة للابعاد هذا المذهب اليوناني ، وأجمع علماء الفلك في هذا العصر على كروية الارض ودورانها تحت الشمس الثابتة في مركزها . على ان قوله منقوض على ذلك المذهب أيضاً إذ لا خلاف عند أهله في كروية الارض وسكنى الناس على سطحها من كل جانب فلا يتجه القول بان العرش فوق رءوس المقيمين في جانب منها دون آخر

(مانقله الفقيه ابن حجر الهيتمي في حديث سجود الشمس)

جاء في الفتاوى الحديثية للشيخ أحمد بن حجر الهيتمي مانصه :

(وسئل) نفع الله به : اذا غابت الشمس أين تذهب ؟

(فاجاب) بقوله : في حديث البخارى أنها تذهب حتى تسجد تحت العرش . زاد النسائي « ثم تستاذن فيؤذن لها ويوشك أن تستأذن فلا يؤذن لها وتؤمر بالطلوع فلا يؤذن لها ، وتؤمر بالطلوع من محل غروبها » ولا يخالف هذا قوله تعالى (تغرب في عين حمئة) لان المراد به نهاية إدراك البصر لها حال الغروب وسجودها تحت العرش انما هو بعد الغروب . وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس أنها بمنزلة الساقية تجرى بالنهار في السماء بفلكها واذا غربت جرت بالليل في فلكها تحت الارض حتى تطلع من مشرقها وكذلك القمر ، وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة أنها اذا غربت دخلت نهراً تحت العرش فتسبح ربها حتى اذا أصبحت استعفت ربها عن الخروج، قال: ولم؟ قالت إني إذا خرجت عبدت من دونك. وقيل يبتلعها حوت ، وقيل تغيب في عين حمئة كما في الآية والحمأة بالهمز ذات الطين الاسود وقرىء حامية بالياء أى حارة ساخنة ، وقيل تطلع من سماء إلى سماء حتى تسجد تحت العرش وتقول يارب ان قوما يعصونك، فيقول لها ارجعي من حيث جئت فتنزل من سماء إلى سماء حتى تطلع من المشرق وبنزولها الى سماء الدنيا يطلع الفجر . قال امام الحرمين وغيره لا خلاف أنها تغرب عند قوم وتطلع عند قوم آخرين ، والليل يطول عند قوم ويقصر عند آخرين إلا عند خط الاستواء فيستويان أبداً ، وفي بلاد بلغار بموحدة مضمومة

ثم معجمة لا تغيب الشمس عندهم إلا مقدار مابين المغرب والعشاء ثم تطلع » اه

أقول الشيخ احمد بن حجر هذا هو الفقيه الشافعي المتوفي سنة ٩٧٣ وهو قليل البضاعة في الحديث وفي علوم المعقول ينقل من الكتب عند الحاجة، وماعزاه الى النسائي من لفظ الحديث ثابت في البخارى، وسائر الروايات التي ذكرها لا تصح. وقد أورد كلام علامة المعقول الأكبر إمام الحرمين ولم يرده لانه امام الاشعرية والشافعية الذين يقلدهم ولا استطاع أن يوفق بينه وبين الحديث

(فائدة لها علاقة بحديث الشمس)

يقول الفقيه ابن حجر الهيتمي هذا اذا اختلف العلماء فالذى يجب اعتماده كلام الفقهاء. ولكن بضاعة أكثر الفقهاء مزجاة في مشكلات الاحاديث ولاسيما غير الفقهية وقد قرأنا في بعض كتبهم تعليلا لبرودة مياه الآبار في الصيف وحرارتها في الشتاء كما يتوهم من لا يعرف الحقيقة وهو ان الشمس يطول مكثها تحت الارض في ليالي الشتاء لطولها فيكون دفء مياه الآبار من ذلك، ويقصر مكثها تحت الارض في ليالي الشتاء لقصرها فتظل مياه الآبار باردة !! فكيف يوفق محرر مجلة نور الاسلام بين هذا التعليل الخرافي وبين مايفهم من ظاهر الحديث من ان الشمس في الليل تكون تحت العرش فوق السموات السبع ؟؟ كعادته في تصحيح أمثال هذه الجهالات والخرافات ؟

﴿ كلام الآلوسي وجوابه عن الحديث في تفسيره ﴾

قال الشهاب السيد محمود الآلوسي في تفسير آية سورة يس من تفسيره روح المعاني ما نصه :

« وفي غير واحد من الصحاح عن ابي ذر قال : كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال « يا أبا ذر أتدرى أين تذهب هذه الشمس ؟ قلت الله تعالى ورسوله أعلم، قال تذهب لتسجد فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها، فذلك قوله عز وجل (والشمس تجري لمستقر لها) وفي

رواية « أتدرون أين تذهب هـذه الشمس ؟ قالوا الله تعالى ورسوله أعلم ، قال إن هذه تجرى حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة » الحديث ، وفي ذلك عدة روايات وقد روى مختصراً جداً . وأخرج أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائي وابن ابي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه والبيهقي عن ابي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (والشمس تجرى لمستقرها) قال «مستقرها تحت العرش» فالمستقر اسم مكان والظاهر أن للشمس فيه قراراً حقيقة

«قال النووى : قال جماعة بظاهر الحديث ، قال الواحدى وعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع ، ثم قال النووى : وسجودها بتمييز وإدراك يخلقه الله تعالى فيها، وذكر ابن حجر الهيتمي في فتاويه الحديثية ان سجودها تحت العرش انما هو عند غروبها . وأورد (ملخص ما تقدم آنفا ثم قال)

«والسجود تحت العرش قد جاء أيضاً من روايات الامامية، ولهم في ذلك أخبار عجيبة ، منها ان الشمس عليها سبعون ألف كلاّب ، وكل كلاب يجره سبعون ألف ملك من مشرقها إلى مغربهـا ، ثم ينزعون منها النور فتخر ساجدة تحت العرش ، ثم يسألون ربهم هل نلبسها لباس النور أم لا ؟ فيجابون بما يريده سبحانه ثم يسألونه عز وجل هل نطلعها من مشرقها او مغربها ؟ فيأتيهم النداء بما يريده جل شأنه ، ثم يسألون عن مقدار الضوء فيأتيهم النداء بما يحتاج اليه الخلق من قصر النهار وطوله .

«وفي الهيئة السنية للجلال السيوطي أخبار من هذا القبيل ، والصحيح من الاخبار قليل ، وليس لي على صحة أخبار الامامية وأكثر ما في الهيئة السنية تعويل ،

«نعم ما تقدم عن ابي ذر مما لا كلام في صحته ، وماذا يقال في ابي ذر وصدق لهجته ؟ والامر في ذلك مشكل اذا كان السجود والاستقرار كل ليلة تحت العرش سواء قيل انها تطلع من سماء إلى سماء حتى تصل اليه فتسجد ، ام قيل انها تستقر وتسجد تحته من غير طلوع ، فقد صرح امام الحرمين وغيره بأنه لا خلاف في أنها تغرب عند قوم وتطلع على آخرين ، والليل يطول عند قوم ويقصر عند آخرين ، وبين الليل والنهار اختلاف ما في الطول والقصر عند خط الاستواء ، وفي بلاد بلغار قد يطلع الفجر قبل ان يغيب شفق الغروب ، وفي عرض تسعين لا تزال طالعة

مادامت في البروج الشمالية وغاربة مادامت في البروج الجنوبية ، فالسنة نصفها ليل ونصفها نهار ، على مافصل في موضعه. والادلة قائمة على انها لا تسكن عند غروبها ، وإلا لكانت ساكنة عند طلوعها ، بناء على ان غروبها في أفق طلوع في غيره ، وأيضاً هي قائمة على انها لا تفارق فلكها فكيف تطلع من سماء إلى سماء حتى تصل إلى العرش ؟ بل كون الامر ليس كذلك أظهر من الشمس لا يحتاج إلى بيان أصلا . وكذا كونها تحت العرش دائما بمعنى احتوائه عليها وكونها في جوفه كسائر الافلاك التي فوق فلكها والتي تحته

«وقد سألت كثيراً من أجلة المعاصرين عن التوفيق بين ماسمعت من الاخبار الصحيحة وبين مايقتضي خلافها من العيان والبرهان، فلم أوفق لان أفوز منهم بما يروى الغليل ، ويشفي العليل » اهـ ما قرره الالوسي من استشكال الحديث من الوجهين وكونه مخالفاً للقطعي وعجز أجل معاصريه من العلماء عما يزيل الاشكال» اهـ

ثم انه رحمه الله استنبط له حلا غريبا بعد مقدمات مؤلفة من خرافات كثيرة أغرب منه خلاصته أن الشمس لها نفس عاقلة مدركة كروح الانسان وان هذه النفس هي التي تصعد فتسجد تحت العرش، ويبقى جسم الشمس المضيء على مايراه الناس. ولم أره تجرد من عقله واستقلاله العلمي وأثبت عدة خرافات خلط فيها بين تخيلات الفلاسفة والصوفية والمبتدعة كما فعل في هذه المسألة عفا الله عنه ، ومن شاء فليرجع الى عبارته فيه

﴿ حاصل أقوال العلماء والعبرة به ﴾

وحاصل ما أوردناه من كلام المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين انهم اتفقوا على ان الحديث مشكل كما قلنا ، وأنهم أنكروا منه السجود تحت العرش واحتجاب الشمس عن الدنيا ، وكانت أجوبتهم عن السجود أقوى من أجوبتهم عن الاحتجاب ، وان أحداً منهم لم يكفر أحداً ممن استشكله ، ولا رماه بتكذيب الله ورسوله وان لم يسلم له تأويله ، وأن جوابنا في حل الاشكال أظهر من جميع أجوبتهم ، وانا على توفيقنا هذا لخدمة السنة قد رمانا محرر مجلة الازهر زوراً وبهتانا بما علم القارئون ، ولنا ان نتمثل بقول الشاعر :

وإذا أراد الله نشر فضيلة   طويت أتاح لها لسان حسود

خاتمة البحث في تحدينا لمشيخة الازهر فيه

قد علمتم أيها المسلمون مما شرحته لكم في هذه المسألة ان أحد كبار هيئة علماء المشيخة الرسميين ومحرري مجلتها الرسمية قد افترى علينا في هذه المسألة بغير أمانة ولا علم - وترك الذين قديصدقون كلامه في هذا الحديث وربما كانوا مئات الالوف في حيرة أو شك من دينهم إذ علموا منه ان الحديث يدل على ان الشمس تغيب عن الارض كلها بعد غروبها عنهم، وجميع الذين تعلموا الجغرافية منهم وكثيرمن غيرهم يعلمون علما يقيناً ان الشمس لا تغيب عن الارض طرفة عين، وانما تغرب عن قوم وتطلع على آخرين، كما قال بعض كبار علماء الاسلام المتقدمين

فكان الواجب على هذا العالم أن يرشد المسلمين أولا إلى الجمع بين معنى الحديث الذى أخبرهم انه متفق عليه وبين اعتقادهم القطعي لما يخالف مضمونه قبل أن يقول لهم ان الذى لا يعتقد صحته يكون مكذبا لله ولرسوله، وهم لا يستطيعون هذا الاعتقاد

واني بعد أن بينت لهم ماعندي من حل الاشكال وما قاله العلماء الذين استشكلوا الحديث من قبل، وان ماقلته هو الذى يطمئن به القلب، أتحدى الاستاذ الأكبر شيخ الازهر ومن شاء من هيئة كبار العلماء (غير الدجوي الذي ليس في علم الحديث جمل ولا ناقة، ولا يذكر منه في مقدمة ولا ساقة، بل هو يعد أعظم حفاظه كالذهبي في عصره أعداء لرسول الله ﷺ ويطمن في صدقهم) أن يبينوا للأمة طرق هذا الحديث وما يصح منها بحسب اصطلاح المحدثين وما لا يصح، وما يجب على المسلمين أن يصدقوه مما يخالف منه المشاهدة وما تقرر في علم المنطق وعلم الجغرافية الذى يدرس في الازهر وفي جميع مدارس هذا العصر، إما بالجمع بين الامرين جمعا معقولا، وإما بتكذيب ما أثبته العلم إن كان مستطاعا، إذا كانوا لا يوافقوننا على ما ذكرنا من إعلال متنه وأصح أسانيده، فهذه سبيل العلماء حماة الدين لا الافتراء على العلماء الذين هداهم الله الى هذه الحماية قبلهم، والتعالي والتنفج بسلطان الالقاب الرسمية التي لا قيمة لها عندهم، وإيقاع الناس في شك من دينهم، واذا لم يكف شيخ الازهر مرءوسيه عن مثل هذا العدوان والبهتان فسأتحداه بمناظرات أخرى في علم التوحيد وفي التفسير والحديث، وإن خالفت مقتضى الحلم والتواضع الذى اعتصمت به إلى الآن

المقال العاشر

(من مقالاتنا في الرد على مجلة مشيخة الازهر - تابع لما نشر في المجلد الثاني والثلاثين)

(البهيتة الرابعة من بهائت مجلة الازهر رد أحاديث البخاري في آية رجم الشيخ والشيخة)

تقدم في الكلام على البهيتة الثالثة ذكر ما عزاه محرر مجلة مشيخة الازهر الينا في هذه المسألة بما علم به انه افتراء منه يوهم قراءها انه نقله من المنار بنصه ، وإننا نعيده هنا لاجل أن نتكلم في المسألة ببعض التفصيل وهذا نص عبارته :

(عبارة الدجوي في نسخ آية الشيخ والشيخة المفتراة على صاحب المنار)

« قال في مناره الصادر في آخر رمضان سنة ١٣٢٧ صفحة ٦٩٧ من مجلد السنة المذكورة ما نعرض عليك محصله لتحكم فيه ، وليتضح به الموضوع الذي نحن فيه ، فانه كالمقدمة له : رد الاحاديث التي في البخاري وغيره الناطقة بان آية (الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة) كانت قرآنا يتلى ، وان عمر قال ذلك بمجمع من الصحابة ولم ينكر عليه أحد ، وهو معروف لامراء فيه . ويستند حضرته في ذلك الرد إلى ماتعرف منه مقدار علم الشيخ وتفكيره . يقول ان ذلك لو تم لكان يتخذ شبهة على القرآن من حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه . ولم يفرق الشيخ بين النسخ الذي يكون من قبل الشارع ولا يعرف إلا من جهته ولا يكون إلا في زمنه بارشاده وتبيينه ، وبين التفريط في القرآن وضياع شيء منه » انتهى قول الدجوي بحروفه

أقول ان من قرؤا هذه العبارة في مجلة مشيخة الازهر يظنون ان محررها اذا جاز أن يخطئوا في فهم بعض ماينقلون فانه لا يعقل أن يفتروا (أي يتعمدوا الكذب) فيما ينقلونه عن غيرهم ولا سيما اذا عينوا المكان الذي نقلوه عنه من كتاب او مجلة بعدد مجلداته وصفحاته، واذاً يكون ما نقله هذا المحرر وهو من هيئة

كبار العلماء المدرسين في الازهر عن ص ٦٩٧ من مجلد المنار الذي صدر في سنة ١٣٢٧ هو كما نقله لاريب فيه . وهو ان صاحب المنار صرح في تلك الصفحة برد ما رواه البخاري في المسألة باللفظ الذي ذكره الناقل ، وانه استدل على رده بما ذكره عنه بقوله : يقول ان ذلك لو تم لكان كذا وكذا الخ ما تقدم آنفا

لا أقول هذا من باب الاستنباط العقلي فقط بل أخبرني الثقة انه وقع بالفعل: قال قائل ان الشيخ يوسف الدجوي قد افترى الكذب فيما عزاه إلى السيد رشيد وزعم أنه نقله من كلامه . فقال له أحد المشايخ — وكانوا بجوار الازهر — انه ليس من المعقول أن يكون مثل الشيخ يوسف الدجوي في مكانه من كبار علماء الازهر ومدرسيه مفتريا فيما نقله في مجلة المشيخة وعزاه إلى موضعه من مجلة المنار بالصفحة المعينة من المجلد المعين ؟

ولكن غير المعقول عند أكثر الناس ممن يتحرون الصدق ، هو واقع بالفعل ممن يتحرى الكذب ، فان الصفحة ٦٩٧ من مجلد المنار المذكور ليس فيها ماعزاه اليها هذا المدرس في الازهر والمحرر في مجلة مشيخته من مسألة الشيخ والشيخة ، وإنما فيها إشارة إلى ما أنكره الدكتور محمد توفيق صدقي وغيره من نسخ التلاوة لبعض آيات القرآن في مناظرته مع الاستاذ الشيخ صالح اليافعي ، ذكرتها في سياق الحكم في تلك المناظرة

ذلك بانني أشرت إلى بعض ما رده جمهور العلماء من روايات الصحيحين لمخالفته للعمل أو لرواية أخرى أصح منها ثم قلت : فأولى وأظهر أن يجوز رد الروايات التي تتخذ شبهة على القرآن من حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه ، ومثلت لذلك بكلمة وضعتها بين هلالين وهي (كالروايات في نسخ التلاوة) وقلت بعدها: ولاسيما لمن لم يجدلها تخريجا يدفع الشبهة كالدكتور محمد توفيق صدقي وأمثاله كثيرون اه فقولي هذا حكاية لاشتباه ترتب عليه انكار وقع ، لا رد للحديث لاشتباه يتوقع ، وهو مطلق في نسخ التلاوة ، لا خاص بنسخ آية الرجم باللفظ الذي ذكره ولا بغيره

ومعلوم عند أهل النقل انه ورد في نسخ التلاوة عدة روايات حتى قيل ان

سورة الاحزاب كانت تعادل سورة البقرة أو أطول، ومنها هذه الآية، وزعم غلاة الروافض ان مما حذفه الصحابة (رض) منها وادعوا انه نسخت تلاوته آيات كثيرة في ولاية علي أمير المؤمنين عليه السلام الخ بل أقول ان حديث عمر الذي رواه البخاري في مسألة رجم الزاني المحصن قد ذكر فيه شيء آخر مما نسخت تلاوته ولكن لم يذكر فيه الشيخ والشيخة الخ

فأنا لم أزد في التمثيل لنسخ التلاوة الذي كان أهم موضوع المناظرة المذكورة بأكثر من كلمة (كالروايات في نسخ التلاوة) ولم أقل روايات البخاري ولا الصحيحين ولا غيرهما . وهذه الروايات من أعظم الشبهات حتى الرواية التي خصها محرر مجلة مشيخة الازهر بالذكر وزعم انها في البخاري وليست فيه ، والشبهات فيها متعددة بعضها في سندها ، وبعضها في موضوعها ، فمنها اختلاف ألفاظها ، ومنها ان النبي ﷺ امتنع عن الاذن لعمر بكتابتها ، ومنها ان عمر أنكر على أبي بن كعب ارادة كتابتها باذن النبي ﷺ - ومنها انه قال : لولا ان يقول الناس ان عمر زاد في كتاب الله تعالى لكتبتها في المصحف ، ومتى كان عمر يخاف قول الناس في إظهار شيء يعتقده ولا سيما كلام الله تعالى ؟ وبعضها في حكمها وهو رجم الشيخ والشيخة إذا زنيا مطلقا وإنما الرجم على المحصن شيخاً أو شاباً . فهذا الاطلاق يخالف ما عليه العمل بالاجماع ، وفي حديث عمر في الصحيحين أن النبي ﷺ قال في الزاني غير المحصن الذي زنى بالمحصنة إنه يحكم بينهما بكتاب الله تعالى . ثم حكم عليه بجلد مائة وتغريب عام وعليها بالرجم ، والتغريب ليس في كتاب الله عز وجل ، فكل هذا من مشكلات الرواية ، وتأول بعضهم الاشكال الاخير بأن المراد به حكمه تعالى فيما أوحاه إلى نبيه غير القرآن ، وروي عن ابن عباس أن آية الرجم في القرآن لا يغوص عليها إلا غواص . وانني أذكر أهم ماقاله الحفاظ في زيادة (الشيخ والشيخة) في حديث عمر

إن البخاري لما روى حديث عمر في الرجم من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري ذكر أن سفيان قال « كذا حفظت » وذكر الحافظ ابن حجر في شرح هذه الكلمة : ان الاسماعيلي أخرج هذا الحديث من رواية جعفر الفريابي عن علي بن عبد الله

شيخ البخاري وزاد فيه ان عمر قال عند ذكر آية الرجم « وقد قرأناها (الشيخ والشيخة إذا زنيافا رجوهما البتة) وقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده. فسقط من رواية البخاري هذه الزيادة

(ثم قال الحافظ مانصه) : ولعل البخاري هو الذي حذف ذلك عمداً فقدأخرجه النسائي عن محمد بن منصور عن سفيان كرواية جعفر ثم قال لاأعلم أحداً ذكر في هذا الحديث (الشيخ والشيخة) غير سفيان وينبغي أن يكون وهم في ذلك (قلت) وقد أخرج الأئمةهذا الحديث من رواية مالك ويونس ومعمر وصالح بن كيسان وعقيل وغيرهم من الحفاظ عن الزهري فلم يذكروها اه المراد من كلام الحافظ

وأقول ان قول البخاري « قال سفيان كذا حفظت» يدل على ان رواية جعفر الفريابي عنه هذه الزيادة (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة) غير صحيحة إذ لو كان سمعها من الزهرى لماقال : كذاحفظت ـ ولهذا قال الحافظ لعل البخارى هو الذى حذف ذلك عمداً. وأما النسائي فانه لما ذكر رواية جعفر الفريابي عن سفيان أنكر هذه الزيادة التي انفرد بها قال : وينبغي أن يكون وهم في ذلك — فالبخارى ينفيها عن سفيان والنسائي يخطئه بها ، وسفيان من أئمة رواة الحديث والفقه فيه ولكنه تغير في آخر عمره وكان يدلس أيضاً

وانني لأعجب ان أرى محرر مجلة المشيخة من هيئة كبار علماء الازهر يتصدى للطعن علينا برد شيء من أحاديث البخاري من غير أن يكلف نفسه مراجعة البخاري فيما يعزوه اليه منها ، على علمه بضعف إلمامه بالسنة وقلة اطلاعه على ما في الصحيحين منها فضلا عما دونهما ، فياليت شعرى ألايشعر بضعفه؟ ام يظن ان النقل عن صحيح البخاري كالنقل عن المنار ؟ اذا قلنا للناس في الجرائد ان هذا النقل غير صحيح يقل فيهم من يملك مجلدات المنار القديمة ليراجع الصفحات التي يعزو اليها ما ليس فيها فيعلم كذبه في النقل عنها ؟ ولكن صحيح البخاري يوجد في كل مكتبة إسلامية عامة أوخاصة إلا ماندر فمن شاء فليراجع الحديث في كتاب الحدود منه وشرح الحافظ ابن حجر له في الجزء الثاني عشر منه، ليعلموا جهل الدجوى وكذبه فيما عزاه اليه

﴿ استطراد في فضيحة مجلة الازهر لعلمائه في الجهل بعلوم الحديث ﴾
(ونصيحة المنار لها)

انني نصحت لمجلة مشيخة الازهر في تقريظي لها عقب ظهورها بأن تعنى بما قصر فيه الازهريون في هذا العصر من علم الحديث إذ رأيت فيها إنكاراً لوجود حديث نبوي بمعنى تأييد الله لهذا الدين بمن ليس من أهله ، وذكرت لها حديث الصحيحين وغيرهما في ذلك واقترحت عليها أن لا تذكر حديثاً إلا مقروناً بتخريجه ودرجته، وهي على قبولها للنصيحة في الجملة سمحت للشيخ يوسف الدجوى بان يخبط فيما يكتبه خبط عشواء بل عمياء فيكذب في النقل حتى العزو الى صحيح البخاري ، ويصحح الموضوعات والواهيات ، ولما أنكرت عليه بعض هذا الخبط انتقم مني بما علمه القراء

وكان سبب هذا ان أحد طلاب العلم النجديين آلمه إسراف هذا الشيخ في الطعن على قومه وأهل مذهبه بالباطل في مجلة المشيخة فألف كتابا في الرد عليه سماه (البروق النجدية ، في اكتساح الظلمات الدجوية) وكان مما أنكره عليه أنه اورد في باب تجهيله إياه في علم الحديث انه استشهد بحديث توسل آدم أو سؤاله ربه بحق محمد ﷺ ان يغفر له ، وزعم أن الحافظ الذهبي أقر الحاكم راويه على تصحيحه ، والحال ان الحافظ الذهبي انكر تصحيحه بل قال انه موضوع ، ففضحه المجاور النجدى في زعمه هذا ، بل هدم بكتابه ما كان له من صيت في الازهر انتقل إلى غير الازهر

كبر على الشيخ الدجوى أن يرد عليه ويجهله طالب نجدى (وهابي) وكبر ذلك على الاستاذ الاكبر شيخ الازهر أيضا فقطع رزق الطالب النجدى من الازهر وأمر بقطع انتسابه فيه ، وحاول الدجوي الرد على النجدي من غير ذكر اسمه في مجلة الازهر حتى في مسألة وضع هذا الحديث فأخذ يماري فيه بما اعتاده في دروسه ، بل ادعى انه صحيح . وأفضى ذلك إلى سؤال بعض مجاوري الازهر إياى عن ذلك فبينت له خطأ الدجوي في مرائه هذا من بضعة وجوه بالاجمال ثم فصلتها و نشرتها في الجزء الرابع من مجلد المنار ٣٢ واعتذرت عن ذلك بقولي

« أصر الاستاذ الدجوي على القول بتصحيح هذا الحديث والتفصي من قول الحافظ الذهبي انه موضوع بالمغالطة والتأويل ، وقد سألني بعض مجاوري الازهر

عن رأيي في رده فقرأته على تحامي قراءة هذا المجلة لئلا اراني مضطراً إلى ما لا احبه من الرد على ما انكره فيها ، فبينت لمسائل خطأه فيه إجمالا وانني أذكره هنا استطرادا »

ثم بينت خطأه في عدة صفحات فكان هذا هو الذي هاجه على هذه الهيجة الشؤمى عليه لانها اظهرت من حقيقته للناس مالم يظهره كتاب الطالب النجدي ، بل جرأه هذا على الطعن في الحافظ الذهبي وجماعته من أهل الحديث في رسالته البذيئة ، ووضعهم مع شيخ الاسلام ابن تيمية ، واتهمهم فيها كما اتهمني بعداوة رسول الله ﷺ اذ جاء في حاشية صفحة ٢٣ منها أنه يعجبه قول بعض الافاضل : لو كان قوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) حديثا لقال الذهبي وجماعته انه موضوع (!) فمن هذا الفاضل الذي يقول في أعلم حفاظ السنة في عصره بنقد الحديث وتمحيص أسانيده هذا القول ؟ إلا إنه ينبغي أن يكون الشيخ الدجوى هو القائل لتلميذه ناشر الرسالة ذلك القول أو يكون تلميذه هو القائل له ، وهل يتجرأ على هذا الجهل إلا مثلهما ؟

فان كان شمس الاسلام الذهبي حافظ الامة وفخرها قد بلغ من عداوته وبغضه لرسول الله ﷺ أن يخون علم سنته ويكذب كل بيان لمناقبه وفضائله من الاحاديث فيجعله موضوعا وإن كان سنده صحيحا كما يزعم هذا المغرور باسم الازهر — أفلا يكون لي سلوى عما افتراه علي من هذا القبيل ؟ كلا بل لي الشرف بأن أكون معهم فانهم ممن أنعم الله عليهم ، غير المغضوب عليهم من أعداء السنة وحملتها ولا الضالين الجاهلين بها

على أنه لم يطعن في ابن تيمية والحافظ الذهبي وحدهما بل ضم إلى الثاني جماعته وقال ان لابن السبكي كلاما كثيرا عنهما . وانما ابن السبكي تلميذ الذهبي يفتخر به ويقول في ترجمته من طبقاته ان حفاظ عصره أربعة : المزي والبرزالي والذهبي ووالده (تقي الدين السبكي) ثم يقول « وأما أستاذنا أبو عبد الله (الذهبي) فنظير لا نظير له ، وكبير هو الملجأ إذا نزلت المعضلة ، إمام الوجود حفظا ، وذهب العصر معنى ولفظاً ، وشيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال في كل سبيل ، كأنما جمعت الامة في صعيد واحد فنظرها ، ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها ، وكان محط رحال المعنت ، ومنتهى رغبات من تعنت ، تعمل المطي الى رحاله ، وتضرب البزل المهارى أكبادها فلا تبرح أو تقبل نحو داره ، وهو الذي خرجنا

في هذه الصناعة ، وأدخلنا في عداد الجماعة ، جزاه الله عنا أفضل الجزاء الخ —

فالتاج السبكي هذا يفتخر بأنه من جماعة الحافظ الذهبي ، فهو من أعداء رسول الله ﷺ عند الدجوي وتلاميذه أعداء السنة وأنصار البدعة ؟

وحسبي هذا الذي كتبته في الموضوع إذ لا فائدة للامة في تمحيص هذه الروايات وبسطها في الجرائد التي يقرؤها العوام والخواص وفيها ما فيها من الشبهات والمشكلات . وحسبي من الرد على محرر مجلة الازهر أن يعلم الناس انه بهتني بما افتراه علي على علم، وما كذب به على صحيح البخاري بغير علم

فان عاد إلى القيل والقال في أمثال هذه المسائل التي لا يفقهها فانني أتحدى مشيخة الازهر من دونه تحدياً ثانياً في علم الحديث والقرآن وخاصة هذه المسألة

المقال الحادي عشر

(البهيتة الخامسة ماسماه سحر النبي ﷺ)

قال محرر مجلة مشيخة الازهر بعد ما تقدم في مسألة الشيخ والشيخة :

« ثم رد الحديث الذي رواه البخاري في سحر النبي ﷺ . رد ذلك بتمويهات وخيالات لا نطيل بها » اه هذا لفظه وفي إضافة السحر إلى النبي ﷺ ما فيها من سوء التعبير وسوء الادب...

وأما عبارة المنار فهذا نصها : ومثل الرواية في سحر بعض اليهود للنبي ﷺ ردها الاستاذ الامام ولم يعجبه شيء مما قالوه في تأويلها فان نفس النبي ﷺ أعلى وأقوى من ان يكون لمن دونه تأثير فيها ، ولانها مؤيدة لقول الكفار (٢٥: ٨ وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً) وهو ما كذبهم الله تعالى فيه بقوله بعده (٩ أنظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) اه

فعلم من هذا أنني ناقل لهذه المسألة عن الاستاذ الامام ولست أنا الذي رددت الحديث، فاسناد الرد إلي ، بهت لي وافتراء علي ، ولما قلت في مقال سابق

إنني ناقل لهذه المسألة ومسألة الملائكة عن الاستاذ الامام طفق المفتري يهجوني في رسالته ومقالاته بانه لايليق بي ان أتنصل من ذلك وألقي تبعته على أستاذي بل يجب أن أترك الاستاذ الامام بمعزل من موجبات الطعن والتكفير الموجهين إلي وأحمل تبعة ذلك بنفسي . كأن الحق وأمانة النقل والصدق في القول من المنكرات المذمومة عند الاستاذ الدجوي، أو مما يبيح فن المناظرة عنده أن تحل محلها أضدادها وهي اتباع الباطل والخيانة في النقل والكذب في القول، وقد بلغ به الهرب والهزيمة من توجيه الطعن إلى الاستاذ الامام لاتفاق الامة على إجلاله أن جعل نقلي عنه التفسير في حياته موضع التهمة !!!

لعله يندر أن يوجد في الدنيا خيال كخيال الدجوي سابح في دجى الاوهام يتصور أن ينقل صاحب المنار عن الاستاذ الامام في حياته انه قال في درسه في الازهر كذا وان بعض الناس اشتبهوا في هذا القول فرد عليهم بكذا ، أو أن يقول انني أنقل من خطه كذا ، ويكون نقله هذا غير صحيح ، مع العلم بان المنقول عنه كان يقرأ ذلك كما يقرؤه كثير ممن حضروا دروسه في الازهر ، بل مع العلم بما كان من قوة الصلة والثقة بين صاحب المنار والاستاذ الامام حتى ان أمير البلاد بذل جهده في التفريق بينهما فلم يستطع إلى ذلك سبيلا مع أحد منهما . ولا يزال في الاحياء من يعلم دخائل هذه المسألة كفضيلة الاستاذ الشيخ محمد شاكر الذي كلفه الخديو أن يكلم الاستاذ الامام بان يترك صحبة صاحب المنار ليرضى عنه سموه ويساعده على مايشاء من إصلاح الازهر ، فقال رحمه الله للشيخ شاكر وكيف أترك صحبة السيد رشيد رضا وهو ترجمان أفكاري ؟ وتفصيل هذه المسألة وأمثالها في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام — بيد ان الشيخ الدجوي يريد أن يقنع قراء كلامه أن نقل صاحب المنار عن الشيخ محمد عبده قد يكون غير صحيح ليحصر طعنه فيه ويسلم من سخط الجهور . ولكن القراء قد علموا ان نقل الدجوي عن المنار غير صحيح ، بل كذب صريح ، وكذا نقله عن البخاري. فكيف يعبؤن بتشكيكه فيما ينقله عن أستاذه حتى في حياته ؟ ثم ماذا يقولون في مسألة السحر وهي مدونة في تفسيره (رح) لجزء عم الذي طبعته الجمعية الخيرية في أيام حياته وبعد وفاته ؟

قد علم القراء أنني ذكرت هذه المسألة وغيرها في مقالة المنار المشار اليها من باب التمثيل لما أنكره العلماء الباحثون من الروايات حتى التي صححها الشيخان أو أحدهما لا من باب ما أنكره أنا من ذلك . وانني أذكر لهم هنا نص ما كتبه الاستاذ في المسألة من تفسيره لسورة الفلق من ذلك الجزء لا من المنار ولا من تفسيره .

عبارة الاستاذ الامام في مسألة السحر

« وقد رووا ههنا أحاديث في أن النبي ﷺ سحره لبيد بن الاعصم وأثر سحره فيه حتى كان يخيل له أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله، أو يأتي شيئا وهو لا يأتيه وان الله أنبأه بذلك وأخرجت مواد السحر من بئر وعوفي ﷺ مما كان نزل به من ذلك ونزلت هذه السورة

«ولا يخفى ان تأثير السحر في نفسه عليه السلام حتى يصل به الامر إلى أن يظن أنه فعل شيئا وهو لا يفعله، ليس من قبيل تأثير الامراض في الابدان، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الامور العادية، بل هو ماس بالعقل، آخذ بالروح ،وهو مما يصدق قول المشركين فيه(إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً) وليس المسحور عندهم إلا من خولط في عقله،وخيل له أن شيئا يقع وهو لا يقع، فيخيل اليه أنه يوحى اليه ولا يوحى اليه . وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ماهي النبوة ولا مايجب لها ان الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صح ، فيلزم الاعتقاد به، وعدم التصديق به من بدع المبتدعين، لانه ضرب من انكار السحر ، وقد جاء القرآن بصحة السحر . فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح والحق الصريح في نظر المقلد بدعة؟ نعوذ بالله، يحتج بالقرآن على ثبوت السحر ويعرض عن القرآن في نفيه السحر عنه ﷺ وعده من افتراء المشركين عليه ، ويؤول في هذه ولا يؤول في تلك!! مع أن الذي قصده المشركون ظاهر لانهم كانوا يقولون ان الشيطان يلابسه عليه السلام ، وملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم وضرب من ضروبه ، وهو بعينه أثر السحر الذي نسب إلى لبيد ، فانه قد خالط عقله وادراكه في زعمهم .

« والذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به، وانه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبته وعدم الاعتقاد بما ينفيه ، وقد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول باثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه، ووبخهم على زعمهم هذا ، فاذن هو ليس بمسحور قطعا . وأما الحديث فعلى فرض صحته هو آحاد ، والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد، وعصمة النبي من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين ، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون ، على أن الحديث الذي يصل الينا من طريق الآحاد انما يحصل الظن عند من صح عنده ، أما من قامت له الادلة على انه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجة ، وعلى أي حال فلنا بل علينا أن نفوض الامر في الحديث ولا نحكمه في عقيدتنا ، ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل فانه اذا خولط النبي في عقله كما زعموا جاز عليه أن يظن انه بلغ شيئا وهو لم يبلغه، أو أن شيئا نزل عليه وهو لم ينزل عليه، والامر ظاهر لا يحتاج إلى بيان

«ثم ان نفي السحر عنه لا يستلزم نفي السحر مطلقا فربما جاز أن يصيب السحر غيره بالجنون نفسه ، ولكن من المحال ان يصيبه لان الله عصمه منه ، ما أضر المحب الجاهل ، وما أشد خطره على من يظن أنه يحبه، نعوذ بالله من الخذلان

«على ان نافي السحر بالمرة لا يجوز أن يعد مبتدعا لان الله تعالى ذكر ما يعتقد به المؤمنون في قوله (آمن الرسول) الآية ، وفي غيرها من الآيات، ووردت الاوامر بما يجب على المسلم أن يؤمن به حتى يكون مسلما ، ولم يأت في شيء من ذلك ذكر السحر على انه مما يجب الايمان بثبوته أو وقوعه على الوجه الذي يعتقد به الوثنيون في كل ملة ، بل الذي ورد في الصحيح هو أن تعلم السحر كفر ، فقد طلب منا ان لا ننظر بالمرة فيما يعرف عند الناس بالسحر ويسمى باسمه، وجاء ذكر السحر في القرآن في مواضع مختلفة وليس من الواجب أن نفهم منه ما يفهم هؤلاء العميان، فان السحر في اللغة معناه صرف الشيء عن حقيقته . قال الفراء في قوله تعالى (فأنى تسحرون) أي أنى تؤفكون وتصرفون ، سحره وأفكه بمعنى واحد

« وماذا علينا لو فهمنا من السحر الذي يفرق بين المرء وزوجه تلك الطرق

الخبيثة الدقيقة التي تصرف الزوج عن زوجته ، والزوجة عن زوجها ؟ وهل يبعد أن يكون مثل هذه الطرق مما يتعلم وتطلب له الاساتذة ، ونحن نرى أن كتبا ألفت ودروسا تلقى لتعليم أساليب التفريق بين الناس لمن يريد أن يكون من عمال السياسة في بعض الحكومات ؟ وقد يكون ذكر المرء وزوجه من قبيل التمثيل واظهار الامر في أقبح صورة، أي بلغ من أمر ما يتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الافساد أن يتمكنوا به من التفريق بين المرء وزوجه ؟ وسياق الآية لا يأباه

« وذكر الشياطين لا يمنعنا من ذلك بعد ان سمى الله خبثاء الانس المنافقين بالشياطين قال (واذا خلوا إلى شياطينهم) وقال (شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض) وسحر سحرة فرعون كان ضربا من الحيلة، ولذلك قال (يخيل اليهم من سحرهم أنها تسعى) وما قال انها تسعى بسحرهم . قال يونس تقول العرب ماسحرك عن وجه كذا أي ماصرفك عنه

« ولو كان هؤلاء يقدرون الكتاب قدره ويعرفون من اللغة ما يكفي لعاقل أن يتكلم ، ماهذروا هذا الهذر ، ولا وصموا الاسلام بهذه الوصمة ، وكيف يصح أن تكون هذه السورة نزلت في سحر النبي ﷺ مع أنها مكية في قول عطاء والحسن وجابر ، وفي رواية ابن كريب عن ابن عباس ، وما يزعمونه من السحر انما وقع في المدينة ؟ لكن من تعود القول بالمحال ، لا يمكن الكلام معه بحال ، نعوذ بالله من الخبال » اه بحروفه

هذه حجة الاستاذ الامام على إنكاره لوقوع السحر على تلك النفس القدسية العليا التي كانت تتصل بروح الله الامين ، وتتلقى منه كلام رب العالمين ، فهو يجلها أن يؤثر فيها سحر ذلك اليهودي الرجيم ، الذي كان يستعين كغيره على سحره بارواح الشياطين، ولم يقبل في ذلك رواية الراوين، وانا لم نر من علماء الملة متقدميهم ومتاخريهم من بين لنا من فضل تلك النفس الزكية العلوية ، والشخصية الشريفة المحمدية ، ما بينه لنا هذا الامام الجليل في رسالة التوحيد ، وفي دروسه ومجالسه العلمية كما شرحناه في الجزء الاول من تاريخه

بحث في أقوال من أنكر حديث السحر ومن أثبته

هذا – وان علماء المعقول وجهابذة الاصول قد أنكروا وقوع السحر عليه ﷺ من قبل الاستاذ الامام وأنكره من علماء التفسير والفقه مثل أبي بكر الجصاص من أئمة الحنفية، وقد قال العلامة ابن القيم بعد الجزم بصحة سند الحديث ما نصه: وقد اعتاص على كثير من أهل الكلام وغيرهم وأنكروه أشد الانكار وقابلوه بالتكذيب وصنف بعضهم فيه مصنفا مفرداً حمل فيه على هشام (أي راويه عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة) وكان غاية ما أحسن القول فيه ان قال: غلط واشتبه عليه الامر، ولم يكن من هذا شيء – قال لان النبي ﷺ لا يجوز أن يسحر الخ

أقول أما علماء الروايات فليسوا ممن يطالب منهم معرفة هذه الحقائق في نقد المتون، وأما علماء المناقشات اللفظية التي غلبت على الازهر في القرون الاخيرة فقد أجاب بعضهم عن استدلال المنكرين بقوله تعالى (وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً) وتفنيده تعالى لقولهم بالآية التي بعدها بما خلاصته ان المراد بالمسحور فيها ذا السحر (بفتح السين) أي الرئة، والمعنى ماتتبعون إلا بشرا له رئة. قال ابن القيم « وهذا الجواب غير مرضي وهو في غاية البعد فان الكفار لم يكونوا يعبرون عن البشر بمسحور ولا يعرف هذا في لغة من اللغات » وأطال في بيان هذا واستدل عليه بقول فرعون لموسى (إني لأظنك ياموسى مسحوراً) قال أفتراه ماعلم انه سحراً وأنه بشر؟ (أي إلا في تلك الساعة) ثم كيف يقول له موسى (وإني لأظنك يافرعون مثبوراً) ولو أراد بالمسحور انه بشر لصدقه موسى وقال نعم انا بشر ولكن الله أرسلني اليك كما قالت الرسل لأقوامهم.

(ثم قال) وأجابت طائفة منهم ابن جرير وغيره بأن المسحور هنا هو معلم السحر الذي قد علمه إياه غيره فالمسحور عنده بمعنى ساحر اي عالم بالسحر. وهذا جيد إن ساعدت عليه اللغة وهو أن من علم السحر يقال له مسحور، ولا يكاد يعرف هذا في الاستعمال ولا في اللغة وإنما المسحور من سحره غيره كالمطبوب والمضروب والمقتول

(ثم قال) فالصواب هو الجواب الثالث وهو جواب صاحب الكشاف وغيره

ان المسحور على بابه وهو من سحر حتى جن فقالوا مسحور مثل مجنون ، زائل العقل لا يعقل ما يقول ، فان المسحور الذي لا يتبع هو الذى فسد عقله بحيث لا يدرى ما يقول الخ

وأقول انه لولا إرادة قبول رواية السحر ، والجمع بينها وبين براءة النبي ﷺ مما لا يليق به من كونه مسحوراً بشهادة الله وشهادة العقل وعلم النفس ، لما تكلف الزمخشري علامة اللغة ان يحمل معنى السحر هنا على غاية درجاته التي قلما تقع وهي الجنون ، ولما قبل ذلك ابن القيم علامة المنقول والمعقول — فان رمي الكفار للرسول ﷺ بلقب مجنون ، هو غير نبزه بلقب مسحور ، وقد ذكر في مواضع من القرآن ، فدل ذلك على انهم يعنون بالمسحور ما دون المجنون من المخبولين ، بل نقل البخاري عن سفيان بن عيينة أحد رواة هذا الحديث انه قال في وصف عائشة لذلك السحر بما سنذكره : وهذا أشد ما يكون من السحر

ونرى أكثر العلماء قد استقر جوابهم على ان السحر الذى وقع هو عبارة عن التأثير في جسمه ﷺ دون نفسه الشريفة الزكية العلوية ، فهو كجرحه يوم أحد ، وقالوا كلهم كغيرهم ان الانبياء تجوز عليهم جميع الامراض البدنية وقد قتل بعضهم. وهذا صحيح ولكن الروايات كلها مصرحة بان تأثير السحر المزعوم كان في نفسه وإدراكه وتصوره صلوات الله وسلامه عليه لا في جسده — من وجع رأس أو بطن أو يد أو رجل — بل فيها انه كان يخيل اليه انه يفعل الشيء ولم يكن فعله حتى إتيان اهله الذي يترتب عليه أحكام شرعية — فهل هذا من الامراض الجسمية ؟

وليعلم القراء ان أمثال هذه المشكلات في الروايات لا يهتدى إلى تحقيق الحق فيها إلا الذى يعطي لعقله حرية الاستقلال فيما قاله اصناف العلماء . فعلماء الرواية هم أعلم من علماء الاصول الاعتقادية والفقهية بنقد رجال الاحاديث ، وهؤلاء أعلم من المحدثين بنقد المتون وما يوافق المعقول وأصول العقائد منها وما لا يوافقها ، وقد اتفق الفريقان على ان ليس كل ما صح سنده من الاحاديث المرفوعة يصح متنه ، لجواز أن يكون في بعض الرواة من أخطأ في الرواية عمداً او سهواً ، وما كل ما لم يصح سنده يكون متنه باطلا ، بل قالوا ان الموضوع من حيث الرواية قد يكون صحيحاً في الواقع ، وأن الصحيح السند قد يكون موضوعا في الواقع . وإنما علينا ان

نأخذ بالظواهر مع مراعاة القواعد ، فما صح سنده قبلنا روايته وحكمنا قواعد الاعتقاد ودلائل العقل والعلم في متنه ان كان مشكلا ، وما كان غير صحيح السند لا يجوز لنا أن نسميه حديثا نبويا وإن كان معناه صحيحا

ونحن قد اتبعنا في المنار هذه القواعد كلها في حل مشكلات الاحاديث كما صرحنا به في مواضع من المنار والتفسير ، ولعلنا نكتب فيه مقالا خاصا

وإن لنا في هذا الحديث كلمتين (إحداهما) في سنده وهي ان الذين أعلوا الحديث بهشام ابن عروة ورد عليهم العلامة ابن القيم باتفاق الجماعة على تعديله - لهم وجه وجيه ، ومستند من أقوال أئمة الجرح والتعديل، فقد قال بعضهم ان هشاما كان في العراق يرسل عن أبيه عروة ما سمعه من غيره، وقال ابن خراش كان مالك لا يرضاه وقد نقم منه حديثه لاهل العراق ، وقال ابن القطان تغير قبل موته اه فالقول بوقوع خطأ منه أهون من قبول روايته هذه وهو أوثق من روى هذا الحديث

(الثانية) في متنه وهو ان الروايات عن عائشة تدور على أمر واحد وهو ما يتعلق بالنساء فقولها كان يخيل اليه انه يفعل الشيء وهو لم يفعله كناية عن ذلك الامر حياء من التصريح به على أنها صرحت في رواية أخرى فظن بعض الرواة انه عام في كل فعل فعظمت الشبهة فيه على علماء الاصول والعقائد، ويؤيده حصر التأثير فيما ذكر ما في طبقات ابن سعد عن ابن عباس: مرض النبي ﷺ وأخذ عن النساء والطعام والشراب ، وفي مرسل يحيى بن يعمر عن عبد الرزاق سحر النبي ﷺ عن عائشة حتى أنكر بصره . فجملة القول انه مرض مرضا أثر في الجهاز العصبي والجهاز التناسلي فقط ، وما زالت الناس تعد هذا من أنواع السحر ويعبر عنه العوام في زماننا بالعقد ويسمون الواقع عليه « معقوداً » وكانت العرب تسميه مطبوبا ، وهو من نوع تأثير الانفس بعضها في بعض كالتنويم المغناطيسي أو الاستهواء في عصرنا ، وقد بينا هذا النوع وسائر أنواع السحر في تفسير سورة الاعراف .

وكان قد سبق لي في عهد اشتغالي بالروحانيات ان كنت أكتب نشرة للمصابين بهذا السحر فتنفعهم، وربما كان جل هذا النفع من تأثير الاعتقاد الحسن وكان هذا الاعتقاد وحسن الظن فينا عاما في بلادنا حتى في النصارى الذين يعرفوننا

ومن المقرر عند العلماء المتقدمين والمتأخرين ان هذا التأثير لايكون إلا من نفس ذات إرادة قوية في نفس ذات إرادة ضعيفة ، وان الانفس الخبيثة الضارة لايمكن أن تؤثر في الانفس الزكية العالية ، وهذا ما اعتمد عليه شيخنا في إنكار سحر اليهودي للنبي ﷺ من الوجهة العقلية مهما يكن نوع السحر

وقد كان العلامة ابن القيم يعلم هـذا وقد بينه في مواضع من الكلام في الامراض البدنية والنفسية وعـلاج كل منهما في كتابه (زاد المعاد ، في هدي خير العباد) فننقل عنه الفصل الآتي بنصه ، قال :

﴿ فصل ﴾ ومن أنفع علاجات السحر الادوية الالهية بل هي أدويته النافعة بالذات فانه من تأثيرات الارواح الخبيثة السفلية ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الاذكار والآيات والدعوات التي تبطل فعلها وتأثيرها وكلما كانت أقوى وأشد كانت أبلغ في النشرة وذلك بمنزلة التقاء جيشين مع كل واحد منهما عدته وسلاحه فأيهما غلب الآخر قهره وكان الحكم له، فالقلب اذا كان ممتلئاً من الله مغموراً بذكره ، وله من التوجهات والدعوات والاذكار والتعوذات ورد لايخل به يطابق فيه قلبه لسانه، كان هذا من أعظم الاسباب التي تمنع إصابة السحر له ، ومن أعظم العلاجات له بعد مايصيبه ، وعند السحرة ان سحرهم انما يتم تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة ، والنفوس الشهوانية التي هي معلقة بالسفليات ، ولهذا غالب مايؤثر في النساء والصبيان والجهال وأهل البوادي ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد ، ومن لانصيب له من الاوراد الالهية ، والدعوات والتعوذات النبوية ، وبالجملة فسلطان تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة التي يكون ميلها إلى السفليات . قالوا والمسحور هو الذي يعين على نفسه فانا نجد قلبه متعلقا بشيء كثير الالتفات اليه فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والالتفات ، والارواح الخبيثة انما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها بميلها إلى ما يناسب تلك الارواح الخبيثة وبفراغها من القوة الالهية وعدم أخذها للعدة التي تحاربها بها ، فتجدها فارغة لا عدة معها وفيهـا ميل إلى ما يناسبها فتتسلط عليها ويتمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره والله أعلم اه

وقد لخص الحافظ ابن حجر هذا الفصل في الكلام على حديث السحر من الفتح وتعقبه بقوله : ويعكر عليه حديث الباب وجواز السحر على النبي ﷺ مع عظيم مقامه وصدق توجهه وملازمته ورده ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بان الذى ذكره محمول على الغالب وانما وقع به ﷺ لبيان تجويز ذلك والله أعلم اه

أقول فأنت ترى ان الحافظ يرى ان القاعدة التي بينها ابن القيم صحيحة في نفسها وان الانفس الشيطانية ، لاسلطان لها على الانفس العالية القدسية، وينقض اطرادها باثبات الرواية لتأثير السحر في أشرف النفوس وأعلاها فيجعلها أغلبية ، وانما يتصور نقض القاعدة فيما دون هذه النفس العليا من الانفس الشريفة ، ولكن الحافظ عفا الله عنه من الرجال التي انحصرت قوة تحقيقهم في الروايات وحفظ ماقاله أهل الجرح والتعديل في اسانيدها وسائر العلماء في متونها ، والترجيح بينها بمقتضى قواعدهم التي هي آراء لهم . فبضاعته ضعيفة في تحقيق مسائل المتون ، وبنائها على قواعد المنقول والمعقول ، حتى إنه رجح ان لرواية الغرانيق أصلا بما حفظه من تعدد طرقها، وبقاعدتهم في تقوية الروايات الضعيفة والمنكرة بتعدد الطرق مع تصريحه بان جميع تلك الطرق ضعيفة وغير متصلة، فاذا كان لايحتج بشيء منها في أحكام النجاسة والطهارة ، أفيعتمد بها في أصل أصول العقيدة؟ ورواية الغرانيق أفظع ما رواه الرواة في الطعن على خاتم النبيين ﷺ وبرأه مما قالوا في تبليغ الرسالة الذي اجمعوا على عصمته فيه ، فترى فيما اعتمده الجلال المحلي منها واقتصر عليه في تفسيره ان الشيطان ألقى على لسان النبي ﷺ عند ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى من أصنام العرب في قراءته لسورة النجم جملة: تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهن لترتجى. وهو عين ما يعتقده المشركون والعياذ بالله تعالى ، وقد فندهذه الرواية المحققون من ناحيتي الرواية والدراية، وبين ذلك شيخنا الاستاذ الامام أحسن بيان، بما نشرناه في المنار، ونعيد طبعه كل مرة مع تفسير سورة الفاتحة

ومن عجائب جهل المتأخرين المقلدين لأمثالهم من المقلدين لانهم أوسع منهم اطلاعا أو جدلا ان القاعدة عندهم تقديم ما اعتمده المتأخرون على غيره ، وان خالف كلام الائمة المتقدمين ، وتقليد الميتين وان كان مخالفاً لاصول

الدين، وماسا بكرامة خاتم المرسلين ﷺ كما أنهم يقبلون في باب مناقبه ﷺ ومناقب من دونه من الصالحين ما يخل بتنزيه رب العالمين ، ويخالف المجمع عليه من توحيده عز وجل ودعائه والاستغاثة به عند الشدائد ، يبيحون هذه العبادة لغير الله تعالى ويتأولون لها آيات القرآن الصريحة ، فخرافات العوام ولا سيما القبوريين عندهم مقبولة، وبدع المؤلفين المقلدين حجج متبعة ، وكلام المحققين في عصمة الرسول وتنزيهه عن الروايات المنافية لعصمته وغير اللائقة بكماله أوهام مردودة ، وآيات القرآن المحكمة في صفات الله وعالم الغيب حتى آيات التوحيد مؤولة ، وهذا ما جرت عليه مجلة مشيخة الازهر التي سمتها (نورالاسلام) والذي تولى كبره من علمائها ومحرريها هو الشيخ يوسف الدجوي الذي يصحح بدع العوام ، ويتأول لتصحيحها نصوص القرآن ، كما سنبينه بعد ان شاء الله تعالى

وجملة القول في مسألة السحر انهذا المحرر الثقة عند المشيخة زعم ان صاحب المنار رد حديث السحر المذكور بتمويهات وخيالات لايطيل هو بها ،وإنما بهته لنا بإيهامه قراء كلامه أن صاحب المنار قد انفرد بهذه الجرأة على رد حديث البخاري! وقد علم القراء أن كثيراً من العلماء المتقدمين قد ردوه قبل الاستاذ الامام، ولكن بدون أدلته — وانه يعني بالتمويهات والخيالات ما أشرنا اليه من الحقائق العالية التي عزوناها إلى الاستاذ الامام، في إعظام شأن المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام،

واننا على هذا قد محصنا أقوال علماء المعقول والمنقول في الرواية متناً وسنداً بما يهون فيها أمر منكري الرواية بما قيل في هشام ، وبما يرجع أجوبة مثبتيها الى كون التأثير الذى وقع على قولهم هو خاص بمباشرة الراوية له (عائشة) على ان استاذنا (رحمه الله تعالى) فوض الامر في تأويل الحديث لأهله ، ولم يرد روايته كغيره .

المقال الثانى عشر

(البهيتة السادسة ماسماه إفتاء التلاميذ المسلمين بالصلاة مع النصارى في الكنائس)

وتعليله بقوله: «ليغرس في قلوبهم النقية تلك الطقوس النصرانية وينقش في نفوسهم الساذجة ما يسمعونه من القسوس والمبشرين هناك» اه بحروفه

كل بهيتة من المفتريات التي بهتنا به الشيخ يوسف الدجوي في مجلة الازهر كان لها شبهة منتزعة من المنار أو تفسيره بضرب من التحريف بالزيادة أو النقصان، وجعل المنقول مقولا للناقل ومذهبا له، وتفسيره بغير معناه، وإضافة شيء من الكذب أو اللوازم الباطلة اليه. وأما هذه البهيتة فهي الفرية المفضوحة التي لا تستند إلى أدنى شبهة، بل هي قذف لنا بضد ما كنا عليه في موضوعها، وخلاف ما قررناه وما كررناه فيه وفي وقائعه

ومن غرائب الجراة على الكذب الصريح، والبهتان المفضوح، أن يعزوه إلى منار شعبان من المجلد ١٢ (سنة ١٣٢٧) ليصدقه قراء مجلة الازهر كما تقدم، وانني أنقل من ذلك المجلد بعض مانشرته فيه خاصا بهذا الموضوع بعد مقدمة وجيزة

انني زرت سورية في سنة ١٣٢٦ ه (الموافقة سنة ١٩٠٨ م) بعد إقامة ١٢ سنة في مصر لم أزرها فيها، وكان ذلك عقب اعلان الدستور في البلاد العثمانية الذي نفخ شيئا من روح الحرية فيها فحمل طلاب العلم من المسلمين في المدرسة الكلية الاميركانية ببيروت على الثورة على نظام المدرسة الذي يكرههم على دخول كنيسة المدرسة وسماع المواعظ النصرانية فيها وحضور صلاتهم فيها وهي عبارة عن أدعية مأثورة عندهم، وكنت وقتئذ في بيروت فدافعت عن هؤلاء الطلبة وقويت عزائمهم على الامتناع من حضور صلاة النصارى، والاعتصام بعروة الاسلام الوثقى، فمن ذلك أنني جمعت هؤلاء الطلبة في مسجد رأس بيروت وخطبت فيهم خطابا نشرته في الجزء الاول من المجلد الذي صدر في المحرم سنة ١٣٢٧ قلت في آخره ما نصه:

«انكم لم تقصدوا بما كان منكم إلا إرضاء ضمائركم، والمطابقة بين عقائدكم وأعمالكم، فحسبكم أن يتم لكم ذلك بالهدوء والسكينة والادب، وإني أجلكم عن قصد العناد لرؤسائكم وأساتذتكم او الجنوح للاستعلاء بالظفر لذاته

«وأوصيكم بالمحافظة على الصلوات الخمس ولو منفردين في حجراتكم وبالحرص على صلاة الجماعة كلما تيسر لكم ذلك ولو على أرض حديقة المدرسة فقد قال نبينا ﷺ «جعلت لي الارض مسجداً وتربتها طهوراً» (١)

« انكم قمتم بواجب ديني سلبي وهو الامتناع من دخول الكنيسة لسماع تعاليم دين غير دينكم، فعليكم بهذا العمل الايجابي الذي هو عماد الدين (واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) اه

ثم أنشأت في هذا مقالة عنوانها (المسلمون في مدارس الجمعيات النصرانية) بينت فيها آراء المسلمين في تعليم أولادهم فيها ، فقلت ماملخصه

« وان عامة المسلمين يشعرون بشدة الحاجة الى هذه المدارس التي أسست على دعوة النصرانية لما فيها من العلم ، ويعلمون بما فيها من الضرر لاولادهم في الدين ، فالعلم يقتضي الاقبال عليها ، والخوف على عقائد النشء الجديد يمنع من الثقة بها ، والجمهور مختلفون في الترجيح بين المانع والمقتضي» وبينت رأي المرجحين للمقتضي وحجتهم عليه أن المسلم لا يخشى عليه أن يصير نصرانيا . ثم قلت: هذا مايراه بعض الذين يعلمون أبناءهم وبناتهم في هذه المدارس الدينية « ومنهم من يرجح المانع على المقتضي كما هو المعتمد في المسألة عند أهل الاصول كما أشار إلى ذلك الشاعر بقوله :

قالوا فلان عالم فاضل	فأكرموه مثل مايرتضي
فقلت لما لم يكن عاملا	تعارض المانع والمقتضي

(١) كذا قلت في الخطاب والحديث ثابت في الصحيحين وغيرهما وهو فيهما من حديث جابر « وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا » وفي مسلم من حديث حذيفة « وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا »

« ومبلغ حجة هؤلاء ان مذاهب الفقهاء المتبعة تحظر على المسلم المتمكن في دينه أن يدخل مع النصارى وغيرهم من المخالفين لنا في أصل الدين معابدهم بهيئتهم الدينية التي يدخلون فيها وصرحوا بأنه إذا تشبه بهم في ذلك بحيث يظن انه منهم صار مرتدا ، وإن بقي متميزا عنهم بحيث لا يشتبه بهم لا يكون مرتدا إلا إذا قال أو فعل أو اعتقد ما يخالف ما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة . ويقولون ان من الخطر على دين غير المتمكنين في دينهم كالاولاد الذين يوضعون في هذه المدارس أن يسمح لهم بهذه الاعمال التي يغلب أن تكون عندنا كفرا وردة ، وأهونها أن تكون معصية ، فاذا علق النوع الاول في ذهن التلميذ منا ومات قبل أن يصحح اعتقاده بمعاشرة المسلمين العارفين ، او مراجعة العلماء الراسخين ، مات مرتدا لا نرثه ولا نعامله معاملة موتانا إذا كنا عالمين بحاله ، وإذا مات أبوه او أمه او غيرهما من الاقربين في حياته لا يرث هو منهم شيئا . ويقولون أيضا ان بعض فقهائنا صرح بان الرضى بالكفر كفر فاذا رضينا بشيء من ذلك نكون نحن مرتدين أيضاً » اهـ ص ٢٠ منه

ثم ذكرت في هذه المقالة حديثا دار بيني وبين أحد أساتذة هذه المدرسة قال فيه « ان المدرسة لا تعلم التلاميذ التقاليد والاعمال الدينية التي يقررها بعض مذاهب النصرانية ولا تطعن في اديانهم ولا مذاهبهم وإنما تلقي عليهم مواعظ عامة تتفق مع كل دين وإن كانت من الكتاب المقدس ، لاجل أن تغرس في قلوبهم تقوى الله وحب الفضيلة وتبعدهم من الالحاد والتعطيل » وذكر أن المكان الذي تلقى فيه ليس كنيسة بل مكانا لاجل الخطب ، وسألني « هل يحرم الدين الاسلامي على المسلمين دخول هذا المكان ويوجب عليهم مخالفة نظام المدرسة ؟ »

هذا نص سؤاله فأجبته بما نصه:

« قلت ان المسلمين فريقان : منهم من ياخذ بالدليل ومنهم من يتبع فقهاء مذهبه ، والمشهور عن فقهاء المذاهب التي عليها هؤلاء التلاميذ ان الدخول إلى معابد المخالفين لنا في الدين ومشاركتهم فيما هو خاص بهم في امور الدين فيها وكذا في خارجها إما محرم وإما كفر في تفصيل لهم في ذلك ، فلمل تلاميذكم يعتقدون

ان دخول المكان الذي ذكرته من هذا القبيل ، وحينئذ يجب احترام اعتقادهم وإن كان لايقوم دليل في الاسلام على تحريم دخول مكان مثل الذي ذكرت ليس معبدا دينيا ولا يلقى فيه شيء مخالف للاسلام » اه من صفحة ٢٢ منه

ثم شرحت له هذا القول بالتفصيل وذكرت له أيضاً في المحافظة على النظام قولا معقولا، وكان مدار كلامي على ان إكراه التلاميذ على نظام يخالف عقائدهم ووجدانهم هو تربية لهم على النفاق الذي يفسد كل دين. وأطلت في ذلك وبينت له سوء عاقبة هذه الخطة.

هذا بعض ما قلته في ذلك الوقت وكتبته في منارسنة ١٣٢٧ وأنا أتحدى الشيخ يوسف الدجوي الذي افترى علي بأنني أفتيت التلاميذ المسلمين بالصلاة مع النصارى في كنيستهم ليتربوا على دين النصارى بأن يدلني على عالم مسلم كتب مثل هذا التشديد في الصد عن تلك المدارس او مثله !!!

وفي اثر هذا أعفت المدرسة الاميركانية التلاميذ المسلمين من حضور الكنيسة في تلك السنة ، ثم جاءني من احد وجهاء بيروت الكتاب الآتي في الموضوع

(كتاب في مسألة إكراه التلاميذ المسلمين على دخول الكنيسة في الكلية الاميركانية)

سيدي رجل الاسلام والمسلمين السيد رشيد افندي رضا حفظه الله

عرفتم بالتفصيل ما صار اليه أمر الاعتصاب الاسلامي في الكلية ، وكيف أن العمدة تلافت الخطر المحدق بها باعفائها التلامذة من حضور الكنيسة موقتاً والآن وقد أوشكت السنة المدرسية أن تنتهي لم نشعر إلا والرئيس يستقدم التلامذة من مسلمين ويهود لغرفته ، طالباً منهم التوقيع على صك تعهداً منهم بالقيام بالواجبات الدينية في السنة المقبلة : من دخول كنيسة ودرس توراة وانجيل حسب الشروح والتعاليق البروتستانتية التي ينفر منها المسلم ، ويشك في صحتها كل من له مسكة من العقل ، وإذا آنس من احدهم رفضاً أو تردداً ينذبه بعدم قبوله في السنة الثانية، حتى ولو لم يبق له إلا سنة أو سنتان لنيل الشهادة ، وقد وقع هذا فعلا مع أحد العثمانيين الاسرائيليين

فيا ركن الاسلام المتين أطلب منك أن تحمل بقلمك وعملك وفتاويك الحملة الشعواء على خطة الكلية ، وتظهر للملأ سوء نيتها ، وتعدد لهم الاضرار الناتجة عن تساهل المسلمين في أمور دينهم حتى لا يبقى عذر للآباء ، ولا حجة للابناء ، وان الكلية لفي خوف من المسلمين ولا سيما إذا وجد من يحركهم تحريكا لا تعمله القوة الكهربائية ليفسد ما بنوه من الاوهام منذ اثنتين وأربعين سنة

عرفتك فيما مضى تحض المسلمين على إيجاد مدرسة للاستعاضة عن الكلية قبل مناقشتها الحساب ، أو قبل الرغبة اليها باصلاح نظاماتها ، فنعم الرأي رأيك ، والنصيحة نصيحتك ، وقد عرف كل مسلم مالك من القدم الراسخة ، وبعد النظر في الامور العقلية والنقلية ، ولكن يا سيدي ما عسانا نفعل وقد دُفع المسلمون الى الاعتصاب بتأثير من القوى الطبيعية وقوانينها التي سنها الله ، وأهم تلك القواعد هي أن كثرة الضغط توجب الانفجار

فيا من اتخذك الكبير أخا ، والصغير أباً ، مدّ يد المساعدة إلى مسلمي الكلية وحرض المصريين بجرائدهم اليومية ومجلاتهم للاعتراض على الكلية ، فلقد عرفنا أن ليس للمدرسة من حجة تستند عليها ، ولقد أقر كاتب العمدة أمامي بأن المدرسة عثمانية تتبع كل أمر مصدره الاستانة ، وذكرهم ان ما علينا إلا أن نصب الشكوى من جميع الجهات ، واعلم أن كل ما تفعله الكلية لتأكيد مركزها هو من باب السياسة وليس له ظل من الحقيقة ، واعلم أن ليس كل كلام يصدر عن كاتب له تأثير ككلامك

فكأني بالاسد الآن وقد ثار من مربضه مدافعاً عن الاشبال ، خيفة أن يصيبهم أذى من الاغرار ، فيظهر أن للاسلام صوى و «منارا» يستضاء بنوره إذا اشتد حالك الظلام . فلا زلت للاسلام عضدا ، وللمسلمين مرشدا

مقر بفضلك

بيروت عبد القادر القندور

أقول : لولا تلك العناية التي عرفها أهل بيروت مني في هذه المسألة بالقول والفعل والسعي لما كنت بينهم لما لجؤا إلي دون غيري من علماء الازهر أو غيرهم بمثل هذا الكتاب ، وقد أجبت صاحب الكتاب يومئذ بما يأتي :

(المنار) هذا الذي عملته المدرسة الآن هو الذي كنا نحسبه فان هؤلاء الافرنج أشد خلق الله تعصبا للدين وهم الذين نفخوا روح التعصب الذميم في الشرق كما بينا ذلك مراراً ولكنهم هم ومن ربوه على تعصبهم يشيعون في بلادنا ان الشرق هو مهد التعصب « رمتني بدائها وانسلت » حتى راج تزييفهم هذا على الجمهور زمنا . ولا يبعد ان يعدوا كراهتنا لاكراههم إيانا على دينهم تعصبا منا وتساهلا منهم !!!

إنهم علموا ان الحكومة العثمانية الآن تمنعهم من إكراه غير النصارى على التعاليم والاعمال النصرانية، ولا يمكنهم أن يعبثوا بها كما كانوا يعبثون في زمن عبد الحميد، فلجأوا الى هذه الحيلة التي ليس أمامهم سواها ولا يرجعون عنها بحملة الجرائد عليهم لأن بث دينهم هو الغرض الاول لهم من مدارسهم لاسيما في الشرق، فلا يثنيهم عنه شيء إلا أن يكون قوة الحكومة والحكومة لاتمنع إلا الاكراه ، فالرأي إما ترك التلاميذ المسلمين لهذه المدرسة ان كانوا يستغنون عنها بغيرها وإما البقاء فيها مع تلافي ضرر التعاليم المخالفة لدينهم وجعل ذلك ذريعة إلى منافع أخرى دينية ودنيوية

أما الاستغناء عن المدرسة بمثلها أو خير منها فلا سبيل اليه إذ لا يوجد في بلادنا مثلها في تعليمها وتربيتها ، وأما الثاني فهو ميسور والذي ننبه اليه منه أمور (١) مطالعة الكتب الاسلامية التي تبين حقيقة الاسلام ككتب الاستاذ الامام وأقواله في التوحيد والتفسير والنسبة بين الاسلام والنصرانية وكتاب روح الاسلام للقاضي أمير علي (٢) مطالعة الكتب التي تعارض كتبهم التعليمية الدينية ككتاب اضرار تعاليم التوراة والانجيل لأحد علماء الانكليز وهو يوجد بالعربية والانكليزية وغيره من الكتب الانكليزية التي يمكن أن يرشدهم اليها سليم افندي التنير (٣) المواظبة على الصلوات الخمس لاسيما مع الجماعة اذا أمكن وغير ذلك من الاعمال الاسلامية كالصيام في هذه الايام (٤) ما أمر الله به من

التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ومنه التواصي باعداد النفوس لمسابقة القوم إلى مثل عملهم في الجمع بين العلم والدين وانشاء مثل هذه المدرسة في بيروت وغيرها من البلاد فان عملهم هذا مما يحمد

قد بينا فيما كتبناه عن مسألة هذه المدرسة في (هذا العام وفي العام الماضي) ان المسلم لايكون نصرانيا كما قال السيد جمال الدين وغيره من العارفين ، وقلنا هناك أيضاً ان هذا التعصب من هؤلاء الافرنج لاسيما القائمين بأمر هذه المدرسة هو الذي يحيي الشعور الديني في نفوس غير النصارى من التلاميذ في هذه المدرسة فعمل رجال المدرسة يأتي بنقيض مايريدون منه ويصدق فيه على المسلمين قوله تعالى (٢: ٢١٦ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم)

ان المسلم البصير بدينه لا يمنع من النظر في كتب أي دين من الاديان ولا من سماعها ، ولكن علماء الاسلام متفقون على انه لايجوز للمسلم ان يتلبس بعبادة أهل دين آخر ويعدون تلبسه بها الذي يكون به كأهلها لايميزه الرائي عنهم من الردة. فاذا ثبت عند القاضي ذلك في دعوى إرث مثلا فانه يحكم بأن من هذا شأنه لا يرث من أبيه المسلم. وما أظن ان تعصب عمدة المدرسة يصل إلي هذا الحد، فان هم وصلوا اليه ورفع الامر إلى الحكومة فانها تمنعهم منه بلا شك سواء تعهد التلميذ به أم لا ، نعم ما كل مايحكم به في الظاهر يوافق الباطن ، وما كل مايسميه النصارى صلاة دعاء ممنوع عندنا ، ولكن التشبه بهم فيما هو خاص بهم من أمر الدين ممنوع قطعا اه من آخر جزء شعبان من منار سنة ١٣٢٧

وملخص هذا الجواب ان مسألة دخول الكنيسة تمنع الحكومة العثمانية المدرسة منه وان أخذت من الطلبة عهودا به فيجب ان يرفعوا أمرهم اليها ان عادت اليه المدرسة ، وان مايخص الاهالي من هذه المعاملة فهو ان يتحروا مقاومة ما تريد المدرسة منها بضده أعني شدة الاعتصام بالدين والنفور من المخالفين الخ

فهذا ماعبر عنه الدجوى بافتائنا التلاميذ المسلمين بحل الصلاة مع النصارى

في كنائسهم مع علمه بكل الجهاد الذى جاهدناه في صدهم عنه وإرشادهم الى الاعتصام بالاسلام بأنفع العلم والعمل

ومنه أنني سعيت في بيروت لاقناع المسلمين باخراج أولادهم من المدرسة الكلية الاميركانية وغيرها من مدارس النصارى وجمع المال لانشاء مدرسة كلية اسلامية تغنيهم عنها أو مساعدة المرحوم الشيخ احمد عباس بما يتمكن به من إيجاد جميع العلوم والفنون في مدرسته فعجزوا عن ذلك وعلمت منهم انه لا يمكنهم الاستغناء عن تعليم أولادهم في تلك المدارس ، وكان منتهى ما أنذرتهم إياه الخوف على أولادهم من الردة ، وأما الجزم بها فغير جائز ويترتب عليه فساد كبير

فلتخبرنا مشيخة الازهر هل كان يمكن يومئذ ان نكتب في الموضوع خيراً مما كتبناه او يمكن اليوم تخويف المسلمين وصدهم عن هذه المدارس بأشد مما كتبناه في ذلك المنار التي عزا اليه محرر مجلتها فريته ، او في الجزء الثالث من منار هذه السنة (١٣٥١) في فتوى طويلة ، وقد ذكرت للشيخ الدجوي فقال ان هذا من تخبط صاحب المنار وتناقضه فيما يكتبه (!!!) ولا خلاف ولا تناقض إلا في مزاعمه وبهاتانه المفتريات ، وقد فضحه الله تعالى بها حتى عرفت حقيقته عند من كانوا يظنون انه على شيء من العلم والفهم ، أو الصدق في النقل والعزو

وليس العجب أن يشتهر مدرس أزهري كالدجوي بالعلم والفهم ويظن فيه الصدق وتحرى الحق ثم تظهر الحوادث للناس فيه خلاف ما كانوا يظنون فيه وانما عجبة العجب ان يقر شيخ الازهر هذا الرجل بعد ظهور أمره على التدريس في الازهر والتحرير في مجلته ويأتمنه على العلم والدين ، والواجب عليه ان يكلفه تبرئة نفسه مما أثبتناه من افترائه وجهله بما يقنع الناس الذين يقرءون مقالاتنا وهم يعدون بمئات الالوف أو يعاقبه بمنعه من التدريس والتحرير ، وانى يفعل هذا من يخرج من الازهر أفضل المدرسين وأنفعهم بحجة الاستغناء عنهم ، ومنهم خير من نعلم من مدرسي الازهر عناية بعلوم السنة التي كادت تنسخ وتزول من الازهر . ولعل هذا أكبر ذنبهم والله أعلم وله الامر وهو العلي الكبير

المقال الثالث عشر

(البهيتة السابعة ماسماه تطبيق القرآن على مذهب داروين)

قال بعد مسألة الجن « ومثل ذلك ما قاله في مذهب داروين في أول تفسيره لسورة النساء وأنه يجوز تطبيق القرآن عليه ، وما أدري كيف يفعل في قوله تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) الى آخر ماجاء في الكتاب والسنة ، مع أن كثيراً من الاوربيين يأبون هذا المذهب كل الاباء ، وهل يبقى مع مثل تلك التأويلات وثوق بكتاب الله الذي أصبح قابلا لكل تأويل ، وأصبح المراد منه غير معروف حتى في أصول الدين كالايمان بملائكة الله تعالى »

هـذا نص عبارته في البهت ، ويليه عبارة أخرى في التهكم والسب ، ومن عجائب جرأة هؤلاء الجامدين المقلدين لامذاهم من الخلف ، المعادين لمذهب السلف ، أنهم يؤولون أكثر صفات الله تعالى وأفعاله بزعمهم أن نص كتاب الله تعالى ونصوص الاحاديث النبوية فيها تستلزم الجسمية أو الجهة في عقولهم وهي محال ويجهلون متبعي مذهب السلف الذين يوجبون وصف الله تعالى بما وصف به نفسه من غير تعطيل ولا تأويل ولا تمثيل، حتى ان الرجل يقول انه لا يؤمن بالله في السماء لان قوله تعالى (أأمنتم في السماء) يجب تأويله بأنه ليس في السماء ولا على العرش ، وانه لا يجوز اطلاقه كما أطلقه الله تعالى، بل ابتدع هذا الدجوي في مجلة الازهر تأويل أحكم المحكمات من آيات توحيد الله وعبادته لاجل أن يصحح بدع العوام والجاهلين ويبيح لهم دعاء غير الله من الموتى والاستغاثة بهم في الشدائد وهو ما لم يبلغه شرك العرب في جاهليتها فان الله تعالى قال فيهم (واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور) فهو يستبيح لنفسه تأويل أصول عقيدة الاسلام

لتصحيح البدع الوثنية، ثم يزعم أننا اذا أولنا النفس الواحدة بغير آدم فماذا يبقى لنا من القرآن؟ وإنما هذا تفسير بظاهر اللفظ لا تأويل والمراد منه تنزيه القرآن عن نقض شيء فيه وكان قد بسط هذا الاعتراض من قبل في جريدة الافكار كما بيناه من قبل في المقالين الاول والرابع من هذا الرد وقلنا في الرابع ان الشيخ الدجوي قد اعتذر عنه عقب نشره في جريدة الافكار سنة ١٣٣٥ إذ خاف أن نقاضيه الى محكمة العقوبات، فيضطر الى الاعتذار فيها كما اعتذر زميله في ذلك العام، وكان مما بهت به صاحب المنار افتراؤه عليه انه قال ان آدم عليه السلام من سلالة القرود وانه ليس أبا لجميع البشر، وكانت حجته في اعتذاره ان الذي قرأ له غشه وهو أعمى لا يبصر، ولكنه عاد في هذه السنة الى الطعن علينا بما كتبه واعتذر عنه

وكان الذي أثار هذه الفرية في نفسه وحمله عليها ما نقلته عن الاستاذ الامام في تفسير قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء) من ان كلمة النفس الواحدة ليست نصا أصولياً ولا ظاهراً في آدم عليه السلام، وأنها مع ذلك لا يمكن ان يعترض عليها أحد لا الذين يقولون ان آدم هو الاب لجميع البشر ولا غيرهم حتى الذين يقولون ان للبشر عدة أصول، وبين ذلك بما يراجع في أول تفسير سورة النساء من جزء التفسير الرابع أو مجلد المنار الثاني عشر

وقد وضحت كلامه (رحمه الله تعالى) فيما علقته عليه بان المفسرين كالامام الرازي وغيرهم ذكروا في تفسير هذه الجملة (خلقكم من نفس واحدة) من آية سورة الاعراف (٧:١٨٩) ثلاثة أقوال أحدها قول القفال ان هذه القصة وردت على سبيل ضرب المثل والمراد خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها إنسانا يساويه في الانسانية، والثاني ان الخطاب لقريش والمراد بالنفس الواحدة جدهم قصي، والثالث ان النفس الواحدة آدم، وتأول ما يرد عليه من الاشكال في قوله تعالى (فجعلا له شركاء فيما آتاهما) مع عصمة آدم من الشرك بما تراه فيه. فلو كان لفظ «نفس واحدة» نصاً في آدم عليه السلام لما

كان هناك وجه للقوانين الآخرين . وكيف يكون نصاً او ظاهراً فيه ولفظ نفس اسم جنس نكرة، وآدم علم شخص معرفة ؟ فتفسير هذه النفس بآدم تفسير بالمراد لا بمعنى اللفظ

وذكرت أيضا مانقله المفسرون وغيرهم عن الامامية والصوفية من انه كان في الارض قبل آدم المشهور عند أهل الكتاب وعدنا آدمون كثيرون فراجع ذلك في روح المعاني للآلوسي وراجع ماقالوه أيضاً في تفسير (إني جاعل في الارض خليفة) من قول بعضهم انه كان فيها بشر قبل آدم هم الذين أشار اليهم الملائكة بقولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) ثم قلت بعد بيان استدلال شيخنا وما وضحته به مانصه (صفحة ٣٢٦ من جزء التفسير الرابع)

«ثم ان ماذهب اليه الاستاذ الامام يرد الشبهات التي ترد في هذا المقام ولكنه لا يمنع المعتقدين أن آدم هو ابو البشر كلهم من اعتقادهم هذا لانه لا يقول ان القرآن ينفي هذا الاعتقاد وانما يقول انه لايثبته إثباتا قطعياً لايحتمل التأويل . وقد صرحنا بهذا لان بعض الناس كان فهم من درسه انه يقول ان القرآن ينافي هذا الاعتقاد أي اعتقاد ان آدم ابو البشر كلهم وهو لم يقل هذا تصريحا ولا تلويحا ، وانما بين ان ثبوت ما يقوله الباحثون في العلوم وآثار البشر وعادياتهم والحيوانات من ان للبشر عدة أصول، ومن كون آدم ليس أبا لهم كلهم في جميع الارض قديما وحديثا - كل هذا لاينافي القرآن ولا يناقضه ويمكن لمن ثبت عنده أن يكون مسلما مؤمنا بالقرآن، بل له حينئذ أن يقول لو كان القرآن من عند محمد ﷺ لما خلا من نص قاطع يؤيد الاعتقاد الشائع عن أهل الكتاب في ذلك بما لم تستطع اليهود أن تعارضه من قبل بدعوى مخالفته لكتبهم ، ولم يستطع الباحثون أن يعارضوه من بعد لمخالفته ماثبت عندهم . وليت شعري ماذا يقول الذين يذهبون إلى ان المسألة قطعية بنص القرآن فيمن يوقن بدلائل قامت عنده بان البشر من عدة أصول ؟ هل يقولون اذا أراد أن يكون مسلما وتعذر عليه ترك يقينه في المسألة انه لايصح إيمانه ولا يقبل اسلامه ، وإن أيقن بان القرآن كلام الله وانه لانص فيه يعارض يقينه ؟؟ اه

وانما بين الاستاذ الامام في تنزيه القرآن ما ذكر ووضحته بما ذكرت لاننا نعلم أن كثيرا من المسلمين يعتقدون صحة نظرية داروين في جملتها وطالما حاججناهم فيها كما سيأتي ، ولكن لا نقول بكفر من يؤمن بالله وكتابه ورسوله منهم ، ولا ان هذا الرأي مانع من صحة اسلام من يهديه الله الى الاسلام ممن يرون صحة هذه النظرية أو نظرية تمدد أصول البشر ، ولكننا لم نؤول نصا من القرآن ولا ظاهراً من ظواهره لاجل تطبيقه على هذه النظرية التي لا نعتقد صحتها من كل وجه

وقد ذكرت في المقال الاول ان عالما من علماء تونس الاذكياء لا يبلغ الدجوي مده في العلم ولا نصيفه قد انتقد عبارة الاستاذ الامام واقرارنا لها وكتب الينا بذلك ما نشرناه له ورددنا عليه من بضعة عشر وجها فاقتنع بما كتبناه

وخلاصة الكلام في المسألة أن مراد الاستاذ الامام مما قرره أن من معجزات القرآن في تعبيره عن أمور الخلق أن يذكر المسائل بما لا تستنكره معلومات العرب الاميين في عصر التنزيل ولا معلومات غيرهم ممن خوطبوا به في العصر الاول، ثم ترتقي معارف البشر في هذه المخلوقات ارتقاء عظيما حتى تصل إلى ما نعلم ونسمع ونبصر في هذا العصر، ويبقى تعبير القرآن فوق كل علم وكل ارتقاء لا يمكن أن ينهار، ولا أن ينقض من بنائه العظيم جدار، ولا أن يسقط منه حجر من الاحجار، مع اننا نرى فحول علماء كل عصر كلما ألفوا كتابا فيما وصلت اليه معارفهم الواسعة من أمور العالم يجدون من الباحثين من ينقض كثيراً من مسائله ، بل نرى العالم الواحد منهم إذا أعاد طبع كتابه بعد سنين قليلة من تأليفه يصحح كثيراً من مباحثه . فهل يعقل أن يكون في استطاعة محمد ﷺ أن يأتي بمثل هذه التعبيرات التي يستفيد البشر منها العبرة المرادة في كل زمن بما يناسب معارف أهله من غير أن يمسها ما ينقض شيئا منها، أو يصد الناس عن الاهتداء بها ؟

ولكن أمثال الشيخ يوسف الدجوي من علماء المناقشات في عبارات الاشموني والصبان وحواشي مختصر السعد التفتازاني وجمع الجوامع وإيراد الاحتمالات

الكثيرة فيها لا يعقلون مثل هذا الاعجاز في القرآن، ولا يفقهون فيها مراد عليم كبير كالاستاذ الامام، كما انهم لا يفقهون كلامه في عظمة نفس المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، وانه لايمكن أن يؤثر فيها سحر السحرة أولي الاوهام، بل ينكرون تحقيقاته التي لاتصل اليها افهامهم المحصورة في مناقشات كتب المتأخرين، ويجبنون عن توجيه الاعتراض عليها لئلا تلمنهم الامة بعد إجماعها على أن مصر لم تنجب عالما ربانياً وحكيما تفتخر بمثله، فيوجه أجرؤهم على التحريف وقول الزور كالشيخ يوسف الدجوي اعتراضه على ناقل علمه وحكمته وناشر فضله ومزاياه وما هو الا صاحب المنار، ويظاهره على ذلك ضريبه في علمه واعتقاده الشيخ الاحمدي الظواهري فيما يظهر، إذ يستعمله في نشره في مجلة الازهر، ولا يأذن بان ينكر عليه فيها منكر

أما قول الشيخ يوسف الدجوي «وما ادري كيف يفعل في قوله تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب الخ فجوابه أولا أنه لا يعقل أنه لا يدري ذلك اذ لابد أن يكون راجع تفسيرنا لهذه الآية وامثالها لاجل تأييد طعنه علينا ان وجد فيها ما يؤيد رأيه، وثانيا انه إن كان صادقا في قوله انه لا يدري فهو انه لا يحب أن يدري، لانه لو كان يحب أن يدري لراجع تفسيرنا لهذه الآية ولغيرها في معناها، ولا سيما الآيات التي انفردنا بتفسيرها بعد وفاة شيخنا رحمه الله كقوله تعالى في سورة الانعام (٦: ٢ هو الذي خلقكم من طين) الآية، فقد قلت في تفسيرها من صفحة ٢٩٦ من جزء التفسير السابع ما نصه:

«هذا كلام مستأنف جاء على الالتفات عن وصف الخالق تعالى بما دل على حمده وتوحيده إلى خطاب المشركين الذين عدلوا به غيره في العبادة، يذكرهم به بما هو ألصق بهم من دلائل التوحيد والبعث، وهو خلقهم من الطين وهو التراب الذي يخالطه الماء فيكون كالعجين، وقد خلق الله آدم أبا البشر من الطين كما خلق أصول سائر الاحياء في هذه الارض إذ كانت حالتها مناسبة لحدوث التولد الذاتي، بل

خلق كل فرد من أفراد البشر من سلالة من طين ، فبنيـة الانسان مكونة من الغـذاء ومنه ما في رحم الانثى من جراثيم النسـل وما يلقحه من ماء الذكر، فهو متولد من الدم والدم من الغذاء والغذاء من نبات الارض أو من لحوم الحيوان المتولد من الارض،فرجع كل إلى النبات،وإنما النبات من الطين . ومن تفكر في هذا ظهر له ظهوراً جليا أن القادر عليه لا يعجزه أن يعيد الخلق كما بدأه إذا هو أمات هذه الاحياء بعـد انقضاء آجالها التي قضاها لها في أجل آخر يضربه لهذه الاعادة بحسب علمه وحكمته اه

وفي معناه ما كتبته في تفسير قوله تعالى من سورة الاعراف (٧: ١٠ ولقد خلقناكم ثم صورناكم) الآية وهذا نصه من (ص٣٢٨ من جزء التفسير الثامن)

« الخطاب لبني آدم ، والمعنى خلقنا جنسكم أي مادته من الصلصال والحمأ المسنون وهو الماء والطين اللازب المتغير الذي خلق منه الانسان الاول ،ثم صورناكم بان جعلنا من تلك المادة صورة بشر سوي قابل للحياة ، أو قدرنا إيجادكم تقديراً ثم صورنا مادتكم تصويرا الخ ثم ذكرت الاقوال المروية عن ابن عباس وغيره من مفسري السلف وقلت في آخرها : والتقدير الذي ذكرناه أولا هو الموافق لما عليه الجمهور والانسان الاول آدم » اه فهذان نصان صريحان في اعتقادنا ان آدم هو الانسان الاول وانه أبو البشر ناقضا لما افتراه علينا الشيخ الدجوي ومكذبا له

وأما آية خلق عيسى كخلق آدم فقد كتبت في تفسيرها (ص٣١٩ ج٣) ما نصه

«أقول بعد أن بين سبحانه خلق عيسى ومجيئه بالآيات وما كان من امر قومه في الايمان والكفر به، كشف شبهة المفتونين بخلقه على غير السنة المعتادة والمحاجين فيه بغير علم ورد على المنكرين لذلك فقال (ان مثل عيسى عنـد الله كمثل آدم) أي ان شبه عيسى وصفته في خلق الله اياه على غير مثال سبق كشأن آدم في ذلك ثم فسر هذا المثل بقوله (خلقه من تراب) أي قدر أوضاعه وكون جسمه من تراب ميت أصابه الماء فكان طينا لازبا ذا لزوجة (ثم قال له كن فيكون) أي ثم كونه تكوينا آخر بنفخ الروح فيه» اه

مذهب داروين والاسلام

وجملة القول ان ما بهتنا به الشيخ يوسف الدجوي في مجلة الازهر من اننا نقول بتطبيق القرآن على مذهب داروين فهو كذب مفترى كغيره من مفترياته ، وان في مجلد المنار الثاني عشر الذى استنبط منه سائر هذه المفتريات رسالة لشيخ الصحافة في سورية عبدالقادر افندي القباني جعل فيها مذهب داروين دينا مناقضا للاديان المعروفة في البلاد العثمانية وناقضا لها وقد نشرتها له وعلقت عليها تعليقا قلت فيه (ص ٦٣٥ منه) «أؤكد لصديقي الكاتب ان مذهب داروين لا ينقض — إن صح وصار يقينا — قاعدة من قواعد الاسلام ، وأعرف من الاطباء وغيرهم من يقول بقول داروين وهم مؤمنون إيمانا صحيحا ، ومسلمون إسلاما صادقا ، يحافظون على صلواتهم وسائر فرائضهم ، ويتركون الفواحش والاثم والبغي التي حرم الله على عباده عملا بدينهم ، على أن هذا المذهب علمي ليس من موضوع الدين في شيء »

فقولي [إن صح وصار يقينا] صريح في أنه لم يصح وانه لا يرجح أن يصح ، وكان هذا هو المستقر في رأيي مما بسطه أستاذنا الشيخ حسين الجسر العلامة الشهير في كتاب (الرسالة الحميديه) وأقره عليه علماء سورية وعلماء الترك وغيرهم من العلماء كما صرحت به في المقال الاول من هذه الردود

وأما رأيي التفصيلي في مذهب داروين الذي كنت أرد به على القائلين به قولا وكتابة ففيه أجوبة على أشهر ادلتهم عليه وقد ابتليت بدفع شبهاتهم كغيرها من الشبهات على الدين . وأوسع هذه المباحث ما نشر في الجزء الثامن من مجلد المنار الثلاثين (ص ٥٩٣) وهي شبهات ألقاها إلي بعض الشبان كتابة في أثناء محاضرة لي على منبر جمعية الشبان المسلمين فيعلم منها مبلغ بهتان الشيخ يوسف الدجوى علي وقلبه للحقائق واسناده الي ضد ما هو ثابت عني في مواضع من مجلة المنار وتفسيره ، وذلك برهان قاطع على تعمده افتراء الكذب وسوء نيته فيه

وهذه البهيتة آخر البهائت التي نشرتها له مجلة الازهر في الجزء الخامس من هذه السنة (١٣٥١) ووعدت بتفنيدها وسأنشر بعدها مقالة الرد على احتجاجه لبدعة الزيادة في الاذان أو عليه ان شاء الله تعالى

المقال الرابع عشر

بدعة الزيادة في الاذان أو عليه

(تاريخها ومبتدعها ومنكروها وادعاء مجلة مشيخة الازهر شرعيتها)

(سئلنا عن هذه الزيادة فأفتينا في مجلة المنار بأنها بدعة منكرة ، وسئلت عنها مجلة مشيخة الازهر فأفتت بأنها بدعة حسنة ، ورد علينا مفتيها الشيخ يوسف الدجوي رداً ضمنه تلك البهائت السبع المفتريات ، التي فضحنا جهله وكذبه فيها بثلاثة عشر مقالا متتابعات ، وهذا مقال خاص برد شبهاته على بدعة الاذان)

الاذان شعيرة من شعائر الاسلام التعبدية مروي بالتواتر والعمل من عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، منقول في جميع كتب السنة وفقه أئمة اهلها ، معدود الكلمات ، موصوف الاداء ، وكل عبادة هذا شأنها في ثبوتها وصفاتها يجب فيها الاتباع بلا زيادة ولا نقصان ، ولا يقبل فيها رأي أحد بشبهة قياس او استحسان ، بخلاف العبادات المطلقة من ذكر لله تعالى اوصلاة نافلة غير معينة أو صلاة على النبي ﷺ فكل امرئ مخير في الاكثار منها ما شاء بشرط ان تكون الصلاة على الصفة المأثورة وأن لا يلتزم فاعل العبادة المطلقة قيوداً لها من الزمان أو المكان أو الجهر أو الجماعة تخرجها من دائرة اطلاق الشرع لها وتدخلها في عداد ماسماه الامام الشاطبي بالبدع الاضافية المخرجة لها عن إطلاقها، ولذلك قال الفقهاء في صلاة ليلة الرغائب من رجب وليلة النصف من شعبان اللتان اعتادهما بعض العباد انهما « بدعتان قبيحتان مذمومتان » كما في المنهاج للنووي وغيره

فالعبادات منها ماهو مقيد بعدد او زمان أو مكان او وصف فالواجب فيه التزام القيد المأثور عن الشارع ، ومنها ماورد مطلقا غير مقيد فيلتزم فيه الاطلاق — والاذان من النوع الاول ، فلا يباح أن يزاد فيه ولا عليه ولا أن ينقص منه

وقد ابتدع فيه الشيعة في مصر وغيرها ما بينه العلامة المقريزي في أوائل الجزء الرابع من خططه المصرية المشهورة بعد بيان أصله ونصوص السنة فيه ،

وقفي على ذلك بابطال السلطان صلاح الدين لما ابتدعه الفاطميون فيه وإعادته لما كان عليه من مذهب أهل السنة وما حدث بعد ذلك من الابتداع فيه فقال مانصه :

«وأما مصر فلم يزل الاذان بها على مذهب القوم الى أن استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بسلطنة ديار مصر وأزال الدولة الفاطمية في سنة سبع وستين وخمسمائة وكان ينتحل مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وعقيدة الشيخ أبي الحسن الاشعري رحمه الله فأبطل من الاذان قول « حي على خير العمل » وصار يؤذن في سائر إقليم مصر والشام بأذان أهل مكة وفيه تربيع التكبير وترجيع الشهادتين فاستمر الأمر على ذلك إلى أن بنت الأتراك المدارس بديار مصر وانتشر مذهب أبي حنيفة (رض) في مصر فصار يؤذن في بعض المدارس التي للحنفية بأذان أهل الكوفة وتقام الصلاة أيضاً على رأيهم ، وما عدا ذلك فعلى ماقلنا

«إلا أنه في ليلة الجمعة اذا فرغ المؤذنون من التأذين سلموا على رسول الله ﷺ وهو شيء أحدثه محتسب القاهرة صلاح الدين عبد الله بن عبد الله البرلسي بعد سنة ستين وسبعمائة، فاستمر الى أن كان في شعبان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ومتولي الامر بديار مصر الامير منطاش القائم بدولة الملك الصالح المنصور أمير حاج المعروف بحاجي بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون، فسمع بعض الفقراء الخلاطين سلام المؤذنين على رسول الله ﷺ في ليلة جمعة وقد استحسن ذلك طائفة من إخوانه فقال لهم أتحبون أن يكون هذا السلام في كل أذان؟ قالوا نعم فبات تلك الليلة وأصبح متواجدا يزعم أنه رأى رسول الله ﷺ في منامه وانه امره ان يذهب الى المحتسب ويبلغه عنه أن يأمر المؤذنين بالسلام على رسول الله ﷺ في كل أذان، فمضى الى محتسب القاهرة ـ وهو يومئذ نجم الدين محمد الطنبدي [وكان شيخا جهولا ، وبلهانا مهولا ، سيء السيرة في الحسبة والقضاء ، متهافتا على الدرهم ولوقاده الى البلاء ، لايحتشم من اخذ البرطيل والرشوة . ولا يراعي في مؤمن الاولاذمة . قد ضري على الآثام ، وتجسد من اكل الحرام . يرى ان العلم ارخاء العذبة ولبس الجبة . ويحسب ان رضاالله سبحانه في ضرب العباد بالدرة وولاية الحسبة . لم يحمد الناس قط أياديه ، ولاشكرت ابدا مساعيه ، بل جهالاته ، شائعة ، وقبائح افعاله ذائعة . أشخص غير

مرة الى مجلس المظالم، واوقف مع من اوقف المحاكمة بين يدي السلطان من اجل عيوب فوادح . حقق فيها شكاته عليه القوادح . وما زال في السيرة مذموما، ومن العامة والخاصة ملوما] وقال له رسول الله يامرك ان تتقدم لسائر المؤذنين بان يزيدوا في كل أذان قولهم «الصلاة والسلام عليك يارسول الله» كما يفعل في ليالي الجمع، فأعجب الجاهل هذا القول، وجهل أن رسول الله ﷺ لا يأمر بعد وفاته ،إلا بما يوافق ما شرعه الله على لسانه في حياته، وقد نهى الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عن الزيادة فيما شرعه حيث يقول (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) وقال رسول الله ﷺ « اياكم ومحدثات الامور » فامر بذلك في شعبان من السنة المذكورة ،وتمت هذه البدعة،واستمرت الى يومنا هذا في ديار جميع مصر وبلاد الشام ، وصارت العامة واهل الجهالة ترى ان ذلك من جملة الأذان الذي لايحل تركه ، وأدى ذلك الى ان زاد بعض اهل الإلحاد في الاذان ببعض القرى السلام بعد الاذان على شخص من المعتقدين الذين ماتوا ،فلا حول ولا قوة الا بالله وإنا لله وإنا اليه راجعون » اه ما قاله المقريزي بنصه :

هذا أصل هذه البدعة وسببها،وهو افتراء بعض الدجالين الخرافيين من أهل الطريق على رسول الله ﷺ رؤيا أمر بها ذلك المحتسب الظالم الفاجر بتعميمها. وحسبك ما كتبه العلامة المقريزي في انكارها وتسفيه مبتدعها ، ولعله يعني بما زاده عليها بعض أهل الالحاد في بعض قرى مصر من السلام على بعض المعتقدين الذين ماتوا سلامهم على السيد احمد البدوي . وقد انتقل هذا من بعض القرى الى الامصار حتى القاهرة نفسها ، وزيد على السلام عليه نداء السيد ودعاؤه متصلا بالاذان أيضا . فقد سمعت مؤذن الفجر في أول دار سكنتها بمصر يصيح بعد الاذان : ياشيخ العرب ! مع كلمات لم اتبينها . وماكنت اعلم ان هذا لقب البدوي.

إن شر مفاسد البدعة أنها بطول الزمان تعطى حكم السنة المشروعة ، فيعد فاعلها متبعا ، ومنكرها مبتدعا ، ويخترع أدعياء العلم العلل والشبهات لشرعيتها . والقاعدة العامة عندهم لاثبات كل بدعة قولهم « بدعة حسنة » وهو مصادم لنص الحديث الصحيح الذي كان النبي ﷺ يقوله على المنبر « وشر الامور محدثاتها ،

وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » رواه مسلم ، وهو مجمع على معناه في البدع الدينية ، وانما قال من قال من العلماء ان البدعة تنقسم الى حسنة وسيئة في البدعة اللغوية وهي ما يخترعه الناس ويضعونه من العلوم والفنون والصناعات والاعمال ، والاذان من العبادات التي يلتزم فيها الاتباع باجماع السلف والأئمة المجتهدين

وقد عرف العلامة الشاطبي البدعة الدينية في كتابه الاعتصام بانها « طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه » ثم نقل عن الامام مالك رحمه الله تعالى انه قال : من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة لان الله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم) فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا اه

وقد احتج نصير البدع وخاذل السنة الشيخ يوسف الدجوي على شرعيتها في مجلة مشيخة الازهر بما جاء في بعض الاحاديث الواردة في جواب المؤذن وهو « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ » الحديث هكذا ذكر منه ما وافقه وعزاه الى صحيح مسلم — ونزيد عليه أنه رواه احمد وأصحاب السنن أيضا الا ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو — (ثم قال الدجوي) وان المؤذن ممن سمع الاذان وكل من سمع الاذان طلب منه الصلاة على النبي ﷺ وأقول ان هذا قد ذكره الفقهاء المتأخرون وزاد هو عليهم انه مخير في هذه الصلاة من وصلها بالاذان مع رفع الصوت وعدمه ، وهذه الشبهة مردودة من وجوه

(أولها) ان من المعلوم بالاختبار ان المؤذنين يقلد بعضهم بعضا في هذه الزيادة ولا يقصدون بها اتباع هذا الحديث ولا غيره مما ورد في اجابة المؤذن ويقل فيهم من يعرفها . وتتمة هذا الحديث « ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو ان أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة » والمؤذنون لا يسألون له الوسيلة ، ولم يذكر الشيخ الدجوي هذه التتمة لانها تدحض شبهته

(ثانيها) ان المؤذن لو كان يأتي بهذه الصلاة لاجابة نفسه عملا بالسنة لأتى بكل ما ورد في السنة من الادعية في هذه الاجابة وأشهرها في هذه الاجابة الدعاء

المفسر لطلب الوسيلة في الحديث الذي احتج به وهو كما في حديث آخر أصح منه « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة » رواه احمد والبخاري وأصحاب السنن من حديث جابر بن عبد الله

(ثالثها) أن وصلها بالاذان مع رفع الصوت يوهم من لا يعرف السنة فيه أنها منه ، او أنها مشروعة . وقد قال المقريزي ان العامة وأهل الجهالة يرون أن هذه الزيادة من جملة الاذان الذي لا يحل تركه ، وأكثر الناس في هذا العصر يجهلون السنة فلذلك ينكرون على من أذن الاذان الشرعي مقتصرا عليه ولم يزد عليه هذه الصلوات والتسليمات ، ويطعنون فيه وفيمن ينكر هذه الزيادة أو العلاوة بأنه عدو للرسول ﷺ فانقلب الشرع ، وانعكس الوضع ، وصار الذي يتبع الرسول ﷺ ويؤذن كما كان يؤذن المؤذنون له ولخلفائه الراشدين يعد عدواً له ، وإنما المبتدع في ملته ، المخالف لسنته ، هو المتبع لذلك الفقير الخلاط المفتري على النبي ﷺ وللبرلسي المحتسب الفاسق . والمخالف لها وللدجوي ورئيسه هو التقي المتبع للرسول (ص)

(رابعها) أن الذي فهمه الصحابة ومنهم مؤذنو المصطفى ﷺ ان إجابة المؤذن بقولهم مثل ما يقول إلا الحيعلتين فيقول عندهما « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » والصلاة عليه ﷺ وسؤال الوسيلة له وسائر الادعية هي من الاذكار التي يقولها كل سامع له منفردا بخفض الصوت فلم يرو أحد من المحدثين عن مؤذنيه (ص) ولا مؤذني خلفائه الراشدين ولا مؤذني خير القرون ولا عن غيرهم من الصحابة والتابعين انه رفع صوته بذلك كالأذان ، فضلا عن وصل المؤذنين له بالاذان ، ولا مادون الاذان مما ورد فيه رفع الصوت كاقامة الصلاة وهي الاذان الثاني فعلينا اتباعهم ، ورفع الصوت فيه خلاف الاصل فلا يتوقف انكاره على نهي الشارع عنه ، ولو كان مشروعا لجاز لاهل المسجد عند الاذان والاقامة ان يرفعوا اصواتهم باجابتها بمثل صوت المؤذن ، ومن ذا الذي لا يقول ان هذا عمل منكر ؟ ومن ذا الذي ينكر على المؤذن أن يأتي بالأذكار المأثورة في إجابته وهو منصرف من الأذان بصوت خاشع كما يجيبه سائر من سمعه ؟

(خامسها) أننا قد بينا أن ما أطلقه الشرع من العبادات فليس لنا أن نقيده بصفة نلتزمها فيها لم ترد في الشرع كالأذكار المأثورة بعد الصلاة وذلك مفصل في كتاب الاعتصام للعلامة الشاطبي فقد عد من البدع الاضافية اجتماع المصلين ورفع أصواتهم بالتسبيح والتحميد والتكبير ٣٣ مرة وغير ذلك والتزامهم إياه في المسجد، لانه يوهم انه مشروع بهذه الصفة، ووصل اذكار اجابة المؤذن بالاذان برفع الصوت على المنار أولى بذلك . وانني أؤذن لصلاة الفجر في روشن الدار كل يوم تقريبا ثم أصلي على النبي ﷺ وأنا منصرف من الأذان وأسأل له ﷺ الوسيلة باللفظ المروي عنه في الصحاح والسنن وغير ذلك مما ورد

(سادسها) لو كان المؤذن يقصد بالصلاة عليه ﷺ بعد الأذان ما ورد عنه في جواب النداء لما تركه في صلاة المغرب، بل لأتى به بعدها وزاد عليه الدعاء المأثور بعده وهو « اللهم هذا إدبار ليلك ، واقبال نهارك ، وأصوات دعائك ، فاغفر لي » رواه ابو داود والترمذي من حديث أم سلمة (رض) ولما زاد عليه بعضهم بعد أذان الفجر نداء شيخ العرب البدوي ، فبذلك دحضت شبهات مجلة الازهر كلها ، وثبت أن ما يزيده المؤذنون ليس إلا بدعة يجب انكارها ،

(سابعها) من مفاسد هذه البدعة أنه لما كان الوهابيون يتبعون السنة في آذانهم ويمنعون الزيادة فيه أو عليه وهم مبتدعة في زعم الدجوي رماهم المبتدعون أمثاله بانهم لا يصلون على النبي ﷺ مطلقا حتى ان المرحوم التقي النقي محمد أمين بك الرافعي لما حضر مجلس الملك عبد العزيز الفيصل بن السعود بمكة المكرمة وسمعه يصلي على النبي ﷺ كلما ذكره وإن تكرر ذكره في المجلس مراراً كثيرة متوالية استغرب ذلك و كتبه في جريدته (الاخبار) وقال انه ما رأى أحداً مثله في ذلك اي لا في مصر ولا في غيرها

وأغرب من هذا ان بعض حجاج بلدنا قال لي بمكة المكرمة ان الناس قالوا لنا ان الوهابية منعوا من الاذان الشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة وقد سمعت جميع المؤذنين ينطقون بها . فقلت له هذا من افتراء الناس عليهم وذكرت له سببه

وقال بعض الناس مثل هذا مرة لوكيل إدارة المنار فدله الوكيل على دار الوكالة العربية للحكومة السعودية وقال له اذهب اليها في هذا اليوم وكان يوم

الجمة تر فوقها علماً أخضر فاقرأ ما فيه لتعلم كذب هذا القول بالمشاهدة — فان فيه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهذا شعار الوهابية، فبهت الرجل

ردعلينا الدجال الدجوي من وجوه غير ماتقدم نوجزالكلام في الجواب عنها فنقول:

(١) زعمه انه خفي علينا الفرق بين الزيادة في الشيء والزيادة على الشيء وهذا من الثاني — ونقول لا فرق بينهما في المعنى المقصود فهي على كل حال زيادة متصلة بعبادة من شعائر الاسلام لم يأذن بها الله، وقد سماها المقريزي قبلنا زيادة في الاذان

(٢) قوله انه ليس أول من قال انها بدعة مستحسنة بل علماء المذاهب الاربعة مصرحون بذلك وجوابه - إن صح النقل - ان هؤلاء العلماء المتأخرين ليسوا من الائمة المجتهدين بالاتفاق بيننا وبينه فقولهم كقوله لا يعتد به إذ لا دليل لهم عليه، ولا يجوز تقليدهم فيه باتفاق من يقول بجواز التقليد أو وجوبه على العاجز عن الاستدلال لانهم انما يقولون بتقليد المجتهد وهؤلاء لا يدعون الاجتهاد، بل يعيبون علينا الاستدلال بالكتاب والسنة لانهم يعدونه من الاجتهاد المتعذر ويتهكمون بنا ثم يفعلون مثل فعلنا بغير علم، ولكنهم يستدلون بأقوال أمثالهم،

(٣) قوله انه «ليس كل مالم يفعل في عهده ﷺ يكون بدعة سيئة ومن فهم ان ذلك داخل في الحديث «وكل بدعة ضلالة» فهو من أقل الناس علما، وأضيقهم عقلا» ونقول ان كل مالم يفعل في عصره ﷺ من العبادات ولا سيما شعائر الاسلام فهو البدعة السيئة بخلاف أعمال الخير غير التعبدية كتأليف الكتب العلمية النافعة وبناء القناطر والمستشفيات مثلا، وقد صرح بهذه التفرقة كبار العلماء، ومن لم يفهم هذا فلا فهم له ولا علم ولا عقل

(٤) قوله ان هذه البدعة تدخل في عموم حديث «من سن سنة حسنة» الخ ونقول أن هذا خطأ ظاهر فعلماء المسلمين سلفهم وأئمة الخلف منهم مجمعون على انه ليس لأحد أن يسن في العبادات المشروعة سنة جديدة كما بيناه آنفا. ومقلدة الخلف يقولون هذا أيضا ولكن منهم من يخالفه كما فعل هو ومن يحتج بقولهم، وهو ليس بحجة باجماع علماء الاصول

(٥) قوله «ليس هناك من يجعل الزيادة من الاذان بدليل انها تترك في

أذان المغرب وبدليل انهم يطيلون تارة ويقصرون ، وبدليل ماذكره هو (يعنينا) انهم قد ينادون شيخ العرب (السيد البدوي) فهل يفهم ان ذلك كله من الاذان ؟»

وجوابه ان الجاهلين يفهمون انه من الاذان كما قال المقريزي ، ومن لم يفهم انه منه يعتقد انه مشروع في الاسلام ، ولذلك ينكرون على من يتركه كما تقدم . وانما هذا حجة عليه مبطل لزعمه أنهم يقصدون به اتباع السنة في جواب المؤذن وتقدم تفصيله ، على ان الكلام في هذا الفعل المبتدع لا في تسميته ، فسواء عليهم اجعلوه أو سموه من الاذان كما يفهم جماهير العوام أم جعلوه من اجابة المؤذن لنفسه كما زعم هو (الدجوي) حتى قال انهم اقتتلوا في بعض القرى أو كادوا يقتتلون في اختلافهم فيه هو على كل حال ابتداع في الدين وشرع لم يأذن به الله ، فجميع هذه الاجوبة حجة على قائلها لا له ، واذا امكن المراء في بعضها فلا يمكن في جملتها .

وخلاصة القول أن هذه الزيادة في الاذان أو عليه أو العلاوة له بدعة أحدثها بعض الفساق في آخر القرن الثامن وزيد عليها فيما بعده ما لا شبهة في بطلانه فيجب انكارها والسعي لمنعها ، وعدم اطالة الجدل لاثبات استحسانها .

وهذا هو الذي يصح ان يدخل فيما أمر الكتاب العزيز به من رد التنازع إلى الله والرسول . وهو الذي يمكن أن تجتمع كلمة الامة عليه إذا دعاها اليه علماؤها بناء على أنه هو الذي كان في عهد الرسول ﷺ وخلفائه (رض) ومن يقول إنها بدعة غير سيئة أو حسنة لا يقول انها خير مما كان عليه المسلمون في ذلك العهد . وهذا معلوم بالضرورة لا يخالف فيه احد

وان من شر مفاسد هذه البدع في الدين أن يتعصب لها أهلها مع تهاونهم في السنن وفي الفرائض أيضاً ، وأعجب من ذلك اقرار ادعياء العلم للمبتدعين على بدعهم ، وأعجب من هذا الاعجب تأولها لهم ، والرد على منكريها عليهم . ومن أكبر مصائب المسلمين في دينهم ان يتولى مشيخة الازهر كبر هذه الضلالة جهرا في مجلتها الرسمية وقد بينا سوء حال الازهر بها في المقدمة . (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ تمت مقالات الرد على مشيخة الازهر ومجلتها ﴾

القسم الثاني من الكتاب (*)

في خلاصة من عمل صاحب المنار في اصلاح الازهر

تتقدمها كلمات في تاريخ نشاته

بسم الله الرحمن الرحيم

(رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)

أحمد الله تعالى أن فطرني على حب الاصلاح ، وأن يسره لي تربية وتعليماً وعلماً وعملا ، وأحمده أن حفظني من الابتلاء بالمناصب ، ومن الامتحان بخدمة الحكومات ، ومن فتنة حب المال والجاه ، فان أهون رزايا كل من هذه الفتن أن تصد عن قول الحق، وتغري بالسكوت على شيء من الباطل ، وقد تبلغ بالمفتون أن يخذل الحق، وينصر الباطل، ويوالي الظالمين ، ويحارب المصلحين، وأن يبيع دينه بدنياه، وأن يبيع دينه بدنيا غيره أيضا

ثم أحمده تعالى عوداً على بدء أن وفقني لانشاء هذا المنار للاسلام ، وأن أقدرني على الاضطلاع بتحريره وتصحيحه، وعلى نشره في الآفاق ، وعلى الثبات على ذلك ستة وثلاثين عاما، أدعو الى الله على بصيرة ، والى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، بتفسير كتابه ، واحياء سنة رسوله ، وسيرة السلف الصالحين ، والأئمة المهديين، وأجاهد البدع والمبتدعين، والدجالين الخرافيين ،والمعممين الجامدين،

*) كان هذا القسم أجدر بالتقدم في الذكر ، ولكنني قدرت أولا أن يكون خاتمة مختصرة في الشواهد على أنواع خدمتي للازهر أحيل على مواضعها في مجلدات المنار ، وبعد الانتهاء من طبع مقدمة القسم الاول عرض لي هذا التوسع الذي يراه القراء ، ثم عرض لي افتتاحه بفصل في تاريخ نشأتي فأمضيت ذلك

والملاحدة والجاحدين، والمستبدين الظالمين، وأفند شبهات الماديين، وضلالات دعاة النصرانية الغاوين، من غير اعتماد على ملك او حكومة، او مظاهرة حزب أو جمعية، أو مساعدة غني بماله، او كاتب بقلمه، فلم يكن لدي في وقت من الاوقات، محرر ولا مصحح، ولامساعد على المراجعة في الكتب والصحف، ولاريب أن مجلة المنار اقل الصحف حظا من مقالات الكتاب المتبرعين ايضا

ذلك بأن منار الاسلام بدأ غريباً كما بدأ الاسلام، طفق يذكر المسلمين بأن ملوكهم وحكامهم قد تركوا عدله وشريعته، وان علماءهم قد جهلوا علمه وحكمته، وان مرشديهم قد تنكبوا ارشاده وهدايته، فأضاع سادته وكبراؤه ـ الاصناف الثلاثة ـ مجده وحضارته، وأذلوا امته. وكان من اول ما أنشأته في ذلك ونشرته في السنة الاولى مقالات في الاصلاح الاسلامي عنوانها قوله تعالى (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) وختمتها بقوله تعالى بعدها (ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً)

عاداه الدولة العثمانية ومقام خلافتها من اول ظهوره ومنعته من بلادها، وآذته بايذاء اهله في أموالهم وأنفسهم في بلادها فصبر، وحاولت إخراجه من مصر بالترغيب في المناصب وشارات الشرف فلم يرغب، ثم بالوسائل السياسية والعسكرية فلم تنجح، وله معها تاريخ لا محل هنا لتفصيله ولا لاجماله، وعاداه المرتزقون بالخرافات والبدع من اهل الطريق وغيرهم، وعاداه علماء الجمود، وعاداه النفوذ الاستعماري الدولي، وعاداه دعاة التنصير والتفرنج الالحادي، وقد نصره الله تعالى على جميع مناوئيه من اصحاب الزعامات الثلاث من المسلمين وعلى غيرهم، بما وعد عز وجل من نصر الحق على الباطل، وجعل العاقبة للمتقين، نصره بالحجة، ولم تقم لأحد عليه حجة.

وقد أنس بما كان من غربته وغرابة دعوته كثير من المستقلين في الرأي، والمخلصين في القصد، ووجد لها أنصار في مصر، وفي كل قطر، ثم كثر الدعاة لاصولها وفروعها، فمنهم المقتبسون للمعاني، ومنهم السارقون للمباني، ومنهم المقترفون لبعض المسائل بحروفها، أو بتصرف قليل أو كثير فيها، ومنهم المعترفون بالاقتباس والاخذ، ومنهم الذين لا يعرفون من أين جاءهم العلم ولا الرأي، وموضوعي في هذه المقدمة خاص بالمنار والازهر

كانت دعوة المنار الى الاصلاح الاسلامي بجميع انواعه عامة الا اصلاح الازهر فان دعوته اليه كانت خاصة . ومن المعروف عند اهل الازهر وغيرهم ان الرجل الذي تصدى لاصلاح الازهر وسعى له سعيه هو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ومنهم من لايعرف لغيره عملا فيه ، ولكن جميع قراء المنار الاولين، وكثير من غيرهم يعلمون ان صاحب المنار كان هو المساعد الوحيد للامام رحمه الله تعالى في جميع ماحاوله من الاصلاح فيه الا الاعمال الرسمية في مجلس ادارته ولدى الحكومة والامير ، فالاصلاح لادارة التعليم ولاسلوبه وصفته، ولاختيار كتبه، ولما ينبغي من زيادة العلوم والفنون فيه ، والاصلاح الاهم من ذلك وهو التربية الدينية والعقلية بهداية القرآن واستقلال العقل والرأي في العلم ، وحسن النية والقصد لاحياء الدين، وما يتعلق بهذا الاصلاح من الدفاع عنه وعن زعيمه وداعيته ، كل ذلك قد كان بالتعاون بين الامام الزعيم ومريده وصديقه صاحب المنار الذي لم يكن له من الاعمال الرسمية ولا غير الرسمية ما يشغله عن الاصلاح المعنوي للازهر

بينت في مقدمة القسم الاول ان انفع اصلاحه الديني الذي بثه رحمه الله في الازهر هو دروس التفسير وكنت أنا الحامل له عليه، والمدون لآرائه وفهمه فيه، ولنشرها مبسوطة في مصر وسائر العالم ، في ضمن تفسير المنار الذى اشتهر فى الاقطار ، وشهد اهل العلم والفهم ، بأنه خير التفاسير والكتب لاحياء الاسلام في هذا العصر

وأن أنفع اصلاحه للغة التي يتوقف عليها كل اصلاح علمي هو قراءة كتابي اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ، وكنت المساعد له على ذلك بطبع الكتابين وتعليق بعض الحواشي عليهما، وزد على ذلك المقالات الكثيرة التي نشرتها في المنار وفي الجرائد اليومية ولاسيما المؤيد والمقطم وأكثرها بامضاء رمزي كمجاور اوازهري أو (م ر) وقد كان هو أعلم الناس بعملي هذا وموافقة رأبي لرأيه فيه مع الاستقلال والاخلاص وكان يليه في العلم بذلك الشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ علي يوسف

ثم انني واليت الكتابة في اصلاح الازهر بعد وفاته إلى الآن بما لو جمع لكان سفراً كبير أو أسفارا، والتزمت في ذلك حدود الدين وآداب العلم والمناظرة، ولم أر من مشيخته ورياسة معاهده خروجا عن هذه الحدود والآداب معي، الافي عهد رياسة الشيخ محمد

الظواهري ووجود مجلدها ، فهي التي طمنت في صاحب المنار لنصره للسنة ، بعد ان تقرر في النظام الرسمي للأزهر ومعاهده اكثر مادعا اليه الازهر من الاصلاح ، حتى اشده كرهاً للشيوخ الجامدين ، وهو استقلال العقل في فهم العلم والدين . وبعد ان وجد فيه طائفة من المدرسين الذين يرجى نفعهم على رأي المنار في الاصلاح، كما وجد من قرائه وقراء تفسيره منهم من يعتمدون عليهما في تحضير دروسهم ومن يرجعون الى صاحبهما في المشكلات التي تعرض لهم — وبعد ان ظهر للامة الاسلامية في مصر وغيرها ان هذه المشيخة هي شر مشيخة ابتلي بها الازهر ، وقد صار رئيسها مضغة في الافواه ، وكرة تتقاذفها صوالج الاقلام ، وتطمنه اسنتها بما لم يطعن بمثله احد من سلفه في يوم من الايام ، كما يرى القارىء في مقدمة القسم الاول من هذا الكتاب ، ولم يتصد أحد من الازهر ولا من غيره ينصره بهجوم ولادفاع، فكان الكره له والطمن عليه من مسائل الاجماع . ومن سوء حظه أنه لم يجد في الازهر من يسفه نفسه بالطعن على منار الاسلام ومنشئه إلا ذلك الغمر الجاهل ، فحق لي ان اتمثل بحكمة أبي الطيب القائل

* لك يا منازل في القلوب منازل *

وانني أبين في هذا القسم الثاني منه شيئاً من بعض الشواهد على خدمتي للأزهر بعد مقدمة في تاريخ نشأتي الاولى في طلب العلم والعمل به يعلم بها كيف كان استعدادي لاصلاح الازهر وغيره ، فان بعض الناس كانوا يظنون انني قد قمت بهذه الدعوة الاصلاحية في الاسلام بالتلقين من الشيخ محمد عبده (رح) وانني لم أكن ذا رأي مستقل فيها ، ولاعاملا بوازع من نفسي ، ويظن آخرون أني أنشأت المنار لاجل كسب الرزق، ولكن قراء المنار ولاسيما الاولين منهم كانوا يعلمون ان الامر بخلاف ذلك من كل وجه ، وانني كنت مستقلا برأيي في كل شيء ، وقد بينت العلاقة بيني وبينه في مواضع من مجلدات المنار بالتفصيل، وفي الجزء الاول من (تاريخ الاستاذ الامام) ومن اطلع على الكلمات الوجيزة التي اضطررت لبيانها فانه يرى في نور علم النفس والاخلاق تلك المقدمات ، التي لزم عنها لذاتها هذه النتائج في الاصلاح ، على الطريقة التحليلية المسلوكة في هذا الزمان ، ويسرني

أن يطلع على ما أكتبه عن نفسي ، بقية من أهل العلم والادب في وطني ، ومنهم بعض لداتي وأترابي وبعضهم أسن مني .

فصل في خلاصة من تاريخ صاحب المنار

بيئتي و بيتي

ولدت ونشأت في قرية تسمى القلمون على شاطيء البحر المتوسط من جبل لبنان تبعد عن مدينة طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال وكان جميع أهل هذه القرية من السادة الاشراف المتواتري النسب إلا انه خالطهم في القرن الماضي عدد قليل من مسلمي لبنان ؛ ولم يعن أحد بالتزييل والتمييز بينهم لفقر أكثرهم ونحوهم ، وعدم وجود أوقاف لهم يضبطون مواليدهم لحفظ استحقاقهم فيها ، وعهدي بالشيوخ منهم أنهم يعرفون جميع الدخلاء وكان أخي المرحوم السيد صالح يعرفهم أيضاً ، وقد اشتهروا بالشرف وحسن السيرة ، قلما يعرف عنهم منكر من الكبائر إلا قليلا من سرقة الفواكه أو التضارب بالعصي في بعض المشاجرات وما يقرب من ذلك ،

وأهل بيتنا ممتازون فيهم بأنهم أهل العلم والارشاد والرياسة ويلقبون بالمشايخ للتمييز ، وجدي الثالث هو الذي بنى لهم المسجد المعروف الآن بجانب بيتنا القديم الذي ولدت فيه ، وكان لهم مسجد قديم هدم وتقاسموا حجارته لغلبة الجهل عليهم فأحيا جدنا الدين ببناء المسجد وإقامة الشعائر فيه من إمامة وخطابة وتدريس ، وكان عالما صالحا مشهوراً بالكرامات ، وقد أنعم عليه السلطان العثماني ببراءة سلطانية حبس عليه فيها سبعة قراريط من ٢٤ قيراطا من أموال الدولة الاميرية وبراءات أخرى بالامامة والخطابة في المسجد ، وقد تسلسلت هذه البراءات من السلاطين في ذريته حتى آلت إليَّ فكانت آخر براءة وجهت عليَّ أو إليَّ من السلطان محمد وحيد الدين قبل الحرب العامة .

وكانت والدتي من أسلم النساء فطرة وأكرمهن اخلاقا ، واوفاهن لزوج ، واحناهن على ولد ، وكان والدي من اعز الرجال نفساً ، واجرأهم جناناً ، وأسخاهم يداً ، وقد بينت في ترجمتها من المنار ما ورثته من اخلاقهما . وكنت انا واخواتي

نهاب والدنا اشد المهابة ، لا يرفع احدنا في حضرته صوتا ، ولا يجلس متكئا ، ولكنه كان يمازح البنات من دوننا

وكان بيتنا وما زال بفضل الله تعالى بيت كرم وضيافة كما كتب على لوح الرخام الذي على الباب الكبير للدار التي بناها جدي الثاني ، يقبل الضيوف من جميع الملل ، ويؤوي أبناء السبيل من جميع الاقطار ، وعهدي بأكبر علماء طرابلس وحكامها ووجهائها يغشون دارنا في أيام الصيف ويقيمون فيها أياما للتمتع بهوائها اللطيف، ومياه ينابيعها النقية، وأصناف الطعام الفاخرة عندنا ، وكنت من أول سن التمييز أميل إلى العلماء منهم دون الحكام ووجهاء الدنيا .

وكان والدي من بعد جدي الذي مات وأنا طفل هو سيد الاسرة والبلد المضياف، وكان عمه (السيد الشيخ أحمد) كبير الاسرة سنا منقطعاً للعبادة لا يقابل من ضيوفنا إلا العلماء والاصدقاء يجلس إليهم في وقت معين بين صلاتي العصر والمغرب، وكان مجلسه مجلس أدب ووقار لا لغو فيه ولا دعابة، ولا اغراب في الضحك، وأذكر أنه كان في طرابلس رئيس لعسكرية الدولة ، جبار متكبر، مهيب الطلعة ، عظيم الجثة ، جاء القلمون صباحا ليزور الشيخ ولم يكن يعهد منه تكريم العلماء والصالحين في طرابلس ، فاستأذن له عليه فلم يأذن ، فسأل كيف يتسنى له أن يراه ؟ فقيل له انه ينزل الى المسجد للصلاة فيمكنك أن تراه عند نزوله أو عودته، فانتظره ساعة أو أكثر حتى نزل لصلاة الضحى فسلم عليه واقفاً وأنشده الشيخ أبياتا في بيان حاله، وان اعراضه عنه ليس لذاته ، وقال لمن معه من العرب ترجمها له، وانصرف، وانني أذكرها وقد نسيت اول الثاني منها على أنها مشهورة

أنست بوحدتي ولزمت بيتي   وطاب الانس لي وصفا السرور
. . . .   فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل ما عشت يوما   أسار الجند أم ركب الامير

فكانت هذه الحادثة من أكبر ما عظم شأن بيتنا في نفسي فوقر فيها ان شرف النسب إذا زانته التقوى والاستقامة يكون صاحبه أكرم الناس عند الله وعند الناس

وقد اتفق له في شرخ شبابه ما هو أغرب من هذه الحادثة في عزة النفس

والشجاعة ، وهوان بعض الضباط المصريين جاؤا دارنا في عهد احتلال ابراهيم باشا لسورية يطلبون بعض الحاج لهم ، وكان هو الذي قابلهم جالساً على دكة في الساباط [١] أمام المنزول « أي الدوار ـ أو المندرة » ويأمر بعض الخدم باحضار ما يطلبون فقال له الضابط أنت قاعد تأمر وتنهى هنا زي أفندينا ؟ أوم (أي قم) شيل على دماغك ، وأقبل عليه يريد جذبه بيده ، فرفسه الشيخ برجله في صدره ، فوقع على ظهره ، ثم دخل الدار وأوصد بابها وراءه ، وحدثت معركة بين الجند وأهل القرية

استطراد تاريخي : ابراهيم باشا المصري

وأقول على سبيل الاستطراد التاريخي ، ان تلك الدكة في ذلك الساباط قد نام عليها ابراهيم باشا الكبير نفسه ، فقد حدثنا عم والدي هذا أن الباشا كان جائياً من لبنان إلى طرابلس فتعب في الطريق فلما بلغ بلدنا (القلمون) ألم بدارنا ليستريح فدخل من الساباط الى صحن الدار راكبا جواده ومد يده الى شجرة نارنج يقطف من ثمرها ظانا انها برتقالة ، فرأته سيدة الدار من أعلاها ، فصاحت بصوت سمعه من حيث لا يراها : نحن ما صدقنا اننا خلصنا من ظلم عبد الله باشا (تعني الحاكم التركي) وقالوا لنا ان حكم ابراهيم باشا حكم العدل والامان ، فكيف يدخل عسكره علينا هكذا ؟ فخجل الباشا من فعله ، وفرح بما سمع من مدحه وذم الحكم التركي ، وخرج ، وكان معه مرافق (كاخية) من قبل الامير بشير يعرفه بأمور البلاد واهلها ، فصعد السلم وكلم السيدة من وراء الباب قائلا : هذا هو افندينا ابراهيم باشا تعبان يريد أن ينام هنا ساعة فأرسلوا له حشية ومخدتين ، ونزل ، ووضعت الحشية والمخدتان له على دكة الساباط فنام إلى أن استيقظ من نفسه فركب جواده وسار بحاشيته وقد نسي ساعته تحت الوسادة ، فأتبعه خادم أعطاه إياها ، قال محدثنا فوالله اننا عجبنا انه لم يعطه بخشيشا

---

(١) الساباط (ويسمونها السيابطة) في الاصل سقيفة تحتها ممر كما في المصباح وأما ساباطنا ذاك فهو حجرة فيها باب الدار الكبير ـ الرتاج ـ وفي داخلها حجرة المنزول ، وفيها باب آخر لصحن الدار كان كالرتاج يدخل فيه الفارس ثم صغروه .

لم تقل جدتنا تلك الكلمة في ظلم الحكم التركي الا لان الدولة كانت قد صادرت بيتها مرتين بعد وفاة زوجها وأولادها قاصرون دون البلوغ حتى باعوا أثاث الدار

استطراد تاريخي آخر : مصطفى أغا بربر

مصطفى أغا بربر حاكم لواء طرابلس الدكتاتور الذي والى الحكومة المصرية على الترك خطب على جد والدي ابنة أخيه فأبى ، وما زال يرسل اليه الخاطبين عنه من كبراء طرابلس إلى أن أسمعه أحدهم ان الشيخ امتنع البتة وعلل ذلك باحتقاره الآغا (اذ كان قبل ذلك من حاشيته) فأرسل اليه مرتين من حاول قتله ثم استرضاه فرضي وزوجه بها . وقد حدثتنا عمة والدي عنها وهي ابنة عمها أنهم كانوا يأبون أخذ أي شيء منها من هدية وغيرها ولو للبنات الصغار — وهي سيدة البلاد — ولكنهم لم يكونوا يفخرون بهذه السيادة في حياة زوجها الحاكم المستبد ولا بعده، على أنه كان مستبداً عادلا في اعتقاده ووجدانه ، وأذكر عنه فكاهة روتها عمة والدي عنها ما كان يعرفها كما هي غيرها . قالت كان الآغا واقفاً في صحن الدار للوضوء فاستأذن عليه كاتبه نعمة — وكان نصرانياً — فأذن له فاذا هو يحمل اعلاما شرعيا في قضية جنائية فسأله ما يقول القاضي في المتهم بالقتل فقرأه له فاذا هو حكم بالبراءة على خلاف رأيه — وذكرت عبارته — فقال والسيدة واقفة في الشباك تسمع وترى : « ضربة تشمطر قبتو من بين القضاة. ما بيعرف شيء . خذوه (اي المتهم) اشنقوه ، نويت فرائض الوضوء» وشرع في وضوئه .

وجملة القول انني نشأت في بيت شرف وكرامة وكرم ودين وتقوى ، وعزة نفس ، يعتقد الناس تسلسل الولاية فيه ويتبركون بكبار رجاله ، وفي سلسلة نسبنا عدة رجال كانوا يلقبون (بالصوفي) وكان عندنا خزانة كتب موروثة فيها عدة كتب نادرة في جميع العلوم حتى علم الفلك ، وقد سرق أكثرها في زمن الثورة المصرية ، فبهذا يعلم أن لي عرقا وراثيا في حب العلم والارشاد والاستعداد لها

استعدادي الشخصي

كنت من الصغر قليل الرغبة في اللعب ، شديد الحياء ، ولهذا امتنعت من أوائل سن التمييز من السباحة مع الاولاد في البحر ، ودارنا القديمة على شاطئه نرى السمك فيه من نوافذها عند سكونه في الصيف، وتتكسر امواجه على صخرة امام الدار الثانية عند هياجه في ايام الشتاء، فكنت أنزع ثيابي وراء صخرة تسترني وأسبح دائما أو في الغالب منفرداً متنزراً ، ولهذا لم أتقن السباحة لان سبب إتقانها هو المباراة في الابعاد في البحر وفي السرعة

نفعني الحياء من ناحية الادب وصيانة العرض واللسان فلم أنطق بشيء من كلام المجون والفحش ولم اجهر بقراءة شيء مما في الكتب منه ، ولم أسمح لاحد أن يتكلم معي بشيء مما يتسامح به الأدباء من ذلك ، واضرني هو وحب العزلة بما جعلاني كثير النسيان لأسماء الناس لعدم عنايتي بمعرفتهم ، وقد عشت بضع سنين بين جماعة من طلبة العلم ولم أعرف أسماءهم كلهم . ومن أعلم زملائي في طلب العلم بذلك الاستاذ العالم الاديب الشهير الشيخ عبدالقادر المغربي عضو المجمع اللغوي في دمشق ، وهو من أعلمهم بمبالغتي في التزام الصدق ، فانني تحديته بأنه إذا حفظ علي كذبة واحدة كان له حكمه علي فيها . وانما كان هذا التحدي لأجعله رقيبا علي في تربيتي لنفسي ، وكنت وما زلت أكلف كل من أعاشره بأن يكاشفني بما ينتقده علي اخلاقي وآرائي كما اطالب قراء المنار في كل عام بانتقاده

وكنت أوصف بالذكاء النادر وأسمع العلماء والوجهاء يحثون والدي على العناية بتعليمي ويبشرونه بما يرجون لي من النجاح والنبوغ في العلم ، وكنت أستغرب هذه المبالغة لأنني أراني غير سريع الحفظ، اذ كان الحفظ هو معيار الذكاء عندي، وكان أخي السيد صالح أسرع مني في الحفظ، وقلما حفظت أكثر من بيت واحد من الشعر من سماعه مرة واحدة ، ولما شرعت في طلب العلم كان الطلبة يكتبون

تعريفات لكل علم يحفظونها بحروفها لاجل الامتحان ، ولم أكن أعنى معهم بذلك
وانما كنت أعنى بفهمها حق الفهم وبالقدرة على التعبير عما أفهمه وافق اللفظ المكتوب
أو خالفه ، إلا ما لا بد من حفظه بلفظه بأمر المدرسة كالالفية ومتن السلم في المنطق وجوهرة
التوحيد وبعض مقامات الحريري ، كنت أجلس في درس النحو عن يمين الاستاذ وأبدأ
باسماعه أبيات الالفية المفروض حفظها كل يوم ، فاذا جاء الدرس ولم أكن حفظتها
لقلة الاهتمام به أتأخر عن الدخول إلى أن يبدأ الطلبة بالاسماع فأحفظ منهم ، وانما
كنت سريع الفهم حتى انني كنت أتألم ويضيق صدري من اعادة الاستاذ
للمسألة التي يقررها ، وكنت قوي الذاكرة والاستحضار لما أقرأ وأسمع
ولا أزال كذلك ولله الحمد ، ولكنني ضعيف الاستعداد لحفظ الجزئيات كالاعلام
والارقام والحوادث التي لا تضبطها قاعدة كلية او غرض عام ، وكذلك حوادث
التاريخ الجزئية ، وانما أعني بفلسفتها وأسبابها ونتائجها العامة . وزادني ضعفا على ضعفي
في هذا قلة العناية بمعرفة الناس وكل ما اعتقد أن ليس لي فيه فائدة علمية أو دينية ،
ولذلك لم أعن باللغة التركية ولا الفرنسية ، وإن حفظت كل ما فرض علي من
دروسهما في المدرسة الوطنية ، ثم ندمت على الثانية بعد أن علمت أن لها فوائد
كثيرة في خدمة الاسلام

فجملة القول في استعدادي للعلم انني كنت سريع الفهم قوي الحفظ للمعاني
والمعقولات وما له ترتيب معقول ، فكان علم المنطق أسهل العلوم علي الا التمثيل
في أبواب القضايا والقياس له بحروف المعجم ولا سيما تناقض القضايا الموجهات وعكوسها ،
زار طرابلس مرة طالب علم مصري اسمه الشيخ مرعي كان لطيف المعاشرة
والمذاكرة رأيته مع بعض اخواننا الطلبة يتكلمون في مسألة من المنطق غير واقفين عليها
فذكرت لهم ما أفهمه فقال الشيخ مرعي متعجبا : الله ! انه يحفظ حاشية الحفني على شرح السلم
باللفظ والمعنى ! على انني لم احفظ حروف الجر في غير الالفية الا بتكرارها مرارا كثيرة .
ومثلها أوائل سورة التكوير لأنني لم أفهم لنسق الشرطيات فيها ترتيبا
معقولا ، وعنيت بحفظ القرآن وحدي أي بدون أستاذ أعيد عليه ما حفظت فحفظت
البقرة وآل عمران والنساء والمائدة ، ثم شغلت عن اتمام حفظه بطلب العلم ،

وحفظت المفصل كله لاجل قراءة طواله في صلاة الفجر وسائره في سائر الصلوات ، ورأيتني أحفظ بعض السور كالكهف ومريم وطه ويوسف من غير تعمد لحفظها،

نشأتي العلمية

تعلمت في كتاب قريتنا (القلمون) قراءة القرآن والخط وقواعد الحساب الاربع ، ثم أدخلت في المدرسة الرشدية في مدينتنا (طرابلس الشام) وهي مدرسة ابتدائية للدولة يدرس فيها الصرف والنحو والحساب ومبادىء الجغرافية وعلم الحال (العقائد والعبادات) واللغة التركية واللغة العربية ولكن جميع التدريس فيها باللغة التركية . فاقمت فيها سنة ثم لم أعد اليها لانني لم أحب أن أخدم الحكومة

ثم دخلت المدرسة الوطنية الاسلامية وهي أرقى من المدرسة الرشدية وجميع التعليم فيها باللغة العربية إلا اللغتين التركية والفرنسية ، وتدرس فيها العلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية ، وكان أستاذنا العلامة الشهير الشيخ حسين الجسر الازهري هو المدير لها بعد أن كان هو الذي سعى لتأسيسها ، لان رأيه أن الامة الاسلامية لا تصلح وترقى إلا بالجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا على الطريقة العصرية الاوربية ، مع التربية الاسلامية الوطنية، تجاه التربية الاجنبية في مدارس الدول الاوربية والاميركانية ، ولكن الحكومة العثمانية لم تقبل أن تعدها من المدارس الدينية التي يعفى طلابها من الخدمة العسكرية ، فكان ذلك سبباً لالغائها ، فحرمت مدينة طرابلس وملحقاتها من فوائدها بجهل الدولة وغباوتها ، وتفرق طلبتها فذهب بعضهم إلى مدارس بيروت المختلفة وانقطع بعضهم للطلب في المدارس الدينية في طرابلس وأنا منهم

ولم يرض لي والدي بالاقامة في المدينة لطلب العلم الا بعد بلوغي سن الرشد وثقته بديني وأخلاقي لانه كان يخاف علي من معاشرة أهل المدينة (البندر) .

وكنت اجتنبت معاشرة الناس فيها إلا أفراداً قليلين جداً من أصدقائنا ، ومن أمثلة اجتنابي للريبة أنني كنت أشتري شيئاً من تاجر تكرر تساهله معي في المساومة

فقال لي: وحياة عينيك. فنفرت منه ورميت ما كان بيدي وما عدت أقف عليه ولا أنظر إليه ولا أمر أمام دكانه في يوم من أيام عمري

وكنت من قبل طلب العلم شديد العناية بمطالعة كتب الادب وكتب التصوف، وكان أعجب كتب التصوف إلي إحياء علوم الدين لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي، فهو الذي طالعته كله وكنت أكثر مراجعته وقراءة بعض أبوابه عودا على بدء، ثم صرت أقرأه للناس وكان له اكبر التأثير في ديني واخلاقي وعلمي وعملي، وانه لتأثير صالح نافع في أكثره ضارّ في أقله، وقد عالجت الضارّ منه بعد العلم به، فما كان فيه من خطأ علمي فقد رجعت عنه بالتدريج، بعد اشتغالي بعلم الحديث، ولاسيما عقيدة الجبر والتأويلات الاشعرية والصوفية والغلو في الزهد، وبعض العبادات المبتدعة، واما تأثيره الوجداني في الزهد واحتقار الدنيا والمتكالبين عليها ووظائف الحكومة، فلم استطع الاعتدال فيه فضلا عن التفصي منه، ومنه الزهد في الشهرة والمدح فكم مدحت بقصائد لم أقرأ منها الا ابياتا قليلة ولم انشر منها شيئا، ولم تجنح نفسي قط الى تبليغ الجرائد شيئا عني بالحق لتنشره حتى ما له شأن تاريخي، ومنه ما لقيت من حفاوة الصدر الاعظم وكبار الوزراء والعظماء وجمعية الاتحاد والترقي في الاستانة. وما هو أعظم من ذلك من حفاوة العلماء والكبراء بي في الهند، ولو عنيت بايصال ذلك الي الجرائد في مصر وسورية في وقته لنشرته لان أكثر أصحابها ومحرريها من أصحابي.

وكان يعجبني من كتب الشعراني اليواقيت والجواهر لقلة الخرافات فيه وكثرتها في سائر كتبه ولا سيما الطبقات، وكان يعجبني من الميزان مسائل الاجماع في الاحكام فيه وجعل الخلاف دائرا على العزيمة والرخصة، ولم يكن لي مرشد في ذلك إلا الاستعداد الفطري، فكنت من أول النشأة صوفياً عبادة وتخلقا، مع ميل شديد الى الأدب فطالعت بعض كتبه وحفظت كثيراً من الشعر، بغير تعمد ولا قصد، ومنه قصيدة الشهرزوري في التصوف ونونية ابن زيدون في الغزل، وأكثر ما كتبت بخطي من مختاره كان في الالهيات والزهد والرقائق ومدح النبي ﷺ

ونظمت الشعر قبل قراءة العلوم العربية وكدت أشتهر به منذ السنة الاولى من دخول المدرسة الوطنية ، وقد عرف الميالون من طلبتها إلى الشعر ما كان من ذوقي فيه وحفظي للجيد منه ، وتمييزي بالسليقة بين الموزون وغيره منه فأقبلوا علي ، وكان بعضهم يكلفني وزن ما ينظمه وتصحيحه، وممن يعرف هذا من الاحياء منهم إلى اليوم الاستاذ المغربي الذي تقدم ذكره والاستاذ الشيخ عبد الكريم عويضه من أشهر علماء طرابلس المدرسين فيها أطال الله عمرهما ونفعهما

وكنت اراجع ما لا أفهمه من اللغة في المصباح المنير وانا لا أعلم من علم الصرف شيئا ، ثم عرفت بسعة الاطلاع في اللغة فكان أستاذنا الجسر يسألني عن بعض الغريب في بعض مجالسه الخاصة حيث لا توجد معاجم يراجعها ، واتفق أنه لم يسألني عن شيء إلا وكنت عالما به . وانما أذكر هذا في هذه الترجمة للترغيب فيه فالاطلاع على اللغة ضروري وسبيله المراجعة عند الحاجة

وكان لي من سليقة اللغة أنني قلما كنت ألحن في قراءتها : اجتمعت أنا وسعيد كرامة وعبدالغني الادهمي في حجرة الاستاذ العلامة الشيخ توفيق الايوبي في حجرته بالمدرسة الوطنية وكان من أساتذتها فاستقرأ كلا منا فصلا من كتاب غرر الخصائص فشهد لي بأنني أصح منهما قراءة ، وكانا يعرفان النحو منذ سنين ولم أكن تلقيت منه إلا بعض رسالة العوامل في تلك السنة نفسها، وقال لي صاحبي الاستاذ الشيخ عبدالكريم عويضة عندما سمع مني أول لحنة أو شكا في إعراب كلمة - بعد تلقي الكثير من النحو : انني أرى ان النحو يفسد عليك سليقتك

وتخرجت في العلوم العربية والشرعية العقلية على الشيخ حسين الجسر وكان له إلمام واسع بالعلوم العصرية كما يعلم من كتابه (الرسالة الحميدية) وكان كاتباً وشاعراً عصرياً يكتب وينظم في كل موضوع بعبارة سهلة ، وكان له أسلوب خاص في التعليم غير أسلوب الازهر يتحرى فيه السهولة في البيان ، ويتجنب المناقشات اللفظية واستطرادات الحواشي فلم يكن يذكر منها إلا ما لا يتم تحرير المسألة العلمية بدونه، فكان يفضل شرح ابن عقيل للالفية وحاشية الخضري على شرح

الاشموني وحاشية الصبان ، وهو لم يقم في الازهر إلا بضع سنين لقي في أثنائها الشيخ حسينا المرصفي الاديب الشهير وكان معجباً بأدبه وأفكاره

وأخذت الحديث وفقه الشافعية عن شيخ الشيوخ العلامة الشيخ محمود نشابه وكان قد أقام في الازهر متعلماً ومعلماً ثلاثين سنة وحمل شهاداته بثمانية عشر علما منها الجبر والمقابلة ، وتلقى كتب الحديث المشهورة كلها وكان من مشايخه الباجوري والمبلط ، ومن اخوانه الانبابي والاشموني

وأول شيء أخذته عنه الاحاديث الاربعون النووية قرأتها وضبطتها عليه قبل طلبي للعلم وأجازني بها كتابة

وحضرت على العلامة الشيخ عبد الغني الرافعي قليلا من كتاب نيل الاوطار للقاضي الشوكاني ولكنني استفدت كثيرا من معاشرته في العلم والادب والتصوف ، وكان يعشق الاحياء للغزالي من قبلي ، ويكثر مطالعة مواعظ الشيخ عبد القادر الجيلاني . وتلقيت عن العالم المحدث العابد الشهير الشيخ محمد القاوقجي الكبير كتابه في الاحاديث المسلسلة وبعض كتابه المعجم الوجيز وإنما فتح لي باب الاشتغال بعلوم الحديث شرح الأحياء الذى اقتنيته لما فيه من تخريج أحاديث الكتاب فصرت بعد الاطلاع عليه لا احتج بحديث ولا اكتبه الا مع بيان تخريجه، ثم لم اعد اكتفي بتصحيح اي كتاب للحديث الذي فيه شبهة عندي حتى اراجع سنده وما قاله علماء الجرح والتعديل فيه وكنت اول من استحضر كتاب ميزان الاعتدال من الهند الى طرابلس ، وقد فتح لي الاشتغال بالحديث رواية ودراية باب الانتقاد على كتب الوعظ والفقه والادب ، ودواوين الخطب ، فأنتقد ما فيها من الاحاديث الضعيفة والموضوعة ، ولكن أخص بهذا بعض زملائي، ومن الاحياء منهم الشيخ عبد القادر المغربي ، الذي كاد يلقبني بفولتير المسلمين ، لولا ما يعلم من قوة اعتصامي بالدين ، وقد سمى لي (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) بالمعول الذهبي يعني أنني أعتمد عليه في هدم كل ما لا يصح دليله من كتب الدين . وكنت أطالع معه كتاب (النقش في الحجر) في مبادىء العلوم العصرية للدكتور فانديك

ولم أر أحدا من علماء بلدنا يسلك طريقة الأزهر في التدقيق والتحليل والمناقشة في عبارات الكتب الا صديقي الاستاذ الشيخ محمد الحسيني عقب رجوعه من المجاورة ثم تركها

وكنت أجلس الى هذا الاستاذ في مجالس مطالعته مع صديقنا الاول الشيخ محمد كامل الرافعي اصدق عشاق العلوم العالية والتصوف ، وكانا يطالعان معا أعلى كتب الاصول والمنطق كسلم العلوم ومسلم الثبوت وشرح التحرير ، وكنت اسمع تحاورهما في ادق المسائل وانا مبتديء في النحو والفقه وحواشي الجوهرة والسنوسية في العقائد ، وكنت ربما ادلي برأيي فيما يتناقشان فيه قبل القطع بشيء منهما فيقولان لي بعد تمحيصه إن رايك هو الصواب فمن اين جئت به؟ فأقول هكذا حدثتني نفسي ولم تقبل فطرتي أو عقلي الا هذا . وكان مثل هذا مبدأ إعجاب الرافعي بالفقير واتخاذ المنار استاذاً له بعد ذلك ، والاستاذ الحسيني حي ما أراه نسي هذا وكان مبدأ صداقتنا وتصوفنا معا كما سيأتي

وللامام الغزالي قدس الله روحه فضل علي في هذا فانه كان قد علق بنفسي من كلامه في شرح عجائب القلب ما ضربه من المثل للفرق بين العلم الذي يصل إلى القلب أو النفس من طريق الحواس والعلم الذي يتفجر منه بتطهيره من الصفات المذمومة والافكار الرديئة حتى يكون كالمرآة الصقيلة ، بأن مثل الاول كالماء الذي يجري من السواقي المحفورة إلى حفرة أو بئر يجتمع فيه مع ما يحمله في طريقه من الغثاء والوحل ، ومثل الثاني كماء الينبوع الذي يتفجر من الصخر النظيف ، فقد كنت أتحرى أن يكون قلبي طاهراً ونفسي زكية لأكون مستعداً للعلم الالهامي ، ولتكون مرآة نفسي صقيلة ينطبع فيها ما تتوجه اليه من المعلومات الكسبية على اختلاف أنواعها . وقد سمعت من أعرف الناس بي أنني أوتيت نصيبا من ذلك.

قال العلامة الناسك الزاهد السائح الشيخ عبد الباقي الافغاني : ان السيد رشيداً علمه لدني ، إنني أغيب عنه سنة فأجد عنده من العلم ما لا يمكن اكتسابه إلا في السنين الطوال ، وكان هذا الرجل الغريب كغربة الاسلام في هذا الزمان ، بكل ما في هذه الغربة من معان ، يحج في كل سنة ماشياً ثم يعود إلى سورية

فيقيم عندنا في القلمون أياما ، وفي طرابلس أياما ، وفي حمص مثلها أو أكثر ثم يعود إلى الحجاز ، وكان من أكبر علماء الافغان ، حصل العلوم في بلاده ثم جاء الهند للتوسع في المعقولات، فبينا كان مجدا في الفلسفة رأى في الرؤيا قائلا يقول له : أتدري ما تصنع يا عبد الباقي ؟ انك تأخذ خشبة تحرك بها ما في الكنيف! فترك الفلسفة وانقطع للعبادة والسياحة

وقد ترجمته في المنار فتراجع ترجمته الغريبة فيه . ومن أغربها أنني شاورته في الهجرة إلى مصر ، فنهاني عنها معللا نهيه بما في هذه البلاد من الفسق، وبما كنت عليه في بلادي من الانقطاع للعلم والعبادة والتعليم والارشاد ، وقال انني دخلت الازهر مرة واحدة فاذا هو قذر كطلاب العلم فيه فهم يأكلون فيه الخبائث من الثوم والبصل والكراث ، وصلاتهم فيه مخالفة للسنة من كل وجه ، ولذلك تبت إلى الله تعالى من العودة إليه !! قلت له اني أرجو أن أنفع هنالك أكثر مما أنفع هنا بكثرة من أعلمهم وأنصح لهم من أهل مصر ومن سائر الاقطار. وأظن أن عمي حفظه الله تعالى يذكر أقوال الشيخ عبد الباقي في ولي، فقد كان أعلم بها مني

وقال أستاذي الشيخ حسين الجسر للسيد علي أفندي الثمين نقيب أشراف بلادنا إن فلانا جاءني لطلب العلم فساوى في السنة الاولى أذكياء الطلبة الذين كانوا في السنة السابعة . وذلك أنني دخلت مدرسته بعد عودته من بيروت ولم أكن حضرت من النحو إلا رسالة العوامل الصغيرة غير تامة في المدرسة الوطنية فصرت أحضر دروس ابن عقيل والاظهار فالكافية، وكان زميلي الاستاذ الشيخ عبد المجيد افندي المغربي أحد هؤلاء السابقين إلى طلب العلم يقرأ متن إيساغوجي في المنطق لبعض المبتدئين في المدرسة الرجبية لشيخنا الجسر بعد انتهاء الدروس مساء فجلست إليهم لاسمع شيئا من مسائل هذا العلم، فاستشكلت ما يقوله لهم الاستاذ فيقبلونه منه، فأجابني فجادلته في الجواب . فسمع أستاذنا ما نقول وكان في غرفته من المدرسة ، فأطل من نافذتها المشرفة على المدرسة وقال يا شيخ عبد المجيد اترك هذا ، انه لا يقدر أحد أن يقرأ له غيري

ثم اتفق بعد أربع سنين أن كان الاستاذ يقرأ لنا شرح القطب على الشمسية

في تلك الغرف، فناقشته في بعض المسائل حتى قال لي: لا تسألني في الدرس عن شيء، فان كل ما أعرفه أقوله ولا يبقى عندي غيره اهـ وأظن أن من بقي من زملائنا في ذلك الدرس يذكرون هذا الجواب لانه كان غريباً جداً عندهم، ومنهم المغربي الذي ذكرته آنفاً وابن عمه الذي تقدم ذكره مراراً و الاستاذ الشيخ محمد رحيم وكان في مقدمة اخواننا في المدرسة في كل علم

وبلغ من رضاه عن فهمي أن سألني عن رأيي في كتابه المشهور (الرسالة الحميدية) بعد ان اهداه الي بزمن قائلا: انه يعجبني من بين أولادي فهمك ورأيك فكيف رأيت الرسالة الحميدية؟ قلت ان الحاجة اليها لشديدة ولم يسبق مولانا أحد إلى مثلها في الدفاع عن الاسلام، ولكن لي عليها انكم توردون المسألة القطعية في العلم ككروية الارض ودورانها بعبارة فرضية تدل على شككم فيها، قال انت تعلم تعصب الجاهلين بهذه العلوم في بلادنا فلا نترك لهم مجالا للقيل والقال

قلت إذا كان مثلكم في ثقة الامة بدينه وعلمه لا يجرؤنا على التصريح بالحقائق فمن نرجو هذا؟ وكنت أود لو جعلتم لكل مسألة أو موضوع في الرسالة عنوانا فهي كمقالة واحدة لا أبواب فيها ولا فصول ولا عناوين تسهل المطالعة والمراجعة. قال: هذا كما قيل في الكلام المنسجم انه كالماء الجاري، وإنه آخذ بعضه برقاب بعض.

قلت إذاً لماذا جعل الله القرآن سوراً مفصلة منفصلة، ولم يجعله جملة واحدة؟

هكذا تربيت، أفيكثر علي أن انتقد من دون استاذي علما وحقا علي؟

وكانت طريقتي في طلب العلم أن لا أقبل شيئا بالتسليم من غير فهم واقتناع، فاذا لم أسمع من الاستاذ ما يقنعني في مسألة ما ولا سيما المسائل الدينية فانني أراجعها في جميع ما أعرف من الكتب إلى أن يستقر فهمي فيها على ما يطمئن به قلبي

مثال ذلك مذهب الاشاعرة في مسألة تقسيم كلام الله عز وجل إلى نفسي ولفظي وماقالوه في كل منهما وفي القرآن. لم يقنعني ما قاله الباجوري فيه من حاشيته على جوهرة التوحيد، ولا تقريب أستاذنا الجسر له، فراجعت المسألة في سائر كتب الكلام وكتب التفسير ولاسيما تفسير الرازي لانه امام متكلمي الاشاعرة والمدره المدافع عنها. ثم كنت أعنى باقناع غيري بما اقتنعت به دون غيره في المذاكرات والمناظرات مع أهلها وفي الدروس التي أقرؤها للعوام، حتى نجحت في أساليب الاقناع بما يراه قراء المنار فيه

تألهي ونسكي وتصوفي

نشأت في حجر العبادة فألفها وجداني ونشطت فيها أعضائي من الصغر، فخفت عليّ في الكبر، كنت من سن المراهقة أذهب إلى المسجد في السحر ولا أعود إلى البيت إلا بعد ارتفاع الشمس، حتى كانت والدتي رحمها الله تعالى تقول: انني منذ كبر رشيد ما رأيته نائماً، فانه ينام بعدنا، ويقوم قبلنا، وقد اتخذت لنفسي حجرة خاصة من غرفتين في أعلى ركني مسجدنا البحريين للمطالعة والعبادة، وهذه الغرفة كان يخلو فيها جدنا السيد على الكبير الذي بنى المسجد قدس الله روحه، والغرفة الاخرى كانت لخادمه المسمى بالاعرج وكان أهل القرية يعتقدون انه من الجن ويتناقلون في ذلك حكايات غريبة. وكانت هذه الغرفة ملتقى العلماء والادباء الذين يزوروننا في القلمون يطالعون ويراجعون فيها ويتحاورون، وكان شيخنا الجسر يستقرئني فيها إما بعض فصول الفتوحات المكية واما بعض فصول كتاب الفارياق ...

وكانت تلذلي صلاة التهجد تحت الاشجار من بساتيننا الخالية، وأفكر في صدق من قال: أهل الليل في ليلهم، أنعم من أهل اللهو في لهوهم، وقول آخر: لو يعلم الملوك ما نحن فيه لقاتلونا عليه بالسيوف. نعم إن للبكاء من خشية الله وتدبر كتابه في صلاة الليل حيث يعلم المصلي أنه لا يسمع صوته أحد إلا الله لذة روحية تعلو كل لذات الضحك واللهو على اختلاف أسبابها.

وكان كبير أسرتنا الشيخ السيد أحمد ابو الكمال الذي تقدم ذكره يدارس أولاد الاسرة القرآن في رمضان لاجل تجويده، فكنا نقرأ معه كل يوم نصف ختمة: خمسة أجزاء من بعد شروق الشمس إلى صلاة الضحى، وخمسة أجزاء بعد صلاة الضحى إلى الظهر، وخمسة أجزاء من بعد صلاة الظهر إلى العصر، كل واحد يقرأ ثمن الجزء ويسمع الآخرون، وكان يحضر هذه المدارسة معنا عنده السيدة زلفى ابنة بنته وكانت صبية ولم يكن فينا أحد بالغا غير ابنه السيد محمد كمال وهو خالها، وكان يقرأ في غير رمضان عشرة أجزاء كل يوم

والسيدة زلفى هذه كانت تكتب ان شاءت وتطالع الكتب وهي أم السيد عبد الرحمن عاصم تلميذي ووكيل المنار، وهو ابن عمي السيد محمد كامل وزوج شقيقتي وبعيشان معي . واما عمي والده فهو على قدم عمه في الانقطاع للعبادة والنسك ويقوم بوظائف الامامة والخطابة والتدريس في مسجدنا ، وقد عني بكتاب احياء العلوم كما عنيت به . وكان يعاشرني معاشرة الصديق، ويفيدني في كثير من مسائل العربية والدين ، ثم فقته في ذلك حتى كان يحضر درسي لتواضعه واخلاصه. أطال الله بقاءه

وكنت أقرأ ورد السحر في غير رمضان وحدي وفي رمضان مع جماعة ، وكنت اذا بلغت قوله في الجيمية

ودموع العين تسابقني   من خوفك تجري كاللجج

ولم يكن حضرني البكاء أسكت فلا أقرأ البيت حياء من الله تعالى أن أكذب عليه. ولما اشتغلت بالسنة وعلمت ان قراءة هذا الورد وأمثاله من البدع التي جعلت من قبيل الشعائر والشرائع التي شرعها الله تعالى على ما فيه من الامور والاقسام المنتقدة شرعا تركت قراءته واستبدلت بها قراءة القرآن

وكنت أواظب على قراءة دلائل الخيرات وتلقيت الاجازة بها عن الاستاذ العابد العالم الشيخ أبي المحاسن القاوقجي بسنده إلى مؤلفها ، ثم تركتها بعد اشتغالي بكتب السنة كما تركت ورد السحر، واستبدلت بها وردا آخر في الصلاة على النبي ﷺ ليس فيه شبهة بدعة من توقيت وجهر وصيغ منكرة ومضاهاة للشعائر الموهمة للمأثور عن الشارع

وقد حبب إليّ التصوف كتاب إحياء العلوم لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي، فكنت أجاهد نفسي على طريقة الصوفية بترك أطيب الطعام اكتفاء بقليل من الزعتر مع الملح والسماق، وبالنوم على الارض وغير ذلك ، حتى انه لم يعد يشق على ترك أطيب الطعام الحاضر عمداً ، ولكنني حاولت ان أتعود احتمال الوسخ في البدن والثياب وهو غير مشروع فلم أستطع. وقد ذكرت هذا وذاك للاستاذ الامام بمناسبة عرضت فقال لي وأنا كذلك ، وقال مثل هذا في غيره مما اتفق وتشابه من نشأتي ونشأته .

وقد طلبت من أعبد عباد شيوخ الطريق في عصرنا الشيخ ابي المحاسن محمد القاوقجي أن يسلكني الطريق على أصولهم في الرياضة والخلوة والترقي في منازل المعرفة، وصرحت له

بأنه لا يعجبني أن أسلك طريقة الشاذلية الصورية بقراءة أورادها وحضور اجتماع أذكارها وكنت حضرت هذا عنده مرارا وحفظت حزب البر بقراءته معهم. فاعتذر وقال لي يابني اني لست أهلا لما تطلب فهذا بساط قد طوي وانقرض أهله، فرحمه الله رحمة واسعة

ثم أخبرني صديقي الاستاذ العلامة الشيخ محمد الحسيني أنه قد ظفر بصوفي خفي من النقشبندية يرى هو أنه وصل إلى رتبة المرشد الكامل فسلكت هذه الطريقة معه. وقطعت مراتب اللطائف كلها، ورأيت في أثناء ذلك كثيراً من الامور الروحية الخارقة للعادة كنت أتأول الكثير منها وعجزت عن تأويل بعضها ، إلا انها من خصائص الروح التي تظهرها الرياضة وكثرة الذكر والفكر ، ولكن هذه الثمرات الذوقية غير الطبيعية لاتدل على ان جميع وسائلها مشروعة أو تبيح ما كان منها بدعة كما حققت ذلك بعد

كان الورد اليومي لي في هذه الطريقة ذكر اسم الجلالة (الله) بالقلب دون اللسان خمسة آلاف مرة مع تغميض العينين وحبس النفس بقدر الطاقة ، وملاحظة ربط قلبي بقلب الشيخ ، وهذا النوع من الذكر غير مشروع، بل هو مخالف لجميع ما ورد في الذكر المأثور ، وهذه الرابطة محل إنكار خاص عند علماء الشرع وهي مقررة في غير هذه الطريقة ، وقد تكون بصفة مخلة بالعقيدة ، إذا عدت عبادة شرعية، فان مقتضى التوحيد أن يتوجه العبد في كل عبادة إلى الله وحده حنيفاً مسلماً له الدين، فالتوجه فيها الى الشيخ قد يكون من الشرك الخفي وان لم يقصد به عبادته، وانما يمكن تفسيرها بأنها ضرب من التربية الروحية الصناعية المجربة في إظهار ما أودعه الله في النفس من الاسرار والسنن الالهية المخالفة للسنن المودعة في المادة، وبأن الرابطة فيها كالرابطة بين المقتدي وإمام الصلاة لا يقصد بها شيء من اشراكه في عبادة الذكر ، ولا تعظيمه بنوع من تعظيم عبادة الرب ، ولا تتضمن الاعتقاد بأنه قادر على شيء من النفع أو الضر ، من غير طرق الاسباب المشتركة بين الخلق، وإنما هي عندهم وسيلة سببية في ربط الارواح بعضها ببعض ، من المريد الى الشيخ فمن فوقه من شيوخ السلسلة الى النبي ﷺ ، فمن عدها عبادة شرعية فهو مبتدع بلا شك ، وهذا التوجيه لها قلما يخطر ببال أحد من سالكيها .

وجملة القول أنني كنت أعتقد أن سلوك طريقة المعرفة وتهذيب النفس والوقوف على أسرارها جائز شرعا لا حظر فيه ، وأنه نافع يرجى به من معرفة الله ما لا يوصل اليه بدونه ، ولكنني لم أعتقد قط أن الشيخ الذي أرتبط به فيه قادر على شيء مما تقدم ، ولم أكن أستحضره ولا أتصوره في أثناء الذكر وانما أتصور عند البدء به أنني ربطت قلبي بسلسلة من القلوب المخلصة لله تعالى هو طرفها الادنى فزدت فيها حلقة جديدة ، وأن هذه الرابطة لها تأثير في الامداد الروحي كما تصل مصباحا كهربائيا بالسلك الممتد إلى مولد التيار الشامل لمصابيح الدار كلها أو البلد كله

ومن الغريب أن الانسان بعد طول الاكثار من هذا الذكر يصير يسمع للقلب صوتا ، وأغرب منه أن يسمع غيره صوت قلبه . أخبرتني والدتي تغمدها الله ووالدي برحمته ورضوانه أنها وضعت أذنها مرة على صدر عمها السيد الشريف الصالح عبد الرزاق حبلص فسمعت منه ترداد اسم الجلالة : الله ، الله ، الله . وقد أدركت أنا عمها هذا وأنا صغير ولم أكن أعلم من أمر هذه الطريقة شيئاً . وقد لقنني الاستاذ بعد الانتقال من اللطائف كلها أو عند لطيفة السر الذكر بكلمة التوحيد باللسان . (نسيت الآن)

هذا ما أقول في الورد الشخصي والرابطة ، وللطريقة النقشبندية ورد آخر مشترك يسمى الختم ، وهو عبارة عن اجتماع من كان حاضراً من أبناء الطريقة على ذكر وقراءة لبعض سور القرآن والتوجه إلى استحضار بعض أرواح سلسلة الطريقة مع تغميض العينين ، واستحضار الروح لا يتضمن شيئا من عبادتها بدعاء ولا تعظيم تعبدي ، والاستمداد الروحي ليس عبادة بالفعل ولا بالقصد ، إلا أن يكون من جاهل بالشرع شيخه أجهل منه وأضل سبيلا ، وإنما هو من قبيل ما يحكى عن الافرنج من ذلك ، وقد سبقهم اليه الصوفية ، وسأذكر بعض ما حققته فيه . ولكنه لا يخلو من مثار فتن دينية ، ومن خوف اختلال في القوى العقلية ، بما يعرض للجاد المجد فيه من العوارض غير الطبيعية ، ولذلك اتفق الصوفية العارفون على أنه لا يجوز سلوك طريقة الرياضة عندهم إلا بارشاد شيخ عارف

قد سلك الطريق ثم عادا ليخبر القوم بما استفادا

﴿ ما يعرض لسالك الطريق من الامور الروحية الغريبة ﴾

أول ما عرض لنا من ذلك أن كانت تتمثل لنا ونحن في الختم مغمضي الاعين صورة من يذكر الشيخ اسمه من رجال السلسلة لعقد الرابطة به وأعلاها أبو بكر الصديق (رض) وفوقه النبي ﷺ وإنما كان هذا بعد تكرار ، وكنت أعتقد أنه خيال يثيره التخيل ، ويدعي الشيخ أن الروح نفسها تحضر الختم وتتجلى للمستعد ، وكل شيوخ الطرق يدعون هذا ويزعمون أن روح النبي ﷺ تحضر مجالسهم ، فمنهم الكاذبون الدجالون ، ومنهم المتخيلون الممثلون ، وقد أطلت في تحقيق هذه المسألة في بحثي الفياض في الكرامات الذي كتبته في كتابي (الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية) الذي ألفته وأنا تلميذ ، ثم عدت اليه في المجلد الثاني من المنار ثم في المجلد السادس منه ، ثم ألممت به في مجلدات أخرى

ثم عرض لي ولغيري في أثناء استحضار هذه الارواح بالتخيل أن نميز بينها باختلاف صورها ونشم للروح رائحة عطرية منعشة لا نظير لها فيما نعرف من الاعطار . فكنت في أول العهد بها أظن أن الشيخ يحفظ في جيبه قارورة أو حقا فيه هذا النوع من العطر فيفتحها في أثناء الختم ولا يراه منا أحد ، وهذا من خواطر السوء في الشيخ لا تبيحه آداب الطريقة ، بل هو من عوائق السلوك ، ولكن الرائحة لم تكن تستمر ، ثم صارت تعرض لي في أثناء وردي الخاص فأظن أنها ذكرى في النفس ، تعدى أثرها إلى الانف بالوهم ، وبعد التكرار اعتقدت أن ما يقوله كبار الصوفية من أن للارواح الشريفة الزكية العالية رائحة طيبة ذكية صحيح ، وأن تجلي الارواح صحيح في الجملة

ومما كنت قرأته في الفتوحات المكية للشيخ محيي الدين بن عربي (وهو من أكابر الصوفية الروحانيين على ما عرض له من الاختلال في معلوماته الدينية والكشفية) أن الشيخ عبد القادر الجيلي كان يعرف مقامات الرجال العارفين بالشم ، وأنه شم محمد بن قائد فقال له : لا أعرفك ، وكان ابن قائد يرى لنفسه مقاما عاليا فعرف من انكار عبد القادر له قصوره ، فعلت همته حتى صار من الافراد

ويذكر في رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي الصوفي الفقيه المشهور أنه لما جاء

طرابلس ترجل قبل أن يبلغ مقبرتها في المكان المعروف بباب الرمل فترجل من معه وسألوه عن السبب فقال اننا قربنا من مكان فيه بعض قبور الروحانيين

ومما أخبرني به صديقي الاستاذ الصدوق الشيخ محمد كامل الرافعي ان والده الشيخ عبد الغني كان يشم لبدنه ولثيابه رائحة مسكية في أثناء خلوته وانقطاعه فيها لذكر الله تعالى ، ومما يتناقله أهل القلمون أنه لما نبش قبر السيد احمد اخي جد والدي الذي تقدم ذكره وان مصطفى آغا بربر تزوج ابنته كانت رائحة ترابه ذكية كالمسك حتى ان بعض الناس اخذوا منها في جيوبهم ما يحفظونه في بيوتهم

وأخبار الشيخ علي العمري الطرابلسي المعاصر لنا في الرائحة كثيرة ووقائعه فيها مشهورة في طرابلس والآستانة ومصر ، وكانوا يسمونه شيخ المسك ، إذ كان ينفخ على الشيء كمنقوع الشاي والقهوة وعلب التبغ فتصير رائحتها مسكية

وقد أخبرني المشير العثماني أحمد مختار باشا الغازي عنه ببعض ما وقع له في أثناء زيارته لمصر وإقامته في قصر القبة ضيفاً عند الخديو محمد توفيق باشا الذي استحضره من طرابلس لأجل استشفاء بنت له مريضة برقيته وبركته بعد أن عجز عن مداواتها الاطباء فشفيت . والمسألة مشهورة في طرابلس الشام وعند الخواص في مصر

قال لي مختار باشا ان الشيخ العمري كان يزورني بعد العصر في كل يوم فيشرب الشاي معي ثم نخرج إلى التنزه في الجزيرة ونعود عند الغروب فيذهب هو إلى قصر القبة وأجيء أنا إلى قصر الاسماعيلية هنا (حيث حدثني)

قال فكان إذا أحضر الشاي ينفخ على الابريق والفناجين فنجد للشاي رائحة المسك . فقال لي شوقي باشا (هو زوج بنت الغازي ووالد الوزير الجمهورية التركية المفوض بمصر اليوم) في احدى الليالي ان المسك طيب شرقي أو عربي معروف ويمكن للشيخ أن يرش شيئاً من مسحوقه في الشاي بخفة لا نشعر بها فاذا كان هذا التعريف (التطييب) للشاي أمراً روحانياً أي يحدث بالتوجه الروحي المعروف عند الصوفية فلماذا لا يطيبه لنا بعطر كذا الافرنجي (وذكر لي الباشا اسم عطر افرنجي لم أحفظه)

قال فلما كان اليوم التالي وجاءنا الشيخ علي العمري وأحضر الشاي نفخ عليه

أوفيه فاذا رائحته هي رائحة الطيب الذي ذكره شوقي باشا ليلا ولم يكن معنا أحد.

أقول وقد كنت بعد ذلك أشم أحيانا هذه الرائحة في الدار وغيرها ثم تذهب من نفسها بسرعة وقد يكون بعد السؤال مني لمن في الدار: هل تشمون رائحة طيب؟ فيقال لا، وقد عرض لي في رمضان شيء من هذا القبيل لا أذكره وكان قبل سلوك الطريق ولكن كنت ربما أقرأ في النهار منه ختمة كاملة في حقل لنا

﴿ تحقيق مسألة رؤية الارواح ﴾

وجملة القول أنني ما زلت أعالج هذا الامر حتى أمكنني ان اعرف الفرق بين استحضار الصوفية للارواح ورؤيتها وما يحكيه الافرنج من ذلك والفرق بين التخيل المحض والكشف الصحيح، وما يكون في يقظة تامة وهو لا يعدو اللمحات القصيرة، وما يكون مع غيبة عن الحس وهو ما يسمونه بين النوم واليقظة كما قال بعضهم

ومن يدعي في هذه الدار انه يرى المصطفى جهرا فقد فاه مشتطا
ولكن بين النوم واليقظة الذي يحاول هذا الامر مرتبة وسطى

وعلمت من الفرق بينها ما اعتقد انه اصح مما نقله ابن المبارك عن شيخه عبد العزيز الدباغ، ومنه ما وقع لشيخنا الاستاذ الامام، وان ما يسمعه الرائي من الارواح في هذه الغيبة هو مثل الذي يرونه ويسمعونه في الرؤى المنامية لا يوثق بصحته ولا بضبطه، بدليل ان كل ما نقل عن اشهر الروحانيين منهم متعارض يدل على انه كان على قدر معارفهم ومعلوماتهم وما يناسبها من مداركهم، كما اشرت إليه في جواب من سألني عن دعوى شيخ التيجانية وتخريفه ونشرته في فتاوى المجلد الثلاثين من المنار، فسأل عنه بعض اتباعه بمجلة الازهر فردت علي بما لا تعقله من علم الصوفية ولا من علم الشرع، فالحق ما قاله علماء الشرع من أن الرؤى والكشف لا يعتد بهما شرعا، ولا يحتج بما يرى ولا بما يسمع فيهما

ويعجبني ما نقله الشعراني عن شيخه علي الخواص في كتابه الدرر والجواهر أنه سأله لماذا يؤول العلماء ما يشكل من كلام الانبياء دون ما يشكل من كشف الاولياء فيردونه؟ فقال لان النبي معصوم فلا بد من حمل كلماته على الصحة والولي

غير معصوم فيحتمل كلامه الخطأ اه بالمعنى ولكن الباجوري نقل عنه في حاشيته للسنوسية ضده، واذا حكمنا الشرع حكم لنقله الاول وهو الحق

﴿ الروحانية والتجرد وخطاب أرواح البشر والشياطين ﴾

كان مما وقفت عليه من اسرار النفس غير ماتقدم من تجلي الارواح مسألة التجرد وغلبة الروح على الجسد التي تنتهي إلى ما ينقلونه في بحث الكرامات من المشي على الماء والطيران في الهواء، ومن دون ذلك قطع المسافات في زمن قليل، ذلك اني كنت في اثناء شهر رمضان لا أذكر من أي سنة أتحنث وأطالع الربع الرابع من إحياء علوم الدين فلما كان آخر يوم منه بلغت كتاب التوحيد والتوكل، وقد أحييت معظم ليلة عيد الفطر بالتكبير مع جماعات من أهل بلدنا الذين يبيتون في المسجد كيلا تفوتهم صلاة العيد، وكان منهم شيخ كبير السن عاش في صباه وكهولته عزيزاً منعما وافتقر وذل في شيخوخته فكان لرفع صوته الاجش بالتكبير مع شيبته التامة ضراعة خشوع مؤثرة، حتى إذا كان السحر صليت صلاة الليل والوتر إحدى عشرة ركعة وفاقا للسنة الصحيحة كالعادة، وعدت بعد صلاة الفجر إلى التكبير مع الناس في المسجد إلى وقت صلاة العيد، وبعد أدائها صعدت إلى غرفة خلوتي وأتممت قراءة ما بلغته من الاحياء وفيه ذلك البحث البليغ المعظم التأثير في الفناء في التوحيد فما أتممته إلا وشعرت بأنني في عالم آخر من اللذة الروحية وأنه لم يبق لي وزن، فكأني روح بغير جسم، ثم عدت أرجع إلى حسي فذكرت ما علي من الذهاب إلى تهنئة والدي بالعيد، وكان يزور قبرو الده وأجداده بعد الصلاة ويقرأ سورة يس ثم يمد له سماط فيفطر مع من يوجد من الفقراء ومن شاء من غيرهم، فنزلت من الغرفة وكأنني ريشة طائر وشعرت بأنني لو ألقيت بنفسي من النافذة إلى الارض لا أكون إلا كما تقع الريشة، وانه يمكنني المشي على الماء دون الطيران في الهواء، واعتقدت بل أعتقد حتى اليوم أنني لو تركت الطعام زمنا طويلا مع ملازمة مثل تلك الحال من الذكر والعلم الالهي الاعلى اقويت مني تلك

الروحانية ووصلت إلى غاية مايذكر عن الروحانيين ، ولن يكون ذلك لو كان إلا كشفا لشيء من استعداد الارواح قد يفقد صاحبه ميزان بشريته التي هي جسد وروح ، فما تعلقت ذلك ولا تكلفته وما كنت متكلفاً في شيء من أمري ولله الحمد .

ولم اكن اذكر مثل هذه الاحوال لاحد كما هو شأن الصادقين المخلصين الذي قرره الغزالي وغيره ومنه كتمان كل ماهو غير معتاد ، والصوفية الصادقون متفقون على هذا ، وعلى ان مبادىء هذه البوارق واللوائح والاذواق مشوقات منشطات للسالك ، وأن الذي يغتر بها ينقطع والا فقل هو هالك ، وقد نفعني ما كنت قرأت في كتاب الغرور من الاحياء ولا سيما غرور الصوفية قبل ذلك . ثم رأيت شيخنا الاستاذ الامام عليه ، كان يقول ان هذه احوال غير طبيعية لا يجوز التحدث عنها إلا مع أهلها لانها تكون لغيرهم فتنة ، وان الشيخ محيي الدين قد افسد التصوف باطلاق العنان لقلمه بشرح كل مايعرض له ، وانه انقطعت معه سلسلة التوازن فخلط الحق بالباطل

وهذا الذي كان يراه شيخنا هو الحق فان الذين أوغلوا في الروحانيات قد فتنوا أنفسهم وفتنوا كثيرا من الناس ، واختل ميزان عقلهم فيما يتصورون ، وفيما يصدقون ، وفيما يقولون ويكتبون ، كما تراه في كتب الشعراني من الخرافات والخيالات التي لا يميز فيها بين معقول ولا مشروع ، وفي مقدمة صحيح مسلم عن عبدالله ابن مسعود (رض) ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة .

ومما افتتن به الجماهير من الناس بهؤلاء الروحانيين ظنهم ان كل من يصدر عنه أمر خارق للعادة يكون وليا معصوما وان ضل وغوى ، وخرف وهذى ، وان له عند الله ما يشاء في الدنيا ، والحق الذي عرفناه بوزن الكشف بميزان الشرع والعقل ، ان الذي تعرض له بعض المزايا الروحانية ، من عملية أو علمية ، هو كالباحث الذي تكشف له بعض الحقائق الكونية ، والاختراعات الصناعية ، كل منهما بشر يخطىء ويصيب في كل علم وحال وعمل ، وتحكم عليه الشهوات والخرافات والاهواء في غير ما أصاب فيه ، وما تسممه من الجاهلين بالقرآن من زعمهم ان قوله تعالى (لهم مايشاؤن عند ربهم) يراد به هؤلاء الذين تصدر عنهم بعض الغرائب الروحانية من صحيحة أو وهمية ، فراجع هذه الآية وما في

معناها من سور النحل والفرقان والزمر والشورى وق تجدها كلها في أهل الجنة وما لهم فيها من النعيم ، وهم المؤمنون المتقون . فاغتنم هذه الحقيقة العليا فانك ربما لا تجدها في كتاب ، واعتبر بما أذكره بعدها

وأما ماقاله شيخنا في الروحاني الكبير الشيخ محيي الدين بن عربي فهو موافق لما نقله لي علي بك شوقي وزير الترك المفوض في مصر عن والده شوقي باشا الذي سبق ذكره قريبا

زارني هذا الوزير إثر قدومه إلى مصر في هذا العهد لعلمه بما كان بيني وبين والده وجده لأمه احمد مختار باشا من الصداقة فذكرت له ان والده كان يحدثني بمناجاته للارواح وحديثه مع السيدة مريم العذراء عن حملها بالسيد عيسى المسيح عليهما السلام وغير ذلك، وانه كان يكتب ذلك فهل وجدتم في تركته ما كتبه في هذه الشئون ؟ قال نعم

وأخبرني ان مما قرأه فيه من مناجاة والده لروح الشيخ محيي الدين بن عربي انه سأله عن منزلته في عالم البرزخ ، فقال له ان منزلته دون مقامه من معرفة الله تعالى وان سبب ذلك انه اختلط عليه الامر في عالم المثال ، فكتب ما ضل به كثير من الناس ، فصاروا اخصوما له عند الله تعالى وكان من عقابه على ذلك انه حبس عن الارتقاء إلى المنزلة التي هي لمن كان له مثل معرفته ، وأنه هو توسل إلى خصومه ليعفوا عنه فلم يقبلوا ، وانه يرجو أن يعفوا عنه في موقف الحساب فيعفو الله عنه . اه

هذا ما فهمته من السفير مما قرأه فيما كتبه والده ، وسأبدي رأيي فيه وفي أمثاله عند ما اجد فرصة واسعة لكتابة بحث طويل في مسألة الارواح التي تشغل العالم المدني في هذا العصر ، واقتصر هنا على كلمة وجيزة اقتضتها الضرورة :

﴿ استحضار أرواح الموتى وتلبيس الشياطين فيه ﴾

لا شك ان قليلا من الناس يرون بعض الارواح في حالات مخصوصة واستعداد خاص، وان تربية الارادة بالرياضة عند الصوفية أقوى وسائل هذه الرؤية، وان منها ما يستعين عليه الافرنج بما يسمونه الوسيط من أولي الاستعداد الفطري، وفائدة الرياضة والعمل الكسبي في ذلك صرف الارادة عن الاشياء الكثيرة المفرقة

لقوة إدراك النفس وتوجيهها إلى شيء واحد ، والراجح عندي ان أكثر هذه الارواح التي يرونها هي أرواح الشياطين من قرناء أولئك الميتين لا الميتين أنفسهم، وان بعض الصوفية الذين كانوا يغيبون عن حسهم وعقلهم في رياضاتهم كانت تستهويهم الشياطين وتوحي اليهم مايظنون انه حقائق كوشفوا بها من الله مباشرة أو من تلقين أرواح شيوخهم المعتقدين ،فكل ماخالف الشريعة من كشفهم فهو من الشيطان ، ومنه مايحكيه الشعراني عن السيد البدوي انه كان يجمع أرواح الميتين من البلاد المختلفة ويسوقهم الى حضور مولده الذي هو مجمع البدع والفسق والخرافات والضلال ، ومنه مايحكيه الشيخ محيي الدين بن عربي من كشفه الذي تخيل به ان فرعون موسى كان من أكابر العارفين بالله وأوليائه المقربين عنده ،واذا كان التيجاني من أصحاب الرياضات والاحوال فكل ما خالف الشريعة من كلامه وهو كثير فهو من وحي الشيطان ، وإن لم يكن منهم فهو كذب واختلاق لكسب الشهرة والمال ، وان أسندوه الى روح النبي عليه أفضل الصلاة والسلام

ولا يهولنك أيها المؤمن العاقل المتبع هذا القول فتستبعده على أناس نقلت عنهم حكم حسنة معقولة ، وافهام في القرآن مقبولة ، وأعمال أو أحوال روحية خارقة للعادة، فقد قال علماء الكلام ان خوارق العادات قد تقع للكفار والفجار ، وانها تختلف باختلاف من تقع لهم ،وقال بعض كبار الصوفية الراسخين المهديين : اذا رأيتم الرجل يطير في الهواء فلا تغتروا به أو لاتقتدوا به حتى تنظروا حاله عند الامر والنهي ، وانما العصمة عند أهل السنة للانبياء في التبليغ عن الله عز وجل دون أمور الدنيا ، وكذا عن معصيته عز وجل

(فان قيل) وهل تتمثل الشياطين بصورة الانبياء عليهم السلام أو كبار الاولياء؟

(قلنا) ان إغواء الشياطين لمن اختل عقله بشدة الجوع والخلوة والسهر والتخيل كثير ، وان إيهام الشيطان لاحدهم أنه نبي أو ولي يكلمه او يكشف له الحقائق مع تمثله له بصورة نورانية أو بغير تمثل واقع ولا يقتضي ان يكون قد تمثل بصورة النبي الحقيقية. وقد نقل عن الولي الكبير الشهير المتفق عليه الشيخ عبد القادر الجيلاني انه قال : تراءى لي نور عظيم ملأ الافق وسمعت منه صوتا يقول لي

ياعبدالقادر أنت عبدي وقد أحللت لك المحرمات (قال) فقلت له اخسأ يالعين ، فتحول ذلك النور دخاناً مظلما وقال لي: قدنجوت مني بعلمك بأمر ربك ،وفقهك في أحوال منازلاتك ، وقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق ، فقلت لله الفضل . فقيل له كيف علمت انه شيطان؟قال بقوله قد أحللت لك المحرمات

ومن ليس لهم من العلم بالشريعة مثل ماللشيخ عبد القادر يضلون بهذه الانوار الشيطانية ، وهو لولا تلك الكلمة لاعتقد ان ذلك النور من تجلي الرحمن ، وللشيطان مع كبار الصوفية العارفين مناظرات ومجادلات. منها قوله لبعضهم وقد غاب اسمه عني الآن : ألست أنا شيئا ؟ قال الصوفي بلى ؟ قال وان الله تعالى يقول (ورحمتي وسعت كل شيء) فهي تسعني . قال فقلت له اقرأ ما بعدها ياملعون — يعني (فسأكتبها للذين يتقون) الآية ــ فقال : التقييد صفتك لاصفته .

وقد نقل عن بعضهم أنهم قالوا ان التكاليف خاصة بغير الواصلين، وأما الواصل الذي بلغ مرتبة اليقين فان التكليف يرتفع عنه ويباح له كل شيء ، ويتأولون لهذا قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وانما اليقين في الآية الموت، وسيد الموقنين وأكملهم ﷺ قد التزم العبادة إلى ان توفاه الله ورفعه الى الرفيق الاعلى.

ومن أولئك المفتونين بوحي الشياطين من ظن انه تجاوز درجة الانبياء، ومنهم ابن سبعين الذي قال : لقد تحجر ابن آمنة واسعاً بقوله « لانبي بعدي » ومثل هذا الكلام هو الذي جرأ ميرزا غلام القادياني على ادعاء النبوة

وقد نقل النصارى ماهو أعظم من ذلك، عمن هو أعظم من أولئك ، وهو النبي المعصوم عندنا الذي أعاذه الله وأمه من الشيطان في اعتقادنا ،وقد اتخذوه ربا وإلها لهم، إذ ذكروا في أناجيلهم ان الشيطان قد جرب السيد المسيح وهو إمام الروحانيين عليه السلام ،فقد حملت به أمه بنفخة من روح الله جبريل عليه السلام وكانت آياته كلها روحانية ففي الفصل الرابع من انجيلي متى ولوقا انه صام أربعين يوما فجاع فأخذه الشيطان في تلك المدة وجربه عدة تجارب منها انه أصعده الى جبل عال وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان وطلب منه أن يسجد له ليعطيه ذلك كله فأجابه يسوع اذهب ياشيطان انه مكتوب « للرب آلهك تسجد ،وإياه وحده تعبد »

الرؤى الصالحة

(وشهادة النبي (ص) لي في الرؤيا ورؤية كل منا في صورة الآخر)

إن الرؤى الصالحة التي رأيتها والتي رآها الناس لي كثيرة في جميع أطوار عمري ، ومنها ماكان يقع في اليقظة كما رأيته في النوم بعينه ، وما كان تأويله ظاهرا لايحتمل المراء ، والعباد وأهل الصلاح يهتمون بأمر هذه الرؤى ولا سيما رؤيا النبي ﷺ والمشهورين من الصالحين ، ومنهم الذين يتيهون بها غروراً ، وأحسن ما قيل فيها الحكمة المأثورة ولا أذكر قائلها : الرؤيا تسر ولا تغر ، ومن أحسن ما سرني من رؤيا النبي ﷺ القديمة أن سمعته يقول لي « اثبت على ما أنت عليه » وقد رأيته في هذا العام وندمت أن لم أكتب هذه الرؤيا ولا أمثالها لأرويها بنصها

وانني أذكر أحدث مارآني فيه أو رآه لي بعض الاحياء مع النبي ﷺ بنصه فمنه مارواه لي ابن عمي السيد عبد الرحمن عاصم عن رجل حدثه في طرابلس الشام انه رأى النبي ﷺ في الرؤيا فشكا له سوء حال أمته وما فشا فيها من البدع والمعاصي وعدم تصدي أحد من العلماء ولا من غيرهم للانكار على أهلها وارشادهم قال حتى ان السيد محمد رشيد رضا مقصر ، أو كلمة بهذا المعنى

فقال له النبي ﷺ ان محمد رشيد يعمل في كل وقت مايرى انه الواجب»

وروى لي في السنة الماضية (سنة ١٣٥٠) عن الفاضل الاديب الصالح الاستاذ عمر الرافعي أحد أنجال علامة العصر وفقيهه وصوفيه الشيخ عبدالغني الرافعي (ر.ح) انه رآني في الرؤيا بهيئة جميلة نورانية تمثلت له فيها بصورة النبي ﷺ قال للسيد عاصم : رأيت أن الناس في بلاد الشام في هرج ومرج ينتظرون حضور السيد (إياي يعني) ليخطب فيهم خطبة تكون فيصلا في موقفهم، ثم حضر السيد فسألته هل كتب الخطبة التي يريد إلقاءها ؟ فقال إنني أخطب ارتجالا وليس من عادتي كتابة الخطب، قلت ان هذه خطبة سيترتب عليها عمل عظيم فينبغي كتابتها ، وألححت عليه في الرجاء بأن يملي علينا خطبته لنكتبها فاستجاب لنا، وطفق يملي وأنا أكتب فاذا تعبت ساعدني (الخطاب للسيد عاصم) ولما اتم السيد إملاءه اعجبت بالخطبة جد الاعجاب ،

وطفقت انظر اليه نظر الاجلال والاكبار ، والسيد يزداد في نظري جمالا و لطافة ونورانية حتى قلت له انت السيد رشيد ام النبي ﷺ إه ثم نظمها وأرسل إليّ مانصه:

« عمر الرافعي يقدم لمعاليكم واجب التبريك بشهر رمضان المبارك ، ويرجو الله أن يديمكم منار حق وهدى لهذه الامة ، ويلهمكم الدعاء له في خلوة من خلواتكم مع الله ، ثم يقص على سيادتكم رؤياه التي رآها لكم حديثا وهي كما يأتي :

أعلامة الدنيا لك الله مرشداً	بعلمك أهل الحق في الغرب والشرق
تمثلت لي مولاي (رؤيا) كقادم	علينا خطيبا جاء يصدع بالحق
وما زلت تصفو في جمالك مشرقا	صفاء منار الحق في مفرق الطرق
فأدهشني هذا الجمال الذي أرى	ولم أره والله في سائر الخلق
فقلت بنفسي ذا رشيد مصدقا	أم المصطفى ؟ والله أعلم بالحق
عن طرابلس الشام	٢٥ شعبان سنة ١٣٥١

ولقيت في أواخر شهر ذي القعدة من تلك السنة رجلا يريد الحج ولم أكن أعرفه بالرؤية ولا بالسماع فأخبرني انه رآني في رؤيا فقصها على العلامة الشريف الاستاذ السيد عبد الرحيم عنبر فقال له ان هذه رؤيا صادقة ويحتمل ان يكون الذي رأيته هو النبي ﷺ فاني أنا رأيت النبي ﷺ في صورة السيد محمد رشيد رضا الخ . وبعد اشهر زرت الاستاذ السيد عبد الرحيم عنبر وسألته عن هذه الرؤيا فذكرها وقال لي اني كثيرا ما رأيت النبي ﷺ وقد رأيته مرة في صورتك وهي أبهى واجمل مما أنت عليه ولكنها صورتك.

وبعد كتابة ما تقدم بشهر وقبل طبعه قص علي الاديب محمود أفندي منصور الاسكندري رؤيا ثم كتبها لي وهي : « رأيت فيما يرى النائم رسول الله ﷺ جالسا في صدر مجلس وأنت بجانبه فتحدثت الى صديق كان بجانبي عن جماله ﷺ قائلا له : انظر يا أخي هذا هو النبي ﷺ ألا ترى ان أصدق من وصف جماله الخلقي تلك المرأة القائلة ان جماله لا يطمع الناظر فيه ، كما ان جلاله لا يفزع الناظر منه ؟ أو لا ترى ان النسب له دخل كبير في الشبه ، فهذا السيد رشيد أقرب الناس شبها به ؟ (ثم قال) ولقد أولت هذه الرؤيا بصدق دعوتكم وقيامكم بالعمل بتقتضى كتاب الله وسنة رسوله ثم قصصتها على نفر من اخواني فأولوها بتأويلي هذا . اه

المكاشفات

مما أثمرته لي العبادة والمراقبة قبل سلوك الطريق وبعده المكاشفات بقسميها الصوري والمعنوي او الظلماني والنوراني كما يقول الصوفية، والمراد بالثاني المعرفة والحقائق، وقد سبقت الاشارة اليه في الكلام على الاستعداد النفسي وتحصيل العلم، وبالاول الشؤون الدنيوية وكانت كثيرة جداً بحيث يتعذر كتمانها كلها، وكنت أكتم مالم يعلمه الناس وأما مايقع لي معهم فقد كنت أسمي بعضه مصادفة وبعضه رأيا أو خاطراً وإن كان في موضوع طويل الامد كثير الحوادث، ومنه ما كنت أرجح انه كذلك وأوكده فيقبله بعض الناس دون بعض.

من هذا انني كنت في دار آل الرافعي بطرابلس في أثناء زيارتي للبلاد عقب اعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٦ في فصل شتاء سنة ١٩٠٨ فقلت الله أعلم انه سينزل من السماء ثلج الآن، فنزل الثلج بعد دقائق قليلة ونزول الثلج في بلادنا الساحلية نادر وانما يكثر نزول البرد. فقال ريس صيد بحري من القلمون كان حاضراً : من أين علمت؟ قلت انه ليس بعلم وانما هو شعور من برد الهواء أو لذعه؟ قال أيش شغلنا نحن؟ يعني ان الملاحين أعلم منا بأحوال الجو والطقس. ثم انقطع الثلج مدة وأراد هذا الرجل وغيره الانصراف فقلت غير مالك للساني الله أعلم ان الثلج سيعود، فلم يلبث ان عاد، فقال الريس وهذه؟ قلت كذلك، فلمعت الدموع في عينيه.

والحق ان مثل هذا ليس له قيمة المكاشفات التي سببها توجه الارادة، ولكن الرجل كان من المتشبعين بحسن الاعتقاد من قبل هجرتي الى مصر ويحفظ عني أموراً غريبة عنده، منها انه استشارني في تربية ابنه وتعليمه فذكرت له ماسيكون من أمره في مستقبله بتفصيل حفظه فوقع كله، وهذا ليس بغريب أن يقع بصحة الرأي، ولو لم يكن سامعه يعتقد صلاح قائله وولايته لما كان يعده كرامة له، وقد كان الشيخ يوسف النبهاني يبحث عن أمثال هذه الاخبار عمن اشتهروا بالصلاح ليدونها فيما يجمع من كرامات أهل عصره، ويعدني أنا والاستاذ الامام والسيد الافغاني من أعداء الصالحين، لأننا أعداء الخرافات التي هي برهان الولاية

في رأيه الافين ، ولا يزال يقع لي مثله كثيراً في الدار فتقول أم الاولاد انك تكاشف علينا ، فأبتسم

وأذكر عن ولد هذا الريس (رحمه الله) وهو حي يرزق انه دخل علي مرة في غرفتي فوقع في قلبي انه كان يغازل امرأة فذكرت له الأثر المروي عن الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض) وهو انه دخل عليه رجل فقال له أيدخل أحدكم علي وأثر الزنا ظاهر على عينيه ؟ فقال الرجل أوحي بعد رسول الله ﷺ ؟ قال لا ولكنها فراسة المؤمن اه ذكرته له بلهجة الانكار ، ففهم واعترف خجلا

وجاءني السيد علي عبد القادر يريد ان يسأل عن شيء فقلت له قبل السؤال انك تريد ان تعلم ماورد فيما يقرأ بعد الفاتحة في راتبة الفجر ، وورد انه كان ﷺ يقرأ فيها بسورة الكافرون والاخلاص، وورد بسورة الانشراح والفيل (ولا يصح) وورد في الركعة الاولى آية (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا ـ الى ـ مسلمون) من سورة البقرة وآية (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ـ الى ـ مسلمون) من آل عمران ، فقال من أين علمت ؟ وقد يكون لمثل هذا او بعضه مايشعر به عند الذي يحاسب نفسه دقيقا على طريقة الغزالي، وان منه لوقائع لايمكن ان تخطر بالبال ، ومنه ماهو نتيجة التوجه المعروف عند الصوفية وهاك حادثة منه.

كنت أترك غرفتي في أعلى المسجد مفتوحة وأنام في الدار لعلمي بأنه لايعقل أن يسرق لي أحد من أهل القلمون شيئاً، وكان في الغرفة صندوق صغير أضع فيه بعض الاوراق وما عندي من السبح وهي كثيرة كانت تهدى إلي ، وأحيانا أضع فيه الدراهم ، ومع هذا أترك مفتاحه فيه لئلا أحمله فيسقط مني وأحتاج الى كسر الصندوق. وقد رأيت الصندوق في صبيحة بعض الايام مبعثر الورق والكيس الذي فيه السبح مسروقا . فطلبت من ساعتي ان تشد لي الفرس فشدت فركبتها وذهبت الى طرابلس ولم أنزل حيث كنت أربطها عادة عند مدخل المدينة بل قطعت الاسواق راكباً إلى ان وصلت الى دكان عند الجسر الشمالي فنزلت أمامه وقلت لصاحبه أين السبح التي اشتريتها اليوم ؟ فأخرج لي الكيس، فأخذته ودفعت له ما اشتراها به وهو قليل ، وكان السارق خادما لصديقنا الشيخ عبد الفتاح الزعبي

الجيلاني الشهير وكان مصطافا في القلمون كعادته ، والخادم وهو من قرية الميناء لا من القلمون ولا من طرابلس ، وقد علم بأنني عثرت على سرقته فلم يعد الى خدمة سيده ، ثم انني عدت الى عادتي في ترك مفتاح الصندوق فيه ومفتاح الغرفة في بابها ثقة مني بأهل بلدي

﴿ الانتقام في الدنيا من كل من آذانا ﴾

تذكرت بهذه الحادثة انه كان مشهوراً عند أهل بلدنا فوق احترامهم لشخصي انه لا يعتدي أحد علينا إلا وينتقم الله منه في الدنيا قبل الآخرة ، حدث بعضهم عن نفسه انه ذهب يحتطب مرة من شجر الزيتون فانتهى إلى كرم لعم والدي الذي سبق ذكره في هذه الترجمة فصعد شجرة زيتون ليقطع منها (قال) وقلت في نفسي يقول الناس هؤلاء أولاد جد (أي جدهم ولي) لا يعتدي أحد عليهم إلا أصيب « أنا رايح شوف ايش يصير لي » ولم أكد أشرع بقطع فرع من الزيتونة إلا وسقطت منها على الارض سقطة مؤلمة فتبت

وهذه مسألة مما يعدها الكثيرون من كرامات المعتقدين ، فان كان ما يذكرون في بلدنا من انتقام الله من كل من آذانا من الحكام وغيرهم حقا فأنا ما أظن انه استقراء تام ، على انني لم أعلم ان أحداً آذانا ولم يلق جزاءه في الدنيا ، وقد آذانا رجل من أهلنا إيذاء ماليا كان جله خاصا بي ، ثم كان عاقبته ان اضطر الى السفر الى مصر لطلب الرزق ، وان صار يطلب مني الاحسان اليه المرة بعد المرة فافعل ، ولا أزال أعنى بولده وأهله بعد موته ولله الحمد .

وكان آخر المعتدين علي بالطعن وقول الزور رجل معدود من كبار العلماء المشهورين في مصر ، فسلط الله عليه من العلماء والكتاب من شهره أنواعا من التشهير في علمه وأخلاقه وأمانته المالية والعلمية ... ومع هذا أصرح بانني لا أغتر فأقول أن لي خصوصية عند الله تعالى وانه انتقام لي خاص ، وانما هو جار بأسبابه الظاهرة وقد يدخل في معنى ما ذكرته في تفسير قوله تعالى في البغاة (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم) الاية ولكن جمهور الناس يعدون مثله من كرامات الاحياء والميتين ، ويذكر الشعراني وأمثاله من ناشري الخرافات في كرامات السيد البدوي وغيره وقوع البلاء والمصائب على المعترضين عليهم أو على موالدهم بحق ، فذكرته عبرة لهؤلاء ولغيرهم

استجابة الدعاء

أحمد الله تعالى ولا أحصي ثناء عليه أنه استجاب دعائي له بالايمان والاخلاص والتوجه الصادق في أمور كثيرة جدا لا أحصيها ، منها ماظهر لي بالتدقيق في السنن والنواميس التي ترتبط بها الاسباب بالمسببات ، انه من توفيق الاقدار للاقدار ، وعلم مالم أكن أعلم ، وتسخير مالا يصل اليه كسبي من الاشياء والاشخاص، ومنها مالم تظهر لي فيه الاسباب ،حتى صح أن يعد من خوارق العادات

ثم أحمده عودا على بدء ، ودواما أسأله الثبات عليه الى آخر العمر ، أن ظهر لي فيما لم يستجبه لي بعينه أن استجابه بالمعنى المقصود منه ، وفيما لم يستجبه بعينه ولا بالمعنى المقصود منه ان كان الخير لي في عدم استجابته كله ،وأذكر منه دعائي وتضرعي اليه عز وجل أن يسخر لي رجال الدولة العثمانية فيما طلبته منهم ومكثت عندهم سنة كاملة اسعي له عندهم ،وهو إنشاء جمعية ومدرسة للدعوة والارشاد ،أو للعلم والارشاد ، في عهد ظهور العصبية الطورانية ونجوم قرون الالحاد ، فقد تم إنشاء الجمعية رسميا وتم صدور الامر من مجلس الوزراء بتخصيص المال اللازم المدرسة ، ولكن لم يتم تأسيسها بالعمل المقتضي لاقامتي في الآستانة ، وكان الخير لي ان عدت الى مصر فأسست الجمعية والمدرسة فيها ، ثم ظهر لي ان عدم السكنى في الاستانة كان خيرا لي بما كان في أثناء الحرب الكبرى من بغي الترك على العرب وتقتيل زعمائهم وطلاب ارتقائهم، وقد كنت في مقدمتهم،وحكم علي بالقتل (الاعدام) مرتين أو أكثر ، نعم ان الاجل محتوم ، والعمر محدود معدود ، ولكنه مرتبط بالاسباب في نظام القدر المعلوم ، على ان المقام في تلك البلاد في زمن تلك الحرب كان محفوفا بالقهر والفقر والخوف والذل ، ولا سيما مثلي من العرب ودعاة الدين ورجال السياسة،وأين منه المقام في مصر التي كانت جديرة بأن يحسدها الملوك والامراء في كل قطر ،أمان واطمئنان ، وسعة في الرزق وجميع مرافق الحياة ؟وأما حالها بعد الحرب ، فهو شر علي مما كان في زمن الحرب

شفاء المرضى بالرقية ونحوها

أذكر من أمثلة انتفاع المرضى التي لا تحصى حادثة مشهورة في القلمون وهي ان عمر قدور كسن الصياد رمى شبكته ليلا في البحر فسمع حيث وقعت صوتا رعب منه، فعاد الى بيته مصروعا واشتد عليه الصرع فكان لا يعي، ويبيس جسده كأنه لوح من الخشب، ويرى نفراً من الجن يجتمعون حوله وقد ضربه واحد منهم ضربة صرخ منها صرخة مزعجة، فطلبوني لأراه وأرقيه، فقلت بل أدعو له، فعادوا اليه فألح في الطلب، وكان من أغرب ماقاله ان أخبر بالحال الذي كنت عليها في خلوتي ليلا، قال انه جالس متكيء برأسه على عصا قصيرة شبه الباكورة (يعني المحجن) وانه قال للذي ضربني: ضربة بضربة فاتركوه. ثم عادوا إلي وألحوا في طلب الذهاب معهم فذهبت فوجدته مستلقياً جامداً لا يعي، فوضعت يدي على رأسه وتلوت قوله تعالى بعد البسملة (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) فأفاق في الحال، وقام كأنما نشط من عقال

وقيل لي مرة ان محمد زيدان مصاب بصداع شديد يصرخ من شدته بأعلى صوته فكتبت له ورقة وضعوها على رأسه فشعر بأن رأسه انشق وخرج منه الوجع في الحال، ثم كانوا يعيرون ذلك الحجاب لكل مصاب ويذكرون انه يشفى الى أن خطر في بالهم أن يفتحوه ليروا ما كتب فيه، فرأوا فيه حرفا واحداً من حروف المعجم كتب بعدد مخصوص، فاحتقروا ذلك فلم يعد ينفعهم كما قيل لي بعد ذلك بسنين، وكنت أكتب نشرة للحمى فتشفى باذن الله تعالى

ومن هذا النوع مسألة رقية غريبة فعلتها من تلقاء نفسي، وهي انني كنت جائياً من طرابلس إلى القلمون فوجدت بالقرب منها رجلا من معارفنا من نصارى أنفة (من لبنان) — هو اسكندر الخوري الذي أظن انه لا يزال حياً، أو أخوه مالك الخوري — وهو عاصب رأسه من صداع شديد فيه، فسألته فأخبرني فقلت له ادن مني فدنا فقلت له ان الانجيل يروي عن سيدنا المسيح عليه السلام انه قال:

وهذه الآيات تتبع المؤمنين يضعون أيديهم على المرضى فيبرؤن ، ووضعت يدي على رأسه ورسمت عليه كلمة كنت مجازاً بها فذهب الوجع في الحال ، فتعجب وصار يهز رأسه لاجل ان يحرك الوجع ليعود فلم يعد ، وكم فعل هذا غيره استغرابا من سرعة البرء

ومن التأثير في غير الآدميين ان الوالدة رحمها الله استكتبتني حجابا طلبه منها بعض نساء الاعراب لوضعه على غنمهم لان الموت فشا فيها ، وبعد سنة او أكثر جاءني بدوي من مشايخ قبيلة أخرى فشكا إلي وقوع الموت في غنمه وطلب مني حجابا ليضعه على رأس أكبر كبش فيها لمنع الموت ، فقلت له ان الحجاب لا يمنع وقوع الموت في الغنم ولا بد أن تكون غنمكم قد أكلت زهر الدفلى وورقها او نباتا آخر ضاراً فاسأل عن طبيب بيطري واخبره بما تعلم من حال الغنم يرشدك الى ماينفع فيها ، قال بل الحجاب هو الذي ينفع ، قلت انا أعتقد انه لا ينفع ، قال وكيف نفع غنم بني عليوه ؟؟ وانا لم أكن أذكر مسألة هؤلاء ولكن الوالدة ذكرتني بها ، فاعتقدت ان ذلك من قبيل المصادفات التي كبرتها الاوهام ، ثم تركت هذه الحجب والنشرات للمرضى والمعقودين عن النساء ، وكذا الرقى إلا نادراً لحديث في صحيح مسلم « من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه » واجتنبت فتح هذا الباب علي بعد هجرتي لمصر لان الفتنة فيها بهذه الامور أكبر الا لأهل الدار قليلا

ولما كنت مسافرا من البصرة الى بغداد في احدى بواخر الدجلة سنة ١٣٣٠ انتقلت من الدرجة الاولى الى الدرجة الثالثة في مقدمة الباخرة لأرى حركتها وكان هنالك كثير من الفقراء فوجدت بينهم فتاة مريضة مضطجعة فقيل لي انها يتيمة فقيرة وقد اشتدت عليها الحمى فرثيت لها ورقيتها فقامت في الحال ، كأنما نشطت من عقال ، وشكت الجوع فأمرت أحد الخدم بأن يأتيها بصحن حساء من مطبخ الباخرة ويقيد ثمنه في حسابي ففعل ، فأكلت ، واشتد عجب الفقراء الذين كانوا معها من نساء ورجال

ولكن هذه الحمى (وهي الملاريا) كانت اصابتني في البصرة ككل من كان يدخلها ، ثم عادت الي في الباخرة ولم أرق نفسي ولم يرقني أحد ، ورقية الانسان لنفسه مشروعة ، وأما استرقاؤه فينافي كمال التوكل وقد حققت الموضوع في المنار

اعتقاد الناس بنا الولاية والكرامات

(وحفظ الله لنا من الفتون والافتتان)

تلك خلاصة من ذكرى ما من الله تعالى به علي من النعم والكرامة والتوفيق لو شئت أن اكتبها بالاسلوب الذي أعهده في كتابة المناقب والكرامات ، لكان وقعها وتأثيرها اعظم في نظر اكثر الناس ، وما كان هذا من شأني في وقت من الاوقات ، بل احمد الله تعالى أن حفظني من الغرور والتغرير ، ومن الفتون والافتتان ، وان هي الا اثارة من التاريخ فيها عبرة للعقلاء حدثت لي نية صالحة في تدوينها في هذا الكتاب، فاسأله تعالى دوام التوفيق وكمال الاخلاص !!

من المشهور ان مذهب أهل السنة يثبت الكرامات للاولياء إلا من شذ من نظار الاشاعرة كالاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني والحليمي فانهما وافقا المعتزلة في انكارها ، وقد بينت الحق في هذه المسألة في مقالات كثيرة في المنار بدأت بها في المجلد الثاني من المنار (سنة ١٣١٦) ثم عدت الى اتمامها في المجلد السادس (سنة ١٣٢١) وذكرت خلاصة مفيدة منها في مباحث (الوحي المحمدي) وهي مسألة فتحت للدجالين بابا واسعاً من أبواب الخرافات وأكل أموال الناس بالباطل وتعدى ذلك الى الاعتداء على أعراض النساء ، وقد كان كشفنا لهذه الخرافات والاباطيل من أسباب طعن الدجالين علينا كالنبهاني من السوريين ، والدجوي من المصريين .

ألا وان الكرامات التي يتناقلها هؤلاء ، ومن هم فوقهم علما وصدقا ودينا قد من الله تعالى علينا بكثير منها ، ووفقنا فيها لما وفق له أهل الاخلاص ممن قبلنا ، فلم نفتتن بها ولم نفتن أحداً ، بل كنا نكتم مالم يعلمه الناس ونتأول لهم ما علموه ، بأنه من الاتفاق والمصادفة ، أو من الامور المعتادة التي جهلوا أسبابها ، كما تقدم

أما عدم افتتاننا بها في نفسنا فالفضل الاول علينا بعد فضل الله الذي هو فوق كل شيء ، للامام أبي حامد الغزالي فقد كنت قبل عروض هذه الاشياء لي قد قرأت فيما قرأت من إحيائه كتاب الغرور وأصناف المغرورين من الصوفية وغيرهم

وكتاب محاسبة النفس وكتاب النية والاخلاص، فانتفعت بها في هذه الاحوال.

وأما اجتهادي في منع افتتان الناس بي فسببه فضل الله تعالى وحده عليّ بالاخلاص له في عملي لنفسي وفي إرشاد الناس.

من المعتاد ان يحسن الناس الظن في دين من يعلمون انه متق لله دائب في عبادته بما هو أكثر من اداء الفرائض ورواتبها وترك كبائر الاثم والفواحش. ومن فضل الله تعالى علي ان كان أحسنهم اعتقاداً وظنا بي، أقربهم إلي وأدناهم مني: الوالدان والاخوة والاخوات، والاعمام والعمات، والخادمون والخادمات، فأهل قريتنا كافة رجالا ونساء، وقد تقدم شيء من ذلك

أما الوالدة قدس الله روحها فكانت إلى آخر حياتها تأمرني أن أرقيها وأدعو لها كلما شكت شيئا، وأخي السيد صالح رحمه الله تعالى كان بعد ان كبر وتعلم يقول كنت أعتقد ان أخي الكبير رشيدا نبي فلما علمت ان نبينا محمداً ﷺ هو خاتم النبيين صرت أعتقد انه من الاولياء، وتعسرت على شقيقتي الكبرى (السيدة زينب) الولادة مرة فكانت تقول اطلبوا أخي رشيدا ليحضر هنا عسى الله أن يفرج عني ويسهل علي بحضوره، وكان خوادم بيتنا يحرصن على فضل ما أكلت من طعام وغيره للتبرك به وكنت اذا مررت بشوارع القرية يخرج من في البيوت من النساء والاولاد ينظرون إلي ويذكرون الله ويصلون على نبيه، صلوات الله وسلامه عليه وآله. أليس هذا من دواعي افتتان شاب ناشيء في نفسه ودينه؟ بلى ولكن الله سلم وله الفضل والمنة

إنها لفتنة تتلوها فتن كقطع الليل المظلم، شاب جميل الصورة، معتقد الاسرة، يشتهر بالولاية، والتأييد بالكرامة، قد يخبر الناس ببعض ما يكتمون ويسرون، ويشرف عليهم بالامر والنهي فيما يعملون، ويضع يده على رءوس المرضى فيشفون ويبرؤن، وتتبرك به الحسان، ويلثم منه البنان، فهو عرضة للغرور بصلاحه في نفسه، والافتتان باعتقاد الناس وتعظيمهم له، وعرضة ايضا لما يتسنى له من سلب المال، والتمتع بالجمال، الذي يفضي إلى شر المآل، وكم فسد به من الرجال

أما الغرور، فقد بينت كيف نجاني الله منه ومن الافتتان باعتقاد الناس، وأما

المال فلم أكن أستحل أخذ شيء من مال من يعتقدون انهم انتفعوا مني ومن يطلبون الانتفاع ، ثم قطعت وسائل هذا الانتفاع ، وأما فتنة النساء فقد اتقيتها بالامتناع من السماح لهن بتقبيل اليد أو الخلوة والانفراد او الرقية لأية امرأة إلا ان تتوسل بذلك لسيدتي الوالدة فتأمرني بحضرتها ان أرقيها، فحينئذ أرقيها بالعصا أو السواك أضعه على رأسها المقنع ،وقد اجتنبت حضور مجالس الادباء والوجهاء من نصارى طرابلس التي يجتمع فيها النساء مع الرجال واقفلت الباب دونها بحيلة لطيفة

وأما مسألة الفرار من فتنة النساء الحسان فاذكر منها حادثة واحدة نظمت قصتها في المقصورة الرشيدية لما فيها من العبرة

جاءتني فتاة بارعة الجمال في مكان خال إلا انه مكشوف وقالت ياسيدي صدري ضيق ، حط إيدك المباركة عليه

قلت لها ان اليد التي توضع على صدر أجنبية مثلك يد نجسة لامباركة ،لان هذه معصية ، اذهبي وأنا أدعو الله ان يشرح صدرك ويزيل ضيقه ،وانني أذكر بعض الابيات التي نظمت بها الحادثة لما فيها من الفكاهة والعبرة وهي

ورب ملداء خميصة الحشا ... بهنانة ترنو بألحاظ اللأى

رقراقة شف زجاج وجهها ... عن ذوب ياقوت وراءه جرى

خاشعة الالحاظ والصوت أتت ... تلتمس الدعاء مني والرُّقى

أواه يامولاي صدري ضاق عن ... قلبي وما يفيض عنه من جوى

فضع عليه يدك التي بما ... بارك فيها الله تبريء الضنى

أتت فتى خاف مقام ربه ... مازال ينهي نفسه عن الهوى

لم يقترف فاحشة قط ولم ... يعزم ولا همَّ بها ولا نوى

ثم قال بعد وصف نفسه ووصف الفتنة

لكنه استعصم راويا لها ... ما أمر الله به وما نهى

ما كان عزهاة[1] ولا فؤاده ... قد من الحديد أو صم الصفا

---

[1] العزهاة بالكسر الذي يرغب عن اللهو والنساء فلا يصبو اليهن قال الفرزدق
اذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا ... فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

ولم يكن بجاحد لما رأى — من سحر هاروت العيون وروى
دعي إلى حب الجمال طائعا — أو كارها فانقاد طبعا وأتى
ثم الى اتخاذه ربا له — فعاذ بالرحمن منه وأبى
قد وقف الدين به حيث الهوى — لحظ وشعر وشعور ومنى
وظاهر الدين عزيمة له — تضاءلت من دون عزمها القوى
وربما كان التماسها الشفا — برقية الصدر هو الداء الدوى (١)
بما يثير من رقاد فتنة — بين بياض النحر منها والثدا (٢)
ترجف أعصابي بكهربائه — إن لمس الضمير منه ما اكتمى (٣)
فهل أشبها بأقوى موصل — لسالب التقوى بموجب الردى (٤)

وهنا وصفت هذا الصدر وما عليه وافتتان الناس بهما وعبادة الجمال ثم قالت :

فذاك ما كنت له مستهدفا — في ريق السن وميعة الصبا (٥)
أبيح باسم الدين لى وهو حمى — فكان ما أباح منه ما حمى (٦)
وما أبرّي النفس بعد من هوى — أمارة بالسوء الا ما هدى
من لم يزعه الدين عن جهل الصبا — فما له من عاصم من الردى

---

(١) الدوى كالهوى بالقصر مصدر دوي (كتعب) يوصف به المرض والمريض ذكرا وأنثى مفرداً ومثنى وجمعا ومعناه الداء الملازم (٢) الثدا لغة في الثدي (٣) اكتمى احتجب واستتر (٤) شبه حرارة الشوق الى لمس ذلك الصدر باشتعال الكهرباء ، وانما تشتعل باتصال الموجب منها بالسالب ، فهو يقول ان أعصابي ترجف وتضطرب اذا تصور ضميري لمس ما استتر فوق ذلك الصدر وهو الثدي تصورا هو في حرارته كالكهرباء في استعدادها للاشتعال فهل أوقدها بلمسه يدي الذي هو كالجمع بين موجبها وسالبها بما يسلب من التقوى ويوجب من الهلاك بمعصية الله تعالى . والموصل بين نوعي الكهرباء عند علمائها نوعان : قوي وضعيف فشبه اللمس بأقواهما (٥) أي أول سن الشباب وأنشطه (٦) أعني ان لمس صدر تلك العذراء الخفرة قد أبيح لي من ناحيتها بباعث الدين لاعتقادها أن لمسي له يشفيها ، وان الذي حماني من لمسه هو الدين الذي أباحه لاعتقادي ان لمسه لا يبيحه الدين لي

لا تخدعنك رغبة الحسان عن   زي أولي العلم وسمت ذي التقى
فكم نوارٍ (١) لم يلن معطفها   لفرهد حزور يحكي الرشا
يشبهها تورُّنا (٢) وزينة   الى غنى له يرق ما قسا
أسلسها وراضها لنفسه   بجاذب الدين وطلسم الرقى
ذو نسك يلبس أخلاق التقى   مجرداً من كل أخلاق التقى (٣)
قد تخذ النسك له أحبولة   لصيد نافر الظباء والمها (٤)
وجعل الدين له تجارة   فما اشترى إلا الضلال بالهدى

قولي : لاتخدعنك الخ هو المقصود من العبرة في هذه الحادثة، وهو ان كثيراً من الناس يسمحون لنسائهم بزيارة رجال الدين الذين يظن فيهم الصلاح لظنهم ان النساء لاتميل اليهم ميل شهوة، وان صلاحهم يزعمهم عن تصبيهن والفتنة بهن، وقد يكون اظهارهم الصلاح ، أحبولة لاصطياد الملاح، ولهذا شواهد ووقائع معروفة.

بل أقول ان كثيراً من رجال الدين حتى النساك من جميع الامم قد افتتنوا بخضوع الحسان لهم ففسدوا وأفسدوا ، وذلك ان العبادة الصورية لايقوى بها الايمان بالله والمراقبة له وانما هي تقاليد بدنية لا تزكي النفس ولا تربي الارادة فتحكم على الهوى ، كما تفعل الرياضة الصوفية الشرعية ، وقد من الله تعالى علي بما استفدت من إحياء العلوم أن كنت أحاسب نفسي وأراقب ربي ، حتى انني لأعاتب نفسي على الغفلة ، وأعاقبها على الهفوة ، وكنت قد تعودت قبل ذلك انشاد الشعر في الخلوة ، وأوقات الفسحة ، فاستبدلت به ذكر الله تعالى غالبا ، وقد تغلبني العادة فأتذكر وقد أنشدت نصف البيت فلا أتمه ، فكانت هذه النشأة في الصبا ، ذخرا لما بعدها ، وما أبريء نفسي من اللمم ، ولا أقول كما قال بعض الشيوخ الكرام في شأن صحته في كبره : حفظناها في الصغر ، فحفظها الله في الكبر ، بل أقول ان الله تعالى هو الذي حفظها في الصغر والكبر . وله الحمد أولا وآخراً.

(١) النوار ذات الحياء والصون والفرهد الغلام الحسن الممتلىء صحة وشبابا والحزور بالفتح وتشديد الواو الذي اشتد وقوي (٢) المبالغة في التنعم (٣) أخلاق الاولى جمع خلق بفتحتين وهو الثوب البالي والثانية جمع خلق بضمتين (٤) المراد بالظباء الغلمان وبالمها النساء الحسان

التعليم والارشاد

﴿ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾

انني طلبت العلم بوازع من نفسي لتكميلها بالمعرفة والعمل، لا لاجل الانتفاع به في تحصيل مال أو جاه ، وقد عرض علي الدخول في خدمة الحكومة أكبر أصحاب النفوذ فيها من أصدقاء والدي فأبيت ، بدأت بمطالعة بعض الكتب التي أراها عندنا، وكنت كلما أفدت شيئا في نفسي اجد ارتياحا فيها ان افيده غيري

رأيت بعض من عاشرت من طلبة العلم في طرابلس يحب الاثرة فيه والبخل بما يصيبه من شوارده وأوابده أن يجود بها ، فعجبت من حالهم لمخالفته لطبعي ولما كنت قرأته في كتب الدين والادب من مدح بذل العلم وكونه يزكو على الانفاق ، وكون كتمان علم الدين حراما وبذله واجبا ، وكون إرشاد الناس به أفضل القربات عند الله تعالى ،فكنت أعمل بما أعلم وأعلم من دوني وأذاكر من هم في طبقتي،وأطلب المزيد ممن فوقي

وكنت بعد قراءة كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتاب الاحياء آمر وأنهى لاأخاف لومة لائم، وأذكر في هذا أول حادثة لي في طرابلس صدعت فيها بالنهي عن المنكر في محفل عام كثر فيها حديث الناس ولوم بعضهم وتحبيذ بعض.

أول حادثة لي في الانكار العلني على أهل الطريق

قيل لي : ألا تتفرج على مقابلة المولوية في تكيتهم التي تشبه جنة الآخرة في مكانها من ضفة نهر أبي علي؟ قلت نعم ، فذهبت بعد صلاة الجمعة مع الذاهبين، وكان أول افتتاح موسم هذه المقابلات من فصل الربيع، فجلست في إيوان النظارة (المتفرجين) نمتع البصر برؤية جنات البرتقال ، والشم بعبير زهرها ، والسمع بخرير ماء النهر من تحتنا ، حتى إذا ما آن وقت المقابلة تراءى أمامنا دراويش المولوية قد اجتمعوا في مجلسهم تجاه إيوان النظارة، وفي صدره شيخهم الرسمي

وإذا بغلمان منهم مرد حسان الوجوه يلبسون غلائل بيضا ناصعة كجلابيب العرائس ، يرقصون بها على نغمات الناي المشجية ، يدورون دورانا فنيا سريعا تنفرج به غلائلهم فتكون دوائر متقاربة ، على أبعاد متناسبة ، لا يبغي بعضها على بعض ، ويمدون سواعدهم ، ويميلون أعناقهم ، ويمرون واحداً بعد آخر أمام شيخهم فيركعون له ، قلت ما هذا ؟ قيل هذا ذكر طريقة مولانا جلال الدين الرومي صاحب المثنوي الشريف

لم أملك نفسي ان وقفت في بهرة النظارة وصحت بأعلى صوتي بما معناه : أيها الناس أو المسلمون ! ان هذا منكر لا يجوز النظر إليه ، ولا السكوت عليه، لانه إقرار له، وانه يصدق على مقترفيه قول الله تعالى (اتخذوا دينهم هزوا ولعبا) وانني قد أديت الواجب علي فاخرجوا رحمكم الله ، وخرجت من المكان راجعاً أدراجي إلى المدينة مسرعا ، وفي أثناء المسير التفت فوجدت ورائي عددا قليلا قد رجعوا، وبقي الاكثرون لم ينكروا علي ولا على القوم بقول ولا عمل ، ثم كانت هذه الحادثة الغريبة حديث الناس وموضوع سمرهم مدة طويلة فمن عاذل وعاذر

سيرتي مع استاذي العلامة الجسر في الانكار

اتفق في تلك الايام أن دعاني رجل وجيه من معارف والدي الى سيران[1] في بستانه مع شيخنا الاستاذ الشيخ حسين الجسر والشيخ عبد الله البركة واثنين آخرين من العلماء، وهنالك سألني شيخنا عن الحادثة ولم يسألني عنها في المدرسة ، فذكرتها له باختصار، قال اني أنصح لك أن تكف عن أهل الطريق ، قلت : هل لأهل الطريق أحكام شرعية غير الاحكام العامة لجميع المسلمين؟ قال : لا ولكن لهؤلاء في سماعهم نية غير نية سائر الناس ووجهة إلى الله غير وجهتهم ، ومالك تخصهم بالانكار عليهم وان من أهل اللهو من يسمعون الاصوات والاوتار في ملاهيهم، بل بلغني أن بعضهم يقامرون ليلا في (قهوة العيوني)

قلت ان أهل الطريق ذنبهم أكبر من أهل اللهو لانهم جعلوا السماع المنكر

(١) السيران في عرف بلادنا الخروج للتنزه والطعام في البساتين والضواحي

ورقص حسان الغلمان عبادة مشروعة، فشرعوا لانفسهم من الدين ما لم يأذن به الله ، على أني لم أر منكراً آخر ولم أنكره ، وأنا غير مكلف أن أذهب في آخر الليل الى (قهوة العيوني) فأستفتحها لأرى ما فيها وأنكر عليه ، فلما أعيته قال ان مذهبنا (يعني الحنفي) أشد من مذهبكم (الشافعي) في تحريم السماع ولكنني أنصح لك أن لا تعترض على أهل الطريق ، وسكت وسكت

والشيخ رحمه الله تعالى كان خليفة لوالده الشيخ محمد الجسر المشهور المتقدم في طريقتهم (الخلوتية) وكان يقيم ذكراً في داره كل ليلة جمعة، وكان يكون في مجلس الذكر عنده إنشاد لشيء من أشعار الصوفية، أو أدوار في الالهيات والمدائح النبوية

ولما جئت مصر ورأيت فيها من بدع أهل الطريق أضعاف ما في بلادنا ، وأنشأت المقالات الضافية في المنار في منكراتهم في الموالد وغيرها ، كان أول كتاب رجعه إلي الشيخ عفا الله عنه ضمنه الانكار علي بمثل نصيحته في بستان السيران بطرابلس . وقد افتتح كتابه هذا بقوله « ظهر المنار بأنوار غريبة ، إلا أن أشعته مؤلفة من خيوط قوية كادت تذهب بالابصار » وكانت حجته انني أبين عيوب المسلمين للافرنج وغيرهم

فكتبت إليه رجع كتابه في ١١ صفحة قلت فيه انني لا أزال أعد نفسي تلميذاً لك وان كنت أعطيتني شهادة العالمية واجزتني بالتدريس ، وأنت تعلم يامولاي انني من أول طلبي للعلم لم أكن أقبل شيئاً لا أعقله ولا أقتنع به، وحجتي على ما كتبت في المنار كذا وكذا .. فان كتبت إلي ما يقنعني بأنه خطأ رجعت عنه وأعلنت ذلك في المنار . فلم يرجع إلي قولا ، وقد نسخ صورة ذلك الكتاب صديقي الشيخ عبد القادر المغربي ولعلها محفوظة عنده

ثم أنكر علي كتابة في جريدة طرابلس بقلمه ولكن بدون امضائه ورددت على كتابته ونجافينا ، حتى إذا ما زار القاهرة في طريقه إلى الحجاز نزل ضيفاً في دار الاستاذ الشيخ عبد القادر الرافعي الكبير كنت أزوره كل مساء فأقبل يده وأجلس عنده ما جلس للناس . فلما كان يوم سفره خلونا ساعة وسألته النصيحة فأعاد علي انكاره ذاك ومسائل أخرى أنكرتها على بعض ما في الكتب المألوفة، وقال انني

أحب لك ما أحب لنفسي... قلت ولكن هل الله تعالى يحاسبني يوم القيامة بما أعتقد وأعلم، أم بما تعتقد أنت وتعلم؟ اقنعني بما تقول بالدليل ليصير عقيدة لي أرجع الى قولك قال: أنت اهل علم وصاحب حجة وليس عندي لك غير ما قلته، فذكرت في نفسي قول الله عز وجل (قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا)

فمن عرف سيرتي هذه مع أستاذي الاول ولا أعرف له في الازهر مثلا في علمه وعمله وسيرته لا يستغرب انكاري على علماء الازهر، بل يعلم ان لي فيه قدم صدق، وموقف حق أجري فيه على عرق، وأدين الله تعالى به لا أهاب أحداً ولا أخاف لومة لائم

انكاري على رجال الدولة والحكام

ولقد كنت أنكر على رجال الحكومة في بلادنا كل ما أراه من منكر، ولي في ذلك حوادث ووقائع مشهورة، منها أنني أنكرت على والي ولايتنا «بيروت» نصوحي بك الشهير إساءة صلاته في مصلى سراي الحكومة بطرابلس فقبل كلامي شاكراً، ولكن أهل التملق والنفاق الاذلاء عابوه علي، حتى إذا ما رآني في بيروت مرة قال لي ما سمعه منه الشيخ النبهاني: إنك أنكرت علي ترك الطمأنينة في صلاتي بطرابلس وأنا أنكر عليك الآن تخفيف لحيتك فهذا لا يليق بأهل العلم، قلت صدقت، ولكن في شعر وجهي ضعفاً فهو يسقط بأدنى تحريك له وقد عرضته على بعض الاطباء هنا فقال ان سببه كثرة المادة الدهنية فهي تضعف بصيلات الشعر ووصف لي علاجاً... الخ (وأقول الآن ان شعر وجنتي لا يزال ضعيف النمو ومحتاجاً الى العلاج)

وقد كان أول خطاب ألقيته في طرابلس مثاراً للانكار من اناس والعجب من آخرين عدوه من الافراط في الحرية والشجاعة الادبية، ذلك انه كان بين الاستاذين الشيخ علي رشيد الميقاتي والشيخ السيد عبد الفتاح الزعبي من أكبر وجهاء العلماء شيء من التقاطع فسعى المتصرف التركي وهو الحاكم الاداري العام للصلح بينهما وأشار على الاول ان يبدأ به، فدعا خصمه الى حفلة تكريم دعا اليها معه سائر العلماء وجميع رؤساء الحكومة وكبار الوجهاء إلى العشاء، وكلفني ان

أكتب خطابا يناسب المقام وألقيه على الملأ ففعلت ولم يكن في الحفل شاب من طلبة العلم غيري الا ابناء الداعي ومنهم صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ رشيد الميقاتي مفتي طرابلس لهذا العهد

شبهت في ذلك الخطاب الشعب او الامة بالفرد منها والجماعات العاملة للمصالح العامة فيها ومنهم رجال الحكومة والدولة بأعضاء الفرد من رئيسية كالدماغ والقلب ، ومشاعر وآلات ، وقلت انهم يجب ان يكونوا سواء في الحقوق العامة والاحترام ، وإن كانوا يتفاضلون في العرف والاعتبار ، وشبهت العاطلين الذين لا يعملون لأمتهم عملا نافعاً من السراة وأصحاب الثراء الموروث وغيرهم ويحتقرون الطبقات الدنيا من العاملين بقولي « ولا التفات الى سفهاء الاحلام ، المتكبرين بالاوهام ، الذين يحتقرون الزراع والصناع ، فانما مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع والبصير ، والنسبة بينهما كالنسبة بين الايدي والارجل في البنية وبين زوائد الاظافر والشعور لو كانوا يعقلون »

ولقد خشي أستاذي الجسر عند سماع هذا الخطاب أن يحفظ علي قلب المتصرف وكاشفني بذلك سراً في الجلسة لأتلافى الامر بكلمة في فضل الدولة ورجالها ، ولكن ذلك المتصرف كان من كبار أحرار الترك أولي التربية العالية (وهو حسن باشا بن سامي باشا شيخ وزراء الدولة في عصره) وقد أعقبني ثناء علي فقال: انني أفتخر اليوم بأن أعد نفسي طرابلسياً لهذه الحكمة التي سمعتها من هذا الشاب ، وقال كلمة حكيمة في مقام رجال الدولة. ولما علم بهذا الخطاب أدباء النصارى عجبوا لجرأتي ، وأذكر أن الاديب المؤلف الشهير جرجي افندي يني قال لي يومئذ وقد علم بالخطاب : من أين جئت بهذه الحرية المتطرفة ، في هذه البلاد المستعبدة؟ وجرجي افندي لا يزال حياً يذكر هذا وهو صاحب مجلة المباحث

وكان هذا المتصرف بعد ذلك يحب المذاكرة معي في شؤون سياسة الدولة والاصلاح فاذا زرته في دار الحكومة لا يأذن لاحد أن يدخل علينا فيها لأننا نتكلم بغاية الحرية في عيوب الدولة ، وجعلني بعد ذلك عضواً فخريا في لجنة إصلاح

المعارف ، ثم لما صار والياً لأزمير بعد هجرتي الى مصر كنت أرسل اليه المنار بالبريد الاجنبي إذ منع المنار من بلاد الدولة بارادة السلطان

وكان يكثر زيارتنا في القلمون قبله متصرف طرابلس مصطفى ذهني باشا بابان وكان سبق له اشتغال واسع بعلوم الشرع وهو شافعي المذهب مثلنا كقومه الاكراد ، فكان يكثر مذاكرة العلماء في الفقه والتوحيد وغيرهما وكانت تعجبه أجوبتي وأنا طالب مبتدي، فيلقي علي أسئلة كثيرة (منها) انه قال لي مرة بدارنا ان دولتنا مخطئة في إعفاء طلاب العلوم الدينية والعلماء من الخدمة العسكرية فانها خدمة دينية والعلماء أحق الناس بالقيام بها . قلت له على البداهة ان لهذا الاعفاء أصلا في كتاب الله تعالى ، قال متعجبا : في كتاب الله تعالى !! قلت نعم وهو قوله (وما كان المؤمنون لينفروا كافة، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) فدهش واثنى علي ودعا لي دعاء صالحا من قلبه .

وتحدثنا مرة ونحن على مائدة الطعام بدارنا في شؤون الدولة فقلت ان الذي أضعف الدولة هو جهل العلماء بالسياسة وجهل الحكام بالدين ، فظهر على وجهه تجهم الاستياء ،وحجظت عينا والدي وحدجني بنظره ، وقال المتصرف وهل رجال الدولة جاهلون بالدين ؟ قلت لو كانوا كلهم او أكثرهم مثل سعادتكم لما كنا نقول هذا ، فسري عنه ، ثم كان لكلامي هذا دوي عظيم بين الناس .

ثم لما زرت الاستانة سنة (١٣٢٧ﻫ١٩٠٩م)عقب الدستور زارني فيها وأدب لي مأدبة فاخرة دعا اليها بعض العلماء والوجهاء، وحدثهم بما علمه من خبر حداثتي، وكان والياً ليانية وانما جاء الاستانة زائراً وكان أحد أنجاله وزيراً للمعارف فيها وآخر عضواً في مجالس المعارف الاعلى

وزار القلمون مرة رئيس المحكمة العدلية والمدعي العمومي (رئيس النيابة) وكانا ضيفين عند الوجيه حسين آغا ياسين فطلبا منه أن يدعوني ليسمعا كلامي ...فقال لهما عليكما اذا ان تخبئا أنواط ساعاتكما الذهبية لانه لايسكت عن الانكار عليها، وكان قوله صادقا فقد أنكرت عليهما ووعظتهما بما يجب عليهما من العدل ....

سيرتي في تعليم العوام ووعظهم

إن سيرتي في نصيحة العوام وتعليمهم في القلمون مشهورة ، كنت أقرأ للرجال دروساً في مسجدنا وأذهب إلى مقهى لهم يجلسون فيه أشرب القهوة والنارجيلة « الشيشة » فأجمعهم ، وكان فيهم أفراد تاركون للصلاة فاستتبتهم وألزمتهم بما لي من النفوذ الديني والوراثي أن يحافظوا على الصلوات، ولما حضرت دروس السنوسية الصغرى في المدرسة واعتقدت أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد ماهو مقرر فيها من الصفات العشرين وغيرها تعبت تعباً شديداً في محاولة إفهام العوام فلسفة السنوسي الاشعرية فتعذر علي ذلك حتى كان بعضهم يبكي إذا لم يفهم ما أقرره . ويخشى ان يكون كافرا بعدم فهمها ، ثم من الله علي بالعلم بأنه لايجب على مسلم التقيد بها وان فيها خطأ وان الناس مغرورون بها . فكتبت لهم عقيدة سهلة الفهم والعبارة لايزال يحفظها الكثيرون منهم . وكنت أقرأ لهم في الفقه قسم العبادات من نهاية المحتاج في شرح منهاج النووي للشمس الرملي وكلهم شافعية فصار كثير منهم أفقه من طلبة العلم الرسميين

ولم أخص الرجال دون النساء بل أرسلت إلى نساء القرية من يدعوهن إلى درس خاص بهن في دارنا القديمة فكنت ألقي اليهن القول في العقائد وأحكام الطهارة والعبادات بعبارة عامية سهلة بدون كتاب ، وألزمتهن تغيير زيهن في اللباس بما هو أستر وأطهر بحيث تكون المرأة في الشارع كما تكون في حال أداء الصلاة ، وكان أكثر نساء القلمون تاركات للصلاة فصرن يصلين وحسنت حالهن في النظافة وفي معاشرة أزواجهن

وأما نساء أهل بيتنا (بيت المشايخ) فكن كلهن يصلين ويعرفن أكثر من واجبات الدين وسننه ، وزيهن في الدار وفي الخروج كزي المحتجبات من أهل المدن على تفوق في التدين والأدب ، وكان فيهن المتعلمات بقدر ما يسمح به ذلك الزمان فقد أدركت عمتي والدي تقرأ القرآن وسبق ذكرها وذكر غيرها ثم كثرن

في عهدنا بما لا حاجة الى بيانه، على أنني كنت اقرأ لهن بعض كتب الادب أو التاريخ أو الوعظ في ليالي الشتاء

ولا أنسى ليلة كنت أقرأ فيها خبر مقتل سيدنا وجدنا الامام الحسين السبط عليه السلام، وعلى قاتليه اللعنة ولهم سوء الدار، فكنت أبكي وتبكي عمتي الكبرى، وتقول لي تجلد فان القارىء لاينبغي له البكاء...

وأما المواعظ التي كنت ألقيها في المسجد فكنت أعتمد فيها على القرآن وقد وفقت لاستحضار الآيات الكثيرة في الموضوع الواحد من ذلك العهد، ثم على كتاب (الزواجر، عن اقتراف الكبائر) للشيخ احمد بن حجر الهيثمي الفقيه الشافعي فكتابه هذا خير كتبه، ومنه عرفت بدع البناء على القبور وتشريفها ووضع السرج عليها انها بدع ضلالة لعن النبي صلى الله عليه وسلم فاعليها وقد نقل فيها عن بعض الفقهاء وجوب هدم القباب التي تبنى على قبور الصالحين وأقره. وقد كان أهل قريتنا يتبركون بقبر السيد محمد القصيباني المشهور بالولاية. وهو الذي قال لي شيخنا أبو المحاسن القاوقجي عند تلقينه إيانا المسلسل بالاشراف انه من ذريته وأن أصلهم منا، وهذا مذكور في سلسلة نسبه الذي تراه في مقدمة كتابه (اللؤلؤ المرصوع) وقد كان لقبر القصيباني المبني في مقبرته مشكاتان كان النساء يضعن فيهما الشمع ويوقدنه ليلا، فمنعتهن منه

وكن يوقدن الشمع أو السرج في عليقة على شاطىء البحر ويربطن عليها خرقا من طالبات الاستشفاء أو غير ذلك لانه اشتهر أن هنالك وليا اسمه محمد زكا هو جد أهل بيت يسمى بيت زكا (بتشديد الكاف) فمنعت هذا أيضا

وكان في أرض القرية على بعد بضع دقائق مجرى ماء للمطر يسمى وادي الولية وفيه شجرة زيتون كبيرة تسمى زيتونة الولية كان كثير من المارة يتبرك بها، لما اشتهر من ان هناك ولية مدفونة وبجانبها شجرة آس كبرت وارتفعت ولم يرتفع غيرها من الآس في تلك الارض على كثرته لانه يقلعونه دائما للوقود، فأمرت رجلا ممن كانوا يحضرون درسي فقلعهما ليلا ولم يصب بشيء، كما كانوا يتوهمون

كل هذا قد كان مني وأنا طالب للعلم، ولم أكن رأيت شيئا من كتب الامام المجدد شيخ الاسلام ابن تيمية ولا من كتب تلميذه المحقق ابن القيم بل

كنت رأيت طعن ابن حجر هذا عليه في كتابه الفتاوى الحديثة وكنت أصدق ما فيها . ثم رأيت في طرابلس كتاب (جلاء العينين ، في محاكمة الاحمدين) للعلامة خير الدين الآلوسي البغدادي ابن الشهاب محمود الالوسي المفتي المفسر ، فعلمت منه أن طبقة ابن تيمية أعلى من طبقة ابن حجر الهيتمي ومن فوقه من العلماء بمراحل ، ثم ظهر لي أن الهيتمي هذا طعن على شيخ الاسلام ولم يكن رأى شيئا من كتبه ، وانما بلغه عنه مبالغته في الانكار على تأويلات المتكلمين لآيات الصفات وأحاديثها وطعنه على الشيخ محيي الدين بن عربي وابن الفارض وابن سبعين والعفيف التلمساني والرومي القائلين بوحدة الوجود ، وكان الهيتمي هذا مفتونا بالصوفية حتى غلاتهم كمحيي الدين (وقد سبق تحقيق القول فيه)

وكان أشعريا مقلداً يدين بتأويلات المتكلمين لآيات الصفات وأحاديثها عما يخالف مذاهب السلف والمحدثين لانه كان قليل العلم بالاحاديث وآثار السلف . وقد أنصف الالوسي فيما كتبه من تاريخهما فليرجع اليه من شاء

وأما الوهابية فلم أكن اعرف عنهم شيئا وانما كنت اسمع من الناس انهم مبتدعة ربطوا خيولهم في مسجد النبي ﷺ واول كلمة حق وقفت عليها في شأنهم لعلماء سورية كلمة مفتي بيروت العلامة الشيخ عبد الباسط الفاخوري في كتاب (تحفة الانام . مختصر تاريخ الاسلام) وانما عرفت تاريخهم بالتفصيل في مصر بعد هجرتي اليها ،

على ان هذا التاريخ طبع بعد هجرتي أيضاً . وقد كان من جرأة مؤلفه نشر نص دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب الى التوحيد وقوله فيها انها عين ما دعا اليه الانبياء والمرسلون ، وكان ذلك في زمن السلطان عبد الحميد إذ كان يعد الوهابيين أعداء له غير خاضعين لسلطانه

*

هذه خلاصة تاريخ نشأتي العلمية والدينية وأكثر مادونته فيه ان لم يكن كله معروف لبعض الاحياء في وطني من أترابي وممن هم أسن او أصغر مني ، وكان في جملته اعداداً من الله تعالى للمستقبل الذي أقامني فيه بفضله وكرمه

الآثار القلمية

﴿ من نظم ونثر وتصنيف ﴾

نظم الشعر

ذكرت في فصل استعدادي ما كان من اشتغالي بمطالعة بعض كتب الادب والتصوف من قبل طلب العلم، وانه كان بمحض الميل الفطري واللذة العقلية بدون إرشاد ولا تكليف من أحد، ولا بقصد مني الى غاية ولا منفعة مستقبلة، وانما رأيتني بعد تعلم مبادىء القراءة والخط في القرية غير مطالب بعمل دنيوي، في بيت فيه كتب، وميلي للعب مع الصبيان قليل، فليس أمامي شيء إلا هذه الكتب أتلذذ بمطالعتها، وكان والدي يرجىء ويسوف في وضعي في بعض مدارس المدينة (طرابلس) خوفا على أخلاقي وآدابي ان تفسد بمعاشرة أهل المدن كما تقدم فينتظر ان يرى من رشدي مايطمئن به عليَّ، وكان عمي السيد محمد كامل (والد السيد عبد الرحمن عاصم) يمكنه ان يقرأ لي شيئا من النحو والصرف إذ كانت صلتي به أقوى من صلتي بكل أحد ولكنه لم يفعل، وكان الشيخ محمود النصري زوج عمتي (وهو جد السيد عاصم لامه) يمكنه ذلك ولكنه عين قاضياً في محكمة الكورة العدلية، وعهدي به يقرأ النحو لعمي هذا ولابن عمه السيد محمد كامل، فلما جاء دوري انا ومن في سني من الاسرة شغل بالقضاء

أول ماظهر من تأثير كتب الادب وحفظ الشعر في نفسي نظم الشعر في حالات تعرض لي، وكان منها قصيدة في دعوة خادعة الى أكلة حلوى وصفت بها الداعي ومساوىء داره وقد كتبتها خلافا لما كان يعرض لي من مفردات ومقطوعات، وظلت عندي في مسودتها الى ان تعلمت فرأيتها صحيحة الوزن والاعراب، ولم أكن أذكر ذلك الا للاتراب من أمثالي، وكان اول من سمع نظمي من أهل العلم الاستاذ الشيخ احمد عبد الجواد القاياتي (والد المرحوم الاستاذ الشيخ مصطفى

القاياتي أحد خطباء الوفد المصرى) إذ كان هو وشقيقه الاستاذ الشيخ محمد القاياتي ممن زارونا بالقلمون من أفاضل المصريين الذين نفوا إلى سورية عقب الثورة العرابية . واتفق ان صار يكلمني ويبحث معي فأسمعته أبياتا كنت نظمتها فقال لي « بدايتك نهاية غيرك » ولا شك انه قصد بهذه الكلمة الترغيب والتنشيط ، وانه مع ذلك استكثر ذلك النظم الصحيح المعنى واللفظ المستقيم الوزن ، ممن لم يقرأ شيئا من الصرف ولا من النحو ، فضلا عن العروض وقرض الشعر

ذكرت في الكلام على نشأتي العلمية (اول ص ١٤١) انني كدت أشتهر بالشعر في السنة الاولى من دخولي المدرسة الوطنية (وهو سنة ١٢٩٩) وذلك انني بلغت وانا في المدرسة ان نسيبنا الاستاذ الشيخ محمودا النصرى الذى ذكرته آنفاً قد توفي ، فذهبت في المساء الى القلمون وفي اليوم الثاني جاش في صدرى ن أرثيه فنظمت مرثية طويلة قرئت بعد ظهر اليوم الثالث في حفلة التأبين بمسجدنا وقد حضرها كبار علماء طرابلس ووجهائها إذ جاؤا لتعزية والدي وسائر الاسرة وكان قارئها حسن الصوت والالقاء وهو السيد محمد العشي من اشراف القلمون فلما خلوت بأستاذنا الشيخ حسين الجسر بعد الحفلة قال لي : هل المرثية التي أنشدت في المسجد لاستاذنا الشيخ عبد الغني الرافعي؟ قلت لا، قال لمن هي إذن؟ فخجلت ان أقول انها لي بعد ان ظن انها بحسن انشادها لاديب العلماء العلامة الرافعي وقد تقدم ذكره . ففطن مما ظهر عليّ من الخجل والسكوت انها لي ، وقال أتقول انها لك ؟ اذاً أمتحنك ، ثم طلبها مني مخطوطة ، وكان يقرؤها في كل مجالسه الادبية ويقول انها لفلان الذى دخل المدرسة في هذه السنة ، فشهرني تشهيراً أخجلني من الناس الذين كانوا يذكرون لي تبجحه بي ، وانني أذكر منها مايعلم به انها كبيرة علي في ذلك العهد صغيرة في نفسها وهو

هو المنون فقصر دونه الاملا	لاحول للخلق منه بالاخلاص ولا
ولا تغرنك الدنيا بزخرفها	فانها كخيال عند من عقلا
او كالهشيم اذا ما الذاريات أتت	تذروه قد ضرب الرحمن ذا مثلا
(ومنها) يا نائماً وصروف الدهر توقظه	إن كنت في غفلة فالله ما غفلا

وأنت ياذاهلا عما يراد به مؤذن الموت نادى الناس حي على

فهذا أسلوب وعظها ويشبهه أسلوب مدح الفقيد ، وأما معانيها فهي تقليد للمألوف في المراثي من المبالغة في المدح بما يقصد به حسن اللفظ ومناسبته لصنف الممدوح ومركزه الاجتماعي دون مطابقته للواقع او عدمها

ثم انني في أثناء طلب العلم رثيت من توفى من كبار علمائنا وأصدقاء والدي بل أصدقاء بيتنا بما هو أرقى أسلوبا وأقوى مناسبة وأصح معنى ، وفي مقدمتهم شيخ الشيوخ الشيخ محمود نشابه ، والاستاذ الاكبر الشيخ عبد الغني الرافعي ، والمرشد الاكبر الشيخ ابو المحاسن محمد القاوقجي وقد تقدم ذكرهم في هذه الترجمة وكذا العالم المرشد الشيخ عبد الرزاق الرافعي ، والشيخ عبد القادر الميقاتي امام الجامع الكبير في طرابلس ، ومرثية هذا نظمت في ساعة وقرئت عقب دفنه ، وسائر تلك المراثي أنشدتها في حفلات التأبين في الجامع الكبير في اليوم الثالث للوفاة أو للعلم بها فان الشيخ عبد الغني والشيخ القاوقجي توفيا في الحجاز ، ودفنا في مكة المكرمة

ولم أرث من وجهاء الدنيا إلا الامير احمد حسان الايوبي من سروات الكورة (في جبل لبنان) رثيته بأمر والدي قال لي عند ماجاءه نعيه سنة ١٣٠٩ يابني هذا أكبر وجهاء الكورة وسيحضر حفلة اليوم الثالث والسابع له كبراء البلاد من المسلمين والنصارى ويؤبنونه وعلاقة أسرتنا بأسرته قديمة وقوية ، فيجب أن تنظم له مرثية تنشد وتكون بها .... فنظمت المرثية الدالية التي اشتهرت حتى كادت تذكر مع مرثية المعرى الدالية في فلسفتها ، ومرثية الشريف الرضي الدالية في تعظيم قدر المرثي بها ، وقد قلت في مطلعها :

ان المنية غاية الميلاد والنعش مثل المهد للاولاد

والله قد برأ الخلائق للبقا بعد الفنا وزيارة الالحاد

والموت باب النشأة الاخرى لنا وبها كمال الخلق والايجاد

ثم قلت بعد أبيات في وجوب السرور بالموت واستنكار الحزن والحداد ومضارهما وقبح عاداتهما .

أطبيعة ذا الحزن ليس يشذ عن ناموسه فرد من الافراد

أم ذاك مما أوجبته شرائع الأ ديان من هديٍ لنا ورشاد ؟
أم ذلك العقل السليم قضى على كل الشعوب بهذه الاصفاد
كلا فليس الامر ضربة لازب لكنه ضرب من المعتاد
فاخلع سرابيل العوائد إن تكن ليست بنهج العقل ذات سداد
وتقلد الحزم الشريف كصارم كما تنافح جيشها بجهاد
فانظر لموت الناس بالعين التي ترنو بها لولادة الاولاد
هاتيك مبدؤنا وهذا تمنا طرفان مستويان للنقاد
بل آخر الطرفين خيرهما فخذ بالاعتبار به والاستعداد

ومنها في وصف الامير ووصف جنازته

قد جاءه هذا الحمام فلم يكن إلا كبعض الضيف والقصاد(١)
لم يرض إلا نفسه منه قرى فسخا بها فاعجب لذا الإرفاد
وقضى الامير وما قضى إحسانه بل ظل كالاطواق في الاجياد
حفت به زمر وسار كشأنه بمواكب الاعراس والاعياد
دآقا على الاعناق لا عنقا كا قد كان إذ يعلو متون جياد
وسريره المرفوع أفصح منشداً (أعلمت من حملوا على الاعواد)
ما ذاك إلا البدر أمسى آفلا (أرأيت كيف خبا ضياء النادي)

وكنت أكره المدائح والتهاني الشعرية ولكنني لاشتهاري بالشعر كنت مضطراً إلى إرضاء بعض خواص الاصدقاء بشيء منها، فمنها الموشح الذي هنأت به صديقنا عبد الحميد بك الرافعي أشعر شعراء طرابلس بزفافه وكان ذلك في حياة والده الاستاذ الأكبر الشيخ عبد الغني الرافعي ونشرت نموذجا منها في المجلد ٣٠ من المنار . في الكلام على العيد الذهبي لعبد الحميد المهنأ

ثم انني بعد الاطلاع على شؤون الاجتماع وسياسة العصر بتأثير مجالس

---

١) كان في دار ضيافة الامير احمد حسان في عهد عزه مائة فراش ومائة لحاف و١٠٠ أو ٢٠٠ مخدة

المرحوم الوالد مع أصدقائه وقراءة الجرائد التي كانت تأتيه (وعنده وجدت بعض أعداد جريدة العروة الوثقى) ثم بتأثير صحبة أستاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر ومطالعة المجلات العلمية كالمقتطف والطبيب مالت نفسي لادخال المعاني العصرية في الشعر فكان مما نظمته في ذلك القصيدة التي سميت (قصيدة الجاذبية) وقد نشرت أبياتا منها في المجلد الاول من المنار ، والقصيدة الجمالية التي خاطبت بها السيد جمال الدين الافغاني في السنة التي جاء بها الاستانة ثم نشرتها في المجلد الثاني من المنار ، والقصيدة الشرقية التي عاتبت بها الشرق على تأخره عن الغرب

وكان آخر مانظمته من الشعر (المقصورة الرشيدية)التي عارضت بها مقصورة بن دريد ، وكان سبب نظمها اقتراح صنوي وزميلي في طلب العلم ومذاكرات الادب الشيخ عبد القادر المغربي ان أنظم مقصورة أهنئه فيها بزفافه فنظمت مائة بيت ونيف ، ثم بدا لي ان أتمها في معارضة الدريدية بابداعها معاني كثيرة من فلسفة هذا العصر وفنون الادب والاجتماع المناسبة له، ولاسيما الاصلاح الاسلامي الذي وقفت كل حياتي على السعي له ثم هاجرت الى مصر لاجله ، فزادت على أربعمائة بيت ، وقد ذكرت شواهد منها في حواشي أسرار البلاغة في طبعته الاولى سنة ١٣١٧ فلما قرأها محمود سامي باشا البارودي كبير شعراء العصر أعجب بها وسألني عنها فأنشدته بعضها ففضلها على الدريدية وطالبني بطبعها أو نسخها له ، ثم ذكرت شواهد أخرى منها في طبعته الثانية ، ونشرت في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام مازدته فيها بعد وفاته من خطته الاصلاحية في الازهر وما تم له منه (وهو في ص ٥٦٧ و٥٦٨) ثم نشرت في ص ٩٧٨ الى ٩٨٢ ما قبله من دعوة السيد جمال الى الاصلاح ووضعه وأعماله في مصر . وتقدم في الفصل الذي قبل هذا بعض القصة الغرامية التي فيها

وقد أنشدت محمد حافظ بك ابراهيم هذه القصة كلها وأبياتا أخرى فقال ان القافية تساعدك على هذا التطويل مع المتانة ولو انك تظهر بنظم الشعر لما كان لنا إلا ان نعكف على كتب الفقه نشتغل بها . وعسى ان أجد فرصة أشرح فيها غريب هذه المقصورة وأطبعها

ولا أحب ان يؤثر عني من الشعر غيرها إلا ان أجد مسودة القصيدة الشرقية وأنقحها ، والقصيدة الميمية التي مدحت بها السيد جمال الدين الافغاني في حياته وهي لا تستغني عن التنقيح وإن كانت منشورة في المجلد الثاني من المنار، وكذلك مراثي العلماء رحمهم الله تعالى ، على أنها كلها باكورة تلميذ ، لا مقصدات خنذيذ

وأذكر من صفة ذوقي للشعر انني كنت أكره منه المتكلف والمجون وما يقرب منه من وصف الشهوات وماهو صريح في التذكير بها حتى انني نشرت في المنار قصيدة الاستاذ الكبير الشيخ محمد محمود الشنقيطي البائية فاستبدلت منها بكلمة (المخلخل) كلمة (الروادف) فعاتبني عتابا شديداً ولم يقبل عذري بذوقي ووجداني، ولكن الاستاذ الامام عذرني في هذا، وكان أكثر مافي خزانة الادب لابن حجة الحموي من الشواهد على أنواع البديع مما يمجه ذوقي خلافا لأدباء بلدنا كلهم

(قسم المنثور من الخطب والمقالات والرسائل الشخصية)

انني لم أكتب شيئا بقصد المرون على الكتابة وتكلف الانشاء ولم يكلفنا أستاذنا الجسر في المدرسة الرجبية شيئا من ذلك إلا مرة واحدة كتب كل واحد من المحصلين خطبة في الموضوع الذي اختاره فأنشأت خطبة وعظية مسجعة لم أحفظ صورتها لأنني تكلفت فيها السجع ،وهو مما يكرهه ذوقي

وكنت أنتقد خطب الجمعة المدونة ولما عرض لي ان أخطب في مسجدنا أنشأت عدة خطب سميت الاولى منها الخطبة الحديثية وأذكر انني بدأتها بعد الحمدلة والشهادتين والصلاة على الرسول ﷺ وآله بما حاصله إننا معشر المسلمين نفتخر دائما بأننا أمة محمد خاتم النبيين ﷺ فأما أمة دعوته فهم جميع البشر وانما يحق الفخر لامة الاجابة منهم ثم طفقت أقول : هل تدعي إجابة دعوته ياتارك الصلاة وقد لعن تاركها مراراً، وقال « من ترك الصلاة فقد كفر جهاراً » هل تدعي إجابة دعوته يامانع الزكاة وقد قال كيت وكيت؟ هل تدعي إجابة دعوته ياتارك كذا من الواجبات ويافاعل كذا من المعاصي الخ ؟!؟

ولما أنشئت جريدة طرابلس برأي شيخنا الجسر ونظره و كان هو رئيس تحريرها غير الرسمي، رغبنا بأن ننشيء مقالات ينشرها لنا فيها نتمرن بها على الانشاء العصري وخصني بالذكر فكتبت مقالا في فلسفة الاخلاق نشره في أعداد متفرقة ولقبني عند ذكر اسمه في عنوانه بالاديب الاريب، ولكن كان من تأثير المقال أن فضله الناس على كل ما ينشر في الجريدة لغة وموضوعا، وانتقدوا عليه تفريقه وعدم إعطائي لقب (عالم) على كونه كان يشهد لي هو وغيره وقتئذ بأني صرت عالما، حتى انه ذكر لي هذا الانتقاد عليه، وأنه أجاب عنه بأنه خشي ان يعد هذا منه فخراً وتبجحا بأولاده !! وكان أغرب ما سمعت باذني في شأن هذا المقال ان كنا في (متنزه التل) مع جماعة من العلماء والادباء فذكروا من الانتقاد على الاستاذ أنه فرقه في اعداد غير متصلة على ما كان من استحسان الناس له والرغبة في قراءته متصلا. فقال الاستاذ الشيخ صالح الرافعي وهو تلميذ أستاذنا الشيخ حسين الجسر وابن أخته معتذراً عنه: ان رشيد افندي كتب هذه المقالة بقلم أعلى من قلم الجريدة والشيخ (يعني خاله) يتحرى في مقالاته العبارة البسيطة القريبة من افهام العوام، ففرق المقالة حتى لا يظهر علو قلمها على قلم الجريدة. فعجبت وعجب الحاضرون من جواب الشيخ صالح وحريته الغريبة فيه، وهو الذي قال فيه أستاذي وأستاذه المذكور: انه لم يأخذ أحد من أولادي أفكاري السياسية إلا صالح ورشيد. وقد نشرت هذا المقال في العدد الرابع من سنة المنار الاولى فليقرأه من شاء.

وكتبت قبله مقالة موضوعها (الشرف) لم أنشرها، واتفق أن اجتمعت في طرابلس بالخواجه اسكندر بك كاستفليس زعيم النصارى ووجيههم فيها — وكان قنصلا لدولتي روسية وألمانية معا — فاتفق ان ذكر معنى في الشرف عده عاليا أو طريفا، وكان مما تضمنته مقالتي، فذكرت له ذلك وأخرجت المقالة من جيبي وقرأته له لئلا يتهمني، فأحب أن يسمع المقالة كلها فقرأتها له. فقال لي كيف تكتب مثل هذا وتخفيه، أعطني هذه المقالة لارسلها الى بيروت وأنشرها لك في جريدة لسان الحال، فاعتذرت له بانها تحتاج الى تنقيح، فقال اننا لما كنا في سنك كنا نضحي أنفسنا لاجل الشهرة والظهور فيما هو دون هذا

وانما امتنعت لان موضوع المقالة كان في بيان آراء الناس في الشرف وغلط كل فريق منهم والحكم بعد ذلك بان الشرف الصحيح أو الرفيع هو مابينه الدين من التقوى والفضيلة، ذكرت هذا مجملا ورأيت ان الكلام لا يكون ناقضا لتلك الاغلاط التي حكمت بها على اللائذين بالشرف الوهمي، إلا اذا كان مفصلا بعض التفصيل ببيان كليات الشرف الرفيع، فأخرته لأدرس هذه الكليات ولم يتح لي ذلك في تلك الايام كما كنت أريد

وأما المكتوبات الشخصية فلا أذكر انني حفظت صورة مما كتبته منها قبل هجرتي الى مصر وهو قليل إلا كتابي التاريخي الذي أرسلته من طرابلس الى حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني في إثر مجيئه الى الآستانة، وما زالت صورة مسودته معي الى أن نشرتها في المنار ثم في ترجمة السيد جمال الدين وعلاقتي به من تاريخ الاستاذ الامام (راجع الجزء الاول منه صفحة ٨٤) وفيه ذكر ما كان له من الوقع الحسن عنده، وكتابا آخر أرسلته من طرابلس الى الشيخ سعيد أياس في بيروت عقب تلاقينا فيها ذكرت فيها وصف الصديق ومن يستحق هذا اللقب وشكوت اليه فيه أمر الشكوى من افتتان المسلمين بالالقاب الرسمية أو العرفية الخادعة والفخفخة الباطلة واعراضهم عن الكمال الحقيقي بخدمة الامة وأذكر انني نشرته أو ذكرته في المنار

شهرتي بالاجادة في الكتابة

على انني على قلة ما اطلع عليه الناس من آثاري القلمية قد اشتهرت في وطني بأنني كاتب مجيد، ولما زار الاستاذ الامام طرابلس سنة ١٣١٢ على ما أرجح قال الاستاذ الشيخ خير الدين الميقاني لرفيقه احمد فتحي زغلول ان السيد رشيد افندي أبلغ كاتب عندنا ولا يعدله أستاذاً في الانشاء إلا فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده افندي. فقال له فتحي: كذلك الكتاب المجيدون عندنا في مصر يعترفون بأنه لا أستاذ لهم في الانشاء إلا الاستاذ أو السيد جمال الدين (راجع ص٩٩٦ من تاريخ الاستاذ الامام) وقد أخذ الشيخ خير الدين قوله هذا من كثرة تنويهي بالاستاذ الامام، وباستاذه السيد جمال الدين الافغاني حكيم الاسلام. ولكني لم أكن أفكر في انني كاتب مجيد، ولا في أن لي أستاذاً في الانشاء

والحق ان الروح الذي نفخته العروة الوثقى في نفسي كان له أقوى تأثير في أسلوب كتابتي في موضوعات العروة وغيرها . ولم يكن لمقامات الحريري أدنى تأثير في ذلك وإن كان استاذنا الجسر كلفنا حفظها وكان يقرؤها درسا لنا لاجل ذلك، وقد حفظت خمسا منها، واذكر انني كلمته مرة في ذلك بل ناقشته فيه.

قلت له ان أسلوب المقامات ليس أسلوبا عربيا في التعبير عن المقاصد، وانما هو أسلوب مصنوع جل فائدته حفظ الكثير من مفردات اللغة، فمثلها كمثل من يبني داراً فيجعل فوق بابها نقشا جميلا يعجب الناظرين بدقة صناعته في نقشه وألوانه، ولا يمكن ولا يليق أن يجعل جميع حجرات الدار ومرافقها بهذه الصفة، وانه الخير لنا ان تقرأ لنا في مكان المقامات الجزء الثالث من احياء العلوم فأسلوبه بليغ في النثر المرسل، ومباحثه العلمية والدينية أهم وأنفع من مباحث مقامات الحريري، فلم يقبل رأيي هذا، فقلت له وانني أرى مقامات البديع أنفع لنا في الاستعانة على ملكة الانشاء العربي من مقامات الحريري لانه أسلوب عربي لا تكلف فيه، فلم يقبل هذا مني أيضاً

ثم انني في أثناء المذاكرة مع الاستاذ الامام في الادب والكتابة بمصر ذكرت له مادار بيني وبين أستاذي الشيخ حسين الجسر، وسألته عن رأيه فيه، فقال انك أنت المصيب، وإن رأيي في الحريري انه هو الرجل الذي أتقن التكلف

وجملة القول انني كنت بعد التقدم في طلب العلم أعلم ان جودة المقروء والمحفوظ تفيد في طبع ملكة الانشاء إذ طالعت في تلك الاثناء أكثر مقدمة ابن خلدون، ولكنني لم أقرأ شيئا ولم أكتب شيئا بقصد ان أكون كاتبا، كما انني لم أقرأ شيئاً من الشعر لاجل ان أكون شاعرا، ولا شيئا من العلم لاجل ان أسمى عالما، وانما قرأت كل ماقرأت بالهام الله تعالى وما فطرني عليه من حب الادب والعلم لذاتهما أو لما فيهما من الجمال المعنوي، فالكمال النفسي والعقلي، فالاستعداد للقائه تعالى ومثوبته في الدار الآخرة، وهذا هو الذي غلب علي بعد قراءة الاحياء حتى انني لم أكن أحفظ مع الطلبة مايحفظونه عند الاستعداد للامتحان السنوي الرسمي، لانني كنت أعده من طلب العلم لغير الله تعالى كما قلت من قبل، وانما هذه وسوسة لا ينبغي لاحد أن يتبعني فيها . وأما استعدادي لتحرير المنار فيعلم مما يلي :

كتاب الحكمة الشرعية

﴿ في محاكمة القادرية والرفاعية ﴾

عرض لي في أثناء طلبي للعلم باعث قوي وحافز وجداني لتأليف كتاب كبير في كثير من المباحث الدينية والاجتماعية ذات الشأن العظيم في الاصلاح الاسلامي، فكتبته في أوقات الفراغ بسرعة غريبة، فكان هو التمرن القلمي الوحيد الذي أعدني للاضطلاع بانشاء المنار ، من حيث لم أقصد به التمرن ولا الاستعداد لشيء ، بل بيان ما اعتقد انه الحق الذي يجب أن يعلم

ذلك ان الشيخ محمداً ابا الهدى افندي الصيادي المشهور طبع كتبا كثيرة في الاستانة ومصر وبيروت بث فيها دعاية واسعة النطاق لنفسه وأهل بيته، وللشيخ احمد الرفاعي الصوفي الشهير والمنتمين اليه نسبا وطريقة تتضمن تفضيله على الشيخ عبد القادر الجيلاني وغيره من الاولياء ، لمباراة كيلانية بغداد وحماه في الجاه . إذ نالوا بالانتساب الى الشيخ عبد القادر مقاما رفيعا وجاها عريضاً في العالم الاسلامي كله

وقد رأيت في هذه الكتب كثيراً من الاباطيل في الدين والتصوف والتاريخ فكتبت في الرد عليها مصنفا كبيراً سميته بما ذكرت في العنوان ، واستطردت فيه الى تحقيق مسائل كثيرة من الاصلاح

(منها) أصل التصوف وأطواره ، وما انتهى إليه عند أهل الطرائق التي تدعيه في هذا العصر ، وتقاليدهم وعاداتهم وأزيائهم وما يخالف الشرع منها

(ومنها) مسألة الزي في الاسلام ما يحل منه وما يحرم وما يكره وما يباح وما يفضل غيره بمنافعه أو زينته وما ينبغي للمسلمين في الاجتماع والسياسة من كونهم قدوة متبوعين لا مقلدين تابعين

(ومنها) مسألة تشبه المسلمين بغير المسلمين في الامور الدينية وغيرها من العادات والماعون والاثاث وآلات الحرب وسلاحه مافيه من مضار ومنافع

(ومنها) مسألة المهدي المنتظر وما حدث بسبب اعتقاده من الفتن والحروب وما كان ينبغي للمصلحين أن يتوسلوا بها الى الاصلاح والقوة بدلا من الاتكال على ما ينتظرونه منه

(ومنها) مسألة الخطابة التي شرعت في الاسلام للاصلاح العام في السياسة والاخلاق والآداب وما يختلف منها باختلاف الاحوال والاحداث والاطوار، فجعلها الخطباء الرسميون تقليداً صوريا كالعادات ، حتى فقدت ملكتها واكتفى أهلها باداء الواجب في الجمعة بخطب مدونة يحفظونها حفظا ، أو يقرءونها في القراطيس قراءة غير مؤثرة، ولا تكاد تتجاوز موضوعاتها مدح الشهور والمواسم الشرعية والبدعية والتذكير بالموت والتزهيد في الدنيا بدعوى انها منافية للدين أو مضادة له ، وبينت ما ينبغي من الاستعداد للخطابة الارتجالية وجعل الخطب بحسب الحاجة الى اصلاح الامور العامة كلها في الامة والدولة

(ومنها) مسألة الكرامات حقيقتها والخلاف في جوازها ووقوعها وأنواعها والحقيقي والصوري، منها وما دخل من بابها على الامة من الخرافات والفتن، وقد استغرق هذا البحث عدة كراريس، كانت مادة لما نشرناه في مجلدات المنار من مباحثها وتأويلها.

فهذا الكتاب الذي يزيد على مجلد كبير من مجلدات المنار كان خير استعداد غير مقصود لتوجه الفكر بعده إلى إنشاء صحيفة للاصلاح الديني . وقد نشرت بعض مباحثه في المنار منذ السنة الاولى، ومنها مقدمته التي وصف الاستاذ الامام رحمه الله انشاءها لما قرأها بقوله « أسلوب رفيع » على ما علم من عادته في التعبير عما يستحسنه من مقالات الجرائد بكلمته العرفية المصرية « موش بطال » و كانت هذه الكلمة منه تغيظ الكاتب البليغ ابراهيم بك المويلحي عند ما يطلقها على بعض مقالاته الأنيقة ، ولكنه كان اذا بلغ منه الاعجاب مبلغه الاقصى من مقالة قال فيها « طيبة »

واذكر انني قرأت هذه المقدمة في بيروت قبل هجرتي الى مصر للعالم التقي الحر الشيخ مرتضى الجزائري فبالغ في إطرائها والدعاء لي وقال ان هذا ليس في استطاعتك وانما استعملك الله بقدرته (أو إلهامه) واستشهد بحديث « اذا أحب الله عبدا استعمله »

ومسودة هذا الكتاب محفوظة عندي، وقلما يوجد فيها ترميج (شطب) في منثور أو منظوم لانني اعتدت من أول أمري ان لا أخط الجملة أو البيت من الشعر إلا بعد تمام التصور الذي أراه صحيح اللفظ والمعنى، ولما اطلع قراء المنار على مقدمته وغيرها

مما نشرته منه كبحث الازياء والكرامات اقترح علي كثير منهم طبعه وعرضوا علي الاشتراك فيه فامتنعت لان فيه كثيراً من المسائل الجدلية في الرد على الرفاعية وعبارات الكتب التي نشرها الشيخ أبو الهدى افندي مما لا توازي فائدته الدائمة إضاعة الوقت بتنقيحه ونشره ، وقد رجعت عن رأيي في بعض مسائله ، على اني كنت أطلع بعض ثقات العلماء في طرابلس عليها فتلاقي من ثنائهم وإعجابهم ما تلاقي ، إلا ان شيخنا الجسر قال لي في بعضها انها خلابة قلمية يوشك أن يوجد عند الخصم من تمكنه قوة القلم من الرد عليها بمثلها

وقد كان صديقنا الشيخ السيد عبد الفتاح الزعبي أخبر الزعيمين الكبيرين من آله السيد سلمان الكيلاني نقيب بغداد وأخاه السيد عبد الرحمن المحض خبر هذا الكتاب قبل هجرتي الى مصر ، فطلبه الثاني لطبعه في الهند فلم أسمح بارساله إليه ليطبع حيث لا أصححه ، رحمهم الله تعالى . اه

هجرتي الى مصر

تلك خلاصة ترجمتي وما انتهيت إليه في وطني من تربية صوفية ، وتعليم استقلالي ، وآثار قلمية ، وشهرة علمية وأدبية ، أشعرتني بانني مستعد لاستزادة من العلم والاختبار لا أجدهما في وطني ، وأنني قادر على خدمة ديني وأمتي ، بما لا تبيحه سياسة الحكومة في بلادي ، فعزمت على الاتصال بالسيد جمال الدين لتكميل نفسي بالحكمة ، والجهاد في خدمة الملة ، كما صرحت به في الكتاب الذي أرسلته إليه وهو في الآستانة ، فلما توفاه الله تعالى اليه ، واشتهر أن السياسة الحميدية هي التي قضت عليه ، ضاقت على المملكة العثمانية بما رحبت ، وعزمت على الهجرة الى مصر لما فيها من حرية العمل ، واللسان والقلم ، ومن مناهل العلم العذبة الموارد ، ومن طرق النشر الكثيرة المصادر ، وكان أعظم ما أرجوه من الاستفادة في مصر الوقوف على ما استفاده الشيخ محمد عبده من الحكمة والخبرة ، وخطة الاصلاح التي استفادها من صحبة السيد جمال الدين ، وأن أعمل معه وبارشاده في هذا الجو الحر

ولما يسر الله لي أسباب السفر ورضي لي به الوالدان رحمهما الله تعالى ورضي عنهما ، كتمت الخبر حتى لا يبلغ رجال الحكومة في طرابلس ، فأعطيت كل ما أريد حمله من متاع لفرح افندي انطون الاديب المشهور في طرابلس للاتفاق على أن نسافر معا في باخرة واحدة ، ومنه شهادات العلماء لي بالعالمية والاذن بالتدريس التي تعفيني من الخدمة العسكرية ، مع شهادات الامتحانات الرسمية . وذهبت إلى بيروت منفرداً فأخذت منها جواز السفر اذ كان (ناظر النفوس) فيها صديقي الاستاذ الشيخ صالح الرافعي وهو رئيس هذه المصلحة ، ولم أكاشف بهذا السفر في بيروت غيره إلا الامير شكيب أرسلان وعبد القادر افندي القباني الشهير صاحب جريدة ثمرات الفنون أقدم الجرائد الاسلامية في سورية ، وكان صديق الاستاذ الامام منذ كان منفيا في بيروت ، وكانت جريدته ثمرات الفنون هي التي تنشر آراءه وأفكاره ومقالاته كما بينته في الجزء الاول والثاني من (تاريخ الاستاذ الامام) وقد اتفق الثلاثة على ان والي بيروت اذا علم بأنني أريد السفر الى مصر فانه يمنعني منه ، فأوصاني كل واحد منهم أن أكتم الخبر

وعرض علي عبد القادر افندي القباني أن أقيم في بيروت وأتولى رياسة التحرير لجريدته إذ أخبرته بعزمي على إنشاء صحيفة إصلاحية في مصر ، فقلت له ان الحرية التي في بيروت لا تسعني ، قال أو تريد أن تنتقد جلالة السلطان عبد الحميد أو تخوض في سياسته ؟ قلت انما أريد اصلاح الاخلاق والاجتماع والتربية والتعليم ، قال ان لك أوسع الحرية في هذا ، قلت اذا أردت أن أكتب في فضيلة الصدق ومضار الكذب ومفاسده فأبين ان أكبر أسباب فشو الكذب في الامم الحكم الاستبدادي ، أتنشر لي ذلك جريدتكم ؟ قال لا ، لا ، عجل بالذهاب الى مصر ، ولا تخبر أحداً . وهذا الرجل لا يزال حياً وكان هذا في أوائل رجب سنة ١٣١٥ الموافق سنة ١٨٩٧

ولما حضرت الباخرة التي نزل فيها رفيقي فرح أفندي من ميناء طرابلس الى بيروت نزلت إليها في زورق مع الاستاذ الشيخ صالح الرافعي ناظر النفوس وليس شيء معنا يدل على إرادتي السفر ، وقد تساءل رجال الشحنة (البوليس) الذين

يفتشون المسافرين عني فقيل لهم هذا ضيف طرابلسي عند ناظر النفوس ، ولما استقرت قدمي في الباخرة تنفست الصعداء ، وحمدت الله تعالى أن منّ علي بالخروج من تلك البلاد ، وأنجاني من ذلك الوباء ، وقد اتصلت بالاستاذ الامام من أول يوم طلعت علي فيه شمس القاهرة ، وكان من أمرنا في التعاون على اصلاح الازهر ما أجملته في مقدمة هذا الكتاب وفصلته في تاريخه تفصيلا

فعلم مما تقدم أنني جئت مصر مستعد لهذا الاصلاح كأنني خلقت وتعلمت وربيت لاجله ، وكان أول ما علق بذهني من تقصير علماء الدين وحاجتهم إلى الاصلاح ما قرأته في كتاب الاحياء للغزالي من التفرقة بين علماء الدنيا الذين يلقبهم بعلماء السوء وعلماء الآخرة ، وشرهم الذين يتقربون إلى الملوك والامراء ، وبين العلوم المحمودة والعلوم المذمومة، ثم ما استفدته من شيخنا الجسر من حاجة علماء الدين إلى معرفة علوم العصر وعدم امكان الدفاع عن عقائد الاسلام وشريعته بدون ذلك — ثم ما استفدته من جريدة العروة الوثقى من توقف نهضة الاسلام ودفع دول الاستعمار عن ملكه واستعادة ما سلبوه منه على نهضة علماء المسلمين بالدعوة إلى ذلك ، ثم ما استفدته من كتب التاريخ القديم والحديث ولا سيما الحكيم ابن خلدون وتاريخ جودت باشا الوزير التركي الشهير ، واستفدت اختبارا كثيراً وعلماً بحالة هذا العصر من مذاكرتي لادباء النصارى الاحرار ولدعاة الدين (المبشرين) التابعين لجمعية الولايات المتحدة الاميركانية والاطلاع على كتبهم وجرائدهم ومن مطالعة مجلتي المقتطف والطبيب منذ طلب العلم ولا أزال أطالع المقتطف ما وجدت له فراغا

ثم كان ما استفدته بعد ذلك من الاستاذ الامام وغيره ومن معرفة الازهر بنفسي مادة عظيمة لما أقصده من إنشاء المنار ، ولا أزال أزداد علما واختباراً في كل يوم أستعين بهما على خدمتي للازهر وسعيي لاصلاحه في كل وقت بما يناسبه ، واني لأراه في هذا العهد ، أشد حاجة الى هذا الاصلاح منه في كل وقت.

الحاجة الى هذه الترجمة

هذه خلاصة ترجمتي في نشأتي وتربيتي وتعليمي وتصوفي التي أعدني الله تعالى بها لانشاء المنار ، وللتصدي للاصلاح الاسلامي العام ، حكيت بعض ما تذكرته منها حكاية تاريخية ساذجة ولم يكن يخطر ببالي ان أكتب شيئا منها قبل الشروع فيها للسبب العارض الذي ذكرته ، ولا أن أطيل فيها عشر هذه الاطالة ، ثم تذكرت أنها من مادة تاريخ الاصلاح الاسلامي في هذا العصر لأنني بفضل الله قد صرت من رجاله الذين لهم فيهم أثر قد يذكره مؤرخوه ويبحثون في أسبابه من جميع نواحيها ، فلا يجدون في قرية القلمون حيث ولدت ونشأت ، ولا في طرابلس حيث تعلمت ، أحداً يرويها لهم ، فقد كاد ينقرض الجيل الذي يعرفها فيهما ، وأعلم الاحياء بها عمي السيد محمد كامل العابد الزاهد القدوة وهو من شهداء الله على خلقه ، ولم يكتب من تاريخ بيتنا شيئا ، لا يطوف بنفسه طائف الشعور بالحاجة إلى هذه الكتابة ، ولو وجد داعيتها قبل شيخوخته لكان قادراً عليها ، وقد ذكرت فيما سبق أشهر اسماء من بقي من العارفين بها ، وممن فاتني ذكره منهم صديقي العلامة الفقيه الشاعر الاديب الشيخ اسماعيل الحافظ ، وقد كان صديقي السيد عبد الحميد الزهراوي نادرة الزمان كتب مقالا في وصف نشأتي ونشره في بعض الصحف لا أدري أيها : الجريدة أم المؤيد أم الحضارة ؟ وكان من زهدي المعيب في نفسي انني لم أحفظ نسخة منها

وأما سيري الشخصية والاجتماعية في مصر فيعرفها مجملة أو متفرقة كثير من أصدقائي وتلاميذي ، وإن أعلمهم بها وبسيري في السياسية الاسلامية والعربية والمنزلية ابن عمي السيد عبد الرحمن عاصم لانه يعيش معي منذ زهاء ربع قرن ، على أنني كنت ومازلت أكتم أكثر أعمالي التي يمكن كتمانها ، وقد كتبت قليلا من المذكرات فضاع بعضها ، ويمكنني كتابة سفر كبير في أعمالي السياسية وحدها .

ولكن المذكرات والوثائق الخاصة بجماعة الدعوة والارشاد ومدرستها محفوظة كلها ما كان منها في الآستانة وما كان في مصر ، وفي كل منهما عبر

للمسلمين في وزرائهم وأمرائهم وغيرهم . وفي مجلدات المنار وتاريخ الاستاذ الامام مادة غزيرة لهذه الترجمة

وقد طلبت مني احدى الجمعيات العلمية في شيكاغو ترجمة حياتي غير مرة فلم أكتبها لها زاهدا في الشهرة، وألف أحد علماء الامريكان المستشرقين اللاهوتيين (١) كتابا باللغة الانكليزية موضوعه (الاسلام وروح العصر بمصر) Islam and Modernism in Egypt . جعل فصوله الاولى في ترجمة حكيمينا الامامين المصلحين السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري اقتبس أكثر مادتها من مجموعة مجلدات المنار، يليها فصلان في ترجمة صاحب المنار وفي خطة المنار نفسه ترجم لي بعضها بالعربية فرأيته يتحرى فيه الصدق في التاريخ ، وهو قد قدمه الى مدرسته التي تخرج فيها فنال به شهادة علم اللاهوت، الذي صار به داعية للنصرانية على مذهبه البروتستنتي وقلما عرفت أحدا من هؤلاء المبشرين يتحرى الصدق

اهم ما في هذه الترجمة من العبر

اني أذكر قارىء هذه الخلاصة من طلاب العلوم الدينية والمائلين الى الاصلاح الاسلامي بمسائل مجملة منها، عسى أن ينتفع بها المستعد لها، ولهذا أقتصر على الكسبي منها دون الوراثي والوهبي ، وإن كان بعض ما يكتسب عادة بارشاد المربي والمعلم أو بفهم المتعلم قد كان عندي أشبه بالوهبي الالهامي، إذ لم يعن والدي ولا غيره من أساتذتي بتوجيهي إلى وجهة معينة في العلم ولا في العمل ، ولا الاستعداد للمستقبل ، وقد تذكرت في هذه الدقيقة كلمة لمستر متشل إنس الذي كان وكيلا للمالية بمصر وكان هو الرجل الوحيد الذي عاشرته وكثر اجتماعي به ومذاكرتي له من الانكليز في مصر، وكان الاستاذ الامام هو الذي عقد صلة التعارف بيننا لاسباب ظهرت لي بعد وبينت بعضها في تاريخ الاستاذ الامام وكان هذا الرجل من أشد الانكليز بل الناس استقلالا في فكره ، وحرية في رأيه ، وهو لا يزال حيا في بلاده، وقد قال كلمته هذه بعد طول الخبرة والبحث معي في المسائل

---

(١) هو مستر تشارلس أدمس الدكتور في الفلسفة واللاهوت بالارسالية الامريكانية بالقاهرة

السياسية والدينية، ورأى مني مالم يعهده في مصر من الحرية والاستقلال والشجاعة وعزة النفس، وهي: يظهر ان والدك قد عني عناية خاصة بتربيتك وتعليمك فوق ماهو معهود ومعروف في الشرق ... وقد نقلت عنه في المنار انه صارحني ثلاث مرات بأنه اذا كان الاسلام ماأمثله أنا والشيخ محمد عبده فهو مسلم

والحق انني لا أعرف شيئا من عناية والدي الخاصة بي إلا ماذكرت من كراهته لاقامتي في طرابلس لطلب العلم قبل بلوغي سن الرشد وثقته التامة من دياني وأخلاقي، خشية أن تعبث بي معاشرة أهل الهزل والمجون في المدينة (البندر) وليست هذه المنة بقليلة، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة،

وهذا ما أريد الاعتبار به مما ذكرته في هذه الترجمة تحدثا بالنعمة، وتذكيرا بمواضع العبرة

(أهم الفوائد والعبر لطلاب العلم الديني من هذه الترجمة)

١ - طول المكث في المدارس ضار

كتب لي أستاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر في شهادة العالمية أو (اجازة التدريس) اني طلبت العلم عنده مدة ثماني سنين تلقيت فيها المنقول والمعقول الخ (وكنت في هذه المدة أتلقى عن غيره أيضاً) والعبرة في هذا ان طول مدة التلقي والاخذ عن المعلمين لعلوم وفنون قليلة كالعربية والشرعية تضعف في الطالب ملكة الحكم، والاستقلال في العلم، وتحصر عمله فيما يسمع ويقرأ، حتى لايكاد يجد غيره فيما يقرر أو يملي، أو يصنف أو يفتي، ومن كان هذا كل عمله فلا علم له، وانما هو ينقل ماعند غيره علما كان أو ظنا، حقا أو باطلا، خطأ أو صوابا

وقد قال لي الاستاذ الامام عند ماعرضت عليه أن يكون الشيخ عبد العزيز جاويش من اخواننا خواص مريديه بعد عودته من أوربة: أي العلوم حصل في انكلترة؟ قلت لما أسأله عن ذلك لقرب العهد بعودته، ولكنه ذكي فصيح ذو همة وغيرة، قال سله عن مدة إقامته في الازهر قبل دخول مدرسة دار العلوم فان كانت طويلة تزيد على بضع سنين فاعلم انه قد فقد قوة الاستعداد للعلم وانه لم يحصل شيئا يعتد به

٢ـ النية وصحة القصد وتوجه الارادة

قال نبي الرحمة ، ومعلم الكتاب والحكمة « انما الاعمال بالنيات، وانما لكل أمريء مانوى » وان لصحة القصد ، وتوجه الارادة الى الامر ، أعظم التأثير في النجاح والفوز ، ولا شيء أنفع لطالب العلوم الدينية من الاخلاص لله تعالى فيها ، وقصد تزكية نفسه وتثقيفها بمعرفته الصحيحة وعبادته المشروعة ، ثم تعليم الناس وهدايتهم ، وأن يكون قدوة لهم في الحق والخير ، وتدبر ماعلمنا الله تعالى من دعائه بقوله (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما) وقوله (ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) وإن بين هذه الفتنة بتنفير الكفار عن الاسلام ، والامامة للمتقين فيه ، لدرجات بعيدة في الايمان والصلاح ، ودركات في الكفر والضلال

لما اشتغلت بطلب العلم في طرابلس وعرفت الاستاذ العلامة الشيخ محمد ابراهيم الحسيني وكان عائداً من الازهر وصحبته بالتبع لصحبة صديقنا المرحوم الشيخ محمد كامل الرافعي — كما تقدم في الترجمة — قال لي مرة : انني بعد أن أتم مطالعة أعلى كتب الاصول والكلام والبلاغة سأذهب الى الآستانة وأقرأ درساً في جامع السلطان احمد ، وذكر مايتوقع لهذا الدرس من حسن التأثير والشهرة، ومايعقبه من الفوائد . فقلت له مامعناه: انه لخير لك أن تنوي بقراءة هذه الكتب التقرب الى الله تعالى والاستعداد لخدمة دينه ونفع عباده ، وان منافع العلم بالجاه والمال قد تأتي تابعة لذلك ، ولا يصح أن تكون متبوعة له ، ولا مقصودة لذاتها . ثم رجع الاستاذ عن ذلك الرأي بعد أطوار مرت عليه كما تمر على أمثاله من كبار الاذكياء

ان الذين اشتغلوا بعلوم الدين بقصد اصلاح أنفسهم واصلاح غيرهم في كل جيل كانت الدنيا أشد انقياداً لهم ممن طلبوها بالدين وعلومه، ولكن أكثر أولئك قد زهدوا فيها ، وآثروا ماعند الله تعالى على جاهها ومالها، ولقد قال لي شيخنا الاستاذ الامام انني لولا قصد التوسل بدخول الحكومة المصرية الى التمكن من إصلاح الازهر لأبيت قبول أي وظيفة فيها . وقال لي لو كنت أريد أن أكون غنيا لكنت من أكبر الاغنياء . فليعتبر طلاب العلم في الازهر وغيره ممن يقصدون الجاه أو الثروة

بتاريخ الاستاذ الامام وعاقبة أمره، وما رفع الله من ذكره، وبغيره ممن لا غرض لهم من علم لدين الاعرض هذا الادنى، ليروا كيف كان قدوة صالحة في حياته وبعد مماته، وإنهم سيرون وسوف يرون من سوء سيرة تجار الدين ان بعض الفقر خير من الثراء، وان من الخمول والخفاء، ماهو أشرف من الشهرة والجاه، وان العاقبة للمتقين، والخزي والسوء على المنافقين (ولتعلمن نبأه بعد حين)

٣- الاستقلال والتقليد في طلب العلم

أنصح لكل طالب علم أن يتوخى الاستقلال بفهم مايلقنه من مسائل العلم، ثم الاقتناع بما يفهمه، وأن لا يكتفي بفهم أستاذه للعبارة دون فهمه هو، ولا باقتناع أستاذه بأن مافهمه هو الحق في نفسه اذا لم يقتنع هو بذلك، فالعلم بعبارة المعلم أو المؤلف غير العلم بمعناها، والعلم بصحة المعنى مرتبة فوق مرتبة فهمه من العبارة، وفوقهما مرتبة العبرة الباعثة على العمل بالعلم والاخلاص فيهما، ولن تكون عالما بالشيء نفسه إلا اذا كنت مقتنعا واثقا به، ولا يحصل هذا في غير البديهيات لا بالاستدلال، وقد يقع التقليد بالدليل كما يقع بأصل المطلب فاحذر هذا

واعلم أيها الطالب المسلم ان مايسمى بالاجتهاد في جميع أبواب الفقه هو مرتبة عالية من مراتب العلم الاستقلالي بالاحكام الشرعية سواء أريد به الاجتهاد المطلق أو الاجتهاد في مذهب واحد، وما أنصح لك به من الاستقلال في فهم كل ماتلقنه والاقتناع بصحته دون ذلك هو أدنى مراتب العلم، هو مالا تكون ذا علم صحيح في أي علم من العلوم أو فن من الفنون بدونه، هو مالا ترتقي عن دركة الجهل المطلق أو الجهل التقليدي مع فقده، فأنت محتاج الى الاستقلال في كل علم تطلبه وكل مرتبة من مراتبه، فلا تقلد من قالوا أن بعض العلوم قد أحاط به العلماء الاولون علماء فليس على من بعدهم إلا أن يقلدهم في كل مادونوه فيه بغير بحث ولا محاولة تمحيص ولا تحقيق

انما الاحاطة بالعلم من صفات الله الخاصة به، وقد أمر الله رسوله خاتم النبيين بطلب المزيد من العلم بقوله (وقل رب زدني علما) فكل ما كتبه البشر، وكل مايكتبونه ما كان ولن يكون إلا ناقصاً قابلا للكمال، ولا أستثني من ذلك علوم الحديث في الجرح والتعديل ونقد الرجال، وأجهل الجهل بالشيء ما كان قابلا للاحتمال،

٤ ـ آية العلم الصحيح النافع

العلم الصحيح ما كان صفة للنفس ، والعلم النافع ما كان باعثا على العمل الصالح ، والعمل الصالح ما صلحت به نفس العامل ، وكانت قدوة حسنة لكل من عرفها ، وآية ذلك كله شعورها بجهلها ونقصها ، وبحاجتها الى الاستزادة من العلم والاستفادة من كل شيء ، والى المزيد من الادب وتثقيف العقل وتزكية النفس ، ولا أحفظ عن أئمتنا في هذا المعنى أبلغ من بيتين للامام الشافعي (رض) هما أدل على علمه وفضله من مجلد يؤلف في مناقبه ، وهما عين الحق ، فلا تحسب انه قالهما من باب التواضع ، قال

كلما أدبني الدهـ ـــــر أراني نقص عقلي
واذا ما ازددت علما زادني علما بجهلي

٥ ـ آيات تزكية النفس الروحانية

قال الله تعالى (وفي الأرض آيات للموقنين * وفي انفسكم افلا تبصرون) وقال عز وجل (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) الآية وقال تبارك اسمه (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) الآية ، فمن لم ير في نفسه شيئا من آيات ربه ، ومن لم يتألق في قلبه شعاع من نور ربه ، فاسلامه صوري وراثي ، وايمانه تسليم ظني أو جدلي ، وهاتان الثمرتان للدين لا تؤتيهما شجرة الايمان الطيبة الثابتة الاصل ، الباسقة الفرع ، إلا بمجاهدة النفس ، (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) مع كثرة الذكر بالقلب واللسان له ، وا جمعه تدبر كتابه (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا * وسبحوه بكرة واصيلا) (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما)

ولكن الذين يدعون هذه الآيات في أنفسهم كثيرون ، وتراهم في ظلمات لا يبصرون ، يضلون الجاهلين بخرافاتهم ويأكلون اموالهم بالباطل ، ولا يستفيد

أحد منهم علما نافعا ، ولاهدى رافعا ، وانما الاسلام علم وهدى ،فلاتغتر بدعوى حي ولاميت ولابشهرته ، ولابخوارق العادات الصورية ولا المعنوية له ، واعتبر بما أفشيته لك على خلاف عادتي ، من تجاربي واختباري في بدايتي ، ومنه ان بعض الامور الروحانية التى تثمرها رياضة التصوف قد تكون فتنة تعقب صاحبها ضلالة ، وان بعض الأنوار التي تتراءى لبعضهم خيالات شيطانية ، وأن المكاشفات التي تحصل لهم كلها خواص نفسية ،هي كغيرها مما يكشفه العلم من السنن المادية ، والانوار الكهربائية ، فمن لم يزدد بها علما وعرفانا ، وهدى وايمانا ، كانت ضلالا له وطغيانا ، وأعني بالايمان اليقين بعالم الغيب ، وبالهدى الاعتصام بعروة الشرع ، فمن لم يؤت نصيبا من ذلك كان عرضة إما للشك المادي ، وإما للتقليد الخرافي ، فلا تنكر الخواص الروحانية اليوم خاضعا للافكار المادية الافرنجية ـ وهي من مفاسدهم بشهادة اعلم فلاسفتهم ـ ثم تعود غدا فتقلدهم باثباتها اذا انتصر المؤمنون بها على جاحديها ، فانهم قد شرعوا في البحث عنها بوسائل العلم العصري ، وقد آمن الألوف منهم بمباديها ، ولما يصلوا إلى غايات صوفيتنا فيها ، ولو طلبوها من طريقهم لوصلوا إلى ماانتهوا اليه ، أواسبقوهم فيه ، وسيسلكون كل طريق له فانهم ماشرعوا في شيء وتركوه ، وابعد الفروق بين الفريقين ان هؤلاء شاكون مجربون ، وان أولئك مؤمنون يطلبون أعلى مقام في العرفان ، وهو معرفة الخالق بآياته في الانفس والآفاق ، وتجلي أنواره فيما له من الاسماء والصفات.

واني ليسوءني ان يزورني بعض علمائهم من الشعوب المختلفة ليذاكروني فيما وصل اليه علمي واختباري منها ، وان يجعلني بعض جماعاتهم عضو شرف فيها (١) ثم لا أجد احدا من المسلمين يسألني عن شيء من هذا ، حتى الذين يرجعون الي في التفسير والحديث والعقائد وحكم الشريعة ، وقد كان هذا من أسباب ما كتبته في المسألة. وأهم منه التمهيد لما أريد كتابته في مسألة استحضار الارواح . وانتقل بعد هذه المقدمات الى تلخيص الشواهد على خدمتي للازهر وما كان لها من التأثير

---

(١) هي جمعية العلوم الروحانية والابحاث النفسية بمملكة رومانية العظمى كما جاء في خطابها الي في أول يناير سنة ١٩٣٣

أثارة من تاريخ دعوة المنار

(الى اصلاح الازهر)

كان المنار هو الصحيفة الدورية الوحيدة التي عنيت بالدعوة الى إصلاح الازهر وتجديد العلم وهداية الدين فيه وما يحتاج اليه في هذا العصر من العلوم والفنون ، التي نهض بها الاستاذ الامام قولا وفعلا ، وأيدناه بها كتابة وحجة ، وكان جمهور علمائه يتبرم بهذه الدعوة لعجزهم عن القيام بها ، لا لعدم حاجة الازهر اليها ، حتى اذا ما اضطروا الى العمل بكل مادعوناهم اليه في هذا العهد اضطرارا ، وأكرهوا على الاستعانة بخريجي المدارس الاميرية على ذلك إكراها ، كان ذلك إعترافا عمليا بعجزهم ، ولو أجابوا الدعوة وقبلوا النصيحة أولا لتخرج فيه بعد البدء بها كثير منهم ، ولتسنى لهم أن يقوموا بتعليم الكليات الجامعي بأنفسهم ، ولكان ذلك خيرا لهم وللازهر والاسلام ، من هذا التفرنج الخطر الذي نخشاه الآن ، ولما كان جزاء المنار على إرشادهم أن سبوه وشتموه في أول صحيفة رسمية أنشئت للازهر ، بل لحمدوه وشكروا له سعيه ، ولكن كانت هذه العقوبة للمنار أمنية لاشد خريجي الازهر مقتا لدعوته الاصلاحية في الباطن ، ومدحا لها في أول عهدها في الظاهر ، حتى اذا تولى تنفيذ الدعوة على غير وجهها ، شرع في عقوبة الداعي اليها ، فخذله الله عز وجل ونصر المنار عليه نصرا مبينا ، كما فصلناه في القسم الاول من هذا الكتاب تفصيلا

وقد رأيت بعد نشره وجمعه أن أقفي عليه باثارة من تاريخ المنار وإيراد الشواهد منه على هذا الاصلاح نقلا عن مجلدات سنيه الاربع الاولى إذ كانت الدعوة لينة هادئة ، وسأشير بعد شواهدها الى ماكان بعدها فأقول

شواهد مجلد السنة الاولى من المنار

(صدر العدد الاول من السنة الاولى في ٢٢ شوال سنه ١٣١٥ الموافق ١٥ مارس سنة ١٨٩٨ وكان جريدة أسبوعية يتألف كل عدد منها في ثماني صفحات كبيرة

انما أنشىء المنار للدعوة إلى الاصلاح الاسلامي بجميع أنواعه ولاسيما الديني باصلاح التربية والتعليم ، وبدأ من أول السنة الاولى بنشر المقالات الضافية في ذلك بعنوان الاصلاح وبعنوانين أخرى ولا سيما (منكرات الموالد) وكانت هذه المقالات تتضمن بيان تقصير علماء المسلمين فيما يجب عليهم من الاصلاح ، ومقاومة البدع والمنكرات ، وتلقي عليهم جل تبعة ضعف الامة وضياع دينها ودنياها ، وتطالبهم بالاصلاح الواجب عليهم ، وقد قال لي حسن باشا عاصم الفكر المصلح الشهير (رح) انني قرأتك وفهمتك ، إن الفرصة سانحة أمامك للاصلاح الذي تبغيه ، فانما لك فيه خصمان (أحدهما) الانكليز وهم لا يفطنون لك الآن (والثاني) علماء الازهر وهم ضعفاء لا يستطيعون مقاومتك !!

ولكنني كنت ألقى بعض كبرائهم فلا أرى منهم إلا حفاوة وتكريماً ولا أسمع منهم إلا ثناء وتحبيذا ، ولما حرضت عليَّ الحكومة التركية الحميدية جرائد سورية وجرائدها وحملة الاقلام من معمميها وغيرهم كتبت في العدد ١٧ الذي صدر في ٢٣ صفر سنة ١٣١٦ أحتج عليهم بثناء أكبر علماء مصر على المنار ومنه قول شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية الشيخ حسونة النواوي (رح) «ياليت كل الجرائد كالمنار» وقول العلامة الشيخ حسن الطويل [رح] «ان ما يكتب في المنار هو خير ما يكتب في الجرائد» [راجع ص ٣١٤ من الطبعة الثانية للمجلد الاول] وكنت أظن أن مثل الشيخ حسن الطويل في الازهر كثير ، ثم علمت أنه ليس له فيهم ضريب

ثم وجهت اليهم كثيراً من النقد والاقتراحات في المنار وفي مقالات نشرتها في جريدة المؤيد وغيرها أكثرها بغير امضائي الصريح ، وقد رد بعضهم على بعضها رداً أدبياً ليس فيه شيء من الكذب والبهتان والجهالة التي صخمت بها مشيخة الازهر مجلتها في هذا العهد: عهد رياسة الشيخ محمد الظواهري

﴿ الشاهد الاول من منار السنة الاولى ﴾

بدعة الاحتفال بمولد الامام الشافعي (رض)

كان أول نقد صريح وجهته إلى علماء الازهر في العدد الذي صدر في شعبان سنة ١٣١٦ - سبتمبر سنة ١٨٩٨ بدعة احتفالهم بمولد الامام الشافعي [رض] الذي يسمونه « الكنسة » لانهم يكنسون فيه قبة الضريح ويقسمون كناستها بينهم للتبرك بها ، وقد وصفتهم بما وصف به الامام الغزالي من كانوا خيراً منهم من مقلدة الائمة المجتهدين في عصره إذ قال فيهم « انهم ظلموهم وانهم أشد خصمائهم يوم القيامة » [ص ٣١٨ م ١ من الطبعة الثانية]

ونشرت شيئاً من سيرة الامام الشافعي في تعلمه وعلمه وعمله لبعد علماء هذا العصر عنها بعد السماء عن الارض

﴿ الشاهد الثاني ﴾

(أول انتقاد علمي على علماء الازهر تحريم اتباع السنة)

ثم صدر العدد التالي من المنار في ٢٤ شعبان من تلك السنة مفتتحا بمقال عنوانه [محاورة في اصلاح التعليم في الازهر] ضمنتها حديثا دار بين رجل لقبته بالانسان وآخر وصفته في المقال بشيخ من أكابر علماء الازهر ثم كنت ألقبه بالشيخ ، وكان سببه مقالا نشرناه نحن والمؤيد عن جريدة هندية ذكرت فيه أن علامة الهند شمس العلماء الشيخ شبلي النعماني الشهير [رح] قال في رحلته « ان التعليم في الازهر الشريف ليس كما يرام ، ولا ينتظر منه لبلاد الاسلام منفعة كبيرة ، ولا فائدة جليلة »

فأما الانسان فالمراد به الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وأما الشيخ فالمراد به الشيخ أحمد الرفاعي أحد أعضاء مجلس إدارة الازهر ، وكان ذلك الحديث في مجلس الادارة من الازهر

(خلاصة المناظرة بين الشيخ محمد عبده و الشيخ أحمد الرفاعى)

فى مجلس إدارة الازهر سنة ١٣١٦

كان أول الـكلام انتقاد للانسان على تعليم الازهر أنه لا حاجة إلى تكليف كل طالب فيه أن يدرس جميع مطولات كتب الفقه في مذهبه وإنما ينبغي أن يخصص بعض الفقهاء لقراءة المطولات لمن يرغب فيها ليتسع وقت الآخرين لعلم القرآن والحديث وأخلاق الدين التي هي الفقه الحقيقي عند الله ورسوله كما حققه الغزالي

فأجاب [الشيخ] هذا [الانسان] بما محصله أن علم الحديث لا حاجة إليه في هذه العصور البتة — أما من حيث الرواية فقد فرغ منه من قرون، وأما من حيث الدراية فلا يجوز لمسلم أن يأخذ بالحديث، بل الواجب الاخذ بكلام الفقهاء، ومن ترك كلام فقهاء مذهبه للاخذ بحديث مخالف له فهو زنديق، كبرت كلمة هو قائلها

فتعجب [الانسان] وقال أنا أرى ان الذي يترك كلام صاحب الشريعة المعصوم الذي يعتقد صحته وانه قاله، ويأخذ بكلام فقيه يجوز عليه ترك الحق عمداً وخطأ هو الزنديق.

فقال [الشيخ] يجوز أن يكون الحديث الذي يأخذ به ضعيفاً أو موضوعا.

فقال [الانسان] إنما كلامنا في حديث يعتقد أن النبي ﷺ قاله، ولا أقدر أن أفهم معنى اسلام رجل ينبذ ما يعتقد أن نبيه قاله لقول أي إنسان من الاناسي اه المراد من المحاورة (ص ٨٢٣ و٨٢٤ من الطبعة الثانية لمجلد المنار الاول)

وأقول الآن ان رأي الاستاذ الامام في وجوب التخصص الذي كنت أنصره فيه قد تقرر في الازهر ونفذ بعده. وأما هجر علوم الحديث وتحريم العمل به فلا يزال جمهور الازهر مصراً عليه، ولعل الشيخ احمد الرفاعي قد حضر من كتب الحديث على شيوخه مالم يحضره أحد من بعده، ولكن كان بقصد التبرك لا بنية الاتباع والعمل، مع ان الاستاذ الامام أقام عليه الحجة بما يراه من يراجع هذه المحاورة، وقد انتهى بهم هذا الترك لعلوم السنة إلى فضيحة الجهل التي يراها القاريء في ردنا على مجلتهم ومنه تحدينا لشيخ الازهر و كبار هيئة العلماء في الرد على مجلتهم

راي علماء الازهر وانتقادهم للمنار

(في السنة الاولى)

قد سننا منذ السنة الاولى للمنار ان ندعو القراء للانتقاد عليه ونذكر في خاتمة كل سنة جملة مايرد علينا من ذلك وما كان من شأننا فيه ، وقد كتبت في خاتمة السنة الاولى في هذا الموضوع مانصه :

« قلنا ان المنار نال رضى العلماء والفضلاء ، ولكنه لم يسلم من الانتقاد . أما علماء الازهر الكرام فقد أنكر بعضهم علينا مسألة واحدة وهي ماجاء في (محاورة في إصلاح التعليم في الازهر) من وجوب العمل بالحديث الشريف دون قول الفقهاء المخالف له ، ووعدناهم بأننا سنبسط الكلام في هذا الموضوع في مقالة نكتبها في (الاجتهاد والتقليد) اهـ (وقد وفينا وعدنا بمقالات كثيرة منها محاورات المصلح والمقلد التي جمعت في كتاب طبع مرتين)

هذه خلاصة ما أذكره مما نشرته في سنة المنار الاولى خاصاً بالازهر وكنت في أثنائها قليل العلم بحاله ، والاختبار لعلمائه وللتعليم فيه ، وانني أذكر فيما يلي عدة شواهد من مجلداته : الثاني والثالث والرابع على الدعوة إلى إصلاح التربية والتعليم فيه

وقد حدث بعد ذلك أن اشتد غضب الامير (الخديو) على الاستاذ الامام وتصدى سموه لمقاومة الاصلاح وتحريض العلماء عليه . وقد فصلت خلاصة ما حدث في ذلك وما انتهى اليه في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام — وخدمتي للازهر فيما بعد تلك السنين الى اليوم شرحها طويل

شواهد المجلد الثاني من المنار

(على عنايته باصلاح الازهر)

(صدر الجزء الاول منه في أواخر شوال سنة ١٣١٦ هـ — الموافق لشهر مارس سنة ١٨٩٩ م) فنلخص منه الشواهد الآتية معدودة بالارقام تبعا لما قبلها

(٣)

تنبيه الشيوخ الى فن التعليم الذي يجهلونه

(في صفحة ١٦م٢) من كلام في فن أساليب التعليم مانصه : وأبعدنا عن معرفة فن التعليم هم الشيوخ الذين يعلمون الدين وفنون اللغة في الجوامع والمساجد

(٤)

التعليم العملي أو بالعمل

(في ص ٢٦م٢)في آخر بحث في هذا الموضوع ما نصه : فكأين من أستاذ قرأ كتب السعد وغيرها مراراً وهو أعيا من باقل، وأعجز عن الكتابة من صبية المدارس ، وقد أحسنت نظارة المعارف المصرية بحظرها على معلمي العربية الكلام العرفي (البلدي) في أثناء الدروس وإلزامها إياهم أن يجعلوا شرح الدروس وتلقينها للتلاميذ بالكلام العربي الصحيح . وأجدر بشيوخ الأزهر الافاضل ونحوهم من معلمي المدارس الدينية أن يكونوا هم السابقين إلى هذه السنة الحسنة ، وعسى أن يتداركوا مافاتهم من السبق في البداية ، بالسبق والتبرز في النهاية ، فان السبق في نفس العمل المقصود ، خير من السبق في الابتداء والشروع اهـ

(٥)

[دلة العناية بعلم الاخلاق في الازهر]

(في ص٣٠م٢)تعليق على نتيجة الامتحان السنوي لطلاب الازهر واستحقاق الناجحين للمكافأة بعد نشرها ــ وهو من إصلاح شيخنا الاستاذ الامام رحمه الله ــ مانصه:

هذا ملخص الرقيم ويسرنا منه حسن النظام الذي يجري عليه مجلس إدارة الازهر الشريف ونرجو أن يترقى به إلى أعلى درج النجاح الممكن فان النظام روح السعادة في أعمال الانسان ، وساءنا أن الذين امتحنوا في علم الاخلاق -وإن شئت قلت علم الدين- جميعهم جمع قلة ، بل علمنا أنهم أربعة أخذ الجائزة منهم اثنان،وعسى أن يكون في الازهر ممن لم يطلب الامتحان عدد كثير من المشتغلين بهذا العلم فانه هو الاساس الذي يقوم عليه بناء السعادة الدنيوية والاخروية

(٦)

تأثير العلم في العمل وتقصير العلماء

(في ص ٣٨ م٢) في آخر مقال في الموضوع مانصه :

فثبت بهذا كله أن مبدأ كل ماحل بالشعوب الاسلامية من التأخر والانحطاط اهمال العلماء وظائفهم في الارشاد والتهذيب ، والداء انما يشفى بازالة علته وسببه واصطلام الجراثيم التي يتولد هو منها ، ولذلك جعلنا من مقاصد صحيفتنا الاولية بيان تقصير العلماء وأسبابه والبحث في العلل التي أفسدت التعليم وحالت بين المتعلمين وبين غايات العلوم والفنون التي يتدارسونها ، ومزج هذه المباحث بلوم العلماء تارة وحثهم على الاصلاح تارة أخرى ، وقد رأينا من أفاضل علماء مصر المنصفين وبلغنا عن مثلهم من علماء تونس والهند استحسان عملنا هذا وتقريظه، وأنه يرجى الانتفاع به ،فزادنا هذا نشاطا واجتهاداً والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

(ويلي هذه المقالة مقالة أخرى في الرد على عالم كتب مقالا اعتذر فيه عن تقصير العلماء وعززت هذه الثانية بثالثة)

(٧)

صد علماء الدين عن العلوم الرياضية والطبيعية الواجبة

(في آخر ص ٦٩ م٢) وما بعدها من مقال في الاصلاح الاسلامي بعد كلام في الاصلاح الديني في أوربة مانصه:

ونتيجة هذا كله ان الاصلاح الاسلامي يتوقف قبل كل شيء على اقناع العلماء ورجال الدين بأن العلوم الرياضية والطبيعية التي هي محور الثروة والقوة والعزة لازمة لامندوحة عنها، ويجب أن تعلم مع الدين، وأن يقوم بتعليمها رجال الدين لان تركها للمدارس الاميرية والاجنبية التي يقولون (لادين فيهما) يجعلها خاصة بمن لادين لهم، وهؤلاء لا يرجى منهم خير للامة والملة، ولا يسقط الوجوب بهم، وتركها بالكلية مذهب للدنيا والدين، إذ الدين لا يمكن حفظه إلا بالدنيا، فتعين أن يجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا (الرياضيات والطبيعيات)

ان الشريعة الاسلامية تصرح بأن تعلم الصناعات التي يحتاج اليها البشر في معاشهم واجبة على مجموع الامة ، وأن ما يتوقف عليه الواجب المطلق كالجهاد واجب أيضا ، ولا يستطيع أحد أن يقول ان الجهاد والصناعات ممكنة بغير هذه الفنون — مع هذا كله تجد أكثر رجال الدين عندنا يعادون هذه الفنون وأهلها بل يكفرونهم، ومنهم من عمي عن الوقت والزمان فزعم أنها لالزوم لها بالكلية

ومن العجيب أن فقههم يقتضي أن تعلم الفنون العسكرية التي يتوقف عليها إمكان الحرب الدفاعية ، فرض عين في أكثر البلاد الاسلامية، وهذا الحكم الذي لانزاع فيه بينهم يستلزم أن جميعهم فساق تاركون للفريضة وربما يستلزم أكثر من هذا ، ولا سيما استحلال هذا الترك

(٨)

إفساد الامراء والحكومات لعلماء الدين وسقوط نفوذهم

(ثم قلنا بعد هذا فيما اعتذر فيه بعضهم عن العلماء من افساد الامراء والحكام للعلماء ومنعهم من إرشاد العامة والنصح لها مانصه)

نعم ان الحكومة استمالتهم اليها بجعل معاشهم من الاوقاف في قبضتها وباعطائهم الرتب والوسامات حتى أذعنوا لباطلها وسكتوا على انحرافها عن جادة الشرع ، بل صاروا يمدحونها ويعظمونها تملقا ونفاقا، حتى سقطوا من عين الامة والحكومة معا وضعف نفوذهم فيهما ، ولو وقفوا عند الحدود المشروعة وقاموا بوظيفتهم

المقدسة مع مراعاة الحكمة، لزادهم الحكام والمحكومون تعظيما وتبجيلا، ولكل هذا أمثال مشهودة لايستطيع أحد انكارها

ثم ان جماهيرهم معرضون عن معرفة أحوال الوقت في غيبة عما يحتاجه الناس وعن طرق الوصول إلى تلك الحاجات بحسب الزمان والمكان ولذلك صار الناس لايشعرون بأن لهم حاجة إلى العلماء إلا في مسائل شاذة نادرة

ويسهل عليهم أن يختبروا حال الامة بالامتزاج بالعامة وتقصي أمورها المعاشية والدينية والادبية، والوقوف على رغائبها ثم إيقافها على ماتحتاج الوقوف اليه من الطرق التي توافق رغائبها، ويسهل عليها سلوكها . عند هذا تشعر الامة بشدة حاجتها اليهم، فتزيد في تعظيمهم وتبجيلهم وإكرامهم، ولهذا أيضاً أمثلة مشهودة لايستطيع انكارها إلا من يكابر الحس وينكر الموجود

من فهم هذا يتجلى له أن المنار قد خدم العلماء وتعمل في زيادة تعظم شأنهم، حيث قد ألقى معظم تبعة الامة عليهم، لان أكثر الناس كانوا يظنون أنه لاشأن لهم في الاصلاح، كما أنه خدم الحكام بعدم حصر التبعة فيهم كما كان يعتقد السواد الاعظم، وما أقصد بهذا وذاك إلا بيان الحق والاصلاح من طريقه . والله عليم بذات الصدور

(٩)

تعليم العلم الصحيح والخرافات في المسجد الحسيني

(في ص ٧٢ وما بعدها م ٢) محاورة بيننا وبين أحد كبار علماء الازهر كانت في المسجد الحسيني (١) موضوعها سكوت العلماء عن إنكار الخرافات الوثنية التي يأتيها الجماهير فيه وفي أمثاله، واعتذار ذلك العالم الشهير عنهم بان العوام لايقبلون إلا الخرافات وجوابنا له، وقد كان الاستاذ هو الذي افتتح الكلام في الانكار على عمل الطائفين

---

١) هو العلامة الشيخ محمد بخيت الشهير ولم أذكر اسمه يومئذ لأنه يتوقف على عرض المحاورة عليه واستئذانه بنشرها ولكنه هو اعترف بأنه هو المراد كما اخبرني المرحوم الشيخ عبد الكريم سلمان بعد صدور المنار بأيام

بالمشهد الحسيني بتلاوة قوله تعالى (ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) فقلت : إن لسان حالهم يجيبك بما أجاب به قوم ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) ولكن مابالكم يامعشر العلماء لا تبينون لهؤلاء العوام الجاهلين ان عملهم هذا وثنية وعبادة لغير الله ؟ فاعتذر عن العلماء ، وكانت هذه المحاورة سببا لما ألقيته من الدروس الخطابية العلمية في ذلك المسجد في رمضان تلك السنة (١٣١٦) وكان لها تأثير عظيم كاد يحدث ثورة في آخر رمضان ، واشتهر أمرها حتى سألني عنها الخديو في حفلة تشريفات عيد الفطر

(١٠)

تأويل بعض علماء الازهر لخرافات القبوريين في الموالد

(في ص٧٤ومابعدها م٢) عبرة في خبر غني من أغنياء الشرقية كان مغرما بالتقرب إلى الاولياء بالاحتفال في موالدهم ، وبذل النفقات المسرفة فيها حتى انه ينفق فيها جميع دخل أطيانه الواسعة ويزيد عليه ما يقترضه من صرافي اليهود بالربا الفاحش « فما زالت تلك البركات الوهمية ، والفيوضات الخيالية ، تمحق بالربا أمواله ، كما تحبط بالمعاصي أعماله ، حتى جعلته أفقر أهل زمانه ، وأمسى الصراف اليهودي يتمتع باثنين وثمانين فدانا من أطيانه ، وما زال ذلك الاحمق السفيه ، حيا يعيش في حجر أخيه » ثم استنبطنا من هذه الواقعة ما يأتي:

فهذه الواقعة الحقيقية تفيد أحد أمرين : إما أن الاولياء كسائر الاموات لايملكون للناس (ولا لانفسهم) ضرا ولا نفعا لا بالذات ولا بالواسطة والشفاعة وإما أن الاحتفال بالموالد يغضبهم ولا يرضيهم ، ويسوءهم ولا يسرهم ، فلذلك يتصرفون بفاعله أسوأ التصرف ويتوسلون إلى الله أن ينتقم منه أشد الانتقام ، فليتبصر المسرفون في أمرهم الذين ذهبت الاعتقادات الفاسدة بدينهم ودنياهم ، وليخش الله أهل العمائم الذين يقولون لهم بأنهم لايعتقدون أن للولي قدرة يقدر بها على النفع والضر فيكونوا وثنيين مشركين ، وإنما يعتقدون ان البركات تنزل عليهم من عند الله تعالى فتزيد في رزقهم وأعمارهم وتشفي مرضاهم بواسطة الولي

الذي يعظمونه ويحتفلون في مولده ، وليرجعوا بالمسلمين إلى السنة الصحيحة ، وسيرة السلف الصالح فقد نهى النبي ﷺ عن عمارة القبور وعن تعظيمها ، وما كان السلف يعرفون شيئاً من هذه البدع ، وما كان يخطر ببال أحد منهم أن يتوسط ميتاً في قضاء حاجته كما سبق لنا تفصيل ذلك غير مرة

(١١)

(التعليم الفطرى وتنبيه علماء الازهر له)

(في ص ٢٩٢م٣)مقال في هذا الموضوع الذي تنبه أهل المصر له في هذه السنين الاخيرة ومنهم أهل الازهر في كلياتهم ، وقد ختمت هذا المقال بقولي في تعليم علماء الازهر مانصه :

وإن تعجب فعجب قولهم : ان العالم من إذا قرأ الكتب التي درسها مراراً يفهم أساليبها ونكتها، ويقدر أن يأتي في المسألة الواحدة باحتمالات كثيرة — وربما لايجزم بشيء منها — ولا يشترط فيه أن تكون المسائل والقواعد راسخة في نفسه بحيث يأتي بجزئياتها بغير تكلف ولا ملاحظة قاعدة . حقا أقول إن كان هذا هو العلم فما أقل فائدة العلم وما أبعد المسافة بينه وبين سعادة البشر ، بل أقول ان العلم الذي لايؤثر في أخلاق النفس ولا يبعث ويزعج الى إصلاح أعمالها، فهو لغو لافائدة فيه البتة ولا يصح أن يسمى علماً . فان قيل فائدته القيام بافادة الناس بالتعليم . نقول ولماذا يتعلم الناس ما لا أثر له في أخلاقهم وأعمالهم التي هي مصدر سعادتهم ؟ قال بعض علماء التعليم من أهل الغرب :إن كثرة المطالعة تورث النسيان ، وكثرة المكث في المدرسة تورث البلادة . وقال قد ثبت بالاستقراء ان أكثر النابغين كانت مدة إقامتهم في المدارس قليلة . فعسى أن يتنبه طلاب العلم لاسيما الازهريين ومن على شاكلتهم إلى طريقة التعليم المثلى فيستفيدوا في الوقت القصير علماً كثيراً (وما يتذكر إلا من ينيب)

(١٢)

عذل الامة للعلماء على تقصيرهم وتنبيههم لتلافيه

(في ص ١٠٦ م ٢) تعليق للمنار على رسالة جاءتنا من أحد كبار المفكرين في دمشق (هو المرحوم عبد القادر بك المؤيد) يرد فيها على مقال في جريدة طرابلس الشام في الاعتذار عن العلماء، وهو مقال فندناه في هذا المجلد وهذا نص تعليقنا عليه

(المنار) طفقت الامة تتنبه إلى عذل العلماء ولومهم على تقصيرهم في إرشادها إلى ماتقوم بهامصالحها المعاشية والمعادية وفقاً لدينها القويم ، فهذه رسالة من أحد بلاد سورية، وعندنا رسالة أخرى أشد عذلا من هذه : تنبهت الافكار في جميع الاقطار ،فاذا لم يلتفت العلماء الى النظر الدقيق في أحوال العصر وماتقتضيه مصلحة الامة فيه، ويقوموا بالارشاد الصحيح الموصل للغاية يوشك أن لايمر بضع سنين الا والرأي العام منحرف عنهم أشد الانحراف ،بل ينتظر ماهو أعظم من هذا . نعم ان هذا مما نتوقع مضرته، ونخشى مغبته، ولكنه ليس بأضر من الخضوع الاعمى لهم وهم على ماهم من الشؤون التي تكلمنا عنها في مقالات كثيرة ، وسنزيدها شرحا وبيانا ، أليس من العار أن تكون كتب المشهورين بالنباهة منهم مملوءة بالخرافات والهذيان والغش من غير نكير ،وأن ينقل عن بعض أكابرهم القول بأن فن تقويم البلدان بل سائر الفنون الرياضية والطبيعية لا لزوم لها البتة ؟ أليس من الفضيحة أن يقول بعضهم ان الانتظام والترتيب مفسد للازهر ،ومذهب لبركته ، لان في الخلل القديم سراً روحانيا . كفى كفى ،من كتم داءه قتله، ليأخذ من لم يعرف احوال العصر برأي من عرف ، ليخضع من تقوم عليه الحجة لها، وليتفقوا جميعا على العمل قبل أن يخرج الامر من يدهم والسلام

(١٣)

التعليم القضائي

(في ص ١١٧ وما بعدها م ٢) مقال خاص بينا فيه وجه الحاجة إلى الاستعداد للقضاء

الشرعي بتعليم عملي خاص بالتبع لما بيناه في هذا النوع من التعليم واقترحناه على مشيخة الازهر — وقد ظهر للازهر وأهله صحة رأينا هذا بعد ربع قرن أو أكثر ولكن بعد أن أنشأت الحكومة بارشاد الاستاذ الامام واقتراحه مدرسة خاصة للقضاء الشرعي بعد اليأس من إصلاحه للازهر ، وشعر علماء الازهر بالغبن والسقوط الذي رزؤا به حتى أتيح لهم إلغاؤها ، والآن يعلمون في كلية الشريعة من العلوم المعدة لتخريج القضاة كل ما كنا اقترحناه عليهم منذ ٢٧ عاما وهكذا ظهرت لهم صحة رأينا في كل اقترحناه

(١٤)

النهضة الاسلامية في مصر والازهر

(في ص ٢٤١ — ٢٤٨ م ٢) مقالة بهذا العنوان بينا فيها أن الداعي الاول الى هذه النهضة هو السيد جمال الدين الافغاني وما كان من معارضة علماء الازهر له ثم لخليفته الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وقد أرجعوا أخيراً إلى رأي الحكيمين الذي تولينا بيانه وبسطه والدفاع عنه في المنار . وما أرجعهم اليه إلا جلالة ملك مصر ، وإننا لنخشى أن يكونوا آلات مسخرة لاساتذة التفرنج فيه

(١٥)

الاحتفال بذكرى المولد النبوي ومنكراته

(في ص ٢٨٨ م ٢) كتبت شيئا بمناسبة الشروع في مقدمات هذا الاحتفال الرسمي في الاسبوع الاول من شهر ربيع الاول سنة ١٣١٧ وقلت في وصفه « ولعمر الحق ان كل ذي مسكة من الدين جدير بأن يقشعر جلده ، ويقف شعره ، عند ما يرى ويسمع بأن يقام احتفال باسم الدين ، ليكون ذكراً لسيد المرسلين ، الذي بعث لتطهير أنفس الفساق ، وإتمام مكارم الاخلاق ، وإزالة المنكرات والرذائل ، وإتيان المعروف والتحلي بالفضائل ، وتقام فيه (أي الاحتفال) للفسوق كل سوق ، وتؤتى فيه جميع أنواع الفجور والعقوق ، وما عساه يوجد فيه من عمل ظاهره خير وبر فهو مخالف لسنن الدين وأحكام الشريعة وممزوج بالبدع والمنكرات كالرقص الذي يسمونه ذكراً الخ

واقترحت فيه على شيخ مشايخ الطرق أن يطلب من الحكومة إزالة مواخير الرقص والبغاء وحانات الخمر والحشيش وأن يعهد إلى بعض الافاضل بالخطب المناسبة الخ

ثم كتبت مقالة تاريخية إصلاحية في المولد نشرتها في ص ٢٨٩ ومابعدها بينت فيها ما يجب على العلماء وشيخ مشايخ الطرق من منع الفواحش والمنكرات فيه، واستبدال ما يؤيد السنة من الوعظ والعلم بالبدع الخ

(وأقول الآن ان جمعية لاهور الهندية التي تنشر في مثل يوم المولد كل سنة رسائل في مناقب النبي ﷺ وإصلاحه للبشر في أشهر اللغات الشرقية والغربية قد طلبت منذ ثلاث سنين من الشيخ محمد الظواهري شيخ الازهر أن يكتب لها رسالة لترجمتها ونشرها، فكتب إلى رئيس اللجنة يفتخر على الهند بهذا الاحتفال الرسمي المبتدع الذي يقام في مصر، على أننا نذكر له الحسنة بعد السيئة فنقول إننا رأينا في الجرائد في هذه السنة أنه كتب إلى الحكومة بأن تمنع المعاصي الظاهرة من احتفال المولد النبوي الشريف، وأما بدع مشايخ الطرق وأمثالها فلا يطلب منعها، بل هو أقوى أنصارها بمصر)

(١٦)

دروسنا الدينية في جمعية شمس الاسلام وتعليم الازهر

(في ص ٤٣٨-٤٤١ م ٢) خلاصة الدرس الاول من الدروس الدينية الاصلاحية التي كنت ألقيها في الاجتماع الاسبوعي لجمعية شمس الاسلام، وقد بدأته بذكر الشكوى في ذلك العهد من ضعف المسلمين واختلال أمورهم وتوقف إصلاحها على إصلاح التعليم الديني، ثم بينت تعريف الدين المشهور عند العلماء وكيف يكون التعليم الاصلاحي موافقاً له. ثم قلت كلمتين في تعليم الدين وفي البصيرة فيه، فأنقل الكلمة الاولى وأترك الثانية الآن لان موضوعها التعليم الاستقلالي المخرج للمسلمين من جهالة التقليد، وكان هذا أكبر ماينكره علماء الازهر على المنار ولذلك أطلت الكتابة فيه، ومنه الدرس الثاني التالي لهذا الدرس في الجمعية وموضوعه:

الدين والعقل والاجتهاد والتقليد (ص ٤٥٧) وفي المجلدات التي تلي هذا المجلد كثير منه ، وأما الكلمة الاولى وموضوعها « التعليم » فهذا نصها :

انما يؤخذ الدين بالتعلم ، كذلك تلقاه النبي عن الروح الامين ، وكذلك تلقاه عنه الصحابة وهكذا — كان التعليم بالقول والعمل ثم صار بعد ذلك صناعة ، والصناعات تقوى بترقي العمران وتضعف بتدليه ، وقد ضعف عمراننا فضعف تعليمنا حتى كاد يكون فهم الدين متعذراً . ان دين الاسلام هو دين الفطرة وهو أسهل الاديان تعقلا وأقربها منالا ، وأسهلها على النفوس . وقد قال ﷺ « بعثت بالحنيفية السمحة[1] ليلها كنهارها » وكان العربي يتعلم الدين من صاحبه في مجلس واحد

واننا نرى اليوم الذين يقدمون لتأدية امتحان التدريس في الازهر يخرج الكثير منهم مجروحا في العقائد والفقه والتفسير ، ويكون قد قضي في الازهر نحواً من عشرين سنة ولم يفهم الدين ، فاذا كان التعليم محصوراً في الطريقة الازهرية فمتى يتأتى تعميمه بين المسلمين .

ترون في الجرائد آنا بعد آن أن خلقا كثيراً قد دخلوا في الديانة الاسلامية وان سبب دخولهم فيها هو سهولتها وتعقل عقائدها وأحكامها وهو سبب متفق عليه بين الجرائد الاوربية والجرائد الاسلامية ، هذا وان الدين لم يبق على سذاجته

---

(١) هذا حديث ملفق من حديثين أوردته في الدرس الذي ألقيته ارتجالا كسائر الدروس والمحاضرات التي ألقيها على الجماعات ، والشق الاول رواه الخطيب بهذا اللفظ من حديث جابر (رض) بلفظ « بعثت بالحنيفية السمحة ، ومن خالف سنتي فليس مني » وروي عن عائشة في حديث لعب الحبشة في المسجد بلفظ « اني بعثت وأرسلت » رواه أحمد عنها بسند حسن بلفظ « لتعلم اليهود ان في ديننا فسحة واني أرسلت بالحنيفية السمحة » ورواه الديلمي بلفظ « واني بعثت » الخ ومن تراجم البخاري فى صحيحه « أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة » ورواه فى الادب المفرد عن ابن عباس بلفظ قيل يارسول الله أي الأديان أحب الى الله؟ قال « الحنيفية السمحة » وأما وصفها بقوله « ليلها كنهارها » فقد ورد فى حديث لابى الدرداء عند ابن ماجه

الاولى لان أحكامه امتزجت بمسائل الفنون الحادثة في الملة ووجد في كتبه مايتبرأ الدين منه ، فما بالكم لو كان الدين وأهله في هذا الزمن الذي اتصل به العالم بعضه ببعض على ما نعلم من حالها في النشأة الاولى؟ اه المراد منه وقد بسطنا هذا المعنى بعد ذلك مراراً كثيرة

(١٧)

﴿ الاصلاح في مصر ، وشهادة كبار علماء الاقطار بفساد تعليم الازهر ﴾

(في ص ٣١ م٥ م٢) من مقالة في الفرصتين السانحتين للاصلاح في مصر والدولة العثمانية مانصه :

وأما انتهاز هذه الفرصة فباصلاح التعليم في الازهر الشريف وبالاجتهاد بتعميم المدارس الاهليه على الوجه المرضي . ولا مجال هنا لبيان الاصلاح الازهري فان لجنة من أكابر علمائه تبحث في هذه الايام في طرق هذا الاصلاح فنرجيء الكلام فيه إلى أن تفرغ من بحثها ونعلم ما تقرره فاما ثناء وتحبيذاً ، وإما انتقاداً وتفنيداً .

وأظهر الدلائل على فساد طريقة التعليم المتبعة فيه من قبل أن الكثيرين أو الاكثرين من الذين يمتحنون للتدريس يجرحون فلا يمنحون درجة من درجات التدريس على مافي الامتحان من السهولة ، وما منهم إلا من يقضي خمس عشرة سنة في التعليم على الاقل . على ان الذين يمنحون شهادة العالمية ويؤذن لهم بالتدريس لايوجد واحد في المائة منهم يحسن لغة الدين قولا وكتابة بحيث يقدر على الكلام والخطابة باللغة العربية الصحيحة ويكتب بالاسلوب العربي البليغ . ولا يعقل ان أحداً يفهم القرآن والحديث اللذين هما ينبوعا الدين من غير أن تكون ملكة اللغة راسخة في نفسه

ولذلك ماورد أحد من علماء المسلمين وغيرهم إلى هذه الديار واختبر تعليم الازهر إلا وذمه وقال إنه لايرجى منه خير للمسلمين . فالاستاذ الشنقيطي من علماء المغرب ، والاستاذ الشيخ شبلي النعماني مدرس العلوم العربية في كلية عليكده

في الهند ، والاستاذ الشيخ احمد جان القازاني مدرس العلوم العربية في مدرسة عالمجان في بلاد قزان الروسية اتفقت كلمتهم مع اختلاف أقطارهم على أن التعليم الازهري لا يرجى منه خير للمسلمين اذا بقي على حاله،وأمثالهم كثير ولا حاجة الى الاستشهاد بكلام الافرنج لان قومنا لايقيمون لكلامهم وزناً،ويرجمون من يعبأ بكلامهم بأسوأ الظنون ، ولا ننكر أن تعليم الازهر على علاته وجوده خير من عدمه بالكلية .

كيف وقد حفظ لنا بعض علومنا وآثار سلفنا حفظا يحمد عليه وإن كان ناقصاً لايبعث على العمل الذي تحيا به الامة ؟ ولا يرجى أن تفيض الحياة الملية على الامة إلا اذا صار المتخرجون منه متقنين لوظيفتهم التي أنشىء الازهر ووقفت عليه الاوقاف لأجلها وهي حفظ الدين ولغته بحيث يقدرون على القيام بمنصب القضاء الشرعي على الوجه الصحيح العادل الذي لايثلم به شرف الملة والامة،وعلى إرشاد الخاصة والعامة والتعليم في المدارس النظامية ليبثوا الدين في جميع طبقات الامة،ويخاطبوا كل انسان على قدر عقله وعلمه،ويدفعوا عنه الشبهات العصرية،ولن يقدروا على شيء من هذا إلا بتغيير أساليب التعليم، وبالاطلاع على أحوال العصر وفنونه المتداولة ولو في الجملة وسنفصل ذلك في وقته إن شاء الله تعالى

(١٨)

(علماء الازهر والوعظ والارشاد في المساجد سنة ١٣١٧)

(في آخر ص ٦٢٣م٢) أن رئيس جمعية مكارم الاخلاق التمس من شيخ الجامع الازهر أن يختار أربعة من أفاضل العلماء للوعظ والارشاد في أربعة من مساجد القاهرة على أن تدفع الجمعية لكل واحد منهم ثمانين قرشاً في الشهر ! ! فأجاب الشيخ ملتمسه ، وأثنينا على رئيس جمعية المكارم وهو مؤسسها المرحوم الشيخ زكي الدين سند وعلقنا على الخبر بما نصه :

وهنا نذكر أننا كنا قد التمسنا في المنار من شيوخ الازهر أن يشغلوا بمثل

هذا العمل كل جوامع المدينة لأنه أهم وأفضل مايطلب منهم في هذا الزمان الذي عم فيه الجهل فلم يجب طلبنا أحد

ولما علمنا أنهم أجابوا الدعوة المقرونة بقليل من المال تذكرنا ماقاله لنا فيهم عقلاء المصريين غير مرة مما لا نذكره رعاية لحرمتهم ، ونعذر من يأخذ على عمله أجراً من جمعية خيرية اذا كان محتاجا اليه . ومع ذلك نقول أيضاً ان فيهم من يريد الآخرة كما ان فيهم من يريد الدنيا ، وإن النداء الاول ربما لم يبلغ مريدي الآخرة ، وربما يكون قد لبى النداء بعضهم من حيث لا ندري ، وعسى أن ينبري من عساه يوجد فيهم من المخلصين الملتهبين غيرة على الامة والدين فيزينون سائر المساجد بوعظهم وهديهم مراعين ما تمس اليه الحاجة مقدمين الاهم على المهم والله الموفق اه[1]

(١٩)

كنسة الامام الشافعي - وبدع حفلتها

(في ص ٦٢٤ م ٢) ما نصه :

احتفل العلماء في يوم الثلاثاء الاسبق بكنس ضريح الامام الشافعي رحمه الله تعالى ، وسيحتفلون قريباً بمولده ، وقد كتبنا في العام الماضي بهذه المناسبة نندد بما في هذه الاحتفالات والموالد من البدع ، وذكرنا ترجمة الامام عليه الرضوان وما كان عليه من نصر السنة وخذل البدعة . وقد بلغنا بمزيد السرور ان فضيلة مفتي الديار المصرية تواطأ مع فضيلة شيخ الجامع على إزالة هذه البدع تدريجاً فأزالا في هذه السنة بدعة توزيع الكناسة على العلماء التي كانت تؤخذ للتبرك وبدعة نقل العمامة التي توضع على القبر من رأس عالم إلى رأس آخر ، لان هذين العملين من عبادات الوثنيين في الهند «راجع ص ٤٢٥ م ٢» فحمداً للشيخين وشكراً ، ونسأل الله أن يوفق معهما سائر الشيوخ لامانة البدعة وإحياء السنة

---

(١) انني حضرت درس أحدهم لأرى ما يقرأ للعامة فاذا هو يقرأ ما ورد من الاحاديث في فضائل العلماء ومنها تشبيههم بالمصابيح وهل لفظ المصابيح مرادف للفظ السرج الذي هو جمع سراج كالكتب جمع كتاب أم هو نوع آخر من اللمبات الخ

(٢٠)

مولد الامام الشافعي

وقد كتبنا في «ص٦٦٤م٣» عن بدعة الموالد بمناسبة الاحتفال بمولد الامام، ما نذكره هنا - مقدما على محله في الشواهد - لمناسبته للشاهد السابق . وهذا نصه :

لما اخترع المسلمون مولد النبي ﷺ وصاروا يحتفلون له كبر ذلك على بعض العلماء الذين كانوا على طريقة السلف، وعدّوه ابتداعا في الدين، وشرعا لم يأذن به الله ، ذاهبين إلى أن الله لو أراد أن يكرم نبيه بذلك لشرعه لنا ، ولو أن لأحد أن يشرع مثل هذه الزيادة في الدين لفعلها الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون عليهم الرضوان ، لانهم أعلم بمقام النبوة وما ينبغي له، فما بال هذه العناية بتعظيمه لم تظهر إلا بعد ضعف الدين ، وما بال أكثر المحتفلين بها من أهل البدع والمعاصي المسرفين، لانهم لم يجدوا شيئا من هزلهم ولعبهم يخدعون به أنفسهم ويسولون لها انها على شيء من الدين إلا هذا، وممن أقام النكير على هذه البدعة صاحب كتاب المدخل (رح)

وأضر البدع وأشدها إغواء وضرراً ما يحضره صنف علماء الدين، لان هذا يكون غشاً للناس يجعلهم يعتقدون أن البدعة شعيرة دينية، ولهذا ضربنا صفحاً عن الموالد الكثيرة التي عملت بعد المولد الحسيني كالبيومي والرفاعي والعفيفي والسيدة زينب، ونبهنا بهذه الكلمات على مولد الشافعي، لان هذه الموالد يحضرها بعض العلماء ، وأما مولد الامام فهم الذين يحتفلون به ، فيحتج الجهلاء بهم على إماتة السنة وإحياء البدعة، وهذا أسوأ ما كان يسوء الامام في دار الدنيا ، لانه (رض) لم يكن له من عمل إلا إحياء السنة فما بالك وقد لقي الحق وأمسى في جواره ؟ ونحمد الله ان كثيرا من سائر الاصناف تنبهوا لفساد هذه الاعمال، وربما كانوا هم الذين يقوّمون العلماء اه

(٢١)

﴿ اقتراح على السادة العلماء ، في تقويم اعوجاج الوعاظ والخطباء ﴾

(في ص٦٨٩ م٢) مقالة بهذا العنوان لصديقنا رفيق بك العظم (رح) في الانتقاد على خطباء المساجد في حصرها في التزهيد في الدنيا والتخويف من الموت وفضائل الشهور والمواسم ، وما يجب عليهم من بيان ماينفع الناس في دينهم،

الشواهد من مجلد المنار الثالث

تابعة في العدد لما قبلها

(صدر الجزء الاول منه في غرة ذي القعدة سنة ١٣١٧ مارس سنة ١٩٠٠م)

(٢٢)

(نجاح التعليم في الازهر وفوز طلاب العلوم والفنون الجديدة)

(في ص٥٧م٣) بيان لنتيجة امتحان المكافأة لطلاب الازهر وأنه تبين بالاحصاء الدقيق أن المشتغلين بالعلوم التي يسمونها الجديدة كالحساب العملي والجغرافية كان نجاحهم في العلوم الدينية كالتفسير ومصطلح الحديث والفقه وكذا العلوم العربية فوق نجاح المنقطعين لها الذين لايتلقون هذه الفنون الجديدة

وانما بينا هذا لان كبار العلماء الذين كانوا ينكرون ادخال هـذه العلوم في الازهر لم يكن لهم شبهة على إنكارهم إلا أن علوم الدين ووسائلها هي العلوم المقصودة بالذات من الازهر، وأن الاشتغال بهذه الزيادة في دروسه تضعفها فيضعف الدين وكنت أرد عليهم في المنار وفي المؤيد وغيره، ثم رجع الازهر كله إلى رأينا

(٢٣)

﴿ التعليم في الازهر — والرد على عالم منه في مسألة العلوم الجديدة ﴾

(في ص٧٩ م٣) أن الشيخ محمد راضي البحراوي من أشهر علماء الازهر نشر مقالة في المؤيد يعترض فيها على مانشر فيه (وفي المنار) في مسألة نجاح التعليم في الازهر وأن المؤيد نشر بعد ذلك مقالة بامضاء (مجاور أزهري) يرد فيها على ماكتبه الشيخ مع كمال الادب والاحترام، ويلي هذا نص هذه المقالة. وقد كنت أنا الكاتب لتلك المقالة وقد بينت فيها سبع حجج دينية لوجوب الاشتغال بعلم الجغرافية على المسلمين ولا سيما الازهريين منهم

ثم كتب عالم آخر منهم يؤيد ما كتبه الشيخ محمد راضي بامضاء (ثابت بن منصور) ورددت عليه في المؤيد أيضاً رداً طويلا . ثم علمت أن هذين الشيخين الكبيرين وغيرهما من كبار علماء الازهر يعلمون أولادهم في مدارس الحكومة

جميع العلوم الدنيوية دون الدينية لاجل الدنيا لا لأجل الدين ، وكنت أرد عليهم ابتداء أو بالمناسبات كما ترى في الشاهد التالي

(٢٤)

﴿ تعليم العلماء أولادهم في المدارس لعلوم الدنيا التي يذمونها ﴾

(في ص ١٧٧م٣) عبارة في أواخر المقالة الثالثة من مقالات عنوانها (الدين والدنيا والآخرة) ما نصه :

ومن غريب تقلبات الزمان أن العلماء كانوا في العصور السالفة هم الذين يرغبون الناس في العلوم الدنيوية لعلمهم أن الدنيا سياج الدين ومزرعة الآخرة ، وكانت العامة على خلاف رأيهم . وأما في هذا العصر فقد انحط العلم حتى صار العلماء هم الذين ينفرون وينفرون عن هذه العلوم والفنون ، وصار قسم كبير من العامة يرغبون فيها ويحملون أبناءهم على تعلمها . والسبب في هذا ظاهر فان التطلع إلى سعادة الدنيا هو مرمى أبصار جميع الناس والعلوم الدنيوية في القرون السالفة لم تكن من وسائل الترقي في الدنيا، وانما كان العلماء مسوقون اليها بارشاد القرآن الطافح بالحث على النظر في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء ، وكانوا مكتفين من الثمرة بقوة الايمان ولذة العقل اللذين فيها ولم يكن للعامة حظ من ذلك . أما العلم بالقرآن وبما يرشد اليه من أنواع المعارف فقد ضعف في صنف العلماء، وانحصرت فوائد هؤلاء الدنيوية في مناصبهم الدينية ، وأما العامة فانهم رأوا الفائدة فيها فأقبلوا عليها، فكم من فقير حقير علم ولده فخرج موظفا أو مهندساً أو طبيبا فاستغنى بماله ، واعتز بجاهه ، وقد ساوى العلماء العامة في هذا الاقبال عملا وإن كان منهم من يذمه قولا

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها أفاويق حتى ما تدر لها ثعل

كتب الشيخ محمد راضي البحراوي أحد أساتذة العلم في الأزهر مقالات يذم فيها علم الحساب وتقويم البلدان ، وكتب غيره منهم يؤيد رأيه وزعما أن جميع شيوخ الازهر على رأيهما في ذلك، ولكنني علمت من بعض أهل الازهر أن الشيخ محمد راضي هذا بل الاستاذ الاكبر أيضا يعلمان أولادهما هذه العلوم

(٢٥)

المولد الحسيني والمنكرات والبدع والعلماء

(في ص٤٢٧م٣) كلام في هذا الموضوع بدأناه بقولنا: قد احتفل بهذا المولد الاحتفال المعتاد فكان أكثر بدعاً ومنكرات مما سبقه، على غير ما كنا نتوقع من مبادرة علماء الدين إلى السعي في محو هذه الفضائح بالتدريج عاما بعد عام»

وبعد وصف بعض هذه البدع والمنكرات ومنها بيع التماثيل السكرية من خصائص الموالد الموروثة من العبادات الوثنية، وشعائر الذاكرين مع الذاكرات والاولياء مع الوليات في المسجد المستمدين والمستمديات لقضاء الحاجات، قلت ما نصه:

هذا وان المسجد كان كما نعهد في الموالد مملوءاً بالاقذار كقشر الفول وغيره بحيث لا يمكن لأحد أن يصلي فيه إلا إذا كان معه سجادة يفرشها على تلك الاوساخ، ومع هذا كله نرى سادتنا وكبراءنا من العلماء الاعلام يغدون ويروحون هناك يهنيء بعضهم بعضا بهذا المولد «الشريف» والموسم المعظم، كما تهنئهم الجرائد بذلك: إسلامية ومسيحية. أليس الاجنبي معذوراً إذا اعتقد ان هذه الموالد من لباب دين الاسلام ومقت الدين لاجلها؟

(٢٦)

الدعوة الى الاسلام

اقتراح على الازهر سنة ١٣١٨هـ ١٩٠٠م

نشرت في جزء المنار الذي صدر في غرة جمادى الآخرة من سنة ١٣١٨هـ (ص ٤٨١) مقالة في الدعوة إلى الدين عنوانها (الدعوة وطريقها وآدابها) قفيت بها على مقالة قبلها عنوانها (الدعوة حياة الاديان) وقد بينت في المقالة الثانية ان لهذه الدعوة شروطا وآدابا لاتتم ويرجى نجاحها بدونها عددت منها ثمانية أولها معرفة لغات من توجه اليهم الدعوة، وختمت المقالة بالاقتراح الآتي:

هذا ماعن لنا الآن من مهمات شروط الدعوة وآدابها فاذا اقترحنا على فضيلة

شيخ الجامع الازهر أن ينتخب بمساعدة مجلس إدارته طائفة من نجباء المجاورين للاستعداد للدعوة والقيام بشروطها وآدابها هل ينظر في اقتراحنا ويجيب طلبنا ؟ أم يقول إن هذا ليس من وظيفة الازهر ؟ وإذا فرضنا ان شيخ الجامع الازهر لم يلتفت لهذا الطلب ولم يصغ لهذا الاقتراح وهو الملقب بشيخ الاسلام فهل نطلبه من المستر دنلوب سكرتير المعارف في مصر والقابض على أزمة المدارس ؟ أجيبونا يا أولي الالباب ، ولكم الاجر والثواب ، وإلا قلنا يجب قبل كل شيء دعوة المسلمين إلى الاسلام ، حتى إذا قبلها الكثيرون يوجد من يغار على الدين ويقوم بحقوقه ، ويسعى في إعلاء كلمته ، وتعميم هدايته ، وهذه هي الدعوة التي لا يمكن شرحها في الجرائد وإنما توكل إلى عمل العاملين ، وسعي المصلحين ، والله ولي المتقين

فضل المنار على الازهر

بعد انقضاء ثلث قرن كامل بالحساب الشمسي وهي ٣٥ سنة بالحساب القمري على هذه الدعوة المنارية الموجهة إلى مشيخة الازهر سمعنا صوت الازهر في مثل ذلك الشهر الذي وجهناها فيه (وهو جمادى الآخرة سنة ١٣٥٣) منعكسا عن الصحف بالعزم على إرسال بعض المتخرجين فيه إلى بعض الاقطار النائية كاليابان لاجل الدعوة الى الاسلام ، وسمعنا أصوات الباحثين يتساءلون عن درجة استعداد الازهريين لهذه الدعوة ، فليرجع إلى مجلد المنار الثالث من شاء ليعرف فضله في إرشاد الازهر وغمط مشيخة الازهر الحاضرة لحقه في ذلك ، إذ لم يوجد شيخ للازهر غمط حق المنار كشيخه الاحمدي الظواهري الذي تنفذ على يده أو في عصره جميع إرشادات المنار السابقة لهذا المعهد القديم

(٢٧)

الموالد والمواسم : هل يمكن الانتفاع بها ؟

﴿ مصاب الاسلام برؤسائه ﴾

(في ص ٥٠١ و ٥٠٢ م ٣) بحث في هذه المسألة أشرنا فيها إلى تفنيد رأي الذين يقولون ان اجتماعات الموالد معارض عامة وأسواق للتجارة نافعة، بأن البلاد لا تربح فيها شيئا من خارجها ، ومما قلناه : كيف يصح أن يقال ان هذه الموالد معارض عمومية ، وينابيع للثروة ، إذا كانت الفائدة المادية محصورة في البغايا والراقصات والمشعوذين وبائعي الحمص ؟ والفائدة الادبية تزداد في كل موالد اضمحلالا وتلاشياً حتى كاد الدين والادب يزولان بالمرة . ثم ختمنا الكلام بما نصه :

«من يقول : إن اجتماعاً يضم المليون والمليونين من الناس في بلد واحد كمولد السيد الكبير لا يمكن الانتفاع به لو وجد في الامة رؤساء للدين والدنيا همهم القيام والسعي في المصلحة العامة التي ترقي الامة حسا ومعنى ؟ ولكن هذه الامة المسكينة التي لم يوجد دين اجتماعي كدينها ، ولا شريعة عمرانية كشريعتها ، بليت برؤساء فردانيين في الدنيا والدين عموا عن كل ما في القرآن من الاصول الاجتماعية حتى لا تكاد تجد في كتب علمائهم — فضلا عن كلامهم اللفظي — ذكراً للامة ، كما لا تجد في أمرائهم وملوكهم إلا المستبد فيها بسلطته الشخصية ، الهادم لقواعدها الدستورية الشوروية ، على ما بيناه مفصلا في المقالات التي نشرناها في السنة الاولى تحت عنوان قوله تعالى (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا)

فاذا كانت الصواعق التي تنقض على رءوس الامة ورءوسهم آنا بعد آن قد أيقظت هؤلاء الرؤساء من نومهم المستغرق فلا شك انهم يمكنهم تحويل مضار هذا الاجتماع الى منافع مادية ودينية وأدبية ، وسنبين ذلك في جزء آخر » اه

ثم نشرت في ص ٥٢٥ منه بحثاً آخر في الانتفاع بالموالد أو منع مفاسدها وذكرت أن لذلك طريقتين أقربهما إصلاح الحكومة إن أرادت ، والثانية العلماء ومشيخة الطرق ، وأن بعض الناس يتهمون جماعة العلماء بأنها لا تريد هذا الاصلاح لان

لما هوى ومنفعة من هـذه الاحتفالات !! ولم أوافق هؤلاء الناس في هـذه التهمة على اطلاقها

وذكرت أنه كان من نتيجة مراجعتي لشيخ مشايخ الطرق بالاصلاح (وهو المرحوم الشيخ محمد توفيق البكري الاديب الوجيه الكبير) أن ارتأى تأليف كتابين في ذلك أحدهما يسمى (الشيخ) وهو في وظائف شيخ الطريقة وآدابه ، وثانيهما يسمى (المريد) في آداب المريد ووظائفه ، واقترح علي تأليف هذين الكتابين ، فقلت له ان تأليف الكتب في هذا ليس بالعسير ولكن العسير إلزام أولئك المشايخ الجهال العمل بما فيها ، وبينت وجوه عسره بل استحالته وطريق الاصلاح الوحيد إن وجد من يسلكه فليراجعه من شاء

(٢٨)

﴿ الدعوة إلى الديانة البهائية في الازهر ﴾

(في ص ٥٤٧ م٣) كلمة وجيزة عنوانها (الديانة البهائية، وكتاب الدرر البهية) خلاصتها أن البهائية كانوا يدعون إلى دينهم سراً بإيهام أنهم مسلمون يدعون إلى الاصلاح ، وان كتاب (الدرر البهية) الذي صدر في تلك السنة قد ألف لنشر هـذه الدعوة ، وأن ملتزم طبعه والمتولي نشره طالب مجاور في الازهر (١) وأن حجرته في الرواق العباسي فوق مجلس إدارة الازهر ومكان شيخه الأكبر ، وان هذا الكتاب الذي هو أول كتاب طبع لهم في مصر لاجل الدعوة هو أضر من كتب دعاة النصرانية (المبشرين) وبينت وجه ذلك ، وأن بعض أهل الغيرة من العلماء علم بذلك فانتهر هذا المجاور وهدده بالطرد من الازهر وأرسل نسخة من الكتاب إلى فضيلة شيخ الازهر ونبهه لما فيه ليفعل مايجب عليه

وذكرت أيضاً أنني أشرت إلى هذه الدعوة وكتابها في المقالة التي نشرتها بعنوان (الدعوة حياة الاديان) بل أقول انني كتبتها للرد عليه ولم أصرح باسمه لئلا تكون سبباً لاشتهاره ، ورجوت شيخ الازهر أن يقوم بالواجب ويصطلم

---

(١) هو الشيخ فرج الكردي وقد اشتهر بعد ذلك

هذه الفتنة من الازهر ويزيلها من فوق رأسه. وأما العالم الغيور الذي انتهر المجاور الداعية وهدده ونبه شيخ الازهر فهو الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وكنت أنا الذي أخبرته الخبر، ولذلك لم يسع شيخ الازهر إلا أن يعاقب المجاور الملتزم لطبعه ونشره بقطع جرايته وراتبه من الازهر مدة أربعة أشهر بناء على اعتذاره بأن مقدمة الكتاب نشرت باسمه من غير اذنه، وأنه هو إلى الآن لم يعلم بما في الكتاب مما يخالف دين الاسلام، وقد شكرت هذا لشيخ الازهر في (ص٥٧٤) وقلت فيما بعدها: إن من العارفين بناشر هذا الكتاب من يعتقدون أنه دخل في الديانة البهائية وإن كان اعتذاره هذا يتضمن الطعن على دعاتها بالتزوير. وقد قاومت هذا الكتاب في مواضع أخرى وبينت ضرره وانخداع المسلمين به حتى قرظته جريدة اللواء الخ

ومن ذلك أنني اقترحت على شيخ الازهر (في ص٦٢٤) أن يطلب من الحكومة جمعه ومنع بيعه فلم يستجب

(٢٩)

تقاليد مشيخة الازهر

نشرت في ص ٥٤٩ م٣ وما بعدها تحت هذا العنوان ما نصه:

تحكم العادات والتقاليد على صنف العلماء كما تحكم على سائر الاصناف، ولكن حكمها على العلماء يتعدى ضرره إلى الامة كلها لما يكون له من الاثر في تأخر العلم والتهذيب اللذين هما حياة الامة

وقد صار من المعلوم لجميع النبهاء في القطر المصري وغيره أن طريقة التعليم في الازهر معوجة ملتوية، مشتبهة الاعلام، طامسة الصوى والمنار، وانها لطولها وكثرة حزونها لاتكاد تؤدي إلى الغاية، حتى ان السنة تمضي ولا ينجح من ألوف الطلاب في الازهر عدد يتجاوز مرتبة الآحاد. ولا خلاف بين العقلاء والفضلاء في وجوب إصلاح هذه الطريقة التي لاوجه للمتمسكين بها إلا أن آباءهم الاقربين ومشايخهم المتأخرين كانوا عليها. ومن المصرين على وجوب البقاء عليها صاحب

الفضيلة شيخ الجامع الازهر لهذا العهد فهو لا يلتفت إلى كثرة شكوى الشيوخ والعلماء الآخرين منها وطلبهم الاصلاح ولو تدريجا . وفي هذا وقائع وحوادث كثيرة آخرها ماقرأناه اليوم في المؤيد الاغر من طلب شيخ الجامع الدسوقي من مشيخة الازهر إصلاحا في فرع من الفروع وهاك خلاصته

كتب شيخ الجامع الدسوقي إلى مشيخة الازهر الكبرى ماملخصه :

إن طائفة من طلبة الجامع الدسوقي لايحضرون الدروس إلا في أيام المولد لاجل أن يقاسموا الطلاب مايأخذونه من النذور التي جرت العادة بتوزيعها عليهم وهؤلاء الدخلاء منهم من يحضر كتب الدرجة الثانية بل و كتب الدرجة الثالثة لينالهم نصيبها وهم ليسوا بأهل لما قبلها . وبالجملة ان النذور على هذا تعطى لمن لم يستحقها ويمنعها مستحقها أو ينقص نصيبه منها ثم قال « ولو بقي الحال على ماهو عليه الآن لضاعت الثمرة من العمل ولا يكون للجامع مستقبل حسن، ولهذا تطلب مشيخة الجامع الدسوقي من مشيخة الجامع الازهر الشريفة النظر في وضع قاعدة لذلك يكون أساسها امتحان من يريد الانتقال من درجة إلى درجة أرقى منها ، وثبوت استحقاقه نصيب الدرجة المرغوب النقل اليها » اه

***

فأجاب صاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر عن هـذا في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣١٨ نمرة ١٩ بما نصه :

« علمنا ماذكر نحوه بافادة حضرتكم نمرة ٢٤ الواردة في شأن طلبـة العلم بدسوق الذين هم من أهلها ، وطلبتم النظر في شأنهم ووضع قاعدة تكون أساساً لامتحان كل من يريد الانتقال من درجة إلى مافوقها ، وامتحان أرباب الدرجة الثانية وهلم جراً

والذي نفيدكم به أن طلبكم هذا لم نسمع له نظيراً في الجامع الازهر الذي

هو أشهر مدرسة دينية في القطر ، والذي أنتم تابعون له ولا في مدرسة من المدارس الاسلامية

فعجبنا من هذا الطلب وكنا نود أن لا يكتب من حضرتكم للمشيخة شيء من ذلك فيه ، ولم نعلم ما الباعث لحضرتكم على هذا الامر مع اشتهار أنه تكلم في هذا المعنى ، ثم ما كان بعد الاختيار ما كان عليه الازهريون في العصر الخالية فانه الطريقة المثلى ورفض ذلك باجماع الازهريين ، وأظن أن ذلك بلغكم فكيف تطلبونه بعد هذا مع علمكم بأن طالب العلم ربما يفتح عليه في حال حضوره الكتب الكبيرة بغير ما يفتح عليه في غيرها ، ولذا لزم تحريره لحضرتكم للمعلومية وعدم إجراء مثل ذلك » اه

(المنار) هذا جواب رئيس العلماء وكبيرهم ولا بد أن يكون مدهشة لكل قاري في لفظه ومعناه ، وعبارته وفحواه ، وللكلام مجال واسع فيه من وجوه كثيرة أهمها أمران :

(أحدهما) ادعاء اجماع أهل الازهر على أن طريقتهم في التعليم هي الطريقة المثلى وأقرب الطرق للتحصيل (باطل) هذا الاجماع لا وجود له، بل لم يجمع أهل الازهر على شيء يمكن الخلاف فيه ، فقد كان يوكل اليهم انتخاب شيخ الجامع ولم يتفقوا مرة على انتخاب شيخ ، ووقف أحد الاغنياء وقفاً كبيراً واشترط أن يكون الناظر عليه أعلم أهل الازهر وأصلحهم، فعهد اليهم بانتخاب هذا الناظر فلم ينتخبوا أحداً لان كل واحد يرى نفسه أحق بذلك، وبالانتفاع بالراتب العظيم المخصص للناظر، واننا نعرف أن من العلماء من يمقت هذه الطريقة ويعرف عقمها ، وكيف ينكر ذلك من له حس وعقل ؟ واننا نسمع من اختبار الطلاب الذين قضوا السنين الطوال في الازهر من الجهالة ما لا يسمع نظيره في المدارس الابتدائية — : طلب

من واحد منهم قضى ١٥ سنة فيه إعراب « والاسم منه معرب ومبني » فقال: الاسم مبتدأ ومنه مبتدأ ثان !!! ومثل هذا كثير لامحل لشرحه الآن

على ان اجماعهم — لو فرض حصوله — ليس بالاجماع الديني الذي يحتج به شرعا كما يتوهم الجهلاء. لان الاجماع الشرعي اتفاق المجتهدين من الامة وهم قد جعلوا للاجتهاد بابا وأغلقوه ومنعوا الناس منه فلا يدعونه لأنفسهم، ومنهم من يزعم استحالة وجوده في هذا العصر ، وإنما يعرف حسن التعليم وقبحه من ثمرته ونتيجته وهي في الازهر كما نعلم

(الثانية) قوله في تخطئة طلب امتحان من يراد نقله من درجة إلى مافوقها في التعليم « فكيف تطلبونه بعد هذا مع علمكم بأن طالب العلم ربما يفتح عليه في حال حضوره الكتب الكبيرة بغير مايفتح عليه في غيرها » يعني به أن الجاهل اذا ابتدأ طلب العلم بحضور حاشية الصبان وحاشية التجريد وجمع الجوامع فربما يفتح عليه بما لم يفتح عليه بمثله لو حضر الكتب الصغيرة الابتدائية ،وإلا لم يصح أن يكون حجة له،ويشبه هذا قول الشيخ راضي البحراوي والشيخ ثابت بن منصور (١) إنه لاحاجة في الحرب والجهاد إلى معرفة البلاد ولا غيرها من الفنون العسكرية « لان النصر بيد الله يؤتيه من يشاء » كلمة حق أريد بها باطل فالله هو الناصر والفاتح ، ولكنه جعل لكل شيء سبباً ، وسنة تعرف بالاختبار « ولن تجد لسنة الله تبديلا »

---

(١) الشيخ محمد البحراوي والشيخ ثابت بن منصور هما اللذان كتبا في المؤيد ماحاولا به اثبات ضرر العلوم التي زادها في الازهر الامام الشيخ محمد عبده كالجغرافية والحساب والهندسة ورددت عليهما بمقالات نشرتها في المؤيد بامضاء (مجاور أزهري) كما تقدم

(٣٠)

(مايطلبه المنار من التربية وإصلاح التعليم في الازهر)

(لتخريج المرشدين والوعاظ ومعلمي الدين والآداب)

(في ص ٥٥٥ م٣) من مقالة عنوانها « العلم والجهل » مطالبة لمشيخة الازهر ولنظارة المعارف ونظار المدارس الاهلية بالاصلاح، وهذا نص مايخص الازهر منها:

نطلب من مشيخة الازهر اصلاح طريقة التعليم ليقرب التحصيل على الطلاب فيخرج لنا في كل سنة من المجاورين المعدودين بالالوف مئات أو عشرات من المرشدين والوعاظ والمعلمين للدين والآداب، ونطلب أيضا ملاحظة التربية مع التعليم فان علماء الاجتماع عامة وعلماء البيداجوجيا « التربية والتعليم » خاصة مجمعون على أن التربية هي أقوى الركنين، وأنفع المنصرين، وان السعادة قد تنال بتربية من غير تعليم — غير ماتستلزمه هي — ولكن التعليم وحده لا يغني غناءها، ولا يسد مسدها، ولا توجد في الدنيا مدرسة لملة من الملل لايوجد فيها للتربية اسم ولا مسمى كمدرسة الازهر، وعذر مشيخة الازهر في هذا ان إلزام طلاب العلم بالنظافة والادب والنظام في المعيشة، والسيطرة عليهم في سيرتهم الشخصية، أمر لم يجر عليه الشيوخ السابقون، وتحكم في حريتهم بغير مسوغ شرعي

والجواب عنه انه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجبين بنص الكتاب العزيز، وان المعلم قيم شرعي كالوالدين فيطلب منه من التربية مايطلب من الوالدين وانتا نرى كثيرين من الشيوخ المدرسين يشتمون المجاورين ويهينونهم لأمور ليست بذات بال، ويتسنى لهم إرشادهم للآداب والفضائل باللين والهداية من غير تحكم يسيء.

على أن هذه الحرية المطلقة هي التي جعلت الازهر عبرة للمعتبرين واستعبارا للمستعبرين (كما استعبر تلك الكونتة الروسية التي جاءت من بلادروسية إلى مصر لتشاهد عز الاسلام وأعظم مدارسه العالية « الازهر » فلما دخلت هذه

المدرسة الطائرة الصيت لم تملك عبرتها أن تسيل على خدودها حتى خرجت آسفة حزينة)

ونطلب أمرا ثالثا مهماً وهو أن يكون لطلاب العلم في الازهر إلمام بمبادي،

العلوم التي عليها مدار المدنية الحاضرة والسعادة الدنيوية ، فان الاسلام ماجاء إلا

ليهب الناس السعادتين ، والفوز بالحسنيين ، وذلك كعلم الاجتماع وعلم حفظ الصحة

ومبادي، التاريخ الطبيعي وغير ذلك من الفنون المتداولة بين الناس في هذا العصر

وبذلك يستعدون للدعوة الي الدين وحفظه ، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم

كما يجب على ورثة الانبياء

(٣١)

﴿ بكاء خواص مسلمي الآفاق من رؤية الازهر وسوء حاله ﴾

دمعة صحفي هندي على الازهر

(في ص ٦١١ م ٣) خبر زيارة الاستاذ «مولوي محبوب عالم» صاحب جريدة [بيسه أخبار] الهندية لمصر ، وجريدته أوسع جرائد المسلمين انتشارا يصدر منها نسختان نسخة يومية ونسخة أسبوعية ، وفيه انه قال لنا ان اخواننا في الهند يظنون ان النهضة الاسلامية في مصر والاستانة أرقى منها في الهند وانه تبين له من زيارتها ان الامر بالعكس ، وفيه انه زار في مصر أعظم معاهدها وآثارها ومدارسها ، وقلنا في الازهر [ص ٦١٤] « وأما مدرسة الازهر فانها كانت موضع رجائه ، ومحط رحال آماله :

حتى إذا قابلها استعبر لا يملك دمع العين من حيث جرى

وقال : انني لا أتصور كيف يرجى الخير للمسلمين إذا كان منبت علمائهم ومرشديهم ومربيهم بهذه الدركة من الوساخة والمهانة وخشونة العيش ، وفقد النظام ، وأنه وقف بالاجمال على سعي بعض أهل الغيرة الدينية في إصلاح هذا المكان

وعلى معارضة المعارضين في ذلك ، ولا نطيل في هذا فقراء مجلتنا أعلم منه به»

ومن المعلوم انني عنيت ببعض أهل الغيرة : الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى وكان هذا معروفا عندهم حتى قال هو : إن سبب اعتقاد مسلمي الهند ان مسلمي مصر أرقى منهم هو مايقرءونه في المنار من مقالات الاصلاح العالية الممحصة وفي المؤيد أحيانا ـ وسيرة الشيخ محمد عبده

(ما كتبه مولوي محبوب عالم في جريدته عن الازهر)

بعد أن عاد هذا الصحفي إلى الهند كتب في جريدته مقالة ضافية عن زيارته للازهر فلخصنا من كلامه في الجامع الازهر ما يأتي (ص ٧٤٣ ـ ٧٤٥ م٣)

« وأنا أبدي رأبي في الازهر وإن تألم له كل مسلم يراه وهو ان معرفتي بهذا المكان الذي هو دار العلوم الاسلامية الكبرى ما أورثتني إلا التأسف ، فقلما يخرج من هذه المدرسة عالم ينفع الملة والامة وان المتخرج فيها يأخذ عمامة الفضيلة (يريد درجة التدريس) بعد دراسة ١٢ سنة إلى ٢٤ سنة

« أصحاب الجرائد الاسلامية يمدحون طريقة إصلاح التعليم الجديدة في الازهر ويذهبون الى انها ضرورية لابد منها ولكن علماء الازهر [أي بعضهم] يقولون انها بدعة وان الطريقه القديمة خير منها

« سألت لطيف باشا سليم عن علماء الازهر النابغين فأجابني بما رجعت معه يائساً وهو أن قال : انه لم يتخرج في الازهر عالم يستحق أن يخرج اسمه من مصر ويطوف البلاد الاخرى (١)

توبة عالم أفغاني زاهد من دخول الازهر

ثم ذكرت في ترجمة العلامة الولي الصالح الشيخ عبد الباقي الافغاني (ص٧٩م٨) أنه دخل الازهر مرة واحدة ثم تاب الى الله من الدخول فيه لما رأى فيه من القذارة وأكل البصل والفجل ومخالفة الشريعة في صلاة الجماعة وغيرها

(١) ولكن الاستاذ الامام محمد عبده طاف اسمه مشارق الارض ومغاربها

استدراك

سقط من الصفحة السابقة عقب السطر ١٨ مانصه:

بريد علماء المسلمين أن يكونوا كأنبياء بني إسرائيل ولكن هؤلاء العلماء لم يصلوا في الحقيقة الى مرتبة العلماء فكيف يعرجون الى أفق الانبياء؟ نرى من العلماء من يأمر بالمعروف ولا يأتمر، وينهي عن المنكر ولاينتهي»

وهنا ذكر الكاتب بيتين من الشعر الفارسي معناهما ان الخطيب على المنبر يقرع الاسماع بزواجر الوعظ في الجلوة ويعمل بخلاف ذلك في الخلوة: يأمرون الناس بالتوبة ولكنهم هم لايتوبون فهلا وعظوهم بأفعالهم، كما يعظونهم بأقوالهم فان العمل أقوى تأثيراً؟ اه المراد منه

ثم لخصت من عدد آخر مانشره عن مطابع مصر وصحفها ورجالها ومنها قوله في صاحب المنار «وكتابته في المسائل الاسلامية في الدرجة العليا وهو يحاول الرجوع بالمسلمين في دينهم الى سيرة الصحابة الكرام عليهم الرضوان» اه الاستدراك

﴿ دمعة أخرى على الازهر لكونتة روسية مسلمة ﴾

أشرت في مكان آخر من المنار [والشيء بالشيء يذكر] أن نبيلة من الامة الروسية بلغ بها البحث في الاديان وتاريخها إلى الاهتداء بالدين الاسلامي على علم وبصيرة وان أهلها وأصدقاءها بذلوا جهدهم لصدها عنه بأساليب الطعن عليه وعلى شعوبه فلم يقدروا على إغوائها، فلما أكثروا عليها قالت لابد لي أن أسافر إلى بلاد الاسلام فأرى من حسن اهلها فيها ما أحج بها هؤلاء العاذلين، فجاءت مصر وكان أول مايهمها أن تراه فيها الجامع الازهر أشهر معاهد العلم الاسلامي في الارض حتى إذا مادخلته ورأت جموع المجاورين فيه بعضهم يأكلون مايأكلون من الفجل والبصل والفول، وبعضهم يطالعون وبعضهم في دروسهم على تلك البواري المقطعة - غلبها على أمرها البكاء حتى كان نشيجاً، وكاد يكون زفيراً وشهيقاً

(٣٢)

الاحاديث الموضوعة في العلم والعلماء

لما كان العلماء الرسميون المغرورون بألقابهم وأزيائهم يغرون الناس بما ورد في مدح العلم والعلماء في الاحاديث ويحفظون بعض الموضوعات التي اختلقها لهم أمثالهم من الوضاع - أفردت في مقالات المنار التي نشرت في الاحاديث الموضوعة مقالتين في الاحاديث الموضوعة في العلم والعلماء نشرت أولهما في ص ٦٥٧ م٣ والثانية في ص ٦٩٨ [وطبع الرقم ٦٦٨ خطأ]

(٣٣)

التقليد ومقالات المصلح والمقلد

سبق أن قلت ان أشد ماساء علماء الازهر من خطة المنار هو ذم التقليد في الدين والعلم ، والدعوة الى الاستقلال في الفهم والحكم ، وهذا أهم ما أسست له المنار من الاصلاح ، وكنت أبث هذه الدعوة في غضون المقالات وتضاعيف المباحث ، ثم شرعت في هذه السنة بتمحيص الموضوع بالحجج والدلائل ، ورد الشبهات الرائجة في الازهر وغيره ، ورأيت أن أحسن الاساليب في هذا أسلوب المناظرة فأنشأت مقالات « المحاورات بين المصلح والمقلد » فنشرت منها في هذا المجلد من المنار [الثالث] أربعاً في ص٦٦٥ و٧٠٥ و٧٤٥ و٨٢٥ وباقيها في الرابع وهي في ٩ من الاجزاء الاولى متتابعة فكان لها تأثير عظيم وعجز العلماء عن الرد عليها لانها لم تدع لهم شبهة الا وبينتها بما لا يستطيع أحد منهم أن يزيد عليه بلسان (المقلد) الذي كان يدافع عنها . ثم طبعت في جزء مستقل مرة بعد أخرى

(٣٤)

﴿ درسنا الاصلاحي في المسجد الحسيني وما كان له من التأثير أو الثورة ﴾

ذكرت في الشاهد (٦) من شواهد المجلد الثاني ماكان من سبب هذا الدرس ثم إنني كتبت في مواضع من هذا المجلد (الثالث) إنكاراً على ما يقع في المسجد الحسيني من البدع وان شرها وأضرها ما يلقيه الوعاظ في رمضان من الخرافات والبدع والاحاديث الموضوعة ، وأشرت في بعضها إلى الدرس الذي ألقيته فيه ، ثم فصلت هذا بعض التفصيل في المقال الذي نشرته في ص٧٨٩ منه

بعنوان (وعظ رمضان والمسجد الحسيني) من باب (البدع والخرافات والتقاليد والعادات) ورأيت أن أنشره بنصه في هذا الكتاب وهو

اقترحنا في الجزء الذي صدر في غرة رمضان (سنة ١٣١٧) على الاستاذين الكبيرين شيخ الازهر وشيخ الجامع الحسيني منع الوعاظ الجهلاء من التصدي لتعليم الناس فلم يلتفتا إلى الاقتراح وكان المسجد كعادته كما أومأنا إلى ذلك في الجزء الماضي .

ومن الناس من يظن أن الاستاذ السيد الشيخ علي البيلاوي ترضيه التعاليم الخرافية لان العوام اذا تنبهوا وعرفوا الحق يمتنعون عن تقديم النذور والهدايا لصندوق المقام الحسيني الذي هو أمينه، وللشيوخ والخدم فيه الذين يتقاسمون ذلك معه، ولكننا نقول إننا ذاكرناه في عام مضى بوجوب تطهير هذا المكان الشريف المعظم من البدع والخرافات التي أقبحها تعظيم عمود الرخام تعظيما دينياً فوعدنا بذلك ، وأثنينا عليه لهذا الوعد في منار السنة الماضية وراجعناه الكلام في ذلك ، ولكنه اعتذر عن المبادرة إلى العمل بقوله : اذا قيل لهؤلاء العوام إن تعظيم الاحجار والطواف بالقبور ونحو ذلك ليس من الدين يخشى أن يختل اعتقادهم بأصل الدين ، لان هذا عندهم من أهم مهماته فلا بد من التدريج . وقد قبلنا في أول الامر هذا الاعتذار (١)

ثم أردنا أن نختبر ذلك بنفسنا ونتبينه بالتجربة فتصدى هذا الفقير في العام الماضي وفي هـذا العام للوعظ والتعليم في المسجد الحسيني وغيره فرأيت عامة المصريين أكثر الناس قبولا للارشاد الصحيح وأشدهم استعداداً لقبول الحق ، ولقد كان اقبال الناس على مجلسي عظيما حتى كانوا ينصرفون عن سائر الوعاظ إلي ، وما ألقيت اليهم مسئلة إلا وتقبلوها بقبول حسن

ولكن هذا الدرس ساء الذين يمس التعليم الصحيح شيئا من رزقهم الذي ينالهم باذاعة الخرافات وبيع « الغفرانات » فحملوا بعض ذويهم على أن يشيعوا بين الناس الذين لم يسمعوا درسي أني أنكرت الاولياء وكراماتهم ، وأنكرت الشفاعة وقلت إن سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه كالصنم « كبرت كلمة تخرج من

---

(١) اي الاعتذار بازالة البدع بالتدريج لاقبول تعليله

أفواههم إن يقولون إلا كذبا » وغير ذلك من الاشاعات التي أسمع في كل يوم من الناس منها مالم يخطر على بالي في يوم من أيام حياتي ، وكان حظهم من النجاح في هذا الافساد أن الثناء العام على درسي وقول الناس « ياليت لنا مثله كذا و كذا عدداً ... » وأمثال ذلك ـ قد صار مشوبا بالانكار ، وأنه لابد أن يتغلب القول القبيح وإن كان باطلا على الحسن وإن كان حقا ، وفاتهم أن خرافاتهم كانت مقبولة عند البسطاء نائمة في قلوب السذج ، فاستيقظت بحركتهم هذه ، وكل من يتكلم بالانكار لابد أن يجد ممن عرف الحق من يرشده اليه ولو بعد حين ، وبذلك تتلاشى بدعهم وخرافاتهم ، وينسد عليهم باب الأكل بالدين كالذين قال الله تعالى فيهم (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون)

أما هذا الفقير فلا يسره من كلام المادحين إلا أن الحق مقبول ، ولا يسيئه من تقول القادحين إلا أن الحق عندهم مخذول ، ولا يبالي فيما وراء ذلك بمدح ولا ذم ، لأنه لايطلب على الاول من أربابه أجراً ، ولا يخاف من الآخرين ضراً ،

ولست أبالي من رماني بريبة اذا كنت عند الله غير مريب

ولو كنت أرجو من الناس شيئا لاتبعت أهواءهم ، وأشرفت عليهم من مواقع رغباتهم ، بتسهيل سبل الشهوات واللذات ، وتلقين ألفاظ لاتضر معها الفواحش والمنكرات ، وترويج هذا البهتان باسم الدين ، كما يفعل سائر الدجالين ، ولو كنت أخافهم لما فاجأتهم في أكبر مجتمعاتهم وأجمع مساجدهم بانكار ماشاع فيهم من المنكرات ، وتزييف ما ألصقوه بالدين من البدع والخرافات ـ كالاعتقاد بأن عمود الرخام في المسجد الحسيني يضر وينفع وأنه يتبرك به ، وكذلك باب المتولي عند جامع المؤيد ، والشجرة التي أمام جامع السلطان الحنفي وغير ذلك من الاضاليل

ان معلمي الفتنة سهلوا على الجهلاء تعظيم هذه الجمادات تعظيما دينياً (وذلك عين العبادة) بأكاذيب نسبوها إلى النبي ﷺ زوراً وبهتاناً كقولهم « لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه » وقد هالهم أنني صرحت بأنه لم يقل أحد من العلماء إن هذا حديث ، على ان معناه فاسد لان ظاهره أن الاحجار تضر وتنفع بسلطة غيبية ، وأسرار وراء الاسباب الطبيعية ، وان هذا النفع يلتمس منها وهذه هي حجة عباد الاصنام ، بل ان من هؤلاء من حكى الله تعالى عنهم أنهم كانوا

يجعلونها قربة ووسيلة تشفع لهم عند الله تعالى، كالذين عبدوا الانبياء والملائكة بهذه الشبهة، قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية . وهذا التقرير هو الذي حرفوه وزعموا أنني قلت أن سيدنا الحسين صنم أو كالصنم ، حاشا الله كذب الداعون وضلوا ضلالا بعيداً

بعد كتابة ماتقدم سمعت من بعض الناس أن مما أذاعه المرجفون زعمهم أني قلت «إن قبر سيدنا الحسين كقبر النصراني – وفي رواية – كقبر بطرس» فدلني هذا على ان قول بعض علماء الاخلاق والاجتماع (١) في المصريين «إن كذبهم محصور في التحريف والزيادة والنقص وليسوا بارعين في الاختلاق» قول لايخلو من حسن الظن ، أو أنهم ارتقوا في هذه الايام إلى مالم يعهده بهم من قبل ، ولا أراه إلا سيرجع عن ذلك القول فيهم كما رجع عن قول آخر لاختلاف حالهم عن الوقت الذي قاله فيه

ذلك أنه كان قال « إن مصر ستبقى للمصريين لانهم لايفتؤون يتناسلون وإن تحكم فيهم الاستبداد ، واستحوذ عليهم الذل والاضطهاد، وبلادهم الزراعية لا تنتج إلا بعملهم ، ولا مندوحة لمن يمتلكها عن استعمالهم فيها لأنهم يرضون من الاجر القليل مالا يرضاه غيرهم، فالبلاد لا تستغنى عنهم، والذي يحكمهم من غير جنسهم إما أن يضطر إلى تركهم وشأنهم ، وإما يتجنس بجنسيتهم ويكون منهم » ثم بعد أن فشا السكر والزنا في كل بلدة من بلادهم ، وكل قرية من قراهم، وأقبل وجهاؤهم على التفرنج القبيح ، رجع عن قوله وقال: إن هذه السموم الكحولية التي يشربونها من غير عقل مع فشو الداء الزهري بانتشار الفاحشة لابد أن تكون من أقوى عوامل تقليل النسل وضعف المواليد كما هو الشأن في فرنسا التي يراعي أهلها في هاتين الآفتين (السكر والزنا) قواعد الطب في الجملة ، ولا يعرف المصريون شيئا من ذلك . ثم إن التفرنج علمهم الترف والتنعم حتى انك لترى في القرى الصغيرة والمزارع من الاسراف نحو ماتراه في المدن العظيمة ، ونتيجة هذا كله أنهم اذا لم يتداركوا هذه الآفات قبل تعميمها فلا يبعد أن ينقرضوا كما

(١) هو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده قال هذه الكلمة والكلمة التي تليها وعلل الاولى بقوله انهم فاقدون لملكة الاختراع والابتكار

انقرض هنود أمريكا ، وإن بقيت لهم بقية فانهـا تدغم في الامة المتغلبة عليهم وتتجنس بجنسيتهم . اه

هذا قول عالم حكيم ولكن هذه الامة منيت برؤساء من الطامعين الجاهلين الذين ينالون المـال والجاه بجهل الامة ، ولذلك ينفرونها من كل مرشد ناصح ، يحملها على العمل النافع الصالح ، وهي تسمع لهم لأنهم يحملونها على ما تألف من الجهالات ، وتحسين الخرافات

وانني أقول لمن لايفهم البرهان ، ويقدم قول الدجالين على السنة والقرآن ، إذا أردت أن تعرف أنني ناصح لك ،ومحق في نهيك عن التمسح والتبرك بأعمدة الرخام، وبالابواب والاقفاص ، وبالآبار والاشجار ، والتماس الخير من ذلك ، فانظر إلى أكابر العلماء كشيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية والاستاذين الشيخ عبد الرحمن الشربيني والشيخ محمد بخيت والشيخ محمد أبي خطوه واضرابهم أو من هم دونهم في العلم كشيخ الجامع الحسيني نفسه ـ هل تجد واحداً منهم فعل ذلك ؟ أليس لك عقل يدلك على أن هذا لو كان من الدين أو كان فيه نفع في الدنيا أو الآخرة لسبقوك اليه لأنه سهل لا كلفة فيه عليهم ، فان زرت القبور فزرها كما يزورون يكن لك عذر ،لان للعلم بالدين والعمل به مرتبتين : العلم بالدليل والبرهان، وتقليد العلماء الموثوق بهم لمن يعجز عن فهم دينه بالدليل، وكل ما أنكرناه فانما يقلد فيه جهلاء العامة بعضهم بعضا ، فحسبنا الله ونعم الوكيل اه

(استدراك) هذا ما كتبته في إثر تلك الثورة علي في شهر رمضان سنة ١٣١٨ وتصدى بعض جهال القبوريين من المغاربة لقتلي ،وهو لا يخلو من خطأ وضعف، وان أعجب الناس بشجاعتي وعدم مبالاتي بالثورة علي في ذلك الوقت، ومن ذلك ماقلته في كبار العلماء الذين ذكرتهم فان أكثرهم كانوا يقرون تلك المنكرات فلاينهون عنها ولا يفعلونها، إلا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى ، ويوجد كثير من هؤلاء الذين يلبسون لباس العلماء من نصب نفسه قدوة للعوام بذلك ، ومنهم شيخ الازهر في هذا الوقت الشيخ محمد الظواهري . فلا منقذ لهم منها الا العلم الصحيح بالدين الذي كان عليه السلف وان يلقنوا انه لا عذر لهم بتقليد أحد من هؤلاء المشايخ بفعله

شواهد المجلد الرابع من المنار

تابعة في العدد لما قبلها

﴿صدر الجزء الاول منه في غرة ذي القعدة سنة ١٣١٨ هـ — فبراير سنة ١٩٠١ م﴾

(٣٥)

(تقريظ المنار الانور واقتراح اصلاحي لطلاب الازهر)

(في ص ٦٥ م ٤) كتاب تحت هذا العنوان يقرظ صاحبه المنار بعبارة أدبية ترسلية ويقترح فيه ما يأتي في قوله :

« فان كان المنار ، قد حمل إلى الاقطار ، نفحة سارت بها الرياح ، وطلع على أهلها طلوع الصباح ، فلينهج لاهل الازهر منهاجا في الادب يسلكونه ، وليضع لهم مثالا في الاصلاح يحتذونه ، حتى يكون تصوير الشعور عندنا من الشعائر ، وتقتدر على وصف جليات الظواهر ، وخفيات الضمائر ، فنكون من حملة الاقلام وتؤدي بدايتنا إلى الغاية المطلوبة والسلام (محمد سعيد الرافعي)

﴿ ماوضعه المنار لطلاب الازهر من منهاج وموضوعات للانشاء ﴾

قلت في الجواب :

أما المنهاج الذي أقترحه فأحيله واخوانه من المشتغلين بالادب على قراءة خطبة أساس البلاغة المنشورة في هذا الجزء واتباع ما ترشد إليه، وأزيدهم الحث على مطالعة كتاب الاغاني وكتاب نهج البلاغة والجزء الثالث من إحياء علوم الدين إن لم يطالعوا الكتاب كله، ثم العمل بكتابة المقالات في الموضوعات المختلفة وتعريضها للانتقاد فمن لا ينتقد ولا ينتقد ، ولا يناظر الفضلاء ، ويساجل الادباء، لا يسلم من الخطأ والخطل، ولا يتنبه لتجنب الزيغ والزلل، وإن شئت فقل لا يكمل له علم ولا عمل ، وإننا نقترح عليهم أن يتناظروا في الموضوعات الآتية (١) هل غاية طلب العلم تحصيل ملكة الفهم ، أم تحصيل ملكة العلم؟ (٢) فوائد قراءة الحواشي

ومضارها (٣) هل يطلب من علماء الدين معرفة علوم الكون ولو إلماما أم لا ؟ (٤) هل يجب على علماء الكلام استبدال الرد على فلاسفة هذا العصر ومبتدعته بالرد على قدماء الفلاسفة والمبتدعة الذين انقرضوا أم لا ؟ (٥) هل انتشر الدين الاسلامي بكونه حقا يلائم حال البشر أم بالقوة والسيف؟ (٦) هل أفادت الجرائد البلاد العربية أم أضرت بها ؟ (٧) هل نفع الشرقيين دخول الاجانب بلاد الشرق أم أضر بهم ؟ فهذه سبعة مباحث متى رأينا أقلامهم تجول فيها نقترح عليهم غيرها . والمنار مستعد لنشر مناظراتهم بشرط الاختصار في النبذ وإن تعددت في موضوع واحد ، والنزاهة التامة في التخاطب اه

(٣٦)

﴿ حديث لنا مع شيخ الازهر في التعليم الديني والدنيوي ﴾

(والجمعيات الدينية في فرنسة)

بدأت هذا الحديث في ص١٥٧ م٤ بما نصه :

اتفق لي أنني عند مازرت في العيد صاحب الفضيلة الاستاذ شيخ الجامع الازهر المعظم حدثته بالجمعيات الدينية الاوربية لا سيما الفرنسوية كالجزويت والفرير، وذكرت له أولا ما كان من معاداة رجال الدين المسيحي للعلم في العصور التي يسمونها المظلمة، وكيف انقلب الحال بعد ماظفر رجال العلم وسلبت السلطة السياسية من البابا ، فصارت أزمة العلوم بأيدي الجمعيات الدينية حتى إن الجزويت الذين هم أشد الفرق تعصباً للدين هم الذين غيروا نظام التعليم في أوربا فارتقى بسعيهم إلى الدرجة التي هو فيها ، وذكرت لفضيلته ثروة جمعية الجزويت ومسالكها في التعليم الديني والدنيوي ، وأن غايتها هي وأمثالها إرجاع السلطة السياسية لرجال الدين كما كانت ، وأنها تعلم كما يعلم كل بصير بأحوال الكون أنه لا يمكن أن يكون مثل هذا الانقلاب إلا بالعلوم العصرية والثروة المالية التي هي حليفة العلم .

وانتقلت من هذا إلى بيان كون الديانة المسيحية ليست ديانة سلطة بخلاف

الديانة الاسلامية التي يجب فيها أن يكون الخليفة فن دونه من الحكام عالمين بالدين — في كلام طويل نتيجته أن حفظ الدين الاسلامي وحفظ كرامة أهله وإعادة سلطته يحتاج فيه إلى العلوم الكونية والجمعيات المالية وأن هذا مايدعو اليه المنار «لم تمض على حديثنا أيام حتى جاءتنا البرقيات ثم الجرائد بخبر معارضة الحكومة الفرنسوية للجمعيات الدينية ورجال الدين عامة واتهامها إياهم بالسياسة وعداوة الحكومة الجمهورية، والسعي التمهيدي في نكث فتلها وحل عراها . وقد اقترحت الحكومة على مجلس البرلمان أن يصدق على قانون قدمته له ملخصه على مافي رسالة في المؤيد الاغر ...

(ثم قلت بعد نشر ملخص الموضوع مانصه)

«وقد تقرر الآن أن تعليم جميع الجمعيات الدينية لابد أن يكون تحت مراقبة الحكومة، ولا شك أن خوف الحكومة في محله، وان هذه الجمعيات تنوي الانقلاب الذي حذرته الحكومة وهي سائرة اليه من طريقته المثلى وهي طريقة التربية والتعليم، ليعتبر رجال الشرق عامة وعلماء المسلمين خاصة الذين فقدوا كل شيء وما بقي عندهم إلا حثالة ما ألف من قبلهم من الكتب يتلهون أو يتعيشون بالبحث في أساليبها وترديد ألفاظها، ولا يخطر على بالهم السعي في دوامها وحفظ كرامة أهلها، فضلا عن السعي للارتقاء واعادة أحكام الدين ومجده السالف، ومن ينبههم على ذلك يتخذونه عدواً ويمضغون لحمه بالغيبة، ويسلطون عليه عقارب السعاية، وانما يبحثون عن حتفهم بظلفهم، فحسبنا الله ونعم الوكيل

(٣٧)

﴿الواسطة بين الخلق والخالق والرد على بعض العلماء فيها﴾

(في ص ٣١٨ و٥٣٣ م ٤) مقالان طويلان في موضوع الواسطة بين الخلق والخالق الذي غلا فيه المبتدعة بما جعلوه من الشرك الصريح واتخاذ الانداد لله تعالى، فألف شيخ الاسلام احمد بن تيمية رحمه الله تعالى فيه رسالة بهذا الاسم

فند فيها شبهاتهم،وطبعت في ذلك العهد فكان لها تأثير عظيم عند الناس لأنها صدمتهم ببيان ضلالة فاشية ، وحماية عقيدة التوحيد التي هي أساس دين الله على ألسنة جميع أنبيائه ، سر بها علماء التوحيد وأتباع الكتاب والسنة ،وانزعج منها المبتدعة،من عبدة القبور والاضرحة

فتصدى أحد العلماء للرد عليها فجمع رسائل لبعض الميتين الخرافيين في المسألة وفروعها من زيارة القبور وبدعها ،وكتب لها مقدمة في تأييد تلك البدع الكثيرة بنظريات متناقضة متعارضة، فكتبنا تينك المقالتين في الرد عليه ،وهذه أول مرة تصدى فيها عالم مشهور من علماء الازهر في عهدنا للكتابة والنشر في تأييد العقائد الوثنية والبدع الخرافية ، بنظريات وأقوال مخالفة للكتاب العزيز والسنه السنية ،وسيرة السلف الصالح ونصوص الائمة المجتهدين ، وقد بينا هذا أتم البيان ، وكان عهدنا بهذا الرجل غير هذا

(٣٨)

﴿علماء الدين وصاحبا السماحة والفضيلة شيخ الاسلام ومفتي الديار المصرية﴾

في ص٤٠١ – ٤١١م٤ مقال بهذا العنوان نشرنا فيه حديثا دار في دار المشيخة الاسلامية في الاستانة بين شيخ الاسلام جمال الدين افندي والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في أثناء زيارته له اتفق فيه الشيخان على أن علماء المسلمين في هذا العصر تاركون لما يجب عليهم لدينهم وشريعتهم، وسبب لما يشكون ويشكو منه العامة والخاصة من ضياع الدين واهمال الشريعة بعدم تطبيقها على مصالح الناس في كل زمان بما يناسبه ، بل اتفقا على أن تسمية أمثال هؤلاء بالعلماء خطأ

أرسل خلاصة حديث الشيخين الشيخ علي يوسف (رحمهم الله) إلى جريدته (المؤيد) فنشرته فنشر المقطم في اليوم التالي « ان العلماء في مصر عموما وعلماء الازهر خصوصا قد استاؤا منه ووقع عليهم كالصاعقة،فنشر المؤيد في اليوم الثالث

مقالة لبعض العلماء يقيم الحجة فيها على المقطم بأنه ليس من المعقول أن يعلم باستياء العلماء في مصر كلهم في صبيحة يوم واحد فينتشر الخبر في مسائه !! فنشر المقطم بعد يومين آخرين عبارة سخيفة لأحد من يحملون لقب عالم زعم أنه بين فيها «سبب استياء العلماء من حديث الشيخين كأنه حقيقة واقعة» وقد أيدت في المنار حديث الشيخين بأدلة الكتاب والسنة وسيرة سلف الامة ، وفندت في آخره ما نشر في المقطم لاحد المعممين السخفاء ، ثم ذكرت في باب الاخبار (ص٤٣٦ منه) أن الجواسيس أعداء الدولة قد كتبوا بمناسبة ما ذكره المقطم من استياء العلماء من الحديث تقارير برقية وبريدية مزورة على العلماء ، ومن الناس من يقول إن بعض المعممين المغرورين وافقهم عليها ورفعوها إلى الآستانة ...

(٣٩)

﴿ وظائف علماء الدين ﴾

واهمال علماء العصر لها بما أضاع الاسلام واستعبد المسلمين للافرنج

في ص ٤٤١—٤٤٨م٤ مقالة بهذا العنوان أقمت بها الحجج الدينية والعقلية التي يؤيدها الواقع على أن جل تبعة ضياع الدين ودنيا المسلمين في أثرها على هؤلاء العلماء ، وقد افتتحت هذه المقالة بذكر التهمة التي اتهم بها المنار منذ السنة الاولى له ، ولا يزال الناس يقولونها وهي أنه هو الذي جرأ الجماهير على الطعن في العلماء الرسميين الخ قلت :

« اذا طالب عقلاء المسلمين وفضلاؤهم العلماء بالعمل وخدمة الامة التي أشرفت على الانحلال بتوانيهم وإهمالهم وعكوفهم على ما يرون فيه منفعتهم الشخصية ينبري علماء السوء الذين سماهم الله تعالى ظالمي أنفسهم (*) للطعن في المطالب قائلين إنه أهان العلماء وحاول إزالة سلطانهم ونفوذهم من نفوس العامة ، كأنهم يرون أن غاية العلم وفائدته تعظيم العامة لهم وإكرامهم بالمال وغيره ، ولكن الله ورسوله يشهدان على من يطلب العلم لهذه الغاية أنه عدو لله مستحق لمقته وغضبه » الخ

(*) أعني في قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) الآية ، وقد ذكرت الآية وتفسيرها في مقالة الشاهد السابق (علماء الدين)

ثم بينت وظائف العلماء العامة والخاصة في الاسلام وأن من يسمونهم العلماء اليوم غير قائمين بشيء منها حتى أخصها بهم باعترافهم، وهي احياء علوم الدين ولغته ودعوته والدفاع عنه ، دع العامة التي عبرت عنها بقولي « ومن وظائفهم القيام بجميع مصالح الامة حتى السياسية والحربية لان الاسلام دين جامع لكل مايحتاج إليه البشر » فاذا كانوا سلبوا هذه الرياسة لتقصيرهم فينبغي لهم أن يستمدوا لها الخ

(٤٠)

﴿أسئلة الشيخ محمد احمد الانفي لنا وأجوبتها﴾

كان في بلدة طوخ القراموص بالشرقية شيخ أزهري يقرأ المنار ويتململ مما يراه فيه من الدعوة إلى الاستقلال في العلم الد[illegible] وغيره وبطلان التقليد ووجوب الاهتداء بالكتاب والسنة وسيرة السلف [illegible]الح ، وبيان البدع والخرافات الخاصة بأهل الطرائق، وعبدة القبور والمشاهد ، ومحتفلي المواسم والموالد، وكان لا يجد في نفس[illegible] علمية على الرد على شيء من ذلك فسلك في الاعتراض عليها سبيل السؤال والاستفتاء ، فما زال يسأل ونجيب ، ويستفتي ونفتي ، حتى آل أمره إلى معرفة الحق والاقتناع به، وصار من أنصاره

وفي مجلدات المنار كثير من هذه الاسئلة وأجوبتها الاصلاحية

(٤١)

﴿دفاع المنار عن شيخ الازهر وعلمائه﴾

(في ص ٥١٦ م٤) أن جريدة أسبوعية(١) نشرت مقالة تذكر شيخ الازهر بأن وظيفته لا تنحصر في إدارة الازهر بل توجب عليه وعلى علماء الازهر أمورا أخرى وذكرت بعضها وطعنت في سيرة الازهريين طعنا مطلقا ، وزعمت أن بعض طلاب الازهر « يراهم الانسان في الجهات المسترذلة المقوتة يتعاطون

---

١) اتذكر ان هذه الجريدة هى التى كانت تسمي الكمال وكان صاحبها معمما سكيرا... يدافع عن شيخ الأزهر للانتفاع منه

المسكرات ، ويصبون على المسلمين بأزيائهم قبيح اللعنات » ثم ذكرت أنها طالما دافعت عن مركز الشيخ ولكنها لايمكنها الصبر على ماتشاهد من طلبة الازهر وعلمائه ومستخدميه (قالت) وقد صبرت مدة طويلة أملا في أن فضيلتكم تأمرون بازالة المنكرات الحائمة حول الدين الاسلامي » الخ

وقد أنكرت على صاحب هذه الجريدة في التعليق على تلخيص كلامها في موضوعه وفي موضعه . أما موضعه فهو نشره في جريدته وكان ينبغي أن يرسله إلى فضيلة الاستاذ في كتاب خاص أو يلقي إليه النصيحة مشافهة، وأما موضوعه وهو: اتهام مجاوري الازهر وعلمائه بالاختلاف إلى حانات الخمر ومواخير الفحش بما يوهم أنها محشوة بهم فهو لايصدق فيه (قلنا) وحاش لله أن يكون هذا صحيحاً

نعم ان صاحب تلك الجريدة أعلم منا بذلك لان عبارته تدل على أنه رأى بعينيه ، ونحن لانعرف تلك المواضع النجسة ولا نراها ، ولكننا سمعنا أن شيخاً واحداً من علماء الازهر يختلف إليها ، وأنه مع ذلك لايأتي فاحشة إلا بتأويل وتحليل ومن ذلك أنه يعقد نكاحه على بعض البغايا بشهادة بعض القوادين! وهذا الشذوذ من واحد لا يصح أن يحمل على اطلاق القول في الطعن بالعلماء ورميهم بما رمتهم به الجريدة

وأما المجاورون فلا شك أن من لم يترب منهم تربية اسلامية فان الازهر لايفيده في التربية شيئاً في أول الامر لأنه ليس فيه إلا قراءة هذه الكتب المعروفة في النحو والفقه وغيرهما ، ودون ملاحظة الاخلاق والآداب ، ولا الحمل على العمل بالعلم ، ومع هذا ترى طلاب الازهر أبعد أصناف الناس الذين يقيمون في هذه المدينة الفاسقة عن السكر والفحش الخ (١)

(١) سبب هذا ان اكثرهم من الفقراء الذين لم يفتنوا بالتفرنج الذي فتحت ابوابه لهم بجعله جامعة مدنية يتولى إدارة التعليم فيها متخرجو المدارس الأميرية والأوربية ويرى القارىء مايخشى من عاقبة ذلك في هذا الكتاب

(٤٢)

﴿ عقاب شيخ الازهر لمجاور على مقالة إصلاحية ﴾

(في ص ٥١٩ م٤) أنه نشر في المؤيد مقالة في موضوع الناشئة الاسلامية للشيخ عبد المجيد صالح العدوي من نبهاء مجاوري الازهر من أحسن مانشره المؤيد في هذا الباب عبارة ومعنى كان يظن أنه يكافأ عليها ، ولكن مولانا شيخ الازهر أحضره وكلفه قراءتها وهو في ملأ من الشيوخ، وطفق يناقشه فيها بنفسه ، ومما أنكره عليه أنه وصف المسلمين بالتأخر والضعف ، فقال مولانا الشيخ في تفنيده: كيف يكون الاسلام متأخراً وهؤلاء المسلمون يؤذنون على المنارات جهراً ولا يرميهم أحد بالحجارة ؟ ونحن نصوم ونصلي ولا يعارضنا أحد ؟

وقد أولنا هذه الحجة للشيخ بأنه لابد أن يكون مراده اختبار الشيخ عبد المجيد صالح وسد غوره في فهم مانسب إليه

وقالوا إنه أنكر عليه الكلام في السياسة وحاجة دولة مراكش إلى الدولة العثمانية تساعدها على اصلاح شئونها ، وأنه قطع جرايته ولم يرض بردها إليه إلا بعد أن أخذ عليه العبد كتابة بأن لايعود إلى مثل هذه الكتابة في الجرائد

وقلت: وغاية هذا التضييق أن لايخرج من الازهر من يحسن الكتابة . نعم هذا الذي كان يريد الشيخ ، وهذا منتهى ما كان يصل إليه عقله وفهمه فيما ينبغي لعلماء الازهر أو علماء الدين !! فأين رأيه وعقله وفهمه مما كان يريده الاستاذ الامام للازهر وللاسلام وعلمائه ، ومما كان يحثهم عليه المنار

ثم ذكرت في ص ٥٤٩ و ٥٥٠ منه أنني قابلت شيخ الازهر بعد كتابة ماتقدم في مسألة الشيخ عبد المجيد صالح ووافقني على أن ما كتبته في المنار من إنكاره عليه ووصفه الامة الاسلامية بالضعف والتأخر ومن إرادته بذلك امتحانه صحيح وأنه ظهر له بالامتحان أنه لم يحسن قراءة المقالة ولا فهمها

على ان ماكنت كتبته في المسألة كان طويلا ذكرت فيه كل مابلغني من مناقشة الشيخ له وإنكاره عليه فاختصرتها ، ومنها مسائل تأولتها للاستاذ الأكبر قلما

كان يعذره فيها أحد، ومنها إنكاره عليه نقله عن الفيلسوف رنان مدح الاسلام، وقوله له أما وجدت عالما مسلما تنقل عنه؟ وهلا نقلت عن الامام الغزالي؟

﴿ مصادفة غريبة نذكرها هنا للعبرة وتمهيدا للشاهد ٤٤ ﴾

بعد أن نشرنا ماتقدم من قول الاستاذ الاكبر للشيخ عبد المجيد صالح إن المسلمين يؤذنون على المنارات جهراً ولا يرميهم أحد بالحجارة، اتفق أن مؤذنا كان يؤذن على منارة مسجد قنطرة الدكة فأطل عليه رجل نمساوي من منظرة في بيته وأمره بالسكوت، فلم يسمع له المؤذن ومضى في أذانه، فطفق النمساوي يرميه بالحجارة! ويهدده بالقتل بالرصاص اذا هو لم يكف عن إتمام الاذان!! فخاف المؤذن ونزل قبل إتمام الاذان وبلغ الشرطة ماوقع، ونشرت الجرائد الخبر فاستاء المسلمون وفزع بعضهم إلى فضيلة شيخ الازهر ورغبوا إليه أن يكتب إلى الحكومة بذلك ففعل، وكان للحادثة ذيول

(٤٣)

﴿ كتاب شيخ الازهر إلى وكيل الداخلية وانتقادنا له ﴾

(في ص ٥٥١ م٤) نشرت في هذا المكان صورة كتاب فضيلة شيخ الازهر إلى وكيل نظارة الداخلية بنصه، فأما الكتاب فقد كان واجبا أداه الاستاذ الاكبر رحمه الله تعالى، ولكن كثيراً من أهل العلم والادب انتقدوا عليه نشره في المقطم دون المؤيد وغيره، وانتقدوا عبارته وغير ذلك، وقد نشرت كل ماسمعت من ذلك وما شاركت المنتقدين فيه وما تأولته لبعض العبارات المنتقدة فيه (ص ٥٥٢ — ٥٥٥ م٤) وكان لي في نشر الانتقاد والتأول له مقاصد ربما كان من أهمها أنني خشيت أن يسبقني إلى ذلك مثل الشيخ ابراهيم اليازجي الذي كان قلما يرى لبعض العلماء المشهورين هفوة لغوية إلا وينتقدها في مجلته، ومنها إقامة الحجة على ماأنتقده دائما من ضعف التعليم في الازهر، وإنني على حسن نيتي في النشر والنقد، شعرت بأنه كان غير لائق بتلك الحال وذلك الوقت، فزرت الاستاذ الاكبر واعتذرت له

(٤٤)

﴿ زيارتي لشيخ الازهر عقب ما تقدم وعلاقتي الشخصية به ﴾

(٦٣٦ م ٤) نشرت في هذا المكان من المنار ما كتبته في شأن زيارتي له عقب نقد كتابه واتفاقي معه على أن أعرض عليه ما أريد كتابته في شأن الاصلاح في الازهر وأقف على رأيه فيه وأعمل به وهذا نص ما كتبته :

من فضل الله تعالى علينا أننا لا نكتب شيئا في المنار إلا لخدمة العلم والدين ومصلحة الامة العامة ، وما أبرىء نفسي من الخطأ والسهو، ولكن أشهد الله على حسن قصدي وإخلاصي بحسب مبلغ علمي بالمصالح والمنافع التي أحث عليها، والمضار والمفاسد التي أنفر عنها. وقد توهم بعض الناس أن نشر الانتقاد على عبارة المكتوب الذي أرسل من قبل الحبر الاعظم شيخ الجامع الازهر الشريف إلى وكيل الداخلية يمنعني من التشرف بزيارة الشيخ بعدها ، ولذلك أولت بعض الجرائد زيارتي الاخيرة له بحسب ما وصل إليه النظر الكليل أو القصد السيء ، وزعمت أنني رأيت أكثر الناس غير راضين عن ذلك الانتقاد فحاولت تلافي ذلك ، ومالي ولأهل التأويل والتحليل . زرت مولانا الشيخ لانني أحترمه منذ عرفته ولم يتغير ما في نفسي من سبب احترامه بل زاد بالمنصب الذي ارتقى إليه، ولا أنكر أنني ألفيته مستاء من نشر النقد وغير راض بالتأويل ، بل قال ان البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وأن ما كتب هو المطابق لحال أهل الدواوين وأنه إذا كُتب إليهم كلام بليغ لا يفهمونه ، ولما قلت له إن صاحب السعادة وكيل الداخلية من أهل العلم والفهم أجاز ذلك وقال ان المكتوب قد يقع في يد غيره من الكتبة والموظفين فينبغي أن يكون بحيث يفهمه الجميع.. ولا حاجة لذكر ما دار بيننا من الكلام في هذا الموضوع، ولكن لا بد لي أيضاً أن أبين أن السبب في ترك البسملة والحمدلة في أول المكتوب وسائر ما يكتب من المشيخة هو تكريم أسماء الله تعالى واسم نبيه لما يتوقع من رمي الاوراق واهانتها ، كذا قال الاستاذ لي وأذن بأن ينشر وصرح لي بأنه نهى عن الرد على المنار

ذكرت لمولانا الشيخ من دليل حسن قصدي في كل ماكتبت وأكتب في الازهر وفي العلماء والتعليم أنني عرضت عليه مرتين أن أذاكره في كل ما أريد كتابته في شأن الازهر ، وأكتب مايجيزه مما أعرضه عليه لأكون أنا والمنار مشمولين دائما برضاه ، وأنني كنت فهمت منه أنه لم يحفل بذلك ، فأكد لي أنني فهمت خلاف الواقع ، وأنه قبل ما عرضت عليه من قبل ويقبله الآن ، فتلقيت كلام فضيلته بالقبول ، وسأعرض عليه بعد اليوم ما أعزم على كتابته في شأن الازهر إن شاء الله تعالى وهو الموفق للصواب اه

هذا وانني بعد أن اتفقت والاستاذ العلامة الشيخ سليم البشري رحمه الله على مذاكرتي له فيما أرى من مسائل الاصلاح والاتفاق معه على ما ينشر فيه لم أنشر شيئا في باقي المجلد الرابع ولا في المجلد الخامس من الانتقاد على مشيخة الازهر خاصة ، على حين كانت مباحث الاصلاح العامة تعدو في طريقها خببا أو عنقا

ثم عزل الخديو الشيخ سليما من مشيخة الازهر في آخر سنة ١٣٢٠ التي صدر فيها مجلد المنار الخامس وولى المشيخة السيد عليا الببلاوي وذكرت هذا الخبر في ص٥٥٩ من ج ٢٤ منه الذي صدر في سلخ ذي الحجة سنة ١٣٢٠ وكان الاستاذ السيد الببلاوي فوق ما كنا نظن فيه فضلا ورأيا وحبا في الاصلاح، فكان مع الشيخ محمد عبده على أتم الاتفاق والتعاون على إصلاح الازهر ، ولم يكن للدسائس أدنى تأثير في الايقاع بينهما ، فسيء الامير بأمرهما وضاق بهما ذرعا ، وكان من خبر إسقاط هذه المشيخة وتقويض نظام الاصلاح للازهر من أساسه ما بسطته في تاريخ الاستاذ الامام، وكان الشيخ الظواهري من معاول هذا الهدم له ، وفي تلك الفتنة ظهرت ذبذبته أول مرة (ص ٥٠٠ و٥٠٢ و ٥٢٠ و٥٥٢ منه)

وقد جاهدت مع الاستاذ الامام في إصلاح الازهر وغيره حتى قضى في سبيل الله، ولم أترك الجهاد من بعده ، ولما اضطرت الحكومة إلى إعادة تنظيم الازهر ، وكلفت أحمد فتحي باشا زغلول وضع قانون لذلك كان يستشيرني في بعض مواده ، وبعد الفراغ منه انتقدته بأنه خالف خطة الاستاذ الامام بوضعه تحت سيطرة الحكومة ولم أترك خدمة الازهر في طور من الاطوار، والشواهد على ذلك تطول

خلاصة هذه الشواهد

﴿ وما تضمنته من أصول الاصلاح والمقاصد ﴾

هذه شواهد من مجلدات المنار في سنيه الاربع الاولى على خطة صاحبه في خدمة الازهر والسعي لاصلاحه ، وكلاهما مما أشرت اليه في بيان مقصدي وغرضي من إنشائه في فاتحة السنة الاولى ، قبل أن أحضر شيئاً من دروس الاستاذ الامام ، وهي تغنيني عما كنت عازما عليه من مراجعة سائر المجلدات واستخراج الشواهد منها ، فانها تتضمن أصول الاصلاح العشرة الآتية المفصلة فيما بعدها بعدها من تلك المجلدات وهي :

﴿ ١ ﴾

استقلال الفكر وحرية العقل في العلم واجتناب تقليد العلماء والكتب فيه ، وهذا أول ما عارضنا علماء الازهر فيه منذ سنة المنار الاولى كما تقدم إلى هذا العهد في مجلة الازهر (نور الاسلام) وحجتهم انه فتح لباب الاجتهاد الذي أغلقه أمثالهم منذ قرون على أنفسهم ثم عادوا الى رأينا فيه الآن

﴿ ٢ ﴾

إبطال البدع والخرافات والتقاليد والعادات ، التي أفسدت العقائد والاخلاق والاعمال ، وروجت في المسلمين أسواق الدجل والخرافات ، وما تبعهما من الفواحش والمنكرات ، ولا سيما بدع الموالد ، وعبادة القبور والمشاهد ، وأكبر مفاسدها اشتراك علماء الازهر فيها ، وسكوت غير المشتركين فيها من إنكارها ، فكانوا بذلك قدوة سيئة للعوام ، وفتنة منفرة للمتعلمين عن الاسلام ، وحجة للكافرين على المسلمين

﴿ ٣ ﴾

الرجوع إلى هداية القرآن العليا ، وهدي السنة النبوية المثلى ، في تصحيح العقائد ، وتزكية الانفس ، وتهذيب الاخلاق ، والاتباع المحض في العبادات ، على منهاج السلف الصالح ، وهو يتوقف على احياء علوم التفسير والسنة وآثار السلف

﴿٤﴾

اصلاح نظام التربية والتعليم والتصنيف بالاساليب العصرية التي كان بها هذا النظام فناً بل فنوناً مبنية على سنن الله تعالى في الفطرة واستعداد العقول والمدارك ، وما ثبت بالاختبار والتجارب

﴿٥﴾

إدخال جميع علوم العمران البشري في الجامع الازهر ومعاهد التعليم التابعة له وسائر المدارس الاسلامية في أمصار المسلمين كما فعل المسلمون في أيام حضارتهم العباسية في الشرق والاموية في الاندلس ، وكما يفعل الافرنج في كلياتهم وجامعاتهم الدينية في عصرنا هذا ، وقد خاصمنا في هذا بعض علماء الازهر جهراً كما تقدم ، وغرضنا منه إعدادهم لما بعده مما فيه أحياء للاسلام وأهله ، وتعظيم لقدر علمائه

﴿٦﴾

اتباع سنة التخصص (أو الاخصاء) في العلوم والفنون ليتقن كل علم منها أفراد منتهى الاتقان حتى يرجع اليهم في دقائقه ومشكلاته ، وخصصت منها التعليم القضائي من أول العهد بالتفصيل فيها باشارة من استاذنا

﴿٧﴾

اعادة ثقة الامة بالعلماء الى ماكانت عليه في عصور الاسلام الحية باستعدادهم لتربية نشئها وتعليمه جميع العلوم والفنون التي تحتاج اليها في دينها ودنياها ، والقيام بجميع مصالحها العامة في حكومتها ومجالسها النيابية من شرعية وسياسية واجتماعية ، وطالما أنذرناهم سوء عاقبة ماهم عليه في أنفسهم وأمتهم ، وهو الذي أطمع دعاة الكفر برد أكثر المسلمين عن دينهم

﴿٨﴾

الدفاع عن الاسلام بالرد على الملاحدة ودعاة النصرانية ودحض شبهاتهم وإبطال اعتراضاتهم على بعض الآيات المنزلة والاحاديث المروية بالدلائل المعقولة، وتحقيق مايصح من الروايات وما لا يصح منها من موضوع وواه ومنكر، أو ما فيه علة من العلل الخفية في سنده أو متنه مما صحح بعض مخرجيه سنده ، وقد سننا لهم السنة لذلك بالعمل في التفسير والفتوى والمقالات والتصانيف التي ترجم بعضها بعدة لغات

﴿٩﴾

الوعظ والارشاد العام للمسلمين في مساجدهم ومجامعهم، وقراهم ومزارعهم ، وبدوهم وحضرهم ، بالخطب والدروس العامة، وتصنيف الرسائل والكتب السهلة العبارة في العقائد والعبادات والاخلاق والآداب الدينية ، وما تحتاج اليه العامة من حسن المعاملات والمعاشرة وحفظ الصحة بالطريقة الدينية ، فلعله لا توجد أمة محرومة من هذا الارشاد العام الا الامة الاسلامية

﴿١٠﴾

الدعوة الى الاسلام فى الشرق والغرب بعد الاستعداد لها ، ومنه تعلم لغات الاقوام التي يراد تبليغها ودعوتها ، وتربية طائفة كبيرة من المعلمين وإعدادهم لذلك، وقد مهدنا لهم طريقها بالقول والفعل

فهذه عشرة أبواب من أوسع أبواب الاصلاح التي خدمنا بها الازهر بالمنار، وقد اقتنعت كليات الازهر الآن بأكثرها ، وستأخذ بها كلها ، وأكبر ذنبنا فيها عند الشيخ الظواهري اتباع السنة وهدم البدعة ومحاربة الخرافات

مدرسة الدعوة والارشاد

لما كان الاصلان الاخيران من هذه العشرة أهم مقاصد الاسلام وهما الكافلان لنشر هدايته، وتعميم دعوته ، وإعادة مجده وسلطانه ،ورأيت شيخنا الاستاذ الامام قد وفق بعد يأسه من اصلاح الازهر لإقناع الحكومة المصرية بانشاء مدرسة خاصة للقضاء الشرعي الذي هو أحد المقاصد الخاصة للعلماء نسميت من بعد وفاته لتأسيس جمعية لهذين المقصدين الأعلين وإنشاء مدرسة لهما، ويتبعهما بالضرورة ما ذكر قبلهما ، ووفقت لذلك فكان من أمر (مدرسة الدعوة والارشاد) ما كان ،وقد كان أول خاطر كتبته في أمر هذا المشروع في مذكرة صغيرة لي ما خلاصته

ان جماعات علماء الدين الاسلامي التي نعرف حالها في الازهر وغيره من الامصار الاسلامية غير صالحة لبيان حقيقة الاسلام ونشر هدايته ودعوته والدفاع عنه ، وهي سائرة في طريق الزوال والانقراض لعدم شعور الامة بالحاجة اليها ،واستغناء حكوماتها عنها، فيجب السعي العاجل لايجاد جماعة أخرى خير منها تحل محلها ...

ثم انني أردت تنفيذ مشروع الدعوة والارشاد في دار السلطنة العثمانية بكفالة حكومتها ليسهل تعميمه في العالم الاسلامي بدون ضغط أجنبي،فرحلت إلى الآستانة وعرضته على كبار رجال الدولة فأجمعوا على استحسانه ولا سيما شيخ الاسلام ومشايخ الفتوى، وأسست الجمعية باسم (العلم والارشاد) رسميا ، وتقرر جعل نفقات مدرستها في ميزانية وزارة الاوقاف . ولكن حزب الملاحدة في جمعية الاتحاد والترقي عاق التنفيذ بدسائسه ، فعدت إلى مصر واعداً بأن أعود إلى الآستانة عند التنفيذ،فطلبني سمو الامير (عباس حلمي) بعد ذلك الجفاء المشهور الذي دام تسع سنين وأقنعني بتنفيذ المشروع في مصر بمساعدته ففعلت ، فكان عملا مجمعا عليه من العلماء والعقلاء في مصر ثم في سائر الاقطار ،وهذا أمر مشهور وانما غرضي من ذكره هنا أن أقول إن تلك الكلمة التي أجملتها في هذه الاسطر الاربعة لاتزال حقيقة ماثلة قائمة ، وإن الازهر لم يغن العالم الاسلامي عن مدرسة الدعوة والارشاد ، وان ظهر أخيرا انه تنفيذ مااقترحته عليه قبل تأسيسها

تأثير المنار في العالم الاسلامي

لقد شهد أهل البصيرة من الافرنج كما شهد خواص المسلمين بما كان للمنار من التأثير الاصلاحي والانقلاب العظيم في العالم الاسلامي ودونوها في بعض صحفهم وتصانيفهم ونشير الى ذلك بعد مقدمة وجيزة فنقول :

لرجال الانقلاب العام وسيلتان : إما الثورة التي تصخ بصيحتها المسامع ، وتهييج الساكن الوادع ، فتكون كالريح الصرصر العاتية ، لا تخفى من أمر داعيتها خافية ، وهي خطة حكيمنا الاول السيد جمال الدين، وإما الدعوة الهادئة، بالحجج الناهضة ،وهي أولج في المسامع ، وأجول في المجامع ، ولكنها بطيئة السير، خفية التأثير في أول الامر،وهي خطة حكيمنا الثاني الشيخ محمد عبده ،التي جرينا عليها في المنار ،وقد شرحت كلا منهما في سيرة الحكيمين من (تاريخ الاستاذ الامام) والامة لا تأخذ من الخطتين إلا بقدر استعدادها الخلقي والعقلي والاجتماعي، وقد جمع القرآن الحكيم والرسول الكريم بينهما ، بما أعد الله به الامة العربية للثورة، وسائر الامم لقبول الدعوة ، كما فصلت ذلك في كتاب (الوحي المحمدي)

الثورة أسرع تأثيراً وأظهر ، وقد يكون أثمها العاجل ، أكبر من نفعها الآجل ، إذا كانت الامة غير مستعدة للبناء عقب الهدم ، والدعوة اللينة أسلم عاقبة وقد يخفى أمر دعاتها وتأثيرها ، حتى على الذين ينتفعون بدعوتهم ويعملون بها ، ولا سيما الذين يتلقونها عن تلاميذهم الذين لا يروونها عنهم ، وعن أشربتها قلوبهم بانتشارها واشتهارها والاقتناع بها ،مع عدم الشعور بمصدرها

قد استفاد من دروس حكيمينا المصلحين ومجالسهما خلق كثير ،واقتبسوا من حكمتهما ما يزينون به خطبهم وكتبهم ، ويقل منهم من يروي ذلك عنهما، أو يعزو معناه اليهما، كدأب كثير من المصنفين مع من قبلهما ، وأما صاحب المنار فانه يروي كل ما سمعه بلفظه أو بمعناه وكذا ما فهمه واستنبطه منه ، ولذلك يقول الكثيرون وكتب بعضهم في الصحف انه لولا صاحب المنار لضاع أكثر علم الشيخ محمد عبده وحكمته ، وجهل إصلاحه وتاريخه

ووقع لنا مثل هذا بعينه مع الذين استفادوا من المنار وتفسيره ما انفرد به من رواية ورأي ، وما حققه من حكمة وحكم ، ومنهم كثيرون من علماء الازهر الذين يعتمدون على تفسيره في دروسهم ومحاضراتهم ورسائلهم ومقالاتهم في المجلات ، بل منهم من ينقل منه المباحث الطويلة بلفظها ولا يعزوها اليه، وقد اعتذر عن بعض فضلائهم من يحسنون الظن بهم ، بأنهم يخافون انتقام الشيخ الظواهري رئيسهم اذا عرفوا عنده بذلك

بيد أن مايخفى على دهماء الشعوب لايخفى على زعمائها، ومايسكت عنه الوطني، قد ينطق به الأجنبي ، فقد علمت من بعض رجال هولندة من تأثير المنار في جزائر الهند الشرقية الخاضعة لدولته مالم أسمعه من أحد من مسلمي تلك البلاد الاندونوسيين الاصليين ولا العرب المستوطنين لها ، وقد رأينا عدة كتب للافرنج في ذلك

وقرأت في هذه الايام في كتاب (وجهة الاسلام) الذي كتبه جماعة من مستشرقي الدول المستعمرة شهادات لهم في تأثير كثير من رجال الاسلام في امتهم تأثيرا مختلفا في النفع والضر كحكيمينا وغيرهم (وسنقرظه في المنار) ومن ذلك تأثير المنار في العالم الاسلامي كله وفي بلاد شمالي أفريقية الفرنسية واندونيسية منها قول كاتب هولندي ما نص ترجمته العربية :

شهادة مستشرق هولندي بتأثير المنار

« ولم يشرق (منار) القاهرة على المصريين وحدهم ولكنه أشرق على العرب في بلادهم وفي خارجها وعلى مسلمي أرخبيل الملايو الذين درسوا في الجامعة الازهرية أو في مكة وعلى الاندونوسي المنعزل الذي ظل محافظا على علاقاته بقلب العالم الاسلامي بعد عودته لبلاده النائية على حدود دار الاسلام : هؤلاء جميعاً رأوا الاسلام على نور جديد لم يروا فيه مثالا للتشدد والجمود ، ورأوه لا يزال الدين المختار بين الاديان ، وحامل المثل العليا لكل زمان مضى ، والمثل الجديدة لكل زمان آت ، وهو شاب متجدد الشباب حامل لواء كل تقدم ، شديد في تسامح ورفق ، وأصبح الذين اقتبسوا من نور (المنار) في مصر «منارات» صغرى في أندونيسية بعد أن عادوا اليها » اه من الترجمة العربية للاستاذ محمد عبد الهادي أبو ريدة

تأثير المنار في القطر المصري والازهر

(ودسائس الشيخ الظواهري في الصد عنه)

أول من أنبأني بما لم أكن أعلم من تأثير المنار في القطر المصري كله منذ عشرين سنة وثلاثين سنة بعض أصدقائي من مفتشي المدارس الاميرية ومساعديهم من قبل وزارة المعارف كالمرحومين الشيخ محمد المهدي وأخيه لأمه الشيخ علي حسين وغيرهما ، كان هؤلاء الاذكياء يقولون إننا نجد ما يبثه المنار من الانكار على (البدع والخرافات والتقاليد والعادات) وقد انتشر في جميع البلاد ، وهو يزداد عاما بعد عام ، وما كان منه منكرا مكروها ، صار معروفا مقبولا) وكان لهذه المباحث باب مفتوح دائم في المنار)

وأما أصدقاء المنار الاحرار الذين لا يخافون في الله لومة لائم فانهم يصرحون دائما بالدفاع عنه ، وبدعوة اخوانهم وتلاميذهم إلى قراءته ، ومطالعة تفسيره ، ومن الشكر الواجب أن اعترف بالفضل في هذه الدعوة لزعيم هؤلاء الدعاة في علماء الازهر وهو الاستاذ الكاتب الخطيب الشجاع الشيخ علي مرور الزنكلوني ، ويليه الاستاذ الواعظ المصنف الشيخ محمد أحمد العدوي ، وقد انتقم منهما ومن أشهر اخوانهما وخلانهما الشيخ الظواهري عقب ابتلاء الله للازهر بمشيخته فكانوا في طليعة العلماء الكرام الذين فصلهم من التدريس في الازهر ، وسينتقم الله منه (والله عزيز ذو انتقام)

وهؤلاء الوعاظ الازهريون المنتشرون في القطر ما بين الرجا الى الرجا لعل أكثرهم على مشرب المنار ومن قراء تفسيره وإنني أعرف خيارهم ، ولا غرو فقد كان المنار أول من اقترح على الازهر إنشاء هذه الطائفة المباركة ، وإن الشيخ الظواهري يتوخى أن يكونوا قبوريين خرافيين يعادون المنار ويصدون عن دعوته ، وكلما امتحن أحدا يراد تعيينه منهم أو ممن يراد إرسالهم الى الاقطار الخارجية كان جل عنايته في امتحانه أن يقف على اعتقاده في التوحيد السلفي ، والابتداع

القبوري ، والحك لذلك عنده أن يسأله عن رأيه في المنار وتفسيره وصاحبه، وقد يزيد على ذلك سؤاله المفاضلة بينه وبين الخصم الذي نصبه للطعن عليه وعلى مجلته ، وتشويه دعوته الى الكتاب والسنة واتباع السلف ، وقد اشتهر في الازهر هواه في ذلك ، وصار الممتحنون يتقون سخطه بقدر ما يستبيحون من التقية ، حتى اذا خانت أحدهم المعاريض ، وأعياه الوقوف بين الطعن البواح والتعريض ، فقال : كل من زيد وعمرو عالم يخدم الدين ، وكل منهما يخطيء ويصيب ، سقط عند الظواهري بهذا الجواب ، إذ لا يرضيه ممن يدعو إلى الاسلام ويرشد أهله إلا أن يفتري ويدهن له ، ويقول غير ما يعتقد مكشوفا لا ستر عليه

يقابل هذه السريرة التي يجبن الظواهري عن إظهارها لغير طلبة الازهر المستضعفين بذل رياسته ، ويهدم دسائسه مايقوله ويجهر به من لاسلطان للشيخ الظواهري عليهم ، ولا يجرأ على معارضتهم ، وفي مقدمتهم الاستاذ الاكبر بالحق والعلم والخلق الشيخ محمد مصطفى المراغي ، ومنه ما أجاب به أحد أهل العلم والرأي من مسلمي الهند ، وهو مولانا مشير حسين قدوائي الذي زار مصر في صيف هذا العام إذ قال للاستاذ : إنك من أئمة العلم والرأي فنرجو أن تبذل لنا خير نصيحة نخدم بها الاسلام في بلادنا ، فقال له الاستاذ : خير نصيحة أنصح لكم بها نشر هداية القرآن الجامعة لكل مايحيا به الاسلام ، بالتفسير الذي يفسره به السيد رشيد صاحب المنار .

وقد سمع هذه الاستشارة من الزعيم الهندي ، والنصيحة من الامام المصري ، جماعة من كبار الفضلاء ، منهم سعادة الاستاذ العالم المرشد الشيخ محمد صادق المجددي الوزير المفوض لدولة أفغانستان بمصر ، وسعادة الشيخ فوزان السابق ممثل الدولة العربية السعودية فيها ، والمرحوم أحمد زكي باشا شيخ العروبة الشهير وغيرهم

ومن كبار العلماء الاعلام الذين يشهدون بالحق للمنار وتفسيره الاستاذ العلامة الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية والاستاذ العلامة الشيخ أحمد ابراهيم مدرس الشريعة في كلية الحقوق أكثر الله من أمثالهم ، وقد نشرنا في المنار تقاريظ طائفة منهم

عاقبة الازهر ومستقبله

هانحن أولاء قد أجملنا مقاصد المنار الاصلاحية العشر التي أنشأ يدعو اليها منذ طفولته الصحفية ، ثم شب واكتهل وشاخ وهو مستقيم عليها ، فما ازداد فيها إلا قوة ورسوخا ، وهانحن أولاء نرى الزمان قد اضطر الازهر إلى قبولها كلها ، واستخدام عدوها وتسخيره لتنفيذها ، إلا التصريح في مناهج كلياته بما يجب من إنكار البدع وإبطال منكراتها بالتفصيل ، وسيصرح بهذا بعد انقاذ الله تعالى له من هذه الرياسة العارضة التي يأباها مزاجه في هذا الطور الاستقلالي الذي دخل فيه ، فهو الآن في موقف انقلاب بين التفرنج الالحادي (وقاه الله منه) والاصلاح الاسلامي الذي بث المنار دعوة الائمة المصلحين له منذ ثلث قرن ونيف ، ولن يكون للشيخ محمد الاحمدي الظواهري رأي ديني ولا علمي يحفظه له الازهر في عصره الجديد ، وإنما يكون له صفحة سوداء في تاريخه ، ولكن تفسير المنار الذي يصد هو الازهر عنه بنفوذه العارض ، بما كشفنا عنه طرف الستر من الدسائس ، سيقرر فيه ويكون المعول عليه ، وعلى مختصره الذي سنشرع فيه قريباً ان شاء الله ،

إن هذا لكائن لامندوحة للازهر عنه ، ولا عن الرجوع إلى نظام مدرسة الدعوة والارشاد المطبوع والمنقح ، ولا عن سائر ما شرحناه من الاعمال الضرورية للاصلاح الاسلامي في المنار مفصلا في بضع وثلاثين سنة ، ومنها الايجابي والسلبي ، ومن الثاني إلغاء تدريس علم الكلام القديم ، من مناهج علوم الدين ، وحصره في علم تاريخ الفلسفة الاسلامية والفرق الدينية وتاريخ التصوف الذي يوضع في منهاج التخصص ، كما أشرت اليه في المنهاج الذي كتبته لكلية أصول الدين باقتراح شيخها الفاضل ، وسأشرح هذا في فصل خاص أو فصول عن هذا الطور الجديد للازهر والخطر عليه فيه ، وما يجب لتلافيه ، عوداً على ما بدأته في المقالات التي نشرتها بالمقطم في صيف سنة ١٩٣٣

وانما الاعمال بالخواتيم ، والعاقبة للمتقين ، والحمد لله رب العالمين

(تم القسم الثاني من كتاب المنار والازهر ويليه العبرة به)

علاوة الكتاب

العظة والعبرة بعاقبة الظواهري

في مشيخة الازهر

(فاعتبروا يا أُولِي الابصار * ولا تركَنوا الى الذين ظلموا فتمسَّكمُ النار)

انني أجملت في مقدمة هذا الكتاب تاريخ الازهر ماضيه وحاضره إلى أن رزىء بمشيخته الشيخ محمد الظواهري وما يخشى منها على مستقبله ، وبينت فيها أنه قذف الرعب في قلوب أهل الازهر من أول عهده لاخضاعهم لرياسته، فعلموا أنه مستبد في الازهر ومعاهده بقوة الحكومة الاسماعيلية ومشمول برضوان صاحب الجلالة الملك فوق ذلك ، وأنه أقنعها بأنها لاتجد غيره يرضيها بكل ما تريد فيحل محله، ففوضت اليه أمر الازهر والمعاهد الدينية يتصرف في الظاهر ، كما يتصرف الاقطاب في الباطن ، وكان هذا سبب الشكوى العامة من سيرته، والتشهير بأعماله وإدارته في الصحف ، وعدم وجود أحد من الازهريين ولا من غيرهم يدافع عن شيء من مساويه ، ولو جمعت المطاعن التي سددت سهامها اليه والى الازهر في عهده لبلغت سفراً كبيراً، وهي لاتزال تزداد وتتكرر على الايام ومن أسبابها تحريه الجمع بين إرضاء الخرافيين والمتفرنجين ، وأكثرها يرجع الى السياسة الحزبية والاهواء الحكومية، التي مادخلت في عمل إلا أفسدته وفاقا للمثل المأثور عن الاستاذ الامام

ثم لخصت أنواع المطاعن التي سددت اليه في الصحف في اثني عشر نوعا وختمت المقدمة بهذه الجملة :

﴿ وانه ليؤلمني ألذع الالم أن تضطر الامة الاسلامية وصحفها الى هذا التشهير بسيرة الرئيس لأكبر مصلحة اسلامية في مصر، ونحن نرى اجلال جميع الطوائف

لرؤسائها الدينيين، وسأبين رأيي في المخرج منه، وفيما يجب أن تكون عليه الرئاسة الاسلامية من النظام، وما يجب لها من الاحترام، وهو ما أوجه اليه الانظار، وأدعو للسعي له حزب التجديد والاصلاح، والعاقبة للمتقين »

كتبت هذه المقدمة في أول شهر ربيع الاول سنة ١٣٥٢ (٢٤ يونيو سنة ١٩٣٣) ونشرتها في الجزء الرابع من المجلد ٣٣ الذي صدر في ذلك الشهر، وكان مايؤلمني من طعن الناس على شيخ الازهر الذي يلقب بشيخ الاسلام، مما يزداد ويتضاعف بسوء سيرة الشيخ الظواهري، وكان ما يسمع منها في المجالس الخاصة، ألذع وأحمز مما ينشر في الصحف العامة، لشدة ضغط الحكومة على الصحف، وألف الشيخ الظواهري الطعن وما هو شر منه فما كان ليعتبر ويتوب، لأن لذة الاستبداد وعظمة القهر لرجال العلم والدين، أرجح عنده من ألم الذم والمقت من جماعة المسلمين، فاشتدت ضراوته باستبداده، واتخذ الوزارة القاهرة للامة قدوة له، وآثر رضاها ورضا البلاط الملكي على رضى الله ورضى الامة، فكان هذا ممازاد الناس مقتا له، وضراوة بالطعن عليه، فلم يكن من المستطاع كف الناس عن اهانته، ولا بيان ما وعدنا به من المخرج من اهانة الناس لرؤساء الدين الاسلامي والتزام احترامهم كرؤساء سائر الملل، لان هذا لا يفيد إلا اذا كان نظاما متبعا يحول دون اغرائهم الناس باهانتهم، بل لا يدع لهم سبيلا عليهم لامن سيرتهم ولا من غيرها (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) ومن حكمة الشعر قول بعضهم :

من حمل الناس على ذمه ... ذموه بالحق وبالباطل

دع قول الآخر :

اذا ما أهان امرؤ نفسه ... فلا أكرم الله من يكرمه

ولا تنس قول بعضهم في نظم الحكمة المأثورة

ولو ان أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا ... محياه بالاطماع حتى تجهما

ولا نظم بعضهم لقاعدة علم الاصول الفقهية :

قالوا فلان عالم فاضل ... فاكرموه مثل مايقتضي

ففقات لما لم يكن عاملا   تعارض المانع والمقتضي

تمادى الشيخ في غيه، واستمرأ مرعى بغيه، وتمادى الناس في إهانته بالقول والفعل، والنظم والنثر، حتى ان كان ليدخل بعض المجامع فلا يقوم له الناس، وكان يخشى على حياته منهم كما قلنا في المقدمة، فهل يجوز أو يحل بقاء هذا شيخا للازهر؟

انما أشرت الى اثني عشر من سيئاته فيها اشارة وجيزة لاجل العبرة التاريخية وقد أمسكت عن بسطها وعن ذكر غيرها مما هو شر منها كراهة للتشهير به، واحتراما لمنصبه، ولأنني كنت أظن أن جلالة الملك الذي وضع قانون الازهر والدستور الجديد وشئون المعاهد الدينية ورياستها في يده الكريمة، لا يلبث أن يطلع على الحقائق فيظهر سخطه على الشيخ الظواهري فيضطر الى الاستقالة من رياسته أو يؤمر بها، ثم ظهر لي ولغيري أن رجال البلاط الذين يلقبون اليوم بغير المسئولين كانوا يكتمون عن جلالته مالا يرضيه من سوء ادارة شيخ الازهر وتصرفه، أو يلبسون فيها الحق بالباطل، ويصورون الضار بصورة النافع، بل كان المطلعون على الحقائق ولا سيما أصحاب الجرائد يعلمون هذا ولم يكونوا يستطيعون نشره لشدة ضغط السلطة الشخصية (الدكتاتورية) عليهم

على ان منهم من كان يوميء اليها بما ينشرون في الجرائد ثم يفسرونها في أحاديث السمار والمجالس، وكان بعضهم ذكره في مذكرات كتبها لنا

من ذلك مقال لبعضهم نشر في جريدة مصر في ٢٦ يناير سنة ١٩٣٢ موضوعه « استغلال دعوى الاخلاص للذات الملكية الكريمة، واحتكار هذا الاخلاص للوصول من ورائه الى المآرب والاغراض والشهوات »

ومنه مانشر في جريدة السياسة (في ٢ مارس) من تلك السنة وفي جريدة كوكب الشرق (٢٨ منه) في موضوع « هرب شيخ الازهر من المسؤلية في أعماله ومحاولته إلقاء تبعتها على القصر الملكي بادعائه أن للقصر جاسوسا عليه »

يعني أن كل أعماله في الازهر هي تنفيذ للارادة الملكية السنية تحت مراقبة صربة لا يمكنه التحول عن شيء منها قيد شعرة، وان كل من عارضه فيها فهو عرضة للانتقام، الذي صب سوطه على سبعين من علمائه الكرام، بنبسة من فمه،

وجرة من قلمه، وما طردوا وحرموا الرزق إلا لشهادته عليهم بأنهم مخالفون في عقيدتهم وآرائهم للرضاء العالي

ثم نشرت في هذا العام من عهد غير بعيد مقالة طويلة في هذا الموضوع لبعض العلماء المنصوبين ظن القارئون لها أن كاتبها يتوخى بهذا أن يحال على القضاء لأجلها فيشرح في المحكمة ما يمتنع شرحه في الجريدة

وشر من ذلك ان يشمل هذا التعليل أو الاعتذار ما أنكره المسلمون على الشيخ الظواهري من امتناعه ومنعه من مشاركة علماء الدين ومعاهدهم فيما مس اخوانهم من ظلم الدول المستعمرة في فلسطين وسورية وطرابلس برقة وتونس والجزائر، ومن إكراه طلبة الازهر على الاحتفال بملك إيطالية في الشوارع بما ازدراهم الناس به فهو عمل موجب لم يعهد مثله من الازهر وقد عهد مثل السالب الذي ذكر قبله منهم

وشر من هذا أن يسلك فيه ما فعله من التصدي لاحباط عمل جمعية الدفاع عن الاسلام وكبح جماح دعاة النصرانية (المبشرين) عن ضراوتهم في إهانة الاسلام بمحاولة تنصير التلاميذ والتلميذات بالوسائل المنكرة التي هاجت مسلمي مصر ومسلمي غيرها ، فلما نهضوا للمناهضة وألفوا جمعية الدفاع عن الاسلام واختاروا الشيخ المراغي رئيساً لها سنحت للشيخ الظواهري الفرصة لاظهار الغيرة على الاسلام من العدوان الاجنبي أول مرة ، وسل سيف نفوذه الازهري لاحتكار هذا الدفاع ومنع غير الازهريين أن يقوموا بهذا الواجب إذ رأى الحكومة تريد أن تستعمله في هذا المظهر

وقد علم جميع أهل الرأي والعارفين بسيرة الشيخ الظواهري أن غرضه الباطن إضعاف نفوذ الاستاذ المراغي ، وغرضه الظاهر مرضاة الحكومة الممقوتة فيما تبغيه من مرضاة الدولة الانكليزية إذ راعها عمل مسلمي مصر ، وصاحت جريدة التيمس وغيرها من الجرائد الاجنبية بالشكوى من يقظة التعصب الاسلامي في مصر ، وكشرت دار المندوب السامي للحكومة المصرية عن أنيابها ، فلم تجد الحكومة وسيلة لاتقاء غضبها مع اتقاء تهمة الامة لها بنصر النصرانية على الاسلام إلا مشيخة الازهر ، والمشهور عن المشيخة أنها لا تقدم على أمثال هذه الاعمال

من خدمة الحكومة إلا اذا علمت أنها ترمي فيها عن قوس عقيدة البلاط بوحي خاص.

ولقد كان يتعذر على العارفين بهذا أن يطمئنوا على المشيخة أن ألفت لجنة من هيئة كبار العلماء بعنوان ظاهره مقاومة دعاة النصرانية وكفهم عن تنصير المسلمين وإغناء مرضى الفقراء عن مستشفياتهم ، وأن يكتبوا في الجرائد أن هذا سعي غير معقول، ولا يرجى لهم فيه نجاح ، ولكن كانوا يقولونه في المجالس وأشرت اليه في المنار وقال فيه بعض الادباء :

دع الشرع في مصر فان حماته تواروا فرارا من نفاق المظاهر
وان رمتهم بالحق خلوا من الطلا فلا تحتكم في أمرهم للظواهر (ي)

الزلفى للملوك خيانة لهم وجناية على الامم

إن شر الدواب عند الله ، وأضلهم عن سبيل الله ، وأضرهم لعباد الله، أناس يتخذون الزلفى عند الملوك وسيلة الى البغي على الناس والفساد في الارض ، وما كان المسخط لربه والمؤذي لأمته أن يكون مخلصاً لملكها وأميرها ، بل أحر بهؤلاء أن يكونوا أشد خيانة للملوك والسلاطين ممن يحاربونهم بالسلاح ، لأنهم يغشونهم ويخدعونهم ، بايهامهم أنهم يخدمونهم ، ويطبعون القلوب على حبهم والخضوع لهم ، وما هو في الحقيقة الا اتخاذ الملوك آلة لمنافعهم ، وما يبغون من الجاه والعظمة في قومهم

وقد ثبت بالتجارب المطردة أن عاقبة هذه الطائفة الخبيثة وآثارها كانت شر الآثار والعواقب ، ونحن أدركنا منهم عصر السلطان عبد الحميد وما كان له في قصر يلدز من المقربين الرسميين وغير الرسميين ، ومن حملة العمائم المنافقين، الذين لقبهم ابراهيم بك المويلحي بحملة عرش الخلافة . فلقد بغضوه الى الامة وما حببوه ، وخفضوا من قدره عندها وما رفعوه ، على ما كان لكل منهم من عشائر وفصائل في أنسابهم، أو صنائع وأتباع لرشدهم ومعروفهم، فأنى لمن لا فضيلة له في خدمة الامة تعليه ، ولا فضيلة له تؤويه ، ولا صنيعة له ترضيه ، ولا زعامة في دنيا تنطق بلسانه اذا تكلم ، ولا امامة في علم أو دين يتبع فيها اذا أفتى أو

علم، بيد أنه تهوك في التجربة، فما اقتحم العقبة، فظهر انه دون العقبة؟ وقد انهتك الستر، وانكشف السر وظهر للناس كافة، ما كان لا يدريه إلا بعض الخاصة، وهو أن الشيخ الظواهري من صنائع محمد زكي باشا الابراشي الذي كان تصرفه في البلاط الملكي بما هو خارج من حدود وظيفته من أفعل الاسباب في قلب نظام الحكومة الشخصية الذي أسسه اسماعيل صدقي باشا، ولا يعلم غير الله إلى أين يصل هذا الانقلاب وانما كان الظواهري ناصراً وخادما له لا لملك البلاد. فهو الذي يزكيه، ويخفي مخازيه، لمآرب له فيه

بل أقول: وعزة الحق أنه ما كان ناصراً بل خاذلا، وما كان خذلانه إلا لنفسه، ومن خذلانه لها إجماع طلاب الازهر وسائر المعاهد الدينية وشيوخها على مقته حتى الفئة الباقية من الجامدين على البدع والخرافات، الكارهين المجددين من حزب الاصلاح، ألم تر اليه كيف هاجمته الفتنة التي دبرها فولى مدبراً (ولم يكن له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً)؟

العبرة للظواهري وبه في سيرة الاستاذ الامام

لقد كان له أن يعتبر بسيرة الاستاذ الامام التي شهد بدايتها ونهايتها، إذ شمر عن ساعده لنصره بكتاب (العلم والعلماء) ثم انقلب لنضاله عند ما أراد الخديو تقويض ماشاده للازهر من الاصلاح، ورأى كيف نصرته الامة الاسلامية في جميع الاقطار على الامير وجمهور علماء الازهر الخاضعين له، وكيف تزداد امامته بعد موته أتباعا وأنصاراً؟ وما لذلك من سبب إلا إخلاصه في عمله لله تعالى، وابتغاؤه اعلاء كلمته، وتجديد هداية كتابه وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته، بما يعيد مجد الاسلام، ويرفع علمه فوق الاعلام؟

العبرة بالظواهري في مهاجمة المنار

ألا انه نظر بعيني عقاب ولكنه لم يبصر، واسترق السمع بأذني فرس ولكنه لم يسمع، فهاجم اصلاح المنار باسم الازهر الشريف ومجلة المشيخة لسان المعاهد الدينية الصوري لا الحقيقي، فانقلب على عقبيه، وأظهر الله المنار عليه، وكان

حن أنصار المنار عليه ألسنة من الازهر خاطبة، وأقلام كاتبة ، ومشاعر سليمة ، وعقول مدركة ، وقلوب مخلصة ، ولم يكن له في الازهر وهو رئيسه من ولي ولا نصير ، غير موظف عاجز أجير ، كذاب جاهل بعلوم السنة والتفسير (يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير)

خذلان الظواهري في المؤتمر الاسلامي

والكيد لابن سعود

قد كان الظواهري يبغي من وراء الرد على المنار القضاء على سلطان السنة وهدي السلف الصالح، بالطعن على سيفهما المسلول الامام عبد العزيز الفيصل بن السعود ، إذ جعل قدح مجلة الازهر في صاحب المنار على خدمته للسنة مقترنا بالقدح في الوهابية واغراء المسلمين بعشاقتهم، يقصد بهذا إتمام الخدمة التي توسل بها إلى مشيخة الازهر بذهابه إلى مكة المكرمة لنفث سم الشقاق في المؤتمر الاسلامي الذي عقده فيها ابن السعود في موسم الحج سنة ١٣٤٤ فكان وجوده في المؤتمر فضيحة وأي فضيحة له وفوزا لنا، إذ عرضنا فيه أن يحتج المؤتمر على فصل منطقة العقبة ومعان من مملكة الحجاز وهي أعظم ثغوره وأمنعها وإلحاقها بإمارة شرقي الاردن التي أسستها الدولة البريطانية ووضعتها تحت سيطرتها بالتبع للسيطرة على فلسطين بما يسمونه الانتداب .

عرض هذا الاقتراح صاحب المنار ، فتلقاه المؤتمر بالقبول والارتياح ، للعلم بأن بقاء هذا الثغر تحت سيطرة الانكليز أعظم خطر حربي على الحرمين الشريفين وسبب لسكنى الاجانب وغير المسلمين في أرض الحجاز ، وقد أوصى النبي ﷺ في مرض موته باخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب كلها ، وبأن لا يبقى فيها دينان . ولكن الشيخ محمداً الاحمدي الظواهري امتنع من قبول هذا الاقتراح، الذي هو أعظم خدمة للاسلام في هذا المقام، وما منعه أن يقبله الا أنه يتضمن الخدمة

لملك الحجاز وحامي الحرمين الشريفين ورافع لواء الامن فيهما بما لا يعهد له نظير في التاريخ إلا في صدر الاسلام، حيث لم يكن عليهما خطر من أجنبي قط ، ولقد خذل الله الظواهري في هذه كما خذله في غيرها فما كان إلا مخذولا

نصر ابن سعود دين الله فنصره الله ، وخذل كل من ناهضه وعاداه ، وأظهر حكم الله فأظهره الله في العالم كله ، ومحا بحسن سيرته كل ما افتراه أهل البدع على قومه من قبله (إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

أول موعظة قلتها لابن سعود وجوابه

قلت لابن سعود في أول مجلس جلسته اليه عقب وصولي الى مكة المكرمة : لقد أوذيتم من قبل ومن بعد فصبرتم فنصركم الله كما وعد الصابرين فحق لقومك أن يتمثلوا ويعتبروا بما حكاه الله تعالى عن بني اسرائيل مع موسى عليه السلام بقوله (٧ : ١٢٨ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ، قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون) فعليكم أن تحسنوا عملكم بشكر هذه النعمة الجديدة ، فان الله تعالى ينظر اليكم كيف تعملون فيجزيكم به .

فأجابني قائلا : اننا والله لا نخاف الا من القرآن !! فتأملوا هذا الجواب ، يا أولي الالباب ،

ألم يكن مثل الشيخ محمد الظواهري جديراً بأن يخاف من القرآن ، وأن يعتبر بمواعظ القرآن ، ويتدبر مثل قوله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ، وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) ؟

فان لم يعتبر بالوعد والوعيد فيه لأنه يرى أن الاهتداء به خاص بالمجتهدين ، كما يزعم هو وأمثاله من المقلدين الجامدين ، أفلا يعتبر بما قاله في الآية المفسرون من أتباع المذاهب المقلدة كلها وسنختم هذه العبر بشيء منها ؟

خلاصة القول في مشيخة الظواهري

الخلاصة ان الشيخ الظواهري كان يعشق المشيخة من أول نشأته ، وأنه توسل اليها بكل ما اعتقد أنه يرضي أولي الامر في الظاهر ، وبكل ما اعتقد أنه يرضي أولياء الامر في الباطن ، وهم المتصرفون في الكون كله بزعم أهل الخرافات ، وأصحاب الديوان الذي ترأسه أم العواجز في بعض الاوقات ، وقد جمع بين إرضاء أهل الظاهر وأهل الباطن على تعارض الوسائل اليهما والجمع بينهما فنالها

ولكنه لم يضم اليهما مايرضي الله تعالى باماتة الابتداع في دينه ، وإحياء هداية كتابه وسنة رسوله ﷺ والرحمة والعدل في ادارته ، ولم يرض علماء الازهر المحافظين المقلدين بل أسخطهم بجعل أزمة التعليم في قبضة المتخرجين في مدارس الحكومة حتى ادارة مجلة المشيخة ورياسة تحريرها ، ولم يرض علماء المجددين المستقلين ، بل كان أول ما أظهره من سطوة رياسته عزل جمهور من النابغين فيهم ، وتهديد الباقين في رزقهم

ثم إنه أساء الى الجميع بما اختزله من ألوف الجنيهات من ميزانية الازهر والمعاهد الدينية وأرجعها الى الحكومة المسرفة في أموال الامة من طرق كثيرة غير مشروعة كنافع الاجانب حتى في بذلها الالوف لمؤلفيهم ومعلميهم من حيث يستخدم هو متخرجي الازهر بما لايكفي لمعيشة الكفاف

ثم ظهر عجزه في الادارة بما هاج طلبة الازهر في قسم التخصص والكليات حتى حملهم على الاضراب عن الدروس ، وأغرى بعض الاغرار منهم بتقليد بعض الضالين لسمير الظلم الوطني ، في الالتجاء إلى الشكوى للاجنبي ، لأجل غيظ المشيخة والمسيطرين عليها . ومن هنا ننقل الكلام من دار المنار ، الى دور جرائد الاخبار ، فنخلص منها خلاصة مافعل الازهر وما أعلنه من رأيه وشعوره في الظواهري

عاقبة الشيخ الظواهري في الازهر

والثورة على مشيخته والصراخ باسقاطه

كانت إدارة الظواهري كأتون نار صبر على حر سعيره المشايخ المهددون بقطع رزقهم، وطردهم من مأوى شرفهم ، فلما وصل حره الى الشبان من حملة الشهادة العالمية المظلومين خانهم الصبر ، فأظهروا الشكوى فأنذروا بالطرد ، فنفخوا روح الاعتصاب في أمثالهم، وطفقوا يتركون الدروس في كلياتهم، ويتبعهم اخوانهم في الازهر وسائر المعاهد ، حتى اذا ماسقطت حكومة النظام الاستبدادي وولي رياسة الوزارة رجل الاستقلال والنزاهة والعدل محمد توفيق نسيم باشا ، ثار أهل الازهر فسائر المعاهد الدينية ثورة عامة ، وأظهروا شعورهم ورأيهم للحكومة الجديدة وللأمة . وهاك ملخص خبر مظاهرتهم وأسبابها ومطالبهم بها نقلا عن جريدة الاهرام التي هي أدنى الصحف الى العطف على الشيخ الظواهري ومدحه، وأبعدهن عن اظهار مساويه التي أجمعت عليه جرائد جميع الاحزاب المصرية :

جاء في عدد الاهرام الذي صدر في صباح ١٠ شعبان (١٨ نوفمبر) مانصه:

في الجامعة الازهرية

إضراب عام في الجامعة الازهرية ـ تنظيم مظاهرة كبرى ـ الهجوم على إدارة المعاهد الدينية ـ الهتاف بعودة الشيخ المراغي وسقوط الشيخ الاحمدي الظواهري ـ اقتحام غرفة شيخ الازهر وتحطيم المكتب والاثاث ـ فرار كبار الموظفين من وجوه المتظاهرين ـ إبلاغ الامر إلى الجهات المختصة

أخذ الطلاب الازهريون في الايام الاخيرة يعقدون الاجتماعات المتتابعة ، ويبحثون موقف مشيخة الازهر حيال مسائلهم المتعددة كتحديد عدد الطلاب المستجدين في السنة الاولى من الكليات الثلاث مع مافي هذا التحديد من ضياع لمستقبل المئات من حملة الشهادة الثانوية ، وكفصل الطلاب من الدراسة في مختلف السنين الدراسية كلما قالوا قولا أو طالبوا بمطلب، وحرمان طلاب التخصص الجديد من

المكافأة المالية التي كانت - ومازال - مقررة لزملائهم طلاب التخصص على النظام القديم

وقد استقر قرارهم عقب أن استعرضوا تلك الحوادث والوقائع على الاضراب العام احتجاجا لدى الرأي العام ولدى الحكومة على انتهاج مثل هذه السياسة ، وقد مضى طلاب التخصص وطلاب الكليات الثلاث ينفذون هذا القرار ، فأضربوا منذ يومين عن تلقي الدروس وأرسلوا إلى ولاة الامور ما يفيد انهم ماضون في الاضراب حتى ترفع تلك القيود الثقيلة التي فرضت عليهم في الايام الاخيرة

وحدث أمس أن أضرب طلاب المعهد الازهري جميعاً وطلاب الكليات الثلاث وطلاب التخصص الجديد والقديم وطلاب القسم العالي في الازهر ، وقد خرجوا بالقوة من دور الدراسة وألفوا مظاهرة كبيرة سار فيها نحو أربعة آلاف طالب أزهري من مختلف السنين والاقسام ، وقد قصد الطلاب المتظاهرون أولا إلى دار حضرة صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا رئيس الوزراء فهتفوا طويلا بحياة دولته وحياة زملائه الوزراء وحياة الوفد المصري وسقوط شيخ الجامع الازهر

وبعدئذ اتجهوا إلى ميدان عابدين صفوفا ومواكب متلاصقة ، وكان هتافهم الوحيد : فليحيى الشيخ المراغي شيخ الازهر الجديد ، ولما قاربوا إدارة المعاهد الدينية في شارع نوبار (الدواوين سابقا) تبدل هتافهم وصاروا يهتفون بحياة وزير الاوقاف الجديد وسقوط شيخ الازهر وطلب إقالته

وقد لبثوا على هذه الحال حتى وصلوا إلى إدارة المعاهد الدينية فاقتحموا أبوابها وأخذوا أولا ينادون بأصوات مرتفعة بأن يعلن الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر (١) عليهم بصوت عال انه قد استقال من منصبه أو أنه سيستقيل ، وقالوا اننا نرى حبا في الوئام والسلام أن نمهل فضيلته (١) إلى غد ليقدم هذه الاستقالة

ولما لم يجبهم مجيب ، أو يستمع اليهم سامع ، صعدوا إلى الطابق الاعلى وهم جموع حاشدة زاخرة وطالبوا الحجاب والسعاة بأن يمهدوا لهم مقابلة الشيخ ولكنهم

---

(١) ليعلم القارىء أن جريدة الاهرام تلتزم ذكر لقب الشيخ العرفي فضيلة (الاستاذ الأكبر) حتى في الحكاية عمن لم يلقبه به وهو أدب نحمد عليه ولا يعد خطأ ان كانت الحكاية بالمعنى لا بالحرف

أخبروهم بأن فضيلته قد غادر إدارة المعاهد الدينية وذهب إلى وزارة الاوقاف لتهنئة سعادة وزيرها الجديد، فصاحوا : كيف هذا ؟ ثم هجموا على الباب فكسروه ودخلوا إلى غرفة الشيخ الاكبر فلم يجدوه فيها ولكنهم نزلوا بالمراوت والعصي فوق المكتب وآلات التليفون حتى تهشمت وعلى الثريات الكهربائية الكبيرة المعلقة في الغرفة فحطموها عن آخرها كما حطموا كل ما في الغرفة من أثاث وأدوات . وبعدئذ أخذوا يهتفون بسقوط الشيخ الاكبر (!!) وحياة فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ المراغي الذي كانوا يلقبونه بشيخ الازهر الجديد

وقد اتجهوا إلى غرفة الاستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الازهر والمعاهد الدينية ولكن أذيع ان فضيلته قد خرج وانه لم يحضر اليوم إلى الادارة العامة وانصرف كبار الموظفين في إدارة المعاهد الدينية من وجه المتظاهرين ونزل بعضهم إلى الطابق الاول وغادر بعضهم الادارة وتوجهت جموع الطلاب إلى دور الوزارات حيث هنأوا حضرات الوزراء الجدد ، ثم ساروا ثانية إلى دار حضرة صاحب الدولة توفيق نسيم باشا رئيس الوزراء وأخذوا يهتفون حتى أطل عليهم دولته من شرفة الدار وقال لهم ما يفيد ان الوزارة ستنظر في مسألتهم في ضوء الخير والمصلحة العامة وطلب اليهم أن يخلدوا الى السكينة والهدوء حتى يتمكن وزملاؤه من بحث كل ظلامة وشكوى وتحري كل مسألة من المسائل التي وقعت على الافراد والجماعات والهيئات بما فيه الصالح العام

وقد أبلغ هذا الحادث الى فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر في منزله كما أبلغ الى قسم عابدين فحضر حضرة الضابط أمين جميصة أفندي ضابط المباحث في هذا القسم وعاين غرفة شيخ الازهر والادوات المحطمة فيها ونظرا لفداحة ما وقع اتصل حضرته بمأمور القسم وأبلغه ما شاهد وطلب الى موظفي إدارة المعاهد الدينية وإلى الحجاب والسعاة أن يغلقوا هذه الغرفة حتى ينتهي التحقيق

هذا وقد اجتمع الطلاب بعدئذ في الجامع الازهر وبحثوا موقفهم ومسألتهم ثم أبلغونا مساء أمس انهم « أقسموا بكل محرجة من الايمان على أن لايعودوا الى دروسهم حتى تجاب مطالبهم » وإنهم أصدروا قرارات أهمها (١) طلب اسناد رئاسة الازهر الى المصلح الكبير صاحب الفضيلة الشيخ المراغي (٢) المطالبة بالغاء قانون تحديد الطلاب في دخول الكليات والقسم الابتدائي وإعادة الطلاب المفصولين وفي مقدمتهم طالب التخصص المفصول (٣) إلغاء القانون القاضي باعادة الامتحان في جميع المواد لمن رسب في مادة واحدة (٤) رفع الوصمة التي لحقت بجبين علماء الازهر المفصولين ورفع مرتبات المدرسين الجدد أسوة باخوانهم (٥) منح طلبة التخصص الجديد المكافأة المالية التي كانت مقررة ـ وما تزال ـ مقررة لزملائهم طلبة التخصص القديم

ولقد أذاعوا بيانا ضافياً يشرحون فيه وجهة نظرهم في الاضراب ، وهي لاتخرج عما نشرناه في هذا المقام وقالوا في ختامه: اننا نلجأ إلى جلالة الملك كما نلجأ إلى الرأي العام راجين إنهاء هذه السياسة الشاذة التي ينتهجها ولاة الامور في الازهر وان لنا في عدالة قضيتنا ، وإيماننا بوجاهة مطالبنا مايجعلنا نمضي في سبيلنا واثقين من النصر ، مستهينين بالظلم ، وقد آن لنا أن نودعه إلى غير رجعة ، مستقبلين مع الامة الكريمة عهداً جديداً يسود فيه العدل والحق والنظام

وقد اتخذوا قراراً يقضي بأن يجتمع كل طالب أزهري في الساعة السابعة والنصف من صباح اليوم لاتخاذ ما يرونه من القرارات

ومن ناحية أخرى فقد حضر فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر في الساعة العاشرة من صباح أمس إلى إدارة المعاهد الدينية وقضى بعض الوقت في غرفة الاستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الجامع الازهر والمعاهد الدينية ثم انتقل إلى غرفته واستدعى اليه أحد موظفي الادارة العامة وطلب اليه أن يبحث

الاوراق الموجودة في حقيبته على أن يخرج منها الاوراق المتعلقة بادارة المعاهد الدينية ويبقي الاوراق الخاصة بفضيلته وقد قام الموظف بما نيط به ، وبعد ذلك أخذ فضيلة الاستاذ الاكبر هذه الاوراق الخاصة وغادر إدارة المعاهد الدينية قبل الموعد الرسمي بساعة ونصف ساعة . وقد أشيع في إدارة المعاهد على اثر هذا ان فضيلته قد قدم استقالته ، فسأل مندوب «الاهرام» في الدوائر الازهرية عن نصيب هذه الاشاعة من الصحة واتصل بمختلف المصادر فعلم أن فضيلة الشيخ الاكبر قد اتصل ببعض الدوائر العليا وعرض عليها كل المسألة ولا يزال ينتظر الفصل في الموضوع اه (ويلي هذه المقالة مقالة مراسلها عن معهد الاسكندرية)

في معهد الاسكندرية

الاسكندرية في ١٧ نوفمبر لمراسل الاهرام الخاص — تجري في محيط طلبة معهد العلم بالاسكندرية الآن حركة غير عادية آتية من ناحية الجامعة الازهرية ويراد منها السعي لاعادة فضيلة الشيخ المراغي إلى مشيخة الازهر

ولقد اجتمعت لجنة جمعية الطلبة هنا اليوم وقررت مشاركة الساعين في القاهرة في هذا السبيل ، ووضعت المطالب الآتية لتعرض على حضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء وهي :

أولا — ان الطلبة يرفعون التهنئة الخالصة إلى دولة توفيق نسيم باشا

ثانيا — يرجون من دولته وهو الرجل العادل النزيه أن يضع حداً لهذه الفوضى الشاملة التي جرت في الازهر نتيجة حتمية لسوء الادارة وضعفها ، ويرفعون إلى دولته شكواهم من الظلم الذي انصب على رءوسهم في الايام الاخيرة مما سبب هذه الاضطرابات المتوالية التي ستفوت عليهم من غير شك كثيراً من الفوائد

ثالثا — يأملون اختيار المصلحين الذين يمكنهم أن يقودوا الازهر قيادة صحيحة ويقوموا برسالتهم خير قيام

رابعاً — يؤيدون إخوانهم طلبة الكليات المضربين في مطالبهم ورغباتهم التي يعضدها جميع الطلبة إلى أن تتحقق ؟

مقالة الاهرام في ١١ شعبان ١٩ نوفمبر

استمرار الطلاب في الاضراب ، اجتماع الطلبة وقراراتهم

لا يزال الطلاب الازهريون مضربين عن الدراسة وقد صدرت الأوامر الى الاساتذة والمدرسين في أن يجلس كل واحد من حضراتهم في الفصل المنوط به التدريس فيه في خلال المدة المقررة للحصة

وقد حضر فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر في صباح أمس إلى إدارة المعاهد الدينية ونظرا إلى أن المكتب الذي يجلس اليه ما يزال محطما فقد قصد إلى غرفة الوكيل فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام وقضى معه زهاء الساعة ثم غادر الادارة وقصد الى دور الوزارات حيث هنأ بعض الوزراء الذين لم يكن قد تمكن من تهنئتهم وعاد بعدئذ الى الادارة قبيل انصراف الموظفين وقضى فيها بضع دقائق وانصرف عائدا الى منزله

وقد حضرت أمس قوة كبيرة من رجال البوليس مؤلفة من نحو أربعين جنديا ورابطت في داخل إدارة المعاهد الدينية

وقد تلقت إدارة المعاهد الدينية في صباح أمس مايفيد ان الطلاب في المعهد الازهري ومعهد أسيوط والاسكندرية والزقازيق وطنطا وفي الكليات الازهرية الثلاث وفي القسم العام بالجامع الازهر مايزالون مضربين عن الدراسة

هذا وقد اجتمع الطلبة في صباح أمس في الجامع الازهر وأخذ خطباؤهم وشعراؤهم يلقون الكلمات والقصائد الحماسية التي تقوم على تمداد ما للازهر والازهريين من مواقف وطنية رائعة في تاريخ النهضة الحديثة . وقد تقدم بعضهم باقتراح يقول بوجوب تأليف مظاهرة كبرى تمشي هاتفة في الشوارع وتطوف على المصالح والوزارات ، ولكن بعض الطلبة قد نصحوا بالتزام السكينة والهدوء مع استمرار الاضراب العام حتى يجاب مطلبهم الخاص بتغيير رئاسة مشيخة الازهر وذلك انصياعا للنصيحة التي أدلى بها دولة نسيم باشا رئيس الوزراء لوفود الطلبة الازهريين فوافقوا على هذا الرأي ثم أصدروا القرارات الآتية :

أولا — موالاة الاضراب العام حتى يعزل شيخ الازهر الحالي ويعاد فضيلة الشيخ المراغي شيخا للازهر

ثانيا — جمع الاكتتابات من بينهم لارسال الرسائل البرقية الى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك ودولة رئيس الوزراء والوزراء

ثالثا — الاجتماع في كل صباح بالجامع الازهر للتداول فيما يجب أن يعمل لتحقيق مطالبهم

رابعا — التزام الهدوء والسكينة في هذا الاضراب وعدم القيام بمظاهرات

وقد ارفض الاجتماع بعد ذلك ولكن حدث أن اجتمع طلبة القسم الثانوي بالمعهد الازهري وألفوا من بينهم لجنة خاصة بهم أقسم أعضاؤها على « المصحف الشريف » أن يكونوا واخوانهم طلبة الاقسام الاخرى يداً واحدة حتى يجاب مطلب الجميع

هذا وقد أرسل الطلبة الازهريون تلغرافا إلى أصحاب الدولة والسعادة رئيس الديوان الملكي ورئيس مجلس الوزراء والوزراء تتضمن رجاء سرعة البت في مطالبهم

﴿ معهد الاسكندرية الديني ﴾

الاسكندرية في ١٩ نوفمبر — لمراسل الاهرام الخاص — جاءنا من جمعية طلبة معهد الاسكندرية اليوم ان لجنتها الادارية اجتمعت بعد اتصالها بالمعاهد الدينية والجامعة الازهرية وقررت مايأتي

أولا — رفع عريضة الى حضرة صاحب الدولة رئيس الديوان الملكي ليتفضل بعرضها على جلالة الملك المعظم

ثانيا — استمرار اضراب طلبة المعهد مع طلبة الازهر أسبوعا قابلا للتجديد

ثالثا — التماس تعيين فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغي لرئاسة الجامع الازهر . ومطالب الطلبة المتشعبة تلتقي جميعا عند هذه الغاية

رابعا — شكر الصحافة الحرة على حسن خدمتها الحقيقة

***

وقد اطلعنا على العريضة التي رفعها مندوبو الطلبة اليوم صباحا الى دولة رئيس الديوان الملكي في قصر رأس التين فاذا هم يرفعون فيها اخلاصهم لصاحب الجلالة الملك ويلتمسون التفضل باسناد رئاسة الازهر الى الاستاذ الاكبر الشيخ المراغي اهـ

نموذج من مقالات العلماء والكتاب

﴿ في مشيخة الظواهري ﴾

كان أكثر الناس يظنون أن الشيخ الظواهري يبادر إلى الاستقالة من منصبه عقب اهانة طلاب الازهر وهجوم أربعة آلاف منهم على مكتبه لا كراهه عليها وفعل مافعلوا ، بل كانوا يتحدثون بهذا منذ اشتد الاضراب في كليات الازهر، وكان أعرف الناس بأخلاقه يقول إنه يتحمل كل وزر ويتجرع مرارة كل اهانة دون البقاء في منصبه إلا أن يأمره بالاستقالة وليه ونصيره محمد زكي باشا الابراشي ، ثم صرحت الجرائد وفي مقدمتها الاهرام عن لسانه بما يؤيد هذا الرأي الثاني فيه، وبأنه عقد في داره مجلس تحت رياسة الابراشي للتشاور في الكيد للانقلاب الجديد، فاندفع العلماء وكبار الكتاب ينشرون آراءهم في الشيخ والباشا، وانما يعنينا منها الاول فننشر بعض الشواهد المؤيدة رأينا في الاصلاح الاسلامي، وحفظ كرامة الازهر التي هي في نظرنا أقبح وأضر من كل مايتحدث الناس وينشر في الصحف من استبداد الابراشي ومضار تصرفه في الامة والحكومة

(مقالات جريدة السياسة في ١٤ شعبان)

﴿ ١ ﴾

فليحي النفاق

﴿ بقلم حفني بك محمود رئيس تحرير السياسة وشقيق صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس حزب الاحرار الدستوريين ﴾

موظف عالي المقام نال على حساب النفاق أسمى المناصب ، وتخطى زملاءه وفاق أقرانه . كان كلما عقد له النفاق ألوية الظفر وقذف به من درجة إلى درجة هزه الطرب وأخذته نشوة النصر فيصيح « ليحي النفاق »

ولماذا لايحيا النفاق مادام هو شفيع الرقي ووسيلة النجاح في عهد رثت فيه عرى الاخلاق واسترخت أعنة الكرامة وأصبحت الفضيلة ذنبا يستحق العقاب كما أصبح واجبا أن ينزل الرجل عن رجولته وكرامته وأن يعلن ذلك على الناس من غير حياء، فان هو اكتفى ببيع خلقه وكرامته في السر وخانه حياؤه فلم يعلن ذلك — على طريقة هذا الموظف الكبير — أصبح غير جدير بالصدارة في عهد يريد الرذيلة على المكشوف.

ولعل صاحب «فليحي النفاق» أكثر صراحة من غيره — من زعماء العهد الماضي — ممن كانوا يرون تزكية نفاقهم بالاعمال الشريرة من غير أن يكلفوا أنفسهم مؤونة الاعلان لعل ذلك يجزل لهم الاجر والثواب.. فحاكم الاقليم الذي حدثته نفسه بهدم دار عبد الجليل بك أبو سمره انما أراد أن يقيم دليلا ماديا على مبلغ ماانطوت عليه نفسه من الشر ابتغاء الزلفى ممن ظنوا أن الشر هو خير الوسائل لاحراز رضاهم والتمتع بثقتهم، فهو يوم استقرت نفسه على هذا الشر وهداه فكره إلى هذا الطريق قد التقى مع ذلك الموظف الكبير عند ذلك الغرض الذي وضعه العهد الماضي أمام عيونهم فهتف — كصاحبه — فليحي النفاق

ولم يهتف بحياة الشر لان الشر في عمله وسيلة، أما الغاية فهي مجرد الزلفى التي استحل في سبيلها الشرور والآثام

هذا شيخ الازهر لم ير عاراً عليه أن يرجع السبعين عالما الذين فصلهم بجرة قلم ولم يرع في ذلك حرمة الحق والعدل، ذلك لأنه لم يفصلهم لأنه اقتنع بينه وبين ضميره بما يوجب فصلهم، وانما رأى العمليات في سوق الزلفى رائجة والسوق يدعو أهل التجارة ويعد بالمكاسب العظيمة

أفيليق أن يقف الشيخ مكتوف اليدين؟ إذن فلينزل السوق وليختر أغلى البضائع وأكثرها رواجا، ولم يكد يأخذ مكانه بين التجار حتى رأى اقبالا على بضاعته فاستخار الله وأتم عمليـة البيع وخلص من السبعين عالما، ثم هتف بذلك الهتاف المحبوب... ومن أجل ذلك نراه لايمارض اليوم في استرداد تلك البضاعة مادام السوق قد تغير وتحول من البيع إلى الشراء، فان ضمن في صفقة الشراء

ماضمن في صفقة البيع من زلفى تقبلها هنيئا مريئا وهتف ذلك الهتاف المحبوب.

لقد طغى النفاق على كل شيء في العهد الماضي ولم يقف عند هيئات دون أخرى، بل لقد انتظم جميع بيئاته على السواء، فلم يكن زعماؤه من السياسيين أقل إمعانا فيه من زعمائه من جماعة الموظفين. ففي اليوم الذي استفحل فيه أمر الازمة السياسية وعرف الوزراء أن استقالتهم أمر محتوم أخذ بعضهم يتردد كل يوم على مكتب زميل كان المظنون أنه سيرجع إلى الحكم لان أسهمه في بعض الدوائر كانت تحمل على هذا الاعتقاد كما كانت تغري بأن شفاعته مقبولة. فهذا الوزير الذي كان يتردد في كل يوم على مكتب زميل لم يكن يتردد عليه من قبل انما كان يقوم بنفس العملية التي تؤدي إلى ذلك الهتاف المحبوب» اه

(وبعد ايراد الكاتب شواهد أخرى على النفاق من وزارة عبد الفتاح يحيى التي استقال رئيسها منها ومن رياسة حزب الشعب ختم مقالته بالعبرة العامة منها وهي)

«من المستحيل أن تعيش الوطنية الحقة في قلوب عاش فيها النفاق، كما أنه من المستحيل أن يثبت جيش المنافقين فهو يخذل زعماءه وقادته عند أول صدمة. فمن قصر النظر ومن الاساءة للوطن بناية مثل هؤلاء الناس أو الاعتماد عليهم. وان مصر لتأمل حياة جديدة تقضي على كل ما أفسد النفاق من ضمائر وأهدر من كرامات» اه

﴿٢﴾

﴿هل هناك يد خفية في الازهر﴾

(لطلبة كلية الشريعة في الازهر في براءتهم من إشاعة)

أول بعض الناس حركة الاضراب في الازهر بأنها نتيجة يد خفية تعمل على خلق المشاكل للوزارة القائمة بايعازها إلى الطلبة باستمرار الاضراب في الازهر والمعاهد الدينية بل ذهبت في ذلك إلى مدي بعيد فادعت أن تلك اليد تمد الطلاب بالمال وأنها تنفق عليهم بسخاء

ولما كان في هذا وأمثاله تشويه لحركتنا البريئة أردنا أن نبين للرأي العام

حقيقة موقفنا إزاء هذه الاشاعات حتى يكون على بصيرة من أمرنا

أضرب طلاب التخصص والكليات والمعاهد الدينية نظراً لاهمال مطالبهم من ناحية وفوضى الادارة في عهد الشيخ الحالي من ناحية أخرى، هذا هو الذي دفعنا إلى الاضراب وهذا هو الذي حرك شعورنا وهذا هو الذي جعلنا نستمر فيه ، فأين هذه اليد الخفية التي تحركنا لقصد عرقلة الوزارة الجديدة ؟!

لقد أضربنا قبل أن تتولى الوزارة دست الحكم في البلاد بأسبوعين فهل كشف لتلك اليد الخفية عن ستار الغيب فرأت الوزارة متربعة على كراسي الحكم فأعدت عدتها وحرضت الطلبة على الاضراب ؟

وهل تلك اليد الخفية لها من السلطة والسلطان على نفوس الطلبة الازهريين مايدفعهم جميعا عن بكرة أبيهم إلى الاضراب ، ثم ماهي تلك اليد الخفية التي لها تلك القوة المعنوية في الازهر ياترى ؟

هل هي شيخ الازهر الحالي وأعوانه ومن يجدون له في طلب البقاء ! وحركتنا أساسها المطالبة بابعاده ؟ أم هي فضيلة الشيخ المراغي ! وهو معروف للخاص والعام بعلو نفسه عن الدنايا والدسائس ؟ بل أين كانت تلك القوة في الطلبة يوم أن قدم استقالته .

ثم الاعجب من هذا أن يقال إن حركة الاضراب مقصود بها المتسولين على الوزارة مع أن أساس الحركة هو إبعاد شيخ الازهر الحالي وهو من أعداء الامة ومن أنصار صدقي باشا ودستوره والمسئولين وغير المسئولين ، ثم أين النقود التي تبذل لنا بسخاء ونحن نعاني في جمع النقود لارسال البرقيات إلى الجهات المختصة صباحا جة — أين هي فليدلونا عليها إن كانوا صادقين ؟

هذه حقيقة أمرنا، أما تلك الاشاعات فهي تخرصات باطلة لا أساس لها كما قدمنا وما كنا في يوم من الايام أداة للعبث والفساد أو غير فاقهين — لما يراد بنا وبأخلاقنا — كما

يقولون فاننا لسنا أطفالا أو بلهى أو حمقى حتى يكون هذا ك من يحركنا فننصاع له
من ذلك يعلم أن اضرابنا لايراد به إلا نيل حقوقنا المهضومة والقضاء على الفوضى في ادارة الازهر، ويكفي للدلالة على حسن نيتنا التزامنا للهدوء والسكينة، أما العودة الى الدروس فلا سبيل اليها مادام شيخ الازهر موجوداً بعد ماأظهرنا له شعورنا نحوه، ورجاؤنا إلى الذين يختلقون هذه الاشاعات أن يتحروا الصواب فيما يقولون، والله نسأل أن يوفق ولاة الامور الى مافيه النفع والخير العام

طلبة كلية الشريعة

﴿٢﴾

﴿خطاب مفتوح﴾

(بقلم حضرة صاحب الامضاء)

الى فضيلة الاستاذ الأكبر :

أثارت مسألة الاهرام اهتمام الرأي العام بعد أن تطورت الى هذا الموقف الخطير ، ولا شك موقف فضيلتكم لم يكن مشرفا لك ولا للمسلمين عامة ، فقد جرتك السياسة الطائشة إلى سلسلة من التصرفات المعيبة، إذ بدأت باشهار العداء نحو خيرة مافي الازهر من كبار العلماء مدفوعا في ذلك بعوامل الحقد والحسد، وألقيت بنفسك في السياسة حتى كنت آخر من وقف للدفاع عن النظام البائد، وختمتها بموقفك إزاء مطالب الطلبة العادلة حتى انتهت المأساة باقتحام غرفتك وتحطيم مكتبك.. ولعلك تعلم أن هذه الحادثة نقطة سوداء في صفحات التاريخ الاسلامي

لو أنصفت أيها الاستاذ الكبير لعملت على حفظ كرامتك الشخصية وكرامة الاسلام الذي تتزعمه، ولما تمسكت بأهداب المنصب مضحياً بهذه الكرامات جميعاً ناسياً أن كل إساءة تلحقك انما تصيب الاسلام في الصميم ، فرفقا أيها الاستاذ بنفسك وبالمسلمين ، واختم حياتك في الازهر باستقالة مشرفة ، فالكرامة أعز من أن تداس بالقدم ، والمنصب زائل وصفحات التاريخ باقية على مر الزمن...
فاختر لنفسك مايحلو والسلام

حسن سعداوي المحامي

﴿ ٤ ﴾

امل الازهر

﴿ بين يدي دولة نسيم باشا ﴾

(بقلم حضرة صاحب الامضاء في جريدة السياسة)

كف الازهريون عن التظاهر واطمأنوا الى وعد دولة الرئيس الكريم نسيم باشا وما كان لهم بعد أن أظهروا شعورهم وأبانوا عن ظلامانهم إلا أن يتركوا قضيتهم في خير يد وثقت بها الامة وتترقب منها الخير الجزيل ، ولا شك أن صاحب الدولة سيعني كل العناية بأمر الازهر وأبنائه لعلمه أن هذا المعهد التاريخي الجليل فضلا عما لمصر به من الاعتزاز والكرامة بين أمم الاسلام فهو بمثابة وصلة روحية تربط المسلمين في بقاع الارض برباط واحد يرسلون اليه أبناءهم يغترفون من علومه ويتثقفون بثقافته ثم يعودون إلى بلادهم يعلمون أبناءها وفق ما عرفوه من الازهر ، فمعهد هذا شأنه يجب أن يتولى رياسته رجل عظيم يجمع إلى رجاحة العقل حزامة الرأي ، وإلى طهارة القلب الانصراف عن مطامع الحياة المادية، ليكون بهذا قديراً على حل المشكلات ، سباقا الى الخيرات ، يحترمه مرءوسه احتراما روحياً ، لا احتراما رسمياً ، ويتقيه أبناؤه لمبرانه اليهم لا لعدوانه عليهم. وقد تفضل دولة رئيس الوزراء ووعد خيراً وما نظن إلا أنه حفظه الله سيحقق الامل في وقت قريب، فالطلبة يقولون ان المشيخة الحالية أذلت العلماء وأرهقتهم ، وصدت الكثير منهم عن طلب العلم مما لم يسبق له مثيل في تاريخ الازهر، وعمدت جهاراً الى ذوي القربى والمحاسيب توليهم المناصب ، وتغدق عليهم الرواتب، في الوقت الذي توظف فيه خريجي التخصص بثلاثة جنيهات، وتقطع الاعانة المالية عن طلبة التخصص، وتنذر من رفع صوته منهم بالشكوى بسوء المنقلب . ثم لم تبال حرمة مقامها في نظر المسلمين، وبعد أن كان المفروض أن تكون بمثابة أب رحيم للجميع بلا تفريق، زجت بنفسها في تيار السياسة ومنازع الشهوات، وتعرضت

لرميها بمختلف النعوت المزرية بمقامها المضعفة من هيبتها . وقد برهنت الحوادث على أن هذه المشيخة لم يكن لها في كثير من الامور حل ولا عقد ، وكانت آلة مسخرة لبعض الافراد مما يتنافى وما يجب على العلماء من الصدق والصراحة وحرية الضمير ، وبالنسبة لكل هذه الاخطاء زالت هيبتها من النفوس، ومتى انقطعت الصلة النفسية بين الرئيس والمرءوس ، والاستاذ والطالب ، كان من الخير أن يصلح أمرهما بالتفريق بينهما ، ويقولون إن هذه المشيخة نفسها ارتكبت مع بعض الافراد مالا يحله الشرع ولا يرضاه القانون ولا تقره المصلحة العامة

من ذلك أنها وظفت رجلا في التدريس براتب ١٧ جنيها مع أنه لم ينجح في شهادة التخصص إلا بطريق الجبر وتركت رجلا يفوقه ترتيبا ويفضله من نواح عدة ولا ذنب له إلا أنه لم يكن من المقربين ، ولم يحسن الاساليب التي تطلبها الرياسة من الموظفين في هذا العهد العجيب ! ويقولون إن الازهر صار في هذا العهد أيضاً يموج فيه طغيان من الكذب وخلف الوعد ، ونفق فيه سوق الدس والوقيعة مما لم يسبق له مثيل في هذا الجامع الكبير — إلى غير ذلك مما يطول شرحه ويتحدث به في كل مكان

ويقيننا أن الوزارة الحاضرة ستقوم في أقرب وقت بعمل ما يعيد للازهر كرامته ، وللدين سطوته ، وللاصلاح قادته ، وما ذلك على وزارة دولة نسيم باشا بعزيز

محمد أمين هلال
دكتوراه من الجامعة الازهرية

﴿ ٥ ﴾

رفقا بشباب الازهر ياشيخ الازهر

(بقلم حضرة صاحب الامضاء من علماء الازهر : في السياسة بتاريخ ١٧ شعبان)

تطلع علينا الصحف كل يوم تفيض أنهارها بالحديث عن الازهر والازهريين، وما كان الازهر بالشيء الهين حتى لا يهتم به الرأي العام ، ولكن ما كان لحركة الازهريين وثورتهم على الظلم والتعسف الذي لحقهم وكتم أنفاسهم أربع سنوات

متتاليات ، تحملوا فيها من ثورات نفسهم الداخلية ماتحملوا ، ومن حبس حديثهم وإكبات شعورهم ماضاقوا به ذرعا ، وهي حركة حق لنا أن نصفها بأنها حركة مباركة ، لانها أذكت نار الوطنية في الشباب الازهري ، وأذرت الرماد الذي تراكم على جمر الغضى خمسة عشر عاما ، وأعني به حماس الازهريين ضد المعتدي على كرامة البلاد سواء أكان منها أو خارجا عنها

نعم ما كان لهذه الحركة أن تأخذ شكلها الحالي لو أن شيخ الازهر ـ وقد فقد ثقة مرءوسيه وانعدمت بينه وبين الطلبة والمدرسين روح التعاون التي يجب أن تسود وعلى الاخص في بيئات التعليم ـ استقال من منصبه وتركه لرجل أقدر منه على الاصلاح ، وأبعد منه عما ورط نفسه فيه من مناصرة الظلم ومناداة الامة العداء جهرة ووقوفه إلى اللحظة الاخيرة يشد أزر النظام المتداعي وفي صفوف الذين ضيقوا على الامة الخناق ، وساموها الخسف ، وحملوها من ضروب الارهاق ، وصنوف الاذى ، أكثر مما يحتمل وفوق مايطاق ، واعتدى على كرامتها المرات التي لاتعد في أشخاص زعمائها المحترمين ، وقادة الفكر فيها ، بله الطبقة المتوسطة من الامة

وكان الاجدر برئيس الازهر وشيخ الاسلام و(بابا) المسلمين إن صح هذا التعبير ـ كان الاجدر به وبكرامته ألا ينزل إلى ميدان السياسة على هذه الصفة ، ويعلم الله ويعلم جميع الناس أنه ليس منه في كثير ولا قليل ، وكان الاجدر به أن يثبت للناس أن له مستنداً من الدين فيلزم جانب الصمت ، وينكر ذلك الاعتداء الصارخ بقلبه ، ويعمل بالاثر الوارد «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان» لكنه أبى عليه تورطه إلا أن يناصر الظلمة إلى أبعد حد ، ويشايع أعداء الامة إلى أقصى غاية ، فطلع على الامة ببيانه المشوه لوجه الحقيقة ، والذي أصبح وصمة عار عديده كل أزهري الى جبينه خشية أن تكون قد لحقت به

وخيل اليه أن نداءه وصل إلى أعماق القلوب ، وتغلغل في صميم الافئدة ، وما درى أن للامة قلوبا تفقه الحق ، وعقولا تميز الصحيح من الزيف ، وانها لاتنخدع بالاباطيل المموهة ، وإن لبست ثيابها المستعارة ، ولا تطمئن الى الكيد وان طبع بطابع الدين ، فأعارته آذانا صما ، وعقولا غير واعية ، وضحكت منه ضحكة الساخر ،

الشديد الايمان بمبادئه ، واستمرت في جهادها غير ناظرة اليه ، لايثنيها عن مطلبها الأسمى عسف المتعسفين، ولا يردها عن مثلها الاعلى نداء المأجورين، حتى انتصرت قضيتها أخيرا رغم أنصار الباطل ودعاة الرجعية بفضل ثباتها وحسن قيادة زعائها

ولم يكن بدعاً وقد عاد جو الحرية الهادىء ، ورد الله عن كنانته كيد الكائدين وسهام الخارجين عليها لم ولن ينالوا منها نيلا ـ لم يكن بدعا ان يتنفس الازهريون الصعداء ، وأن يطالبوا باقالة شيخ الازهر مادام أبى عليه حبه للمنصب إلا أن يجعله يتمسك بعدم الاستقالة مسجلا في تاريخه نقطة أخرى سوداء سيحفظها له التاريخ في صفحاته المملوءة بأشباهها ، ألا وهي تلك الفوضى التي يتخبط فيها الشباب الازهري وتعطيل الدروس الذي ستكون نتيجته سيئة في هذا العام

وليعلم شيخ الازهر ان الامة التي رأته يتحدى أبا الهول في صمته يوم شنق بمسلمي طرابلس وأعدم عمر المختار، ويقف خطيبا مفوها يوم أن اعتدى صدقي باشا على أمة عزلاء إلا من الحق ، وعلى دستورها الذي نالته بدماء أبنائها وفي طليعتهم الازهريون ، ليعلم شيخ الازهر أن هذه الامة لن تغفر له هذه الزلات ، وأنها تشجع الازهريين في طلب اقالته

بأي حق ياصاحب الفضيلة تحرم سبعين عالما من صفوة العلماء ومن خيرة الشباب الازهري الناهض كان النشء في حاجة ماسة اليهم ، يقومون عوجه ويربونه تربية صحيحة، ليخرجوا منه للأمة شبابا لا يعرف غير الحق ، ولا يستكين لنير الذل والاستعباد ، ويحتج بأصوات تزعزع قوة الباطل ، وتذهب صولة الظلم إذا ماأريق دم بريء كدم عمر المختار

اللهم انك تعلم أنه لا حق هناك ولا شبه حق ، ولكنها الاهواء والحزبية وحب المال ، رفقا بشباب الازهر ياشيخ الازهر ، واتق الله في وقته الثمين فهو أثمن عليه من أن يضيعه في طلب اقالتك ، واترك الامر لمن هو أقدر منك وأولى ، وأمامك الاستقالة يمكنك أن تبرهن بها على اهتمامك بشؤون الازهر ولو قليلا ؟

احمد محمود سلامه الباصوني

من علماء الازهر

﴿٦﴾

﴿ العبرة في حوادث الازهر ﴾

(بقلم حضرة صاحب الامضاء من علماء الازهر ، في السياسة بتاريخ ١٨ شعبان)

وهكذا تقوم الساعة بغتة ويخذل الله أعداءه ، ويتكشف الرعب عن الازهريين جميعا فيتظاهرون منادين بضرورة تغيير الشيخ الظواهري الذي أكبر ظنه أنه من الخالدين . بل يجاوز هذا بعض جموعهم الى الهجوم عليه وهو في حماه بين أنصاره وأعوانه فيدمرون مكتبه تدميراً وذلك مالم نسمع به من قبل في تاريخ شيوخ الازهر .

ما أعظمها عبرة لطلاب المناصب الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة! شيخ بلغ من قوته وجبروته بالامس أن عصف بجرة من قلمه بحياة سبعين أسرة من العلماء دون أن يدور بخلده أن سيجد يوما من يناقشه الحساب ، ويبلغ به الضعف اليوم أن يهاجم في معقله بين موظفيه وجنوده من الطلاب الذين كانوا حريين أن ينصروه لو راعى الله فيهم وفي الامة التي جملت أمر دينها اليه

علم الله اني لا أريد التشفي منه ، واني أعوذ به أن سد الطريق على من أخذته الصيحة ويحاول أن يجد منها مفراً ، ولكني أريد ان أظهر الخطر لمن ينام ملء جفنيه آمنا مكر الله بعد أن نكل بمن استرعاه الله أمرهم تنكيلا

لقد فصل عن الازهر خيرة مدرسيه ، وقرب إخوته وأولادهم ومحسوبيه ، وأكثر من الجواسيس ، وبث العيون حتى لا يغيب عنه هاجس من هواجس أي أزهري ، ونكل بخريجي التخصص فحال بين أكفائهم وبين التدريس حين رفضت نفوسهم الابية الهون بالتعاون معه ، واستغل الحاجة في بعضهم فلم يفرض لهم من المرتبات الا دون ما يأخذه الملاحظ أو الفراش ، بل إنه يرى أن الثلاثة جنيهات التي جعلها أجراً للواحد منهم في الشهر — بعد أن صرفوا شبابهم في التعليم — فضلا ونعمة يجب أن يشكروه عليها ، وهيهات في رأيه أن يقوموا بشكرها

هاهو (ذا) قد خسر منصبه أو يكاد وكان عدل روحه ، ومن قبل خسر حب الازهريين وتقدير الامة جميعا جزاء ماقدم من سيء الاعمال

يرى بعينيه ويسمع بأذنيه أفاعيل إيطاليا المنكرة باخواننا مسلمي طرابلس فيهز كتفيه كأن الامر لايعنيه ، ويضن على المسلمين حتى بالاحتجاج

وتتعاقب الايام ، وتحدث أحداث من المبشرين فاذا الامة تقوم قومة رجل واحد للذود عن دينها ، وتؤلف جماعة الدفاع عن الاسلام برياسة فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ المراغي وتضم خيرة رجال الامة فيتنبأ المبشرون بأن أمرهم سيحين حينه اذا قدر لهذه الجماعة النجاح . يرى الشيخ الظواهري هذا فيسلم نفسه أداة ذلولا لمناوأة الجماعة والحيلولة بينها وبين مقاصدها بتأليف ماسماه جمعية الدعوة الى سبيل الله ، ويقيننا أنه قد ثلج صدره حين خفت صوت جماعة الدفاع عن الاسلام ووجد أن جمعيته التي ألفها قد أدت ماطلب منها فنامت وأطالت النوم ، وبذلك خسرت الامة ماكانت ترجوه من جهود الشيخ المراغي وصحبه المخلصين

والآن يرى الامة ناقمة على النظام الماضي ومستبشرة بزوال عهده الاسود ، فينسى وقار رجال الدين ، ويخف للاجتماع مع فلول ذلك العهد البغيض يريدون أن يحولوا بين الامة وبين ماتتمناه من زوال عهد المظالم والفوضى

ثم ماذا بعد ذلك؟ لاشيء إلا ماهو مخز ومخجل من أعمال الشيخ الظواهري الذي يذهب غير مأسوف عليه من أحد من الامة ، وليستقبل الازهريون عهد اصلاح جديد يتولى رعايته المصلح الكبير الشيخ المراغي إن شاء الله تعالى

محمد يوسف موسى

خريج تخصص الازهر ومحام شرعي

حسبنا هذه المقالات الست من ثلاثة أعداد من جريدة واحدة نموذجا مما تنشره الجرائد الوطنية في هذه الايام من مساوي الشيخ الظواهري ومظالمه وقسوته ومشايعته للظالمين ، فانها كلها من جنس واحد وان كان بعضها أشد من بعض ، وقد ذاق معهم بعض ما أعد الله لهم من النكال ، وما كان ليجيب دعوة الازهر والامة الى الاستقالة من رياسة من يمقتون رياسته قبل أن يخرج منها مذموما مدحورا ، فان كان قد نسي وعيد الله للظالمين ، وماقاله فيهم أشهر المفسرين ، فنحن نذكره به تذكيرا

خاتمة الكتاب

في نموذج من أقوال المفسرين فى الظالمين وأعوانهم في تفسير قوله تعالى (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار)

الروايات المأثورة والمعتمدون عليها

(١) روى الامام ابن جرير المتوفى سنة ٣١٠ عن ابن عباس (رض) أنه فسر الآية بالركون إلى الشرك (وهو أقوى ماروي فيها) وروى عنه تفسيره بالميل وانه قال لاتميلوا الى الذين ظلموا. وروى عنه ابن المنذر وابن أبي حاتم (ولا تركنوا) لاتذهبوا، وهو ليس تفسيراً بالمعنى اللغوي ولا يظهر المراد الشرعي منه إلا بقرينة ماقبله إن جمع بينهما بارادة المشركين الظالمين للمؤمنين ، وروى عن عكرمة انه فسر الركون بالطاعة أو المودة أو الاصطناع ، وعن أبي العالية قال : لا ترضوا أعمالهم (وهو تفسير بأحد اللوازم البعيدة) وعن الحسن قال: خصلتان إذا صلحتا للعبد صلح ماسواهما من أمره : الطغيان في النعمة والركون إلى الظلم ، ثم تلا الآية ، وهذا من فقه الآيتين لا تفسير لهما . وعن قتادة قال : يعني لا تلحقوا بالشرك وهو الذي خرجتم منه. وأخذ ابن جرير خلاصة هذه الروايات فقال في تفسير الآية : ولاتميلوا أيها الناس إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله فتقبلوا منهم وترضوا عن أعمالهم فتمسكم النار بفعلكم الخ

اقوال مفسري المذاهب المتبعة

(٢) قال أبو بكر الجصاص الحنفي المتوفى سنة ٣٧٠ في تفسيره (أحكام القرآن) والركون إلى الشيء هو السكون اليه والمحبة فاقتضى ذلك النهي عن مجالسة الظالمين ومؤانستهم والانصات اليهم ، وهو مثل قوله تعالى (فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) اه

(٣) وقال محمود الزمخشري المعتزلي المتوفى سنة ٥٢٨ في كشافه بعد ذكر القراءات في الآية: والنهي متناول للانحطاط في هواهم ، والانقطاع اليهم، ومصاحبتهم

ومجالستهم ، وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم ، والتشبه بهم والتزيي بزيهم ، ومداالمين إلى زهرتهم ، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم ، وتأمل قوله (ولا تركنوا) فان الركون هو الميل اليسير ، وقوله (الى الذين ظلموا) أي الى الذين وجد منهم الظلم ، ولم يقل الى الظالمين . الخ

(٤) وقال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي المتوفى سنة ٥٤٣ في أحكام القرآن :

في الآية مسألتان (الاولى) الركون فيه اختلاف بين النقلة للتفسير وحقيقته الاستناد والاعتماد على الذين ظلموا (المسألة الثانية) قيل في الذين ظلموا انهم المشركون، وقيل انهم المؤمنون ، وأنكره المتأخرون ، وقالوا أما الذين ظلموا من أهل الاسلام فالله أعلم بذنوبهم ، لاينبغي أن يصالح على شيء من معاصي الله ولا يركن اليه فيها، وهذا صحيح لان هذا لاينبغي لأحد أن يصحب على الكفر ، وفعل ذلك كفر ،ولا على المعصية ، وفعل المعصية معصية . قال الله في الاول (ودوا لو تدهن فيدهنون) وسيأتي إن شاء الله . وإن كانت في الكفار فهي عامة فيهم وفي العصاة ، وذلك على نحو من قوله (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) الآية . وقال حكيم:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

والصحبة لا تكون إلا عن مودة ،فان كانت عن ضرورة وتقية فقد تقدم ذكرها في آية آل عمران على المعنى، وصحبة الظالم على التقية مستثناة من النهي بحال الاضطرار . اه وتبعه القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ في تفسيره جامع احكام القرآن فنقل كلامه بدون عزو اليه ولم يزد عليه

(٥) وقال أبو علي الفضل بن الحسن الطوسي الشيعي المتوفى سنة ٥٦١ في تفسيره مجمع البيان: (اللغة) الركون الى الشيء هو السكون اليه بالمحبة له والانصات والانصباب اليه بالمحبة ، نقيضه النفور (المعنى) ثم نهى الله سبحانه عن المداهنة في الدين والميل الى الظالمين فقال (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) أي ولا تميلوا الى المشركين في شيء من دينكم عن ابن عباس ،وقيل لا تداهنوا عن السدي وابن زيد، وقيل إن النهي عن الركون الى الظالمين المنهي عنه هو الدخول معهم في ظلمهم وإظهار الرضاء بفعلهم أو إظهار موالاتهم . فاما الدخول عليهم أو مخالطتهم ومعاشرتهم دفعا لشرهم

فجائز عن القاضي. وقريب منه ما روي عنهم (ع) ان الركون المودة والنصيحة والطاعة اه والقاضي الذي عناه عبد الجبار المعتزلي ويعني عنهم بقوله آل البيت (ع)

(٦) وقال فخر الدين الرازي الشافعي المتوفى سنة ٦٠٦ في تفسيره الكبير مفاتح الغيب الركون هو السكون الى الشيء والميل إليه بالمحبة ونقيضه النفور عنه... قال المحققون الركون المنهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين تلك الطريقة وتزيينها عندهم وعند غيرهم ومشاركتهم في شيء من تلك الابواب، فاما مداخلتهم لدفع ضرر أو اجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل في الركون، ومعنى قوله (فتمسكم النار) أي إنكم إن ركنتم إليهم فهذه عاقبة الركون، واعلم أن الله حكم بأن من ركن الى الظلمة لابد وأن تمسه النار، وإن كان كذلك فكيف يكون حال الظالم في نفسه » اه

قد تبع الامام الرازي خصمه المعتزلي (الزمخشري) فأساء التقليد واختصر على خلاف عادته وما أفاده، بل زاد عليه الاعتذار لطلاب المنافع ودرء المضار من الظالمين فأخرج مداخلتهم إياهم من جريمة الركون اليهم، وهل يداخلهم أحد إلا لهذا؟

(٧) وقال القاضي ناصر الدين عبد الله عمر البيضاوي الشافعي المتوفى سنة ٦٨٥ في تفسيره (أنوار التنزيل)

(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) فلا تميلوا إليهم أدنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم (فتمسكم النار) بركونكم إليهم، واذا كان الركون إلى من وجد منه مايسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون إلى الظالمين الموسومين بالظلم ثم بالميل إليهم كل الميل، ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه، ولعل الآية أبلغ مايتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه، وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها والتثبيت على الاستقامة التي هي العدل، فان الزوال عنها بالميل إلى أحد طرفي إفراط وتفريط فهو ظلم على نفسه أو غيره بل ظلم في نفسه اه

(٨) قال عبد الله بن احمد النسفي الحنفي المتوفي سنة ٧٠١ في تفسيره مدارك التنزيل:

(ولا تركنوا الى الذين ظلموا) ولا تميلوا، قال الشيخ رحمه الله هذا خطاب

لاتباع الكفرة أي لا تركنوا إلى القادة والكبراء في ظلمهم وفيما يدعونكم اليه (فتمسكم النار) وقيل الركون اليهم الرضا بكفرهم ، وقال قتادة : ولا تلحقوا بالمشركين ، وعن الموفق أنه صلى خلف الامام فلما قرأ هذه الآية غشي عليه ، فلما أفاق قيل له ؟ فقال هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم . وعن الحسن جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا . وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون الملوك . وعن الاوزاعي مامن شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا . وقال رسول الله ﷺ « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصي الله في أرضه » ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية يسقى شربة ماء ؟ فقال لا ، فقيل له يموت ؟ قال دعه يموت (وما لكم من دون الله من أولياء) حال من قوله (فتمسكم النار) أى فتمسكم النار وأنتم على هذه الحالة ومعناه وما لكم من دون الله من أولياء يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لا تنصرون) ثم لا ينصركم هو لأنه حكم بتعذيبكم ومعنى ثم الاستبعاد أى النصرة من الله مستبعدة

(٩) وقال أبو السعود شيخ الاسلام مفتي دولة الروم العثمانية المتوفى سنة ٩٨٣

(ولا تركنوا) أي تميلوا أدنى ميل (إلى الذين ظلموا) أي الى الذين وجد منهم ظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم ، والجمع باعتبار جمعية المخاطبين ، وماقيل من أن ذلك للمبالغة في النهي من حيث إن كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم ، إنما يتم ان لو كان المراد النهي عن الركون إليهم من حيث إنهم جماعة وليس كذلك (فتمسكم) بسبب ذلك (النار) واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ، ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ، ويلقي شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم ، ويبتهج بالتزيي بزيهم ، ويمد عينيه إلى زهرتهم الفانية ، ويغبطهم بما أوتوا من القطوف الدانية ، وهي في الحقيقة من الحبة طفيف ، ومن جناح البعوضة خفيف ، بمعزل عن أن تميل اليه القلوب ، ضعف الطالب والمطلوب ، وخطاب الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة

التي هي العدل ، فان الميل الى أحد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه أو على غيره اه

(١٠) وقال السيد محمود الآلوسي مفتي الحنفية في بغداد (بعد ان كان شافعيا) في تفسير روح المعاني :

(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) أي لاتميلوا اليهم أدنى ميل، والمراد بهم المشركون كما روى ذلك ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس (رض) وفسر الميل بميل القلب إليهم بالمحبة ، وقد يفسر بما هو أعم من ذلك ، كما يفسر الذين ظلموا بمن وجد منه مايسمى ظلما مطلقا قيل ولارادة ذلك لم يقل الى الظالمين ، ويشمل النهي حينئذ مداهنتهم وترك التغيير عليهم مع القدرة والتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم ومجالستهم من غير داع شرعي، وكذا القيام لهم ونحو ذلك، ومدار النهي على الظلم والجمع باعتبار جمعية المخاطبين ، وقيل ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث إن كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم مثلا، وتعقب بأنه انما يتم أن لو كان المراد النهي عن الركون إليهم من حيث إنهم جماعة وليس فليس (فتمسكم) أي فتصيبكم بسبب ذلك كما تؤذن به الفاء الواقعة في جواب النهي (النار) وهي نار جهنم والى التفسير الثاني - وما أصعبه على الناس اليوم بل في غالب الاعاصير من تفسير - ذهب أكثر المفسرين ، قالوا واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس الناس النار ، فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم كل الميل ، ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ،ويتعب قلبه وقالبه في إدخال السرور عليهم ، ويستنهض الرجل والخيل في جلب المنافع اليهم، ويبتهج بالتزيي بزيهم ، والمشاركة لهم في غيهم ، ويمد عينيه الى مامتعوا به من زهرة الدنيا الفانية، ويغبطهم بما أوتوا من القطوف الدانية، غافلا عن حقيقة ذلك، ذاهلا عن منتهى ماهنالك ، وينبغي أن يعد مثل ذلك من الذين ظلموا لامن الراكنين اليهم، بناء على ماروي أن رجلا قال لسفيان إني أخيط للظلمة فهل أعد من أعوانهم؟ فقال له لا أنت منهم والذي يبيعك الابرة من أعوانهم اه

من تأمل أقوال من بعد الزمخشري في تفسير الآية يرى انهم كلهم قلدوه فيما فسر به الركون وهو غلط منه كما حققته في أول تفسير الآية وهو انه مشتق

من الركون وهو الجانب القوي من البناء ومن كل شيء ، فمعنى الركون اليهم الاستناد اليهم والاعتماد على ولايتهم ونصرهم الخ وفي تفسير الذين ظلموا بالذين وقع منهم ظلم ما هو غلط أيضا وانما هو في الكلام على الاقوام كالوصف باسم الفاعل فقوله تعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون) معناه جماعة الكافرين الراسخين في الكفر لا من وقع منهم كفر ما الخ ماتقدم

(١١) وقال السيد محمد صديق حسن خان نائب ملك بهوبال (الهند) المتوفى سنة ١٣٠٧ في تفسيره (فتح البيان في مقاصد القرآن) الذي أودعه تفسير أستاذه القاضي الشوكاني المسمى (بفتح القدير) وزاد عليه ، فكان ما أورده عنه مغنيا عن أصله ،

اتفق المفسران على تخطئة الزمخشري ومن تبعه في تفسير الركون بالميل اليسير وأوردا بعض ماقاله رواة التفسير واللغة في معناه مخالفا له ، مما نقلناه وزدنا عليه ، وانفردنا بتحقيق معناه دونهم ودونهما ، ثم انفردا بالبحث الآتي بنصه :

«وقد اختلف أيضا الائمة من المفسرين في هذه الآية هل هي خاصة بالمشركين أو عامة فقيل خاصة ، وان معنى الآية النهي عن الركون الى المشركين وأنهم المرادون بالذين ظلموا ، وقد روي ذلك عن ابن عباس ، وقيل إنها عامة في الظلمة من غير فرق بين كافر ومسلم وهذا هو الظاهر من الآية ، ولو فرضنا أن سبب النزول هم المشركون لكان الاعتبار بعموم اللفظ لابخصوص السبب

(فان قلت) وقد وردت الادلة الصحيحة البالغة عدد التواتر الثابتة عن رسول الله ﷺ ثبوتا لا يخفى على من له أدنى تمسك بالسنة المطهرة بوجوب طاعة الائمة والسلاطين والامراء حتى ورد في بعض ألفاظ الصحيح « أطيعوا السلطان وإن كان عبداً حبشياً رأسه كالزبيبة » وورد وجوب طاعتهم ما أقاموا الصلاة ، ومالم يظهر منهم الكفر البواح ، ومالم يأمروا بمعصية الله ، وظاهر ذلك أنهم وإن بلغوا في الظلم الى أعلى مراتبه ، وفعلوا أعظم أنواعه ، مما لم يخرجوا به إلى الكفر البواح ، فان طاعتهم واجبة حيث لم يكن ما أمروا به من معصية الله ، ومن جملة مايأمرون به تولي الاعمال لهم والدخول في المناصب الدينية التي ليس الدخول

فيها من معصية الله، ومن جملة مايأمرون به الجهاد وأخذ الحقوق الواجبة من الرعايا وإقامة الشريعة بين المتخاصمين منهم واقامة الحدود على من وجبت عليه

«وبالجملة فطاعتهم واجبة على كل من صار تحت أمرهم ونهيهم في كل مايأمرون به مالم يكن من معصية لله، ولا بد في مثل ذلك من المخالطة لهم والدخول عليهم ونحو ذلك مما لابد منه، ولا محيص عن هذا الذي ذكرنا من وجوب طاعتهم بالقيود المذكورة لتواتر الادلة الواردة به، بل قد ورد به الكتاب العزيز (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) بل ورد أنهم يعطون الذي لهم من الطاعة وإن منعوا ماهو عليهم للرعايا كما في بعض الاحاديث الصحيحة «أعطوهم الذي لهم واسألوا الله الذي لكم» ورد الامر بطاعة السلطان وبالغ في ذلك النبي ﷺ حتى قال «وإن أخذ مالك وضرب ظهرك» فان اعتبرنا مطلق الميل والسكون فمجرد هذه الطاعة المأمور بها مع ماتستلزمه من المخالطة هي ميل وسكون، وإن اعتبرنا الميل والسكون ظاهراً وباطناً فلا يتناول النهي في هذه الآية من مال اليهم في الظاهر لأمر يقتضي ذلك شرعا كالطاعة أو التقية، ومخافة الضرر منهم، أو لجلب مصلحة عامة أوخاصة أو دفع مفسدة عامة أو خاصة اذا لم يكن له ميل اليهم في الباطن ولا محبة ولا رضى بأفعالهم اه

(قلت) أما الطاعة على عمومها بجميع أقسامها حيث لم تكن في معصية الله فهي على فرض صدق مسمى الركون عليها مخصصة لعموم النهي عنه بأدلتها التي قدمنا الاشارة اليها، ولاشك في هذا ولا ريب فكل من أمروه ابتداءاً أن يدخل في شيء من الاعمال التي أمرها اليهم مما لم يكن من معصية الله كالمناصب الدينية ونحوها إذا وثق من نفسه بالقيام بما وكل اليه فذلك واجب عليه فضلا عن أن يقال جائز له. وأما ماورد من النهي عن الدخول في الامارة فذلك مقيد بعدم وقوع الامر ممن تجب طاعته من الأئمة والسلاطين والامراء جمعاً بين الادلة، أومع ضعف المأمور عن القيام بما أمر به كما ورد تعليل النهي عن الدخول في الامارة بذلك في بعض الاحاديث الصحيحة، وأما مخالطتهم والدخول عليهم لجلب مصلحة عامة أو خاصة أو دفع مفسدة عامة أو خاصة مع كراهة ماهم عليه من الظلم وعدم ميل النفس اليهم

ومحبتها لهم وكراهة المواصلة لهم لولا جلب تلك المصلحة أو دفع تلك المفسدة ، فعلى فرض صدق مسمى الركون على هذا فهو مخصص بالادلة الدالة على مشروعية جلب المصالح ودفع المفاسد ، والاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى ، ولا يخفى على الله خافية .

وبالجملة فمن ابتلى بمخالطة من فيه ظلم فعليه أن يزن أقواله وأفعاله وما يأتي وما يذر بميزان الشرع ، فان زاغ عن ذلك فعلى نفسها براقش تجني ، ومن قدر على الفرار منهم قبل أن يؤمر من جهتهم بأمر يجب عليه طاعته فهو الأولى له والاليق به ، يامالك يوم الدين ، اياك نعبد واياك نستعين ، اجعلنا من عبادك الصالحين ، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر الذين لايخافون فيك لومة لائم ، وقونا على ذلك ، ويسره لنا ، وأعنا عليه اه

تحقيق مسألة طاعة الأئمة والأمراء

إن هذا البحث الذي فتح بابه ودخله هذان المجددان في تفسيريهما (فتح القدير وفتح البيان) كان استدراكا ضروريا لما فسر به الآية جمهور من قبلهما فاختصروا وقصروا ، ولولاه لما كان اليه حاجة في فهم الآية ، على انهما على سبقهما لم يسلما من تقصير ، ولم يأتيا بكل مايحتاج اليه البحث من تحرير وأوردا الاحاديث بالمعنى بدون تخريج

أهم مافي البحث من حاجة إلى التحرير مسألة طاعة الملوك والسلاطين والامراء الظالمين وإن تفاقم ظلمهم فسلبوا الاموال ، وضربوا ظهور الرجال ، ما داموا لايظهرون الكفر البواح (هو بالفتح : الظاهر المكشوف) وقد اشتهر أن هذا مذهب أهل السنة ، وان وجوب الخروج عليهم مذهب الزيدية

والصواب أن المسألة فيها نظر ، فاطلاق القول فيها يحتاج إلى تقييد ، وإجماله لاينجلي إلا ببيان وتفصيل ، وقد سبق لنا تحريره في كتاب (الخلافة — أو الامامة العظمى) وفي هذا التفسير

وخلاصة القول الحق انه لا تعارض بين وجوب طاعة الائمة والامراء فيما

لا معصية فيه لله تعالى من المعروف، وبين النهي عن الركون إلى الظالمين وحظر مادون الركون اليهم مما قاله المفسرون وغيرهم، وما في معنى هذا النهي من آيات الذكر الحكيم في تقبيح الظلم وبيان كونه سبباً لهلاك الامم في الدنيا وعذابها في الآخرة، وكذا الآيات الدالة على سلطة الامة عليهم

وما ورد من الاحاديث في طاعتهم يقابله ماورد فيها من وجوب الأخذ على أيدي الظالمين عامة، وعلى أئمة الجور والامراء خاصة وعلى تغيير المنكر باليد أولا فان لم يستطع فباللسان وان إنكاره بالقلب عند عدم الاستطاعة لما قبله أضعف الايمان، ومنه عدم الميل اليهم ولو يسيراً وهو الذي فهمه من ذكرنا من المفسرين من النهي عن الركون، فانكارهم له حق في نفسه، وإنما أخطأ من أخطأ في تفسير الركون به

وحسبنا هنا مارواه الامام أحمد وأصحاب السنن وغيرهم في تفسير قوله تعالى (٥ :١٠٨ عليكم أنفسكم) الآية، ففي المسند من طريق قيس (أبي حازم) قال: قام أبو بكر (رض) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس انكم تقرءون هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم – حتى أتى على آخر الآية – ألا وان الناس اذا رأوا الظالم لم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقابه، ألا واني سمعت رسول الله يقول «ان الناس ... وفي رواية أخرى عنه انه خطب فقال يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها على غير ما وضعها الله (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان الناس اذا رأوا المنكر بينهم فلم ينكروه يوشك أن يعمهم الله بعقابه» وهذا الحديث رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والحميدي في مسانيدهم وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم

وفي معنى هذا الحديث ماروا أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم، وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض فلعنهم (على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) قال فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئا فقال «لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم أطراً» وفي رواية أبي داود قال: قال «كلا والله

